

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة الجزائر
- الشيخ مبارك بن محمد إبراهيم الميلي الجزائري -
قسم اللغة العربية و آدابها

المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في مرحلتى
"الابتدائي والاكمالى"

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي تخصص:
التعليميّة

إعداد الطالب: مختار الهيصاك

أعضاء اللجنة المناقشة

- أ.د/أحمد بلحوت /المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/... رئيسا.
- أ.د./نادية تيحال/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/...مقررا.
- أ.د/عبد الله قلي/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/...مقررا مساعدا.
- أ.د/الطاهر لوصيف/المدرسة العليا للأساتذة.الأغواط/عضوا مناقشا.
- د/بن عليّة عبد السلام/ جامعة المديّة/عضوا مناقشا.
- د/الدراجي سعيدي/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/عضوا مناقشا.
- د/بكار أحمد/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/عضوا مناقشا.

السنة الجامعية

1438هـ - 1439هـ / 2017م - 2018م

المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في مرحلتي "الابتدائي والإكمالي"

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في اللغة والأدب العربي تخصص:

التعليميّة

إشراف الأستاذة:

د/ نادية تيحال

إعداد الطالب:

مختار الهيصاك

بمساعدة:

د/ عبد الله قلبي

اللجنة المناقشة

- أ.د/ أحمد بلحوت /المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/... رئيسا.
- أ.د/نادية تيحال/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/...مقررا.
- أ.د/عبد الله قلبي/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/...مقررا مساعدا.
- أ.د/الطاهر لوصيف/المدرسة العليا للأساتذة.الأغواط/عضوا مناقشا.
- د/بن عليّة عبد السلام/ جامعة المديّة/عضوا مناقشا.
- د/الدراجي سعيدي/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/عضوا مناقشا.
- د/بكار أحمد/المدرسة العليا للأساتذة.بوزريعة/عضوا مناقشا.

السنة الجامعية

1438هـ - 1439هـ/2017 م - 2018 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا

إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمَ

سورة البقرة، الآية: 32

الحمد لله

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

إلى: أبي وأمي...

كلمة شكر

لا يفوتني وأنا أطوي آخر أوراق هذا البحث المتواضع أن أتقدم بالشكر الجزيل للمشرفين على عملي وأخص بالذكر الأساتذة الدكاترة: تيحال نادية، وقلي عبد الله والمشرف بالخارج بجامعة تروا ريفيير كورناي كازادي، كما أتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة الموقرة التي تحملت عناء قراءة ومناقشة هذه الأطروحة.

مقدمة

إن دراسة تاريخ الأحداث الثقافية والاجتماعية، يؤكد أن أهداف ومرامي التربية قد تغيرت حسب الزمان والمكان، وهو ما انعكس بالموازاة على العملية التعليمية التعليمية التي عرفت هي الأخرى تغييرات جذرية، في تنظيمها وتكيفها وفي عملية السيطرة عليها. كما تأثرت أيضا بالنمو الحضاري السريع الذي عرفته البشرية في شتى الميادين، ونتيجة للتطور وسائل الاتصال والنقل التي حولت العالم إلى قرية صغيرة. في كل هذا كانت عناصر العملية التعليمية كالمعلم والمتعلم والمحتوى التعليمي هي العينة الأساسية لمختلف التجارب التربوية والإصلاحية، وهي أساس الدراسات النظرية والتطبيقية. أما التربية على المواطنة وتعليمها، فهي عملية قديمة وحديثة، مارستها الشعوب والمجتمعات والأمم في تأديب وتربية أبنائها على روح الانتماء للأرض وللوطن، وزاد من أهمية التربية على المواطنة ظهور الدولة الوطنية الحديثة والعصرية المبنية على القوانين والدساتير المدنية والاجتماعية، والتي أولت اهتماما كبيرا لتربية أبنائها على مفاهيم الانتماء والهوية.

تعتبر عملية اختيار المؤلفات الأدبية أساسا لاختيار النصوص الأدبية التعليمية، ولها دور حاسم في توجيه العملية التعليمية وفي عملية إنجاحها أو إفشالها، وهذا ما هو ملاحظ على محتوى البرامج المدرسية الجزائرية، حيث تراوح فيها النص الأدبي الجزائري بين النص الأدبي الكلاسيكي القديم الهادف إلى تأصيل التراث والتعريف بالماضي والهوية الثقافية، وبين محاكاة النص الأدبي الغربي بحثا عن التجديد والحداثة، وبحكم حوار الحضارات والثقافات وتعايش الأديان، وبين نص أدبي ثالث يحاول التجديد بنفض الغبار عن الماضي واستلهامه، وإعادة بعثه في حلة جديدة، تضمن مكانتنا المشرفة بين الأمم وتحافظ على خصوصياتنا وتميزنا، مبنية على المبادئ والقيم الجزائرية الخالصة، وانعكاس لتراثنا وعاداتنا وتقاليدينا، ومحافظة على عناصر الهوية والشخصية الوطنية.

تكتسي المراحل الأولى لتربية الطفل أهمية كبيرة في عملية تعليمه وتطعيمه كل الأفكار والمعارف والقيم والمبادئ الضرورية له في حياته المستقبلية، وذلك اعتمادا على اختيار المضامين وتحسين الوضعيات التعليمية وإتاحة الفرص الملائمة للتعلم،

التي يستطيع الطفل من خلالها أن يكتسب ويتعلم ويلعب ويبتكر ويبني شخصيته شيئاً فشيئاً على المبادئ والقيم وعلى المعارف والعلوم والأخلاق. إن تلاميذ المدارس في حاجة إلى نصوص أدبية تعليمية، تستوعب التغيرات الاجتماعية وتعبر عن آمالهم وأحلامهم في العيش السعيد والرفي المستمر والمثمر، وتساعدهم على حل مشاكل حياتهم وتسييرها، وتساهم في تكوينهم وتنشئتهم ليكونوا مواطنين صالحين يحبون وطنهم ويعتزون به ويدافعون عنه، وهو ما يكون لديهم قيم المواطنة في المستقبل. وبهذا نتمكن من تهيئة الجو لبناء رجل المستقبل والمواطن الصالح الذي يشعر بالمسؤولية تجاه مجتمعه وأمتة ووطنه، ويعرف واجباته وحدود حقوقه ويحترم كل النظم والقوانين المعتمدة في وطنه. ويجب أن يكون كل هذا العمل الكبير تحت إشراف المدرسة وتوجيه وتدخل منها سواء داخلها أو خارجها، فالمواطنة الحقيقية ليست حمل بطاقة هوية أو أسماء وكنائيات نحملها ونتباهى بها، إنها الشعور بالانتماء للوطن والشعور بحجم المسؤولية تجاه هذا الوطن، هذا هو التعليم الحقيقي للمواطنة، إنها تربية منذ الصغر على السلوك الوطني السوي.

إن كل هذه الأمور تفرض وتستلزم مراجعة المناهج والبرامج التعليمية أي مراجعة نوعية النصوص التعليمية المقدمة، وطريقة تقديمها وتمريضها للمتعلمين، فعملية اختيار النصوص التعليمية تساهم دون شك بدرجة كبيرة في تكوين وبناء شخصية المتعلم على حب الوطن والاحترام المتبادل ونبذ العنف والانحراف، ويعتبر توظيفها في المناهج والمقررات التربوية أكبر من ضرورة، لخلق جو فكري وتعليمي وتفاعلي ومعرفي وتحويري، يمنح المتلقي حرية كبيرة في إثبات الوجود والتعبير والإبداع، وعلى التفكير الصائب والنقد البناء، والابتعاد عن التعصب والتطرف والعنف في معالجة المشاكل، وهو الشيء الذي يكون من خلال تعامل المتعلم وتفاعله الصحيح والإيجابي والديمقراطي مع النص الأدبي الوطني، الذي يحمل انجازات وبطولات الشعب الجزائري دون تحريف أو تزيف، فيولد في نفسية المتعلم نوعاً من الاعتزاز والافتخار بتاريخ وطنه وأسلافه.

تحاول الجزائر منذ الاستقلال القيام بإصلاحات تعليمية تربوية متتالية، من أجل تحسين المردود التربوي والدفع بعجلة التنمية الوطنية الشاملة في جميع الميادين، لذلك كان من

الضروري مراجعة المناهج الدراسية وتحديثها لمسايرة التغيرات والتطورات التعليمية، وإعداد مشروع مجتمع تربوي تعليمي مبني على مراجعة وإعداد المناهج إعداد جيداً يتلاءم ومكونات المجتمع الجزائري المؤسسة على تعدد اللغات واللهجات والعادات والتقاليد، وبكل أبعاده الخلقية والوجدانية والعقلية، وأخذاً في الاعتبار الموروث الثقافي المتنوع والغني بالآثار الشفوية والشعبية والمخطوطة. ونجد في الأدب الجزائري نصوصاً أدبية كثيرة، تحمل معارف فنية وتراثية ووطنية مختلفة ومتنوعة، بفعل انفتاح الأدباء الجزائريين على الحياة الأدبية والعلمية والفكرية الغربية والعربية، فكانت كتاباتهم تعبيراً حقيقياً عن واقع الجزائر، وتخليداً وترجمة لإنجازات أبطالها وتاريخها الملحمي. ومما لا شك فيه أن الجنس الروائي، تبقى نصوصه الكثيرة من أهم الإبداعات الأدبية التي عرفها تاريخ الأدب، والتي حظيت بعناية خاصة، وتمركزت حولها الأبحاث والدراسات والمناهج، وعلى هذه النصوص اعتمدت البرامج التعليمية والتربوية في ضبط أغراضها وأهدافها التربوية والتعليمية فيما يخص التربية على الوطنية والمواطنة وتعليمها، فنهلت منها ما رأته مناسبة لإثارة قيم المواطنة ومبادئ الوطنية. وكذلك كان الأمر في الأدب الجزائري، فمن النصوص الروائية النثرية والشعرية التي تتناول مقاومة وكفاح وإنجازات الشعب الجزائري، هو ما نجده في كتابات الطاهر وطار وواسيني الأعرج وعبد الحميد بن هدوقة، مفدي زكريا محمد العيد الخليفة، ومحمد الأخضر السائحي.

واقع مدارسنا لا يبعث على الارتياح، من خلال ما نلاحظه من ممارسات غير أخلاقية وسلوكات غير سوية يبديها المتمدرسون، وهو ما يفسره تزايد واستفحال ظاهرة العنف ضد الأساتذة التي تصل حتى الإعاقة الدائمة أو القتل، وبين المتمدرسين أنفسهم، بالإضافة إلى انتشار المخدرات، وكل العادات الانحرافية الأخرى التي تنتافى وسن المتمدرسين، واستفحال ظاهرة التسرب في السنوات الأولى للتدريس. ودخول المخدرات والمهلوسات إلى حرم المدرسة. ازدياد ظاهرة الهجرة غير الشرعية "الحرقة" وما يصاحبها من عمليات التنصل من عناصر الهوية الوطنية، والكتابات الحائطية في المدارس وفي الشوارع وعلى الطاولات والتي كلها تشجع الخروج من هذا الوطن بكل وسيلة، ومن الأسباب أخرى هي تلك الظواهر التي تؤرقنا كأساتذة وأولياء ومواطنين، مما نراه من سلوكات وتصرفات متعلمينا خارج المدرسة كإتلاف الممتلكات العمومية والإدارية والكلام

الفاحش والمعادي للوطن وللمدرسة والعنف والاعتداءات المتكررة على كل شيء، واستفحال الجريمة في صفوف المتعلمين، بالإضافة إلى سلوكات الاستهزاء والسخرية أثناء مراسيم رفع العلم الوطني داخل المدرسة، والإعراض عن العمل وغياب الاجتهاد والمثابرة والنفور الكبير من الدراسة. دون أن ننسى تصاعد حدة ظاهرة المسيرات التي يقوم بها مترشحو البكالوريا ابتداء من سنة 2010، من أجل تحديد ما اصطلح عليه "بالعتبة" أي تحديد الدروس التي قد تتناولها أسئلة البكالوريا، وما يصاحب ذلك في كل مرة من عمليات تكسير وتخريب للمؤسسات التعليمية وللمنشآت الوطنية عامة. وبحكم عملي وقتها في سلك الأمن، حيث كنت قريباً من هذه المسيرات، والتي كانت مصحوبة بهتافات معادية للمدرسة وللوزارة وللمديرية التربوية وحتى للوطن في بعض الأحيان، عندها أدركت أن هناك خلافاً في المواطنة داخل المدرسة، يطرح على مستوى المضامين والنصوص المقدمة.

قضية التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة إشكالية بيداغوجية كبيرة، تتضح في مدى انعكاس ذلك التعليم على الحياة الشخصية والوطنية للمتعلم داخل وخارج المدرسة، والبحث في الخلل الذي تعاني منه التربية على المواطنة في المقررات والمضامين التربوية في الطورين الابتدائي والإكمالي، والتعرض إلى أسباب ضعف وتراجع قيم ومبادئ الوطنية والمواطنة لدى المتعلمين، ما هي أسباب فشل كل محاولات المدرسة لصناعة مواطنين صالحين يحبون وطنهم ويدافعون عنه ويحمونه ويحافظون على إنجازاته؟ ما هي أسباب إخفاق وعجز كل المحاولات والممارسات التربوية والمدرسية، في بلوغ الأهداف المسطرة، وفي اكتساب المعارف والمهارات المرجوة، وفي تحسين المردود المعرفي وإصلاح السلوك الفردي للمتعلم، للوصول بمتعلمينا إلى مواطنة تعاشية مبنية على الاحترام ومعرفة الحقوق والواجبات. سنحاول الإجابة من خلال عملنا على الإشكالية الهامة الذي نتلخص في: مدى انعكاس ما يتعلمه أطفالنا من مهارات وطنية من خلال المضامين النصية في البرامج الدراسية للطورين الابتدائي والإكمالي لتعليم المواطنة والتربية عليها في حياتهم اليومية داخل وخارج المدرسة، وهل هذه المحتويات جديرة لتلبية حاجات المتعلم المعرفية والسلوكية فيما يخص التربية على الوطنية والمواطنة؟ ما المواطنة وما هو الفرق بينها وبين الوطنية؟ هل نصوص المواطنة الواردة في المضامين كافية لبناء شخصية المتعلم

وغرس روح المواطنة وحب الوطن فيه؟ كيف نصنع من المتعلم مواطنا صالحا في المستقبل؟ ما أهمية ودور الأسرة والمدرسة في غرس مبادئ وقيم المواطنة لدى المتعلم؟

فرضيتنا الأولية المقترحة في الإجابة على التساؤلات هي: أن منهج الفكر التربوي والتعليمي المعتمد في مدارسنا هو الأساس للتربية على المواطنة وعلى القيم الوطنية. كما أن التربية الاجتماعية الأولى هي الأساس لكل تربية سياسية ووطنية. إذن فالبحث في الوطنية والمواطنة يقتضي البحث في منهج الفكر التربوي والتعليمي، وفي الظروف الاجتماعية والمدرسية. لأنه لا يمكن القيام بنهضة تعليمية معرفية ناجحة، بعيدا عن التربية والتعليم على القيم والمبادئ والتاريخ والأخلاق والعادات والتقاليد المحلية.

تعتبر التعليميات ببرامجها ومضامينها ونصوصها الأدبية والوطنية المقدمة في المناخات والوضعيات البيداغوجية المناسبة، في المراحل التعليمية الأولى للطفل/المتعلم أحسن وسيلة لتربيته على قيم حب الوطن ورموزه، وعلى حب قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وتراثه، وعلى تعزيزها وبعثها وزرعها وترسيخها في نفسيته. وفي تكوين شخصيته وتحديد مبادئه وتوجهاته التي ترسم وتحدد علاقته بالمجتمع والأمة والوطن، ليصبح مواطنا صالحا يحب وطنه ويدافع عليه ويحس بالانتماء إليه، لذا فمن أولى أولويات المدرسة هو التربية على الوطنية والمواطنة للحفاظ على هذا الوطن الذي دفع عنه أسلافنا الثمن غالبا. إن التربية والتعليم على المواطنة هي مشروع مجتمع تربوي كبير، مدروس ومخطط له يأخذ بعين الاعتبار المبادئ والرموز والقيم الوطنية، والذي لا يمر عبر المجالس الشعبية الوطنية أو غيرها من التجمعات الفوقية فقط، بل يمر عبر المدرسة أيضا، لذا يجب إعطائها هيبتها ووقارها، ويجب توفير جميع الوسائل المادية والإجرائية الضرورية لإنجاح هذا المشروع. ومنها اختيار النصوص الأدبية التي تتناول أمور الوطنية والمواطنة، والتي تساهم في توسيع ملكة المتعلم وتنويره لتحسين سلوكه، ومقاربته من المشاعر الوطنية كالانتماء وحب الوطن. ثم البحث في أسباب نفور المتعلمين من النصوص الوطنية، والتفكير في خلق ميكانيزمات جديدة، وحلول لجلب المتعلمين للقراءة والمطالعة والتفاعل، وخلق جو دراسي تعليمي شعاره التعاون ومساهمة الجميع وحب المعرفة والتضامن وحب الوطن وحرية

التفكير والتعبير، والاتحاد لبناء الوطن والدفاع عليه، وحماية الإنجازات الوطنية وصيانة كل المرافق العمومية والإدارية.

إن هذه الدراسة المتواضعة ما هي إلا محاولة بسيطة أردت من خلالها لفت الانتباه لأهمية التربية على الوطنية والمواطنة وتعليمها، في وقت أخذ فيه العالم العود إلى الانغلاق والتقوق وعودة القوميات القديمة، وانتشار الفكر المتطرف الهدام وتزايد ظاهرة العنف وأصوات الفتن والتفرقة داخل المجمعات وبين الشعوب. وما شهدته الجزائر في سنوات التسعينيات، وما تشهده اليوم بعض الدول العربية من حروب أهلية وعنف وفتن وتناحر بين أفراد مجتمعاتها لخير دليل. ولا يخفى على أحد أن الجزائر بلد متعدد اللغات واللهجات والثقافات والعادات والتقاليد، وهو ما يجعله عرضة لهذه الفتن والأفكار. فما لم تكن هناك مخططات تربوية تعليمية مدروسة لحماية المجتمع وجيل الشباب من هذه الأفكار العصبية والمتطرفة، فلننتظر ما هو أسوأ، الفوضى، العنف، الحرب الأهلية وغيرها من المظاهر الهدامة. لذا يجب أن نجعل من هذا التنوع والاختلاف الثقافي والتراثي عامل وحدة وإنتاج وتطور ورحمة، ونستفيد منه بكل حرية وديمقراطية واحترام وقبول للآخر.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تمس موضوعا اجتماعيا سياسيا يتصل بحياة الأفراد والمجتمع وبتماسك الوطن واستمراره وأمنه، من خلال تناول قيم ومبادئ الشعور بالانتماء والولاء للوطن، وفي معالجتها. لتعليم كثير من المعارف والسلوكات الوطنية وتنمية وغرس قيم ومبادئ المواطنة السوية، ومساعدة المتعلمين على إدراك وممارسة الحقوق والواجبات، وفهم حدود المسؤولية والديمقراطية في المجتمع. وتتناول الدراسة مرحلة هامة من حياة تعلم الإنسان، وهي مرحلة الطفولة والمراهقة التي يكون فيها المتعلم قابلا ولينا للعن المثالي، وللتكوين الصحيح في الحياة، والتعود على كل السلوكات الصالحة في المجتمع والوطن. كما قصدت من وراء عملي المتواضع لفت أنظار المسؤولين التعليميين لأهمية نصوص التربية على المواطنة في المضامين والبرامج التعليمية، ودورها في الذهاب بالمتعلم وفقا للوجهة الصحيحة المبنية على حب الوطن والدفاع عن رموزه

وانجازاته وقيمه وتراثه وتاريخه، وللرد على الأصوات التي ترى في أن مدارسنا هي بؤر الإجرام والتربية على التطرف والفتن والعنف.

كأي باحث اعتمدت في بحثي ودراستي على مجموعة من مناهج البحث العلمية، التي منها منهج تحليل المضمون أثناء تحليل ودراسة نصوص الكتاب المدرسي للطورين الابتدائي والاكمالي، بالإضافة إلى المنهج الإحصائي التحليلي الذي استعنت به في الفصلين التطبيقي والميداني "تحليل الأرقام والنسب". وفي كل محطات البحث لم نستغن عن المنهج الوصفي التحليلي لتحليل النتائج والأرقام، ووصف وضعية المدرسة وحالة المتدربين، ودراسة سلوكياتهم وتصرفاتهم، وتحليل كل الوضعيات الاجتماعية التي لها علاقة بالجانب التعليمي والبيداغوجي سواء داخل المدرسة أو خارجها، وبصفة أقل منهج التحليل الثقافي والاجتماعي والتاريخي في رصد الظواهر التاريخية والثقافية وتحليلها.

مخطط البحث الذي اعتمدته كان بسيطاً متكوناً من ستة فصول كل فصل به تمهيد ومجموعة عناصر، مقدمة، مدخل عام حول الجذور الفلسفية للمواطنة، مجموعة توصيات مرفوعة للمهتمين والساهرين على الميدان التعليمي والشأن التربوي، وخاتمة لخصت فيها النتائج التي توصلت إليها، وقد اخترت السنة الرابعة من التعليم الابتدائي كعينة كون الطفل في هذه المرحلة يكون قد تحصل على مجموعة من المعارف والخبرات الأولية، التي تؤهله لوعي العالم الذي يدور حوله واتخاذ موقفاً منه والتفاعل معه ايجابياً أو سلبياً، وكذلك الأمر بالنسبة للتربية على المواطنة فهي السنة التي يدرك فيها المتعلم الرموز والمبادئ الوطنية والتراثية والعادات والتقاليد الخاصة، وفيها تكون ردود أفعاله تجاه تلك المقومات بالرفض أو القبول، وهنا يدخل دور التربية على المواطنة. أما اختياري للسنة الثانية متوسط في الطور الإكمالي فلكونها السنة الفاصلة بين طورين من التعليم في حياة المتعلم، فينتقل من الطفولة إلى المراهقة، وهنا تتضح مواقفه وتوجهاته الحقيقية فهي السنة التي ينتقل فيها إلى مرحلة جديدة تحتاج زادا ثقافياً وأدبياً ودينياً وأخلاقياً وقيماً معتبراً، فجاءت الدراسة منصبة على هذه الفئة أو العينة، لمعرفة ما مدى إعداد وتحضير المتعلم بعد مرحلة هامة من الدراسة ليكون مواطناً صالحاً لمجتمعه وأمتة ووطنه.

تناولنا في الفصل الأول مفهوم المواطنة وتطور معناها وعلاقتها بمفاهيم الوطنية، المدنية والديمقراطية، ومستوياتها المادية والمعنوية، ودورها في ترسيخ المعارف والقيم. أما الفصل الثاني فكان مخصصا للحديث عن دور التعليم والتعلم في غرس قيم المواطنة، وبدأناه بضبط مفهوم التعليميات وعلاقتها بعلوم التربية والتكوين والتكنولوجيا المعاصرة، ثم علاقتها بالمواطنة وأهميتها في غرس القيم والمبادئ والرموز الوطنية، والتربية على السلوك الصالح لصناعة المواطن الصالح. الفصل الثالث خصّصناه للكلام عن السياسة التعليمية في الجزائر، وبدأناه بحالة التعليم قبل ثورة التحرير النوفمبرية، وكيف حاولت فرنسا القضاء على الشخصية الجزائرية بكل الوسائل الممكنة وفرنسة التعليم، ومحاربة التعليم العربي، واعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر. كما تطرقنا لأهم التوجهات والمناهج التعليمية التي عرفت الجزائر المستقلة، وتطرقنا أيضا إلى مفهوم مناهج التعليم المواطنة وأهمية الإصلاح والتغيير والتجديد المستمر في السياسة التعليمية الجزائرية، أهم المشاكل والصعوبات التي تواجهها السياسة التعليمية الإصلاحية في الجزائر، بعدها تطرقنا إلى واقع المواطنة في المناهج التعليمية الجزائرية الحالية. أما الفصل الرابع فخصصناه للبحث في الخلفيات الوطنية للكتاب المدرسي، فقمنا بضبط مفهوم الكتاب المدرسي، وأهميته في العملية التعليمية وتطوره في الجزائر منذ الاستقلال، في آخر الفصل تناولنا ظروف عملية تأليفه وإخراجه في الجزائر. الفصل الخامس من البحث هو الفصل التطبيقي حيث تناولنا فيه كتابي القراءة للسنتين الرابعة ابتدائي والثانية متوسط، وقمنا برصد كل نصوص وصور المواطنة ومقارنتها بعدد النصوص والصور الأخرى وتحليلها، وتبيان نسبها بالموازاة بالعدد الإجمالي للنصوص في الكتاب ككل. الفصل السادس هو الفصل الميداني حيث ضبطنا أربعة مجموعات من الأسئلة موزعة على أساتذة وطلبة التعليم الابتدائي والاكمامي للسنتين الرابعة ابتدائي والثانية متوسط. وقد سهلت من عملنا عملية الربط بين الفصل التطبيقي والفصل الميداني، في القيام بدراسة وتحليل نتائج إجابات العينات، وفي الوصول إلى النقائص والأعطاب التي تحول دون التربية على المواطنة وتعليمها.

لقد كانت لذة البحث وحب المغامرة في دخول الدهاليز المظلمة وقود عملي وطاقتي في الاستمرار والمقاومة، وإنني لأتساءل: ما قيمة البحث؟ إذا كان خاليا من المتاعب والمشاكل، لقد كانت إرادتي كبيرة في القيام بهذا البحث والاستمرار فيه، ووضعت جانبا كل ما من شأنه أن يثني عزيمة وينحرف بي عن مرادي الأساسي. طبعا لا يخلو أي بحث من المشاكل والصعوبات، وأهم مشكل واجهنا هو مساس موضوع البحث بكثير من الأمور السياسية والاجتماعية والنفسية البعيدة عن ميدان تخصصنا التعليمي، وقد حاولنا أخذ العمل والبحث من الجهة الفكرية والتعليمية فقط، لكنني أقرّ أنني لم أفجح في ذلك، لقد كنت مجبرا على أخذه من الجهة السياسية الحساسة أيضا، فتورطت يائسا في التحليل السياسي الاجتماعي الفاشل. لكنني شئت أم أبيت فلا تكتمل الدراسة والبحث في موضوع المواطنة دون ربطها بالجانب السياسي الاجتماعي. كأني باحث اعتمدت على مجموعة من المراجع الأجنبية، وهنا واجهنا مشكل تطابق الترجمة فالبحت عن الأفكار والكلمات اللازمة والتدقيق فيها، كثيرا ما يخرجنا عن الفكرة وعن الحقيقة وينقلنا إلى النقد والرد، فيبعدنا عن حاجتنا الفكرية. مشكل آخر هو تشعب موضوع البحث في المواطنة فكل عنصر فيها يكاد أن يكون موضوع بحث خالص، ومهما حاولت الضبط والإحاطة في ذلك لم أستطع، واضطرت لأخذ كثير من المواقف في البحث بسطحية وإشارة بسيطة، وركزت بقوة في الفصلين التطبيقي والميداني. حقيقة أخرى وهي أن قضية الربط بين الأمور الفكرية/المعرفية والإيديولوجية والتربوية مهمة وضرورية في العملية التعليمية، لكنها صعبة التطبيق، خاصة عندما يتعلق الأمر بتوظيف إيديولوجيات جديدة وغريبة عن الثقافة التعليمية المحلية، التي لازالت تتخبط في كلاسيكيتها وطرقها البدائية، إن المدرسة الجزائرية ورغم الإصلاحات التربوية التي تباشرها بدون توقف، لم تصل حتى إلى تمكين المعلمين من تطبيق إيديولوجية الكفاءات، فكيف سيكون الحال والأمر يتعلق بتعليم وتمير كفاءة أو مهارة المواطنة والتربية عليها، وعملية تصحيح السلوك لبناء وتشكيل المواطن الصالح والسعيد.

ما أردت تبيانه مرورا بمحطات انجاز هذه الدراسة المتواضعة هو أن التربية على المواطنة وتعليمها تركز أساسا على عملية اختيار وصياغة النصوص الأدبية التعليمية انطلاقا من المدرسة، لذا يجب العودة إلى البحوث التربوية والتعليمية والنفسية

والاجتماعية التي تهتم بعلاقة المتعلم بالمضامين والبرامج والمناهج الدراسية وتوظيفها في عمليات الإصلاح التربوي، والحرص على أن يكون اختيار النصوص الأدبية التعليمية نابعا من قلب الأدب الجزائري الغزير والمتنوع والمتعدد الألسن والأصوات، حتى نحقق مقاربة معرفية من المتعلم، إن هذا الأخير ابن بيئته ومحيطه، وهو قريب من النصوص المعبرة عن واقعه ومجتمعه، وهو ما من شأنه أن يحقق الهدف ويصلح السلوك ويؤسس لمتعلم اليوم مواطن الغد، الذي يحب وطنه ويدافع عنه.

اعتمدت في بحثي على مجموعة من الكتب أهمها: المواطنة والتربية الوطنية لطارق عبد الرؤوف عامر، وكتاب التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م) لنصيرة زميرلين، والتعليم القومي والشخصية الجزائرية لتركي رابح. أما باللغة الأجنبية: la citoyenneté multiculturelle de will kimlycka و Citoyenneté, souveraineté, société civile de Pascal gonod , et Jean-Pierre Dubois، ولا يفوتني في هذا المقام أن أتقدم بالشكر للأساتذة الدكاترة: تيحال نادية المشرفة على هذا البحث، وقلبي عبد الله المشرف المساعد عن الشق التعليمي في البحث، وكورناي كازادي المشرف المساعد في الخارج بجامعة تروا ريفيار في كيبك بكندا، وأتقدم بالشكر أيضا لمسؤولي المكتبات بجامعة المدينة وجامعة بجاية، والشكر موصول أيضا لمسؤولي وأساتذة وطلبة المدارس والاكاديميات التي تناولناها بالدراسة، كما أتقدم بالشكر لزميلي الدكتور بن قطاية بلقاسم على نصائحه ومراقبته ومتابعته لأطوار هذا البحث، وللأستاذة الباحثة في الدكتوراه زعتر نصيرة، ولأستاذات الطور الأكاديمي ببجاية: هارون سامية، حماسة زهرة وفريدة بومعزة، ولأختاي الطالبتين الباحثتين في الماستر بشرى وعفاف عن المساعدة والمرافقة.

مما لا شك فيه أن إدراج موضوع المواطنة في البرامج التعليمية ليس مصادفة بل حتمية كبيرة أملت فيها كثير من الوضعيات والظروف السيئة التي آلت إليها حالة متعلمينا وشبابنا، وإيماننا منا ببلوغ مجموعة من الأهداف والغايات الاجتماعية والأخلاقية والقيمية الإصلاحية، لتصحيح كثير من التصرفات والسلوكات لدى هذه الفئة الهامة في

المجتمع، فالتعلم هو مواطن المستقبل الذي على ساعديه وسواعد أمثاله يوضع رجاء الوطن وتطوره ورقيه، كما يقول محمد العيد آل خليفة رحمه الله: أنتم رجاء الشعب أنتم ذخره/// وحماه في مستقبل الأيام، فمن المؤسف أن نصنع انطلاقا من مدارسنا وبأموالنا وجهودنا أعداء لهذا الوطن المفدى الذي دافع عنه مليون ونصف المليون شهيد، ونصنع جيلا يحمل كل أنواع الكره والتطرف والعداء لمجتمعه وأمته ووطنه.

وفي نهاية بحثنا وأثناء طينا لآخر فصوله، سجلنا ظهور إصلاحات التربية والتعليم أو ما عرف "بإصلاحات الجيل الثاني"، وهو ما جعل دراستنا هدفا بعد صافرة النهاية في قانون كرة القدم، وبقي علينا أن ندرس إصلاحات الجيل الثاني وننظر فيها، وفي ما حملته من توصياتنا ونتائجنا، ندعو الله أن يبارك لنا في عمرنا وصحتنا، لنوضح ذلك في دراسة جديدة عنوانها: "قيم المواطنة في مضامين كتب القراءة للجيل الثاني"، أو ننبه غيرنا من الباحثين لذلك.

مدخل: الجذور الفلسفية للمواطنة:

تفاعل الإنسان منذ أن وطأت رجله مع المناخ الجديد ومع الأرض، وحاول أن يتخذ موقفا منها كردّة فعله الأولى لإثبات وجوده في هذه الطبيعة، والبرهنة على سيطرته وقوته على الأرض، سواء بالنسبة للجماد أو بالنسبة للحيوان أو بالنسبة لأمثاله من البشر. كان هذا إيذانا ببداية الصراع على الأرض، وبروز أولى مظاهر القوة في الطبيعة، المترجمة في أنا من يحكم وأنا من يملك، الكل لي والكل يأتّمر بأمرى، فكان أول ترسيم لقانون الغاب أو قانون القوة، وبداية لصراع كبير وطويل لازال قائما إلى اليوم، فعرف الإنسان مراحل كبيرة في حياته طبعتها الدموية والحروب من أجل تعديل أو تغيير هذه القوانين التي قسمت البشر إلى طبقتين طبقة تملك القوة وكل الحقوق وتفعل ما تشاء وأخرى مضطهدة ومهضومة الحقوق. من هنا نستنتج أن الصراع الذي كان في البدء هو صراع المواطنة، فالإنسان منذ أن خلق وهو يبحث عن ممارسة مواظنته والتأسيس لها وإثباتها، ومنذ أن وجد وهو يعيش بسبب هذا الصراع في عالم متغير وغير مستقر، (وهذا التغير السريع يعتبر أهم ظاهرة عرفها المجتمع الإنساني منذ القديم، فالى زمن قريب كان تغيره بطيء، ولكن اليوم أصبح التغير أشد ما يكون وضوحا، وأوسع شمولاً)¹ وبسرعة كبيرة. تعبّر كل هذه التغيرات والمحاولات عن البداية الحقيقية للثقافة الإنسانية الفعلية، التي تصور الإنسان من حيث هو فاعل اجتماعي أساسي في الحياة وتميزه عن الحيوان، ويظهر ذلك من خلال تفاعله وتفلسفه ومثاقفته بصورة إيجابية في الحياة العامة ككل.

وعليه يعود مفهوم المواطنة في الأساس إلى أصول فكرية فلسفية قديمة، فكل المجتمعات القديمة قد عرفت ومارست المواطنة، وكلها حاولت تطوير نمط حياتها وتأكيد وجودها ومكانتها بين المجتمعات الأخرى، كما حاولت بصورة أخرى رسم بعض معالم الاختلاف الإيجابي المميزة لها عن المجتمعات الأخرى، فكان لكل مجتمع مواظنته الخاصة التي تملئها طقوسه وعاداته وتقاليده وأيديولوجيته وفلسفته في الحياة، ويعتبر اليونانيون السباقون في ضبط مفهوم المواطنة وممارسته، يليهم بعد ذلك الرومان

¹ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/ الأردن، ط1، 2011، ص41.

والمسلمين، وهذا لا يعني أن الشعوب القديمة الأخرى لم تعرف المواطنة أو لم تمارسها، فقد كان للهنود والصينيين والفراعنة وشعب الرافدين كلمتهم وأفكارهم الكبيرة فيما يخص المواطنة، وفيما يخص أنظمة الحكم السياسية والمدنية، لكننا سنقتصر في حديثنا عن اليونان والرومان ومن تلاهم من الأوروبيين المحدثين ونختم بالمسلمين، وسنتحدث عن أهم مميزات المواطنة لديهم، ونظرة هذه الشعوب إلى المواطنة وممارستها، كان قد (نظر للمواطنة في الماضي كنتاج تاريخ طويل، ونظر إليها في المستقبل كقضية حاسمة في بناء الهياكل والمؤسسات السياسية، وسؤال ما فتىء يطرح نفسه، فهل هو استمرار الكتابة لتاريخ المواطنة الأول أم أنه تاريخ آخر جديد لمواطنة جديدة؟)¹.

(ارتبط مفهوم المواطنة بالهوية الثقافية والسياسية والعرف والطبقة الاجتماعية وبذلك فإن المواطنة توحى بمجموعة من المعاني والقيم والاقتراحات حول الأمة والمجتمع السياسي وبذلك تعد المواطنة من القضايا ذات الأبعاد المتعددة سياسيا وتربويا وثقافيا وهذه الأبعاد تعبر عن معايير الانتماء ومستوى المشاركة من قبل الأفراد والحماية والذود عن الوطن)²، ومما سبق نرى أن ممارسة المواطنة مرتبطة بتطور الفكر الإنساني عبر العصور، وتطور الدساتير والنظم والقوانين الاجتماعية والسياسية، فهي مرتبطة أساسا بمكانة الفرد في المجتمع، ومرتبطة بالحقوق والواجبات³، التي كانت ولا زالت مصدر النزاع والصراع بين بني الإنسان، فالحقوق والواجبات مرتبطة أساسا بالمعتقد الديني وبالقانون الاجتماعي والسياسي السائد، فقد حرم الكثير من البشر من أبسط حقوق المواطنة بسبب التمييز العنصري حول العرق أو اللون أو الجنس، وبالنهميش وبسياسة الكيل بمكيالين حتى بين بني العرق الواحد، وهو ما حدث عبر التاريخ للنساء وللأسود، حيث كانت كثير من المجتمعات لا تعتبر المرأة إنسان ويحرمونها من حقوق كثيرة كالحكم والانتخاب وإبداء الرأي وغيرها من الحقوق الإنسانية الطبيعية، وكذلك السود الذين اعتبروا إلى وقت قريب أناس من الدرجة الثانية وعوملوا كالعبيد، يفرض عليهم خدمة باقي البشر الذين يملكون

¹ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, ellipses, paris, France, 2002, p5.

² - طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2012، ص5.

³ - ينظر: أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص42.

القوة والحكم، فيحرمونهم من أبسط الحقوق الاجتماعية والمدنية والسياسية، ويعملون على تهميشهم وتجهيلهم حتى لا يثورون ضدهم، وهذه صفة الأنظمة الاستبدادية، لكن (عندما تكون المؤسسات الدستورية منبثقة من ثقافة أفراد متفهمين ومعنويين، هذا يسمح باقرار مساحة كبيرة من الشفافية والموضوعية في الحكم والتسيير، والتي تسهل مشاركة الأفراد في القضايا العمومية، ويوفر لدى الأفراد شعور بالانتماء، والاعتراف بالمؤسسات، ويدفعهم أيضا لتحمل المسؤولية بالتعاون مع تلك المؤسسات)¹، وهو ما يسمح بإرساء مواطنة مبنية على مبدأ تكافؤ الفرص والمساواة وعلى (وعي الفرد بالحقوق والواجبات والنظر للآخر والحرص على المصلحة الوطنية وحماية المرافق العامة، كما تعكس مدى إدراكه لدوره كمواطن في مواجهة التحديات التي تواجه المجتمع والدولة في آن واحد)².

تتبع التاريخ وأحداثه يؤكد لنا (أن أغراض التربية قد تطورت واختلفت اختلافات كبيرة، باختلاف الأمكنة من جهة، واختلاف الأزمنة من جهة أخرى، واختلاف النظريات التربوية والمدارس التربوية من جهة ثالثة)³، وكذلك تعتبر (التربية على المواطنة عملية قديمة حديثة في وقت واحد حيث مارسها الشعوب والحكومات مع أبنائها لخلق روح الانتماء للأرض وللشعب الذي يعيش في كنفه)⁴، وحاولت تطويرها وتكييفها بما يخدم صالح المجتمع والوطن على السواء. ويعود لليونان السبق في كل شيء فهم أول من تحدث في الفيزياء والطب والفلك والأدب والسياسة، وهم كذلك أول من تكلم ونظر وقنن للوطنية والمواطنة، وما حرب طروادة إلا أكبر دليل على ذلك، فبسبب الحرب الأول كان دفاعا على شرف أثينا وحبها، وقد حشدت أثينا جيشا كبيرا لهذه الحرب بناء على حبها والذود على شرفها وإعلاء كلمتها في شبه الجزيرة اليونانية. اليونان هم أول من قسم المجتمع إلى طبقات سواء في عهد الأنوار أو قبله، فعرفنا طبقة الأحرار والأقنان والعبيد والشعراء، وهم أول من بين الواجبات والحقوق في المجتمع اليوناني، فعرفت كل طبقة في المجتمع ما عليها من واجبات وما لها من حقوق، فكانت هذه هي الممارسات الأولى للوطنية والمواطنة، يعود

¹ - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p133.

² - طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص5.

³ - محمد العيد رتيمه، التقويم في ضوء النظريات والأهداف التربوية، مجلة العربية، مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، العدد01، 2003، ص37.

⁴ - المرجع نفسه، ص5.

للليونان أيضا السبق في تأسيس وبناء المدينة العمرانية، وكيفية تسييرها وتنظيمها، ووضع مجموعة من القوانين المدنية والسياسية والاجتماعية التي تنظم العلاقات فيها بين البشر، وتجعلها مختلفة عن الريف والبادية، وهم من تناول المدينة والسياسة وطريقة تسييرها، وهي التي قضت على نظام العشيرة والأسرة البائد، والمنبثقة من الفكر السياسي لسقراط، أفلاطون وأرسطو، فكانت المدينة أول تعبير فعلي للمواطنة، نظرا لشبكة العلاقات الإنسانية الكبيرة التي ترسمها، أما المواطنة لدى الإغريق فكانت مرتبطة بالسكان اليونانيين الأصليين على التراب اليوناني، وهم من يتمتع بصفة المدني أو الأثيني. في حين لا يستطيع غيرهم التمتع بصفة الوطنية، لكونهم أجنب عن الوطن اليوناني، وهذه الظاهرة لازال معمول بها إلى يومنا هذا، ففي أي وطن لا يتمتع الأجانب المقيمين بأرض الوطن بكل الحقوق التي يتمتع بها المواطنون الأصليون، بل أن في كل بلد هناك قانون خاص بالأجانب يجعلهم في الدرجة الثانية بعد المواطنين الأصليين.

يعتبر الرومان ورثة اليونان في كل شيء، في القرون الأولى للتأريخ لم يسجل الرومان أشياء كبيرة فيما يخص الوطنية والمواطنة، وإنما استمروا على ما ورثوه من أسلافهم اليونانيون، ورغم الحرية والديمقراطية التي كان يتمتع بها اليونانيون القدامى وتطور الفكر والمعرفة لديهم، إلا أن هذا لم ينتقل إلى اللاتين، وإنما استمرت في المقابل سيطرة الكنيسة ورجال الإقطاع والبرجوازية على دواليب الحكم والحياة، فقيّدت الحريات وانحسرت دائرة الفكر العلمية والمعرفية، وزاد الاستعباد وأصبحت المواطنة من نصيب فئة قليلة من المواطنين المستبدين والبرجوازيين، وهو الأمر الذي لم يدم طويلا حيث قامت ثورات كبيرة ضد هذه السياسات القمعية، وبدأت المحاولات عند ظهور المبادئ الأولى للعقد الاجتماعي مع هوبز ولوك والتي اختتمت مع سارتر. هنا بدأت الممارسات الفعلية للمواطنة وبدأت تعود للإنسان كرامته وعزته ودوره الأساسي في المجتمع. الأفكار التي جاء بها أنصار العقد الاجتماعي غيرت الفكر الأوروبي، فانحصر دور ونفوذ الكنيسة ورجالها، وتغيرت السياسات والعلاقات التي تربط الحاكم بالمحكوم، فأصبحت مبنية على الديمقراطية والشفافية في الحكم، ومستندة إلى الدساتير والقوانين والنظم في الحكم. وهنا أصبح المواطن كيان مستقل عن الأسرة وعن النظام له حقوقه وواجباته، وله دوره الخاص في المجتمع

ومكانته الضرورية في كل القضايا والمستجدات التي تخص الوطن الذي يعيش تحت سقفه، فتأسست الدول الحديثة القائمة على القوانين والديمقراطية ومبادئ العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، والتي يعدّ من أولى أولوياتها التربية والتعليم على المواطنة. وأصبحت مهمة إعداد المواطن الصالح لدى الدول الأوروبية تشكل في برامجها وسياساتها التعليمية الهدف الرئيس¹. وهي التي تسقط وتطبق كل نظمها وآلياتها القانونية بالعدل والمساواة على كل الأفراد/المواطنين والأجانب الذين ينتمون إليها أو الذين يعيشون على ترابها، وهذه هي الدول القائمة على المؤسسات وعلى المجتمعات المنظمة والمتحضرة.

أما الإسلام فقد أحدث انقلاب اجتماعي وسياسي واقتصادي كبير في حياة عرب الجزيرة، وكل الشعوب التي التحقت بالإسلام فيما بعد، إن أول شيء قام به الإسلام هو تصحيحه نظرة الإنسان إلى الطبيعة وإلى الكون وإلى الخالق والمخلوق، وتصحيح الأفكار القديمة بأفكار جديدة حملها في جميع الميادين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والمدنية². (المواطنة من الناحية الإسلامية تنطلق من خلال القواعد والأسس التي يبني عليها التصور الإسلامي لعنصري المواطنة وهما الوطن والمواطن، وبالتالي فالشريعة الإسلامية ترى أن المواطنة هي تعبير وجوهر الصلات القائمة بين دار الإسلام "وطن الإسلام" وبين من يقيمون على هذا الوطن من المسلمين وغيرهم)³. بدأ الإسلام حملته التصحيحية بالأخلاق والآداب الاجتماعية، ففضى على ظاهرة احتقار واستصغار المرأة، وأعاد لها كرامتها ومكانتها في المجتمع، ثم حرر العبيد فأصبح للسود مكانتهم ودورهم الحقيقي في المجتمع مثلهم مثل جميع البشر، لهم حقوق وعليهم واجبات، وأصبح الفرق الوحيد بين الناس هو العمل لخدمة المجتمع والأمة والدفاع على الحضارة الجديدة، كما أرسى الإسلام مبادئ الشورى بين الرعية والحاكم، والشورى في كل الأمور والقضايا التي تهم المسلمين وعلاقاتهم بالشعوب الأخرى. كما بيّن الإسلام حدود الزواج والطلاق والتجارة والضرائب والديون والعقاب والقصاص والميراث، وهي كلها نظم اجتماعية خاصة بتنظيم العلاقات بين البشر وبحفظ حقوقهم المشروعة، وتبيان وجباتهم تجاه المجتمع والناس والوطن، عمل

1- ينظر: طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص6.

2- ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص104.

3- المرجع السابق، ص11.

الإسلام كذلك على حماية الناس في أعراضهم وممتلكاتهم وفي أنفسهم، ثم عاد إلى قضية الأخلاق والآداب العامة فحث على التعاون والأخوة والمحبة بين الناس، وحث الأغنياء على النظر والالتفات إلى الفقراء فكانت عدالة اجتماعية كبيرة، حتى أن الزكاة المفروضة في الإسلام كان المسلمون في مرحلة من المراحل لا يجدون لمن يقدمونها. لقد (قوى الإسلام عرى المسلمين وحافظ على عاداتهم وتراثهم ورفع من شأنهم)¹، فقويت شوكتهم وازدادوا قوة وكثرة. إن هذا كله كان بفضل الأفكار الجديدة التي حملها الإسلام والمبنية أساسا على العدالة الاجتماعية، لقد كانت تلك الأفكار عامل وحدة بين المسلمين فزادت من تضامنهم وتآلفهم وولائهم لأولي الأمر منهم، وصنعت وطن مسلم قوي عاش واستمر لكثير من القرون ولازال يقاوم إلى اليوم. إذن فالمواطنة لدى المسلمين كانت مبنية على أخلاق التسامح والتعاون والتضامن والمساواة والعدل بين جميع الناس، والتكافؤ في الفرص وفي الحقوق والواجبات، وكان المعيار الوحيد للتمييز بين الناس هو العمل، والأنفع منهم لنفسه ولمجتمعه ولأتمته ولوطنه. لقد كان المسلم يرتبط بأخيه المسلم بروابط ذاتية روحية أكبر منها مادية، أما تلك الروابط التي تحكمه بغير المسلمين فهي ما يمكن أن نسميها بالمواطنة، فهي ما كانت تمثل روابط التعايش السلمي المشترك المبني على الاحترام بين الشعوب وعلى حوار الثقافات وتعايش الأديان، الإسلام ينظر إلى المواطنة بصورة انفتاحية على كل شعوب العالم، تحوي كل الأفكار والإيديولوجيات لتحقيق أسمى معاني الحضارة والتسامح بعيدا عن العصبية والجهوية والتطرف، ويمكننا أن نختم بأن الإسلام هو المواطنة الحقيقية.

للمواطنة أيضا علاقة بتطور أنظمة الحكم السياسية، وبالديمقراطيات المعروفة في العالم، لأن السياسة التعليمية هي جزء من السياسة الوطنية العامة²، فأنظمة الحكم كان لها دور كبير في بلورة المواطنة وتبيان معالمها، والتغيرات الكبيرة التي عرفت، فهي التي تحدد العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وترسم حدود الدولة وتحافظ على استمرار الأمة على الأرض، بالإضافة إلى أنها تبين الحقوق والواجبات وتسهر على سن القوانين والأنظمة الحافظة للأمن والممتلكات والمنظمة للعلاقات بين المؤسسات والأفراد وبين

¹ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص104.

² - ينظر: عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2011، ص49.

الأفراد فيما بينهم، ولقد كان لآراء مونتسكيو في فصل السلطات عن بعضها البعض ثورة حقيقة في قلب أنظمة الحكم من أنظمة استبدادية إلى أنظمة ديمقراطية وعادلة، ساهمت في تحرير الإنسان وتطوير حياته والتأسيس لحقوقه المشروعة في الحياة، وفي القضاء على ظاهرة التمييز العنصري المقيتة، وهو ما حدث في الولايات المتحدة بعد خطاب مارتن لوتر كنج وفي نيوزيلندا وزيمبابوي وجنوب إفريقيا، دون أن ننسى كفاح الشعوب ضد المستعمر الذي كان يصنفها كشعوب من الدرجة الثانية ويمارس عليها جميع أنواع العذاب والتنكيل والعبودية، ومن المؤسف أن تبقى كثير من الدول إلى يومنا هذا تحت نير الاستعمار كفلسطين. ما يمكن أن نشير إليه أيضا هو أنه مع تزايد ظاهرة العولمة وسيطرة وسائل الاتصال الحديثة على استخدامات البشر اليومية، ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، تلاشت الحدود التقليدية والثقافية بين الشعوب والمجتمعات، ما ولد لنا مواطنة جديدة، وهي مواطنة غربية مفروضة على الشعوب النامية، هذه الأخيرة التي أصبحت تابعة ثقافيا واقتصاديا وحتى اجتماعيا للعالم الغربي. وأصبح الخوف كل الخوف على تراجع الوطنية لدى أجيالها الصاعدة، وأصبح الخطر كبير على شعور الانتماء والولاء للوطن من طرف هذه الأجيال الرقمية، وتراجع اعتزازها وافتخارها بالوطن وبكل رموزه كالراية الوطنية والنشيد واللغة والأعراف والعادات والتقاليد.

وما يمكن التأكيد عليه أن التطور الثقافي العام هو الذي كان له دور كبير في تحسين مواطنة الإنسان، بالإضافة للإنتاج (الأدبي في جملته، باعتباره عاكسا لحركة الحياة والمجتمع وتطوراتها، وممثلا على وجه الخصوص للطاقة الثورية فيها، ولإرادة التغيير... والضيق بالواقع والتمرد... انعكاسا للتفاعل الحيوي للإبداع الأدبي مع الواقع الاجتماعي الخارجي، بمعنى إحلال منظومة من المثل الاجتماعية والثقافية والأدبية، مخالفة للمنظومات السائدة)¹، لأن المواطنة مرتبطة بالإنتاج الأدبي الإبداعي خاصة والإنتاج الثقافي عامة. فالثقافة هي نتاج تفاعل الإنسان مع الطبيعة، العنصران الأساسيان للمواطنة، تعرّف (الثقافة على أنها الحضارة أو مجموعة قيم وعادات وتقاليد لمجتمع أو لشعب، وإذا اعتبرنا أن الثقافة هي مجموعة القيم والعادات فهذا يعني أيضا أن كل نمط من أنماط الحياة

1 - صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، درط، 2007، ص 17.

المختلفة، وكل حركة من الحركات الاجتماعية والجموعية التي يمكن أن نجدها داخل المجتمع المعاصر، له ثقافته الخاصة به¹ والتي تميزه وتجعل منه كيان مختلف عن الآخر، فهذا يعني أن للمواطنة جانب كبير من الثقافة. تحسين المواطنة وتطويرها مرتبط أيضا بدرجات الوعي والفكر الثقافي، لكن (تأثر المواطنة بالعولمة ومظاهرها والتبادلات العالمية الكبيرة في شتى المجالات، والتطورات في المجالات القضائية والاقتصادية والسياسية، أفرزت مواطنة جديدة هي المواطنة العالمية)²، وهي التي نعيشها اليوم بفعل تطور وسائل الاتصال والمواصلات الحديثة، التي قربت المسافات وقضت على الحدود.

لكن المواطنة الحقيقية أرى أنها تلك المرتبطة بظهور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في 10 ديسمبر من سنة 1948 والذي جاء في مادته الأولى: "يولد جميع الناس أحرارا متساوون في الكرامة والحقوق، وقد وهبوا عقلا وضميرا و عليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الإخاء."، ويعتبر هذا الإعلان هو المؤسس الأول للمواطنة ليس من خلال هذه المادة ولكن من خلال كل مواده، فهو الذي حدّد وبيّن حقوق الإنسان وواجباته في المجتمع. ثم قامت الدول بالاقتراس من هذا الإعلان وتكييفه بما يتناسب وقوانينها ونظمها وأعرافها وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، فأصبح المرجعية الأولى لحقوق الإنسان في العالم، وتحولت بفضل المواطنة إلى ظاهرة (عالمية تشمل البشرية جمعاء، تستند إلى علاقة أولية بدائية قبل معرفية، وقبل مؤسسية وقبل إيديولوجية، تتيح للإنسان الفرد الفعل والتعلم معا في الحياة، كأنه وحده في أو كعضو مستقل في الفضاء الإنساني)³. وهذا الإعلان محترم من طرف جميع دول العالم رغم بعض التجاوزات التي لازالت تحدث في بعض الدول التي لم يقرر مصيرها بعد كالدولة الفلسطينية، فالانتهاكات التي تقوم بها إسرائيل كبيرة وتطال الكبار والصغار الشيخ والنساء، كما لازالت بعض الحوادث التي تسجل هنا وهناك والتي تعود أسبابها أساسا إلى التطرف الديني أو الفكري أول العرقي، يلجأ فاعلوها إلى عمليات القتل الجماعية سواء عن طريق التفجيرات أو عن طريق عمليات إطلاق النار على ناس أبرياء. ساهمت (الديمقراطية وحقوق الإنسان في الحفاظ على المفهوم المعاصر للمواطنة، وهما

¹ - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p34.

² - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, Dalloz, paris, France, 2003, p35.

³ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, armand colin, paris, France, 2006. p36.

ليس في شيء من الطبيعة ولكنهما ثقافة، وثقافة حية، متغيرة، متطورة ومتحولة¹، مبدأ (الديمقراطية الليبرالية هو احترام الحريات والمساواة بين المواطنين، النصوص الدستورية التي تمثل هذا الالتزام، تضمن الحقوق المدنية والسياسية لكل فرد مهما كانت المجموعة التي ينتمي إليها)².

ما نختم به هذا المدخل هو أن (من أهم المشاكل التي تعالجها فلسفة التربية اليوم، هي مشكلة إيجاد أسلوب يحفظ الموازنة بين التربية غير المقصودة والتربية المقصودة. فإذا لم يؤثر اكتساب المعلومات والمهارة الفنية العقلية في تكوين ميل اجتماعي، لم يعد للخبرة المادية الحية معنى، ولم يعد للتعليم المدرسي بقدر ذلك هم، إلا خلق مبرزين في التعلم³). وعليه يجب أن يكون للتعليم المدرسي أثر في سلوك المتعلمين، فالتربية على المواطنة تعتبر من ضمن الأهداف التعليمية المقصودة، وهي ما يمكن المتعلم من إحداث تغيير في حياته الاجتماعية، وتصحيح سلوكه، وتمكينه من الإحساس بمكانته وأهميته في المجتمع وفي الوطن ككل، بدءاً ببناء شخصيته القاعدية وتأسيسها على بعض المبادئ والقيم والرموز الأساسية كالولاء للوطن وحبه والدفاع عليه، ومعرفة حقوقه وواجباته السياسية والاجتماعية والمدنية. كما تساهم التربية على المواطنة في تكوين جيل محب لوطنه غيور على مبادئه وعاداته وتقاليده، فخور بتاريخه وتراثه، معتر بانجازات وبطولات أسلافه، ذو ولاء لأمتة ولوطنه، وذو تكوين اجتماعي مدني مبني على التعاون والأخوة والمحبة بين الأفراد والولاء للوطن والدفاع عنه وخدمته، حتى يصبح من بين الأوطان المتطورة والمزدهرة. وليساهم أيضاً في ترقية حياة شعبه وتحسينها للأفضل، مؤمناً بالتنوع الثقافي واحترام الآخر ورأيه. تعتبر المدارس الوسط الأنسب للقضاء على الذهنيات القديمة والفكر الرجعي، وهي الأنسب كذلك للتربية على المواطنة وتعليمها خاصة لدى الدول الناشئة التي هي بحاجة لمواطنيها أكثر من أي وقت مضى، بالإضافة إلى أن المواطنة أصبحت هي السبيل الوحيد لكبح النزعات والأصوات الداعية إلى الفتنة والحروب والتفرق، ومحاربة كل الصراعات القائمة على التمييز العنصري على أساس الجنس أو اللون أو العرق أو الدين. فالتغيير يبدأ أساساً من المدرسة وذلك

¹ - ibid, p206.

² - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p57.

³ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة/مصر، 1954، ص9.

عن طريق الإصلاحات الجذرية التي تستهدف تحسين الطرق والمضامين والمناهج، وتعزيز وتنمية القيم والمبادئ والرموز الوطنية والاجتماعية، كما أن جميع الدراسات والأبحاث أجمعت على أن المحيط المدرسي وكل البيئة التعليمية من الأسرة إلى المدرسة، لها دورها الايجابي في تحسين التعليم والتربية على القيم والمبادئ الوطنية، لكن في الأخير (مسألة تعليم الطفل/المتعلم ليكون مواطناً، تطرح سؤالين هامين: أولهما ما هي القيم المتوخاة من وراء تعليم الطفل وتربيته على المواطنة؟، وثانيهما ما هي العناصر المكونة لكفاءة المواطنة؟، من خلال هذا التساؤل نتمنى أن نتوصل لخلق وضعيات مناسبة لتعليم هذه الكفاءة)¹.

¹ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel ,p209.

I/الفصل الأول: المواطنة والوطنية.

تمهيد: يشكل المتعلمون الصغار مشهدا حياتيا خاصا، سواء في ذهابهم إلى المدارس وإيابهم منها، أو من خلال جريهم ولعبهم داخل الساحات المدرسية وفي الشوارع وفي المساحات الرياضية، وفي البيوت أو في كل المرافق العمومية المختلفة ذات الوجود الجماعي، كل هذا المشهد تبرز تمظهراته من خلال سلوكياتهم وانفعالاتهم وردود أفعالهم تجاه المثيرات الكثيرة في هذه العوالم المختلفة.

ولتلك السلوكيات والردود قراءات كثيرة من طرف كل المتتبعين والملاحظين في الواقع الاجتماعي، لأن الأمر يتعلق -والحال هنا - بالمتعلمين، وبهؤلاء الذين يترددون على المدارس. ومن تلك السلوكيات والأفعال التي تصدر عن المتعلمين أن نرى تلميذ يكتب على جدار المدرسة وآخر ينظف ساحة المدرسة، واحد يبعثر الكراسي والطاولات، والثاني يقوم بجمعها وتنظيمها، الآخر يصيح أكرهك مدرستي والآخر يقول أحبك مدرستي وسلوكيات أخرى غير هذه كثيرة. فنقول كما يقول كل المتتبعين والملاحظين أمام تلك التصرفات والسلوكيات: انظر هذا من المفروض أنه يتعلم!، ماذا يتعلم في المدرسة؟ أو نقول: هذا يذهب إلى المدرسة!، لماذا يذهب إلى المدرسة؟، وذلك لأن عمله وسلوكه مناف تمام لما هو مفروض أن يتعلمه في المدرسة، نقول هذه الملاحظات ونحن لسنا لا بأساتذة ولا بمفتشين تربويين ولا بعلماء اجتماع ولا علماء تربوية، لكننا ملاحظين اجتماعيين عاديين. هذا يوحي وكأنه هناك نمطا عاما أو وظيفة محددة أو دورا خاصا نعرفه جميعا ونرجوه من المدرسة. وهذا الدور هو أن المدرسة تلقن المتعلم كيف يكون مواطنا صالحا لنفسه ولأسرته ولوطنه¹ ولل بشرية جمعاء وتكاد تكون هذه السلوكيات والتعلمات واحدة لدى كل الشعوب في العالم، لكن تلك النهايات التعليمية المدرسية الملاحظة على سلوك المتعلمين، تختلف من شعب لآخر ومن أمة لأخرى.

ولما كانت المدرسة هي (المؤسسة التي يقع عليها عبء تعليم أبناء الأمة وتربيتهم تربية محددة ومقصودة، تهدف إلى تكوينهم تكوينا علميا سليما، ينسجم مع حدود ومبادئ الشخصية القومية للجماعة، ومع كل مقوماتها الثقافية واللغوية، والتاريخية،

¹ - ينظر: طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص180.

والدينية، والوطنية، لأن التعليم بمختلف مراحلها يلعب دورا هاما في بعث، وازدهار الشخصية القومية لكل جماعة من الناس، ثم المحافظة عليها في إطار من الأصالة والتفتح¹. لذلك تسعى المدرسة من خلال نشاطاتها المختلفة إلى نشر نوعا خاصا ومقصودا من الثقافة لدى المتعلمين، وكان ما كان هذا النوع من الثقافة فهو يهدف بالدرجة الأولى إلى خدمة التوجه الأيديولوجي والسياسي الاستراتيجي للمناهج المعتمدة من طرف الأنظمة السياسية، والمبنية على تحقيق أهداف بيداغوجية سياسية أساسية، (تنقلها المدرسة للناشئة كمفاهيم تربوية وأخلاقية واجتماعية وعلوم ومعارف أساسية)² متنوعة ومختلفة. بالإضافة للعمل على تنمية الشعور بحب الوطن، حتى يكون المتعلم واعيا بمسؤولياته تجاه مستقبله وأسرته ووطنه، عارفا لواجباته وحقوقه، ومدركا لمكانته كعضو هام وضروري داخل الجماعة. وتعتبر هذه القضية الثقافية والتعليمية من أكثر القضايا تعقيدا في المنظومة التربوية، لما لها من تأثيرات كبيرة على التحصيل العلمي والمعرفي وعلى التنمية الحضارية والمدنية للشعوب وللدول. ومن القضايا الهامة التي تهتم بها المدرسة وتعالجها هي تصرفات المتعلمين وسلوكياتهم وأفكارهم تجاه الوطن. كيف أكون مواطنا صالحا؟ ما هو الوطن؟ ما هي واجباتي تجاه هذا الوطن؟ وماذا يضمن لي هذا الوطن من حقوق؟ إن الجواب على هذه الأسئلة لا يظهر إلا من خلال الانتماء إلى المدرسة التي تعتبر جزءا أساسيا من الوطن، وحبها والحفاظ عليها وصيانتها، وأن يكون الاحترام المتبادل هو السائد داخلها بين المتعلمين والمعلمين، والقيام بالواجبات تجاهها، مقابل الحقوق التي تكفلها المدرسة، واحترام القانون الداخلي للمدرسة، والسهر على نظافتها ونظافة شارعها.

1- تعريف الوطنية: لطالما التصقت صفة الوطنية بموصوفات إنسانية

كثيرة، واستخدمت هذه الصفة في كثير من المواقف والحالات الشعورية للتعبير عن الفخر والاعتزاز والتضحية والحب من قبل الأفراد وحتى من قبل المجتمعات، وذلك فيما يتعلق بالحضارات والتاريخ والثورات والإنجازات والهويات والقوميات والعادات والتقاليد، إن

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص23.

² - طارق غير الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص181.

الوطنية صفة إنسانية تحل في كمال ما ينتجه الإنسان في تفاعله مع الطبيعة، وتفرض وجود عاملين أساسيين هما الإنسان والطبيعة.

الوطنية نوع من الثقافة الاجتماعية لارتباطها بكل الحالات الشعورية والسلوكية الايجابية والسلبية التي يعيشها الإنسان ويتفاعل معها في علاقته مع الوطن الذي يعيش في كنفه، (فهي العناصر المشتركة بين جميع أفراد المجتمع أو أغلبهم مثل: القيم والمشاعر والمعارف، والدين، وأسلوب التحية، والمأكل والملبس، والقوانين، واللغة والعادات والتقاليد، والأنماط الأساسية للعلاقات الاجتماعية والاتجاهات وكل ما يشترك فيه المجتمع ويميزه عن غيره)¹، وهي الشعور نفسه الذي حملته الجزائريون أثناء الثورة التحريرية في الحرب والمقاومة، وزيادة الوعي والشعور بضرورة خروج المستعمر ونيل الاستقلال والحرية، وكذا إذكاء روح المقاومة في نفوس الجزائريين والجزائريات، والثورة والتصدي للمستعمر، وتبيان مدى جمالية الحرية والاستقلال، والمواطنة هي أيضا سلوكيات أخرى كاحترام الراية الوطنية والنشيد الوطني والدفاع عن الوطن بالقول والفعل، والمشاركة في دعوات الفولونتاريا للتنظيف الشوارع والمدن والطرق والأحياء، والتعبير على ذلك بوضع رسومات وصور تعبر عن الوطن كالخرائط والرايات في المنازل والساحات العامة والخاصة وفي السيارات، والحضور المكثف في التجمعات الجماهيرية الكبيرة كمقابلات الكرة وكل التجمعات الرياضية والثقافية كالمهرجانات ذات الطابع الوطني الكبير.

اتخذت الوطنية استعمالات أخرى: كقولنا السلطة الوطنية، المنتخب

الوطني، الموقع الوطني، المنتج الوطني، الصناعة الوطنية، فلان/ة وطني/ة أو كان/ت وطني/ة، وهذا يعني أن من أخذ صفة الوطنية يكون قد رسم صورة أو مشهدا في علاقته بالوطن، كأن يكون قد استشهد من أجل الوطن في الثورة التحريرية الجزائرية، أو كان له موقف مؤيد أو مدافع أو مساند للوطن، وتاريخنا يشهد بكثير من البطولات التي قادها رجال ونساء الجزائر من أجل هذا الوطن، هذه البطولات التي تخلد اليوم بأيام وأعياد خاصة تسمى: الأعياد الوطنية، والأيام الوطنية.

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار المناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2013، ص136.

الوطنية صفة شعورية تصنعها ثقافة الإنسان وحضارته، فهي مجموعة (المشاعر والروابط الفطرية، التي تنمو بالاكتساب، لتشد الإنسان إلى الوطن الذي استوطنه وإلى الأرض التي يسكنها)¹، وهي الثقافة الإنسانية التي تميز كل مجتمع بوطنيته وخصوصيته التي تميزه (عن غيره من المجتمعات الأخرى، فالثقافة مفهوم عام يندرج تحته الكثير من العناصر المادية وغير المادية كالمعارف والمعتقدات والفنون والعادات، والأخلاقيات، والقدرات الفردية المكتسبة من المجتمع، واللغة وأنماط الحياة، وأدوات المأكل والمشرب والوسائل والتقنيات وغيرها، وعلى هذا الأساس فالثقافة نظام من المعتقدات والقيم، والأساليب، والرموز، وأساليب الأداء والعمل التي يلتقي فيها أبناء المجتمع ويتميز بها المجتمع عن غيره)². فنتناول مفاهيم الوطنية والمواطنة كل ما ينتجه الإنسان من ثقافة خلال تفاعله داخل الحدود الترابية، وكل ما ينتجه من خلال تفاعله مع كل المؤثرات البيئية والاجتماعية السياسية والاقتصادية والثقافية على تلك الحدود، التي لا تعدو أن تكون كلها هي ما يسمى الوطن. إنها كل المشاعر التي يكتسبها الإنسان من الأرض والطبيعة، ومن خلال حياته ومعيشته داخل هذه الحدود الترابية المحددة، داخل هذا الوطن، فما هو الوطن؟ وما هي الوطنية؟ وما هي حدودها أو عناصرها؟

الوطن هو الحدود الترابية أو المساحة الأرضية أو البقعة الترابية المحددة التي يعيش عليها مجموعة من الأفراد، ويرتبطون بها ارتباط المولد أو الحياة أو التاريخ الطويل، انه المنطقة التي نشأت فيها ثقافة معينة وهوية محددة وعادات وتقاليد معروفة خاصة بالأفراد أو بالمجموعات³، تعني كلمة الوطن في المعجم العربي الأساسي: (وطن: وطن يطن وطنا فهو واطن: — الشخص بالمكان: أقام به. وطن يوطن توطينا: — الشخص بالبلد: اتخذ وطنا وسكنا يقيم فيه. وطن يواطن مواطنة: — القوم: عاش معهم في وطن واحد. توطن يتوطن توطنا: — الشخص المكان: اتخذ وطنا "توطن الكويت". استوطن يستوطن استيطاناً: — الشخص البلد: اتخذ وطنا له. مواطن جمع — ون: 1 اسم فاعل من واطن، 2 من نشأ معك في وطن واحد. موطن ج مواطن: 1 كل مكان أقام به الانسان لأمر،

¹ - طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 53.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 136.

³ - ينظر: المرجع السابق، ص ص 54-55.

2وطن، 3جغرافيا إقليم يتسم بخصائص طبيعية معينة.. **وطن** ج أوطان: 1بلد الآباء والأجداد، 2اقامة الإنسان ومقره ولد به أم لم يولد.. **وطني**.. من يحب وطنه ويخلص له ويضحى من أجله¹، أما في لسان العرب لابن منظور: (**الوطن**: المنزل تقيم فيه، وهو موطن الإنسان ومحلّه...والجمع أوطان. وأوطان الغنم والبقر: مراتبها وأماكنها التي تأوي إليها.. **وطن** بالمكان وأوطن أقام.. وأوطنه: اتخذها **وطنا**. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيها.. وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا واستوطنتها أي اتخذتها **وطنا**)²، وقد وردت كلمة الوطن في كل اللغات بمعاني الانتماء والولاء والإخلاص والتضحية، أما في اللغة الفرنسية فكلمة الوطن تقابلها كلمة: *La patrie* وهي تعني البلد أو الإقليم الجغرافي الذي ولدنا فيه أو نحس بانتماء له، أو هو البلد الذي يعبر عن أصلنا وأصل آبائنا وأجدادنا.

(**La patrie**: nf 1pays dans on est originaire, nation dont on fait partie ou à laquelle on se sent lié. 2Region, localité ou l'on est né)³.

في اللغة الإنجليزية يقابل كلمة الوطن كلمة: *country*، وهي لا تعني البقعة الترابية ولا تعني هؤلاء الذين يعيشون على الإقليم الواحد مباشرة، ولكنها تعني أيضا الحكومة التي تفرض سيطرتها على إقليم محدد أو النظام الذي يحكم شعب معين، وهي تأتي أيضا في القاموس الانجليزي بمعاني: **وطن الأب** أو **وطن الأم**: *Motherland* أو *Mother country*، *Fatherland* أو *Father country*، أي الأرض القديمة أو أرض الآباء والأمهات أصل الأبناء الأول، أو الشعوب الأولى التي سكنت الأرض أو الوطن.

(**country**: /noon/ an area of land that has or used to have its own government and laws: European countries...mother country, the old country)⁴, (**fatherland**: the country where a person, or their family,

¹ - جماعة من كبار اللغويين العرب: الأستاذ أحمد العايد، الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، الأستاذ الجيلاني بن الحاج يحي، الأستاذ الدكتور داود عبده، الأستاذ الدكتور صالح جواد طعمة والأستاذ نديم مرعشلي بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، أليكو توزيع لاروس، تونس، درط، 1989، ص ص 1317-1318.

² - الامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، الجزء 13، ط1، دسط، ص451.

³ - Dictionnaire Hachette, sous la réponsabilité de Ghislaine Stora, Imprimé en Italie par STIGE et relié en France par BRUN, Edition N°1, 2006, p1208.

⁴ - A S Hornby, Oxford Learner's Dictionary of Current English, Eighth edition, Oxford university press, british, oxford university, 2010, p346.

was born, or especially when they feel very loyal towards it)¹,
(**mother country:** 1the country where you ou your family were born
and which you feel a strang emotional connection whith 2 the country
that controls or used the control the gouvernement of another
country..**motherland:** the country that you were born in and that you
feel a strang emotional connection whith)²

انطلاقاً من هذه التعريفات اللغوية، لا يعدو الوطن أن يكون مكان ميلاد الانسان ومسقط رأسه، وهو المكان الذي عاش فيه أبائوه وأجداده، أو المكان الذي عاش وتعيش فيه مع مجموعة من الأشخاص، الذين كونوا واكتسبوا عادات وتقاليد وثقافات خاصة ومشتركة، وأنشئوا حواضر متميزة، وحملوا في الأخير صفة ونسبة هذا الوطن. وبهذه الطريقة التصق الوطن بالمواطن، فأينما وجد وطن كان هناك مواطن أو مجموعة من المواطنين، تربطهم علاقات خاصة ببعضهم البعض من جهة وبذلك الوطن من جهة أخرى، وكل هذه العلاقات وهذه المشاعر المتينة التي تكون وتشكل هذه الشبكة المتلاحمة، المتحركة والمتفاعلة على الأرض تسمى بالوطنية.

أما بالنسبة لكلمة الوطنية فيقابلها في القاموس الفرنسي كلمة Patriotisme

والتي تعني:³(**patriotisme:** amour de la patrie, dévouement à la patrie)
وتعني أيضا حب الوطن والولاء له. أما في اللغة الانجليزية فتقابلها كلمة: patriotism

وتعني:⁴(**patriotism:** love of your country and willingness to defend it)
أما المعني اللغوي لكلمة الوطنية في القاموس العربي فهو: (وطنية: مص صناعي، حب الوطن والإخلاص والتضحية من أجله)⁵، وهي مشتقة من كلمة وطن التي تعني المنزل أو التراب الذي يشغله الانسان/المواطن، لذا فهناك ارتباط وثيق بين الوطن والمواطن أو بين الوطن ومجموعة المواطنين، وهذا الارتباط فيه إحياءات لمعاني فكرية وعاطفية كبيرة،

¹ - A S Hornby, Oxford Learner's Dictionary of Current English, p558.

² - ibid, p997.

³ - Dictionnaire Hachette, sous la réspnsabilité de Ghislaine Stora, p1208.

⁴ - A S Hornby, Oxford Learner's Dictionary of Current English, p1114.

⁵ - جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص 1318.

كالولاء والانتماء والحب للتاريخ وللعتادات وللتقاليد وللبطولات وللأرض/للوطن، إنها شعور خاص وراقي بين الإنسان والأرض، فيرتبط بها ويدافع عنها بكل ما أوتي من قوة، إن كل الحروب التي شهدتها ويشهدها التاريخ كانت بسبب حب الأرض، وهكذا كانت الثورة الجزائرية وكل الحروب الأخرى التي عرفها العالم، والتي كانت في مجملها من أجل السيطرة على الأرض أو من أجل استرداد الأرض المغتصبة، وهكذا هو كذلك إصرار ومقاومة وكفاح الشعب الفلسطيني منذ سنة 1948 ضد كل عمليات التهجير والمصادرة والقتل والتصفية وطمس آثار وحقائق الأعمال الدنيئة التي يقوم بها الاسرائليون على الأرض الفلسطينية. فالوطنية هي أن تربط علاقة حب جبروتية مع وطنك وأرضك وتاريخك وعاداتك وتقاليدك، فتدافع عنها ضد كيد المعتدين والمتربصين بدون أجر ولا شكر، الوطنية حب يسري في عروق الإنسان تجاه شعبه وبلده.

الوطن هو المكان أو الأرض التي ولد فيها الإنسان لأول مرة، ومكان نشأته وتعلمه، لذلك فهي شبيهة بالمنزل، المنزل هو المكان الصغير الذي يسكنه الفرد مع أسرته، فيحافظ عليه ويعتني به ويزود عنه رفقة كل أفراد الأسرة، وله حدود وحرمة، كذلك الوطن لا يعدو أن يكون بيتا كبيرا به مجموعة هائلة من الناس والأسر والمجتمعات، تربطهم وتنظم حياتهم فيه مجموعة مختلفة من القوانين والنظم، يضمن لهم حقوق كبيرة وله عليهم واجبات مختلفة أيضا. إذن فالوطنية شعور كبير يربط أفراد المجموعة داخل المجتمع، يحدد حقوقهم وواجباتهم، ويساهم في تلاحمهم وتماسكهم، داخل حيز ترابي محدد أي داخل وطن معروف، يحملون اسمه وينتسبون إليه، ويسعون لبنائه وترقيته وترقية حياتهم داخله، ويشعرون بحبهم له وانتمائهم للأمة وللمجتمع وللوطن، وللعتادات والتقاليد والتراث والثقافة المحلية المنتشرة في كامل الإقليم الوطني¹.

اختلف العلماء والمفكرون في تعريف الوطنية وضبطها، وذلك لاختلاف المناهج الفكرية وزوايا النظر، لكن ما هو أكيد أنها ليست مجرد احتفالات أو مهرجانات شعبية، وهي ليست أيضا شعارات يتغنى بها الناس في كل مناسبة من المناسبات، إنها شعور بالانتماء والولاء للمجموعة وللوطن، إنها تشبث عظيم بالأرض وبالإنسان، وعلاقة حب

¹- ينظر: طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص52.

لهما ترسم بدايتها منذ صيحة الميلاد، ولها أبعاد وأوجه محددة وواضحة، وهي ما يعرف بعناصر الوطنية.

2- عناصر الوطنية: انتماء الإنسان إلى وطن معين يعني أنه طرف في عقد اجتماعي معين¹، وعندما نتكلم على العقد فهذا يقودنا للكلام على أطراف العقد وبيئته. وهذه النتيجة الأخيرة تطرح كثيرا من الأسئلة أهمها: ماهي الأبعاد الحقيقية لقولي أنا مواطن، هل يعني مجرد انتسابي للوطن أو هو يعني مجرد القيام بواجب الانتخاب وحمل جواز السفر وبطاقة الهوية الوطنية، إن قولي مواطن يدعوني للالتزام بالعقد الذي يربطني بمن يشاركني صفة الوطن وبالأرض أساسا، يعني الالتزام بالنظام العام الذي تحدده القوانين والتشريعات، يعني الامتثال بعادات وتقاليد وثقافة تلك الأرض، وأن أقوم بكامل واجباتي تجاه ما سبق. إن هذه العلاقة الروحية والشعورية المتبادلة بين أطراف العقد، والتي تصنع التلاحم والتماسك بينها، هي العناصر والمكونات الأساسية للوطنية، والتي تعتبر الأرض والشعب فيها، أهم المكونات بالإضافة إلى الأنظمة السياسية وعناصر الثقافة العامة للوطن من لغة ودين وعادات وتقاليد، على الرغم من أن هذه العناصر الأخيرة لم يعد لها التأثير الكبير في الحياة الوطنية في ظل طغيان ظاهرة العولمة وحوار الثقافات وتعايش الأديان.

2-1/الأرض: هي الإقليم الجغرافي الذي تقوم عليه الحضارة والمدينة، (وهو البيئة التي يعيش فيها الأفراد فهي تتشكل..من العوامل الطبيعية كالتضاريس والمناخ والأشجار وكل الجماد والعناصر الطبيعية التي يعيش عليها الفرد، ولما كانت هذه المصادر تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن بلد إلى آخر فلا بد أن يترتب على اختلافها اختلاف في أنماط الحياة والمهن والملبس والمأكل)²، وهذا ما يفسر اختلاف الثقافات التي تميز المجتمعات والشعوب. فلا يمكن أن يكون هناك وطن بلا إقليم جغرافي ترابي محدد ومعين وثابت نسبيا، لا تهم المساحة في الإقليم الجغرافي لتشكيل الوطن، فهناك أوطان مساحاتها تضاهي مساحة القارة، وهناك أوطان مساحاتها لا ترى على الخريطة، وهذا الإقليم الجغرافي له أبعاد ثلاثة فبالإضافة للمساحة الجغرافية هناك فضاء جوي ومساحة مائية. لكن

¹ - ينظر: جون جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، تر: عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت/لبنان، 1995، ص40.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص139.

بعض الأوطان قد يسقط منها البعد الأخير لانغلاقها باليابسة، وعدم انفتاحها على الأحواض المائية الكبيرة كالبهار والمحيطات، لكنها قد تمتلك وديان وأنهار وبحيرات تكون كافية لبعث السياحة والملاحة البحرية فيها. إن هذا الإقليم ببرّه ومائه وجوّه يوفّر جوا ملائما للعيش، ومن باطنه يرتزق الإنسان الذي يبني حضارته عليه، مما يوفّره له من خيرات وثروات كبيرة. وحدة الإقليم تعتبر (عاملا هاما من عوامل استكمال مقومات الشخصية... لأن اشتراك جماعة ما على وطن واحد، هو الذي يوحد بين عواطفهم وطرق حياتهم، وأفكارهم ومصالحهم، وأهدافهم، ولذلك فإنه من الصعوبة بمكان تصور شخصية قومية للجماعة بدون إقليم أو وطن تعيش في كنفه. وله حدود جغرافية معلومة...ومن هنا كان العامل الجغرافي أو وحدة الوطن، له دوره الكبير والحاسم في تكوين الأمم، وبناء شخصياتها القومية، والمحافظة على تماسكها الاجتماعي)¹.

2-2/الشعب: هو الأهمّ بين كل العناصر، فلا يمكن أن نتصور وطننا بلا مواطنين يعيشون على الأرض بصفة دائمة، وهو حال بعض الجزر المهجورة المترامية في وسط المحيطات، فهنا لا يمكن أن نقول عنها أنها أوطان. كما لا يؤخذ بعدد السكان فهناك شعوب كبيرة العدد كالصين والهند، وهناك شعوب قليلة العدد كالبحرين وقطر، لكنها أسست لحضارات وأوطان، الشعب هو من يصنع الحياة والتاريخ والثقافة، هو من يبعث الحركة في الوطن والتفاعل والالتحام والقوة والتشكّل والتناسل والتكاثر، فتتكون المجتمعات وتتوسع وتظهر الثقافات والحضارات. إنه كلّ (الجماعات التي قد تتسع أو تضيق فقد تشمل طبقة اجتماعية كبيرة كطبقة الفلاحين، والمعلمين، والعمال، وقد تضيق فتشمل طبقة السمكيين أو الملاحين، أو الطبّاعين وهكذا، ولكل من هذه الفئات أو الطبقات طابعه الخاص من الثقافة التي تتسم بها، وانطلاقا من ضمان مبدأ تكافؤ الفرص بين أبناء المجتمع وطبقاته...وتوفير الفرص للجميع)². يتم استغلال طاقات الجميع وقدراتهم، والوصول إلى المبتغى وهو الاجتماع والاتحاد من أجل بناء الوطن، تاركين جانبا كل عصبيةاتهم القبلية، العرقية، الاثنية أو الدينية.

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص ص 44-45.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 137.

2-3/النظام السياسي: أو السيادة السياسية وهي السلطة القانونية المنتخبة

من طرف الشعب ديمقراطيا، والتي تسهر على حماية حدود الوطن وأمنه، والنهوض باقتصاده، وتسهر على أمن المواطنين على الأرض، وضمان التعايش بينهم في إطار إلزامهم باحترام القانون واللوائح والتنظيمات الفاعلة. فلا يكفي لتشكيل الوطن وتشبيده وجود الشعب والأرض فقط، بل يجب أن تكون هناك سلطة حاکمة تقوم بدور الإشراف والمراقبة، وتسهر على ممارسة كل الوظائف السياسية والاقتصادية والأمنية والتشريعية كتأسيس الجيش لحماية الوطن والمواطنين، وتوفير الأمن للمواطنين ولتملكاتهم وحفظ النظام العام، بالإضافة لإرساء العدالة الإدارية والاجتماعية بين الأفراد، وتنظيم القضاء والعدل والمساواة في الأحكام، وتنظيم العلاقات الخارجية مع الأوطان الأخرى، دون أن ننسى الخدمات الاجتماعية التعليمية والصحية والثقافية، وتعتني أيضا السلطة السياسية بالجوانب الاقتصادية كدفع عجلة التنمية وبناء الصناعة وتطوير الفلاحة، وهذا كله لتحقيق أهداف المواطنين وتطلعاتهم وتطوير الوطن والدفاع عنه. وقد قسم المفكر الحقوقي الفرنسي مونتسكيو السلطة السياسية إلى ثلاثة أنواع: سلطة تشريعية، سلطة قضائية وسلطة تنفيذية، وهي كلها سلطات منتخبة من طرف الشعب، (يرى روسو من جانبه أن الأساس الشرعي للسيادة، هي كونها كائن جماعي وهيئة مشتركة، يكون القانون أو الإرادة المشتركة هي الروح فيها، فالقوانين هي تعبير على الإرادة العامة، الشعب لا يمكن أن يعيش حرا إلا في ظل القوانين التي أرادها)¹، أما (الأخلاق السياسية التي تصلح بعمق علاقة المواطنين بالنظام السياسي الذي يحكمهم، ويضمن العيش بينهم مجتمعين في سلام، فهي خلق مناصب العمل، ضرورة وضع الميكانيزمات اللازمة للتضامن الوطني، ومحاربة كل المظاهر المعارضة لسياسة التضامن والوحدة والمواطنة)²، (ولا يمكن أن تكون هناك قيمة الشعور الوطني الحقيقي المشترك، ما لم تنزل قنوات النظام السياسي المختلفة إلى عمق المجتمع وإلى جوار المواطن)³. ولا شك (في أن المشاكل التربوية التعليمية تكتسب بعدا سياسيا في المقام الأول، من هنا فإننا نعتقد أنه توجد صلة بين النظام السياسي للمجتمع وأنماط التربية التي يستخدمها أثناء تعليمه. ولكن هذه

¹ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p39.

² - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, L'Harmattan, Paris, France, 1998, p39.

³ - ibid, p41.

العلاقة ليست ذات اتجاه واحد لأنه إذا كان التعليم يتحدد بواسطة المجتمع ككل، فهو يحددها بدوره، إنه يثبتها أو يغيرها)¹.

2-4/عناصر الثقافة العامة: نقصد بعناصر الثقافة العامة، تلك العناصر

المرتبطة بالوطن وبالشعب، وهي عناصر الأمة المتمثلة في: اللغة، الدين، التاريخ، العادات والتقاليد. لعبت الثقافة الجزائرية دورا بالغ الأهمية في الحفاظ على عناصر الهوية ومبادئ الشخصية الوطنية (فالتراث الفكري لهذه الثقافة خصب غني اتسعت آفاقه لثمار الثقافات القديمة الأخرى... هذه الثقافة كانت لها أهمية في التماسك الاجتماعي والقومي للمجتمع الجزائري... حيث كانت تيارا قويا يدفع بالجزائريين إلى الأمام لتطوير حياتهم، والارتقاء بها في جميع المجالات، في إطار من الأصالة والتفتح، ولذلك كانت ولا تزال تعد من أهم مقومات الشخصية الجزائرية)²، ويرى (يونج أن الشخصية الإنسانية لا تقتصر حدودها على التجربة الفردية، وإنما تمتد لتستوعب التجربة الإنسانية للجماعة الموعلة في القدم، وأن هذه الشخصية تحتفظ في قراراتها بالنماذج، والأنماط العليا التي تختبر في الثقافة الإنسانية عبر الأجيال المختلفة، هذه النماذج والأنماط العليا تدخل في تركيب طريقة التخيّل الإنساني، وطريقة التصور، وطريقة الشعور، وفي منظومة القيم)³ وفي نمط الحياة ككل لمجتمع من المجتمعات، وعليه (فالثقافة بوصفها نمط الحياة السائد في العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين أفراد المجتمع، والتي تحمل القيم والمعايير وأشكال الحياة والتفاعل الحي، تتطلب الإيمان المطلق بالتعددية الثقافية، وتنفي في ذات الوقت الهيمنة الثقافية لثقافة معينة تسود وتفرض على الحياة الاجتماعية)⁴. هكذا تتكون ثقافة الأمة التي تعود في نشأتها الأولى إلى فرد من الأفراد، ثم تنتشر وتكبر وتتشكّل وتنتقل عبر الزمان من جيل إلى جيل. (فالأمة هي نتاج الرغبة الجماعية في ضرورة العيش معا، وهي والمواطنة بنيتان روحيتان توأمتان، أصبحتا واقعا حقيقيا)⁵، صنعت بفضل الشعوب لنفسها عناصر تحدد ثقافتها وحضارتها وتميزها عن بقية الشعوب الأخرى، وبفضل تطور الشعوب كذلك واستمرارها وتعاقب أجيالها وتمتعها بكثير من الحرية مع مرور السنين، لكن يبقى أهم ما يميزها هو اللغة، التي

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة/مصر، ط1، 2009، ص14.

² - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص59.

³ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، القاهرة/مصر، ط4، 2005، ص52.

⁴ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص7.

⁵ - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention démocratie urbaine, p 11.

تعتبر وعاء فكريًا وثقافيًا قديمًا. كما أن المالك للغة ما، مالك لثقافة شعبها وتاريخه، ومتمكن من قيمه وأساليبه في التفكير ورؤيته للعالم وللأشياء، أما الفاقد للغة ففاقد لشروط الولاء والانتماء وهو ما نجده منتشرًا بين بعض أفراد الجالية الوطنية في الخارج، فأبنائهم يجدون صعوبات كبيرة في الملائمة بين الثقافة التي تربوا في حضنها والثقافة التي ينحدرون منها.

أولى الباحثون والدارسون مكانة كبيرة للغة في ميادين التربية والتعليم والفكر والثقافة (لا على أنها ألفاظ وكلمات فحسب، ولكن على أنها آداب، وتقاليد، وعادات، وطرق تفكير، ووسائل تعبير عن النفس وخلجات القلب، ولون من ألوان الشعور، وفلسفة في الحياة، وعلى هذا فالأمة تبقى ما بقيت لغتها وتزول بزوالها، ولو أن الجزائريين مثلاً تخلوا عن لغتهم تحت ضغط الاحتلال، واستبدلوها بلغة المحتل "اللغة الفرنسية" لكان الذي انهار ليس هو اللغة العربية وحدها، ولكن تنهار معها الشخصية الجزائرية، بكل ميراثها الثقافي والحضاري)¹. واللغة لم تعد مجرد وسيلة للتواصل والكلام والتفكير فقط بل هي أيضا بنية مشحونة بالمشاعر والأحاسيس، وإن أي خلل فيها أو في تعليمها أو تعلّمها ينعكس بصورة مباشرة على الثقافة العامة للمتكلمين بها، وبالتالي على علاقات الولاء والانتماء إلى الوطن بين معلميه ومتعلّميها والباحثين عن الكلام بها، وهو ما يترجم الصدى الإيجابي أو السلبي في ممارسة المواطنة ككل، اللغة هي من يوجه الفكر الإنساني لاختيار السلوك السوي مع الذات ومع الآخر ومع الوطن، وهي الحافظ الأمين للتراث الثقافي الإنساني من عادات وتقاليد، فيها تكمن (كل ذخائر الفكر والتقاليد والتاريخ والفلسفة والدين وفيها ينبض كل قلب الشعب ويتحرك كل روحه)²، إنها شبكة عجيبة من العلاقات الإنسانية المادية والمعنوية، إنها المنسق الأساسي بين كل العناصر السابقة من شعب وأرض وسلطة والتي يكون مركزها الإنسان صاحب اللغة.

كما أن اللغة هي من حمل الكتاب المقدس الذي يترجم الدين الإسلامي المعتمد "القرآن الكريم"، و(اللغة العربية هي كما يقول ابن باديس: الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد، وحاضرها الأغرى، ومستقبلها السعيد، وهي لغة الدين، والجنسية،

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص30.
² - محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010، ص49.

والقومية، ولغة الوطنية المغروسة)¹، وهي من حمل وحفظ الكتب الدينية السابقة مثلما هو الحال في كتاب الفيدا الهندي، والكتاب المقدس للفراعنة القدماء، لذا كانت الشعوب الشرقية القديمة كالفرعونيين والصينيين والهنديين تؤكد على أن الفاقدة للغة فاقدة للخلاص والسعادة في الآخرة، لهذا كانوا يسهرون على تعليم لغاتهم لنشئهم والسهر على تواترها بين الأجيال، وكذلك متعتنا اللغة العربية قبل مجيء الإسلام بأجود ما قيل في الشعر القديم على الإطلاق، اللغة اليونانية هي أيضا من حفظ الحضارة اليونانية القديمة التي كانت ولا زالت إلى اليوم هي النور الذي يضيء مناهج البحث والعلوم في الأدب والفلسفة والفلك والطب والفن.

وإذا عدنا للحديث عن الدين وبعده الوطني (فالدین الإسلامي في الجزائر عامل هام من عوامل التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية والقومية، بين الجزائريين. وقد كان منذ دخل إلى الجزائر ولا يزال يشكل مانعا حصينا لشخصية الشعب الجزائري القومية)². أما الحديث عن العادات والتقاليد والتاريخ والثقافة المحلية والفلكلور، فالكلام يقودنا دائما للحديث عن اللغة، فتلك العناصر كلها من اللغة، فإذا اعتنى باللغة تطورت ونمت وتفاعلت وأثرت تلك العناصر في الإنسان وفي علاقته بوطنه وزادت من وطنيته، وإذا ضاعت اللغة وأهملت تطلخت الوطنية وتراجعت، وأصاب الوطن التحلل والتفكك والفتنة والزوال، (فدور اللغات في تكوين القوميات والمحافظة على شخصياتها الخاصة لا يمكن التقليل من شأنه... وأن يقظة المشاعر... تبدو أول آثارها في الغالب في الحرص على استخدام اللغة... وهذا أمر طبيعي لأن الذين يتكلمون لغة واحدة هم أقرب إلى التفاهم الذي ينمو معه الشعور بالانتماء إلى الجماعة، والتضامن بين أفرادها من أولئك الذين تختلف لغاتهم)³، إن للغة جبروت كبير في ربط أواصر الهوية وتماسكها وإثراء وتقوية للشخصية الوطنية والحضارية، وهي وسيلة للحفاظ على التراث الوطني الثقافي، وتواتره بين الأجيال المتعاقبة، واليوم هي الدافع الأول في إنكاء حوار الثقافات وتعايش الأديان بين البشر.

إن العلاقة المتينة بين كل هذه العناصر، والتي تجعل الأرض والشعب مسرحا لمجموعة من التفاعلات والتلاحمات التي تترجم في مجموعة من السلوكات

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص55.

² - المرجع نفسه، ص56.

³ - المرجع نفسه، ص33.

والتظاهرات كالأحاساس بالانتماء للمجتمع والولاء للأرض وللوطن، والتمتع بالحقوق وأداء الواجبات، والمشاركة الفعالة والمساهمة في المجتمع، وتلبية ونداء الأمة والوطن هو المشهد الحقيقي للمواطنة الناجحة، (لكن في سياق المواطنة الكلاسيكية، ونظرا للتطورات التي تعرفها الهياكل الاجتماعية والحدود السياسية، تطرح بشكل كبيرة ضرورة التفريق بين المواطنة والوطنية/الجنسية)¹، وذلك من خلال تطور وسائل الاتصال والنقل وتراجع الحدود السياسية القديمة المعروفة، ونظرا لما تطرحه ظروف العولمة لصناعة مواطنة عالمية.

3- تعريف المواطنة: هي مجموعة السلوكيات المترجمة للأفكار والأحاسيس

والمشاعر التي يحملها الفرد تجاه الوطن والشعب، والمبنية على الحب والتوحد والانتماء للوطن وللشعب الواحد، على رغم الاختلاف الحاصل في العرق الدين والعادات والتقاليد، فتذوب كل الخلافات ويتنازل الفرد وكل الأفراد لصالح الوطن ولصالح الفائدة العامة على أرض الوطن، فتعم المشاركة والتعاون والاتحاد لبناء الوطن وتنمية والحفاظ عليه، فهي التي (تزود الفرد بضوابط السلوك، لأنه من خلالها يعرف ماهو مقبول، وما هو مرفوض اجتماعيا، والحلال والحرام، والملائم وغير الملائم، وثقافة المواطنة دور في توحيد المجتمع وترابطه من خلال توحيد المفاهيم والقيم والأعراف)².

ولقد عرف تعريف المواطنة وضبط حدودها المعنوية كثيرا من التجاذبات والاختلافات، ويبرر ذلك عدم اتفاق المفكرين والعلماء على ضبط المفهوم أو على ضبط المصطلح في حد ذاته، فكثير منهم يدخله في دائرة الوطنية. لذا يجب أن نوضح كباحثين معنى المواطنة التي نهدف إلى تناولها في بحثنا هذا، وسنفرق بينها وبين الوطنية بما حضرنا من معطيات ووسائل فكرية، لذا فتحديد المفاهيم التي يدور حولها النقاش من الضروريات للوصول به إلى بر الأمان وإلى النتائج الصحيحة، ثم أن ذلك يريحنا من نقاشات لا طائل من ورائها، فتبعدنا عن المنطق وعن احترام الرأي الآخر ولا تنتهي إلى أية نتيجة.

كما قلنا فمفهوم المواطنة من المفاهيم التي تناولها كثيرا من المفكرين واختلفوا حول معانيها ومدلولاتها، ذلك لأنها مرتبطة بالوطن وبالوطنية وبالمواطن، هذه المصطلحات ذات البعد السياسي، الاقتصادي والاجتماعي. في حين تنحو المواطنة إلى بعد

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p66.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص137.

ثقافي حضاري مدني، فكل واحد أخذها من زاويته المهيمنة عليه، لكن المفاهيم التي ارتبطت بها بصفة كبيرة هي المعاني والمدلولات السياسية والاقتصادية، وابتعدت كثيرا على المفاهيم الثقافية والحضارية والمدنية التي وجدت لأجلها. أما مفهومها لغويا واصطلاحيا فهو:

3-1/التعريف اللغوي: تأخذ أيضا كلمة مواطنة معنى CIVIC باليونانية أي

المدنية، و CIVIS أي المواطن، ولهذا كانت التربية المدنية لدى اليونان القدامى تعني تربية المواطن على ما له من حقوق وما يترتب عنه من واجبات، ويقابل كلمة مواطنة في القاموس الفرنسي كلمة Citoyenneté والتي تعني:

(citoyenneté: 1 Qualité de cotoyen, citoyenneté française. 2 Attitude citoyenne, esprit civique. Un sursaut de citoyenneté)¹.

وتعني التمتع بصفة المواطن أو الحصول على جنسية إضافية علاوة على الأصلية، وهي تعني أيضا التمتع بالحس المدني والحضاري، في القاموس الانجليزي فيعبر عليها بكلمة Citizenship ومعناها :

(Citizenship: 1 the legal right to belong to a particular country: french citizenship you can apply for citizenship after five years residency. 2 the state of being a citizen and accepting the responsibilities of it: an education that prepares young people for citizenship)².

وتعني هنا تبعية الفرد للوطن وحصوله على الجنسية بعد قضائه مجموعة من السنين ببلد معين، أو هي تربية الشباب والناشئة على المواطنة، وفي كندا بالتحديد تدل كلمة citoyenneté بالفرنسية أو Citizenship بالانجليزية، على الجنسية وهي مستعمل كثيرا في هذا البلد بهذا المعنى، فهؤلاء الذين اختاروا كندا بلادا جديدة للعيش، جاؤوا من أصول وقوميات مختلفة، وتعايشوا وتنازلوا لبعضهم البعض من أجل بناء هذا الوطن الجديد، وهنا يحمل معنى المواطنة أيضا المطاوعة والمشاركة والتنازل والتضحية.

وقف الدكتور محمد عابد الجابري بالتحليل أمام غياب كلمة مواطنة عن القواميس والمعاجم العربية، حيث قال: (ولا شك أن القارئ سيستغرب معي غياب هذا اللفظ

¹ - Dictionnaire Hachette, sous la responsabilité de Ghislaine Stora, p323.

² - A S Hornby, Oxford Learner's Dictionary of Current English, p263

في معاجمنا القديمة المتداولة: لسان العرب والقاموس المحيط، والصاحح، وتاج العروس الخ. أما في نصوص الكتاب والأدباء فاللفظ غائب أيضاً، ولم أعثّر له على أثر إلا في كتاب "خريدة القصر وجريدة العصر": للعماد الإصبهاني الذي عاش في القرن السادس الهجري "ولد سنة 519 وتوفي سنة 597 هـ" وموضوعه: أعيان وفضلاء عصره من الخلفاء إلى الشعراء الخ، منطلقاً من بغداد ... إلى المغرب والأندلس. وقد وردت كلمة "مواطنة" مرة واحدة في هذا الكتاب الضخم في رسالة نقلها يمدح فيها كاتبها بيت من يمدح بقوله عنها: "مكتسبة من الأشباح القدسيّة علاء، ومنسوبة إلى الأشخاص الإنسية ولاء، مترقّعة عن مواطنة الأغفال، ومقارنة أهل السّفال". وواضح أن معنى "المواطنة" هنا هو: المصاحبة والعيش مع... ولم يسعفني الحظ بالعثور على غير هذا النص فيما أمكنني البحث فيه من الكتب. ويكفي أن تكون الكلمة غائبة في المعاجم التي ذكرت... إذن، لفظ "مواطنة" ونسبته "مواطن" ليس فيهما من العربية غير الصيغة "مفاعلة، مُفاعل" وهي للمشاركة: مقاتلة/مقاتل، مضاربة/مضارب. وقد حاولت أن أتعرف على اللفظ الذي كان يستعمله العرب قبل "عصر اليقظة العربية" لأداء مفهوم "المواطنة" والمواطن" كما نستعملهما اليوم في خطابنا المعاصر فلم أجد... النتيجة: ليس في مخزون العرب، اللغوي وبالتالي الفكري والوجداني، ما يفيد "ما" يعنونه اليوم باللفظين: "المواطنة" و"المواطن". وكلمة "ما" هنا تفيد النكرة وقد وضعناها بين مزدوجتين: لتقوية معنى النكرة فيها! لماذا هذا الغياب؟ الجواب هو أن هاتين الكلمتين من الكلمات المترجمة. وليس العيب في أن تنقل لغة من لغة أخرى كلمات وعبارات وأمثال ومعارف وعلوم. فجميع لغات العالم قائمة على الأخذ والعطاء. وقد نقل الأوربيون كثيراً عن العربية عند ابتداء نهضتهم الأولى في القرن الثاني عشر الميلادي وما زالوا ينقلون¹، أما في المعجم العربي الأساسي المطبوع سنة 1989 فوردت كلمة مواطنة مرتبطة بالجزر الثلاثي "وطن" الذي سبق الإشارة إليه أثناء شرح كلمة وطن ووطنية أما كلمة مواطنة فجاءت بمعنى: (مواطنة: 1مص واطن، 2 نزعة ترمي

¹ - محمد عابد الجابري، مقال: المواطنة والمواطن: جولة أولى !، على الموقع: <http://www.aljabriabed.net>، بتاريخ: 05.09.2017.

إلى اعتبار الانسانية أسرة واحدة وطنها العالم واعضاؤها أفراد البشر جميعا)¹، وهذا ما يدل على أن كلمة مواطن ومواطنة مرتبطة بالحضارة والتمدن الذي عرفته حياة الإنسان.

2-3/التعريف الاصطلاحي: يتفق كل الدارسين الذين تناولوا هذا المصطلح

على أن الأصل اللغوي لهذه الكلمة ومنشأها غربي في كل الأحوال، كان يونانيًا ورومانيًا، ثم أصبح فرنسيًا وأمريكيًا، لكنهم كما أسلفنا اختلفوا فيه اختلافًا كبيرًا من حيث ضبط المفهوم، لأنه أولاً مفهوم إنساني مرن، ولأنه يتعلق بجانب الممارسة الاجتماعية فهو متعلق بحياة الإنسان الاجتماعية والحضارية والمدنية المتطورة التي توصل إليها بعد تطور وسائل العيش ومناهج الحياة، (وهي من أكثر المشكلات جدلاً في الحياة، باعتبارها قضية فكرية وأخلاقية قيمية، كالحرية الإنسانية والعدالة، والمفاهيم المعيارية كالأخلاق)²، فهي من أهم نتائج تطور فكر العقل البشري، ومفهومها يبقى مرتبطاً بأبعاد إنسانية ثقافية وحضارية وسياسية وحتى اقتصادية، مشتركة بين مجموعة من الأفراد على رقعة ترابية محددة هي الوطن، (فالمواطنة مطلب ورغبة الشعوب، وهي ليست نتاج اجتماعي تاريخي بفعل الصدفة، بل هي وضع عالمي يعبر عن الحياة المشتركة وعن التقاليد العالمية، والذي ينتج عنه الالتزام الطوعي للمؤسسة السياسية)³. لذا عرف هذا المفهوم (تغيرات مختلفة في مضمونه ودلالاته فلم يعد فقط يصف العلاقة بين الفرد والدولة في شقها السياسي القانوني كما كان سابقاً، بل تدل القراءة في الأدبيات والدراسات الحديثة على عودة الاهتمام بمفهوم المواطنة كمفهوم مجتمعي له أبعاده المتعددة التربوية والسياسية والثقافية والاقتصادية والفلسفية)⁴.

(المواطنة هذا الجوهر الغامض، هل أصبحت اليوم مفهوماً بعيد المنال؟ الكلمة في جميع الأحوال، أصبحت واسعة ومنتشرة الاستعمال في كل مكان، هذا الانتشار هو المولد للغموض ولتعدد معانيها)⁵، وهو ما يجعل تحديد مفهومها من الأمور الصعبة نظراً لتعدد وانتشار تناولها واستعمالاتها وممارساتها في المجتمع، وحسب تناولها بالدراسة في المجالات العلمية والمعرفية، وكذلك حسب زاوية النظر التي تسيطر على كل باحث، أو التي

1 - جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص 1318.

2 - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص 230.

3 - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p28.

4 - طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 09.

5 - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p49.

ينطلق منها كل دارس فمنهم من تناولها سياسيا ومنهم من تناولها اقتصاديا ومنهم من تناولها اجتماعيا، ومنهم من طبق عليها نظرة نفسية عميقة، (الاستعمال المفرط لكلمة المواطنة هيمن وغمر كل مجالات الملاحظة والفرضية. استبعاد الغموض في المعنى لا يعني استبعاد طرح السؤال حول معنى الغموض الذي يكتنف كلمة المواطنة، تضخم وتداخل وانتشار التعريفات والمفاهيم الخاصة بالمواطنة...يتطلب كثير من التوضيحات لمفهوم المواطنة)¹، (لكنه ليس بالمستحيل تذليل الغموض وتبديده ولو قليلا، عندما نأخذ بعين الاعتبار تعدد وتنوع مفاهيم المواطنة واستعمالاتها، بعدها نلجأ للتخصيص من ذاك التنوع والتعدد في المواطنة من خلال أخذ الخطوط المشتركة بين المفاهيم لتحديد المواطنة العصرية، واتخاذ كامل الترتيبات والتدابير اللازمة، لمختلف القضايا والتحديات والخلافات)².

وأما الأستاذ محمد محفوظ فتناولها من الجانب السياسي والقانوني: (يحتل مفهوم المواطنة موقعا مركزيا في الفكر القانوني والدستوري المعاصر. إذ أن المواطنة، بما تشكل من شخصية اعتبارية لها حقوق وواجبات، وهي أحد الأعمدة الرئيسية للنظريات الدستورية والسياسية المعاصرة. إذ أن الفكر السياسي الحديث يعتمد في البناء القانوني للوطن على هذا المفهوم ويحدد له جملة من الإجراءات والاعتبارات. لذلك فإننا نعتقد أن تطوير واقعنا السياسي والقانوني اليوم، مرهون إلى حد بعيد على قدرتنا على المستويين النظري والعملي لبلورة هذا المفهوم كحقوق وواجبات في الفضاء الاجتماعي والوطني)³. أما الباحثة نادية الفقير فتقول في معنى المواطنة: (أنا اعلم انه لا يمكن الاعتماد على مبادئ عامة محددة لتحديد معنى المواطنة بشكل دقيق فهو مفهوم تاريخي شامل، يختلف من زمان لآخر ومن مكان لمكان، ويتأثر بالنضج السياسي والرقي الحضاري للدولة...وبالتطورات السياسية والاجتماعية والعقائد المختلفة وقيم الحضارات والأحداث العالمية الكبرى، فنجد أن معنى المواطنة في العصر الأثيني يختلف عن معنى المواطنة في عصر الإقطاع واختلف كثيراً عبر العصور اللاحقة من حيث توسع نطاقه فاشتمل على فئات لم يكن يعترف بمواطنتها سابقا، كما تطورت أبعادها فأصبحت تضم أبعادا اجتماعية واقتصادية وبيئية

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p50.

² - Ibid, p52

³ - محمد محفوظ، مجلة الرياض الالكترونية، <http://www.alriyadh.com/16992>، بتاريخ: 2017/11/10.

بالإضافة إلى الأبعاد القانونية والسياسية، وبالتالي قد تحمل المواطنة أكثر من معنى فقد تحمل معنى تاريخي ديني أو معنى عرقي أو على أساس الجغرافيا السياسية أو غيرها. إلا أن ذلك كله لا يعني أبداً من أنه لا يوجد محتوى أساسي لمعنى المواطنة فمهما اختلفت المعاني لمفهوم المواطنة يبقى هنالك مبدأً أساسياً لمعنى المواطنة وهو الانتماء، على الرغم من أنه هو الآخر يختلف بمعناه من حيث الانتماء إلى الوطن أو الانتماء إلى الوطن الذي يستقر فيه الإنسان أو الانتماء إلى الأمة¹.

كما رأينا (تتعدد مفاهيم المواطنة...منها ما يحمل معنى عاطفياً وانتماءاً وجدانياً للمكان الذي ألفه الإنسان، ومنها ما يحمل معنى فكرياً يفضل فيه المكان على تشريع الرحمن، ومنها ما يؤسس لمعنى قانوني يعبر عن حقوق المواطن وواجباته تجاه وطنه، يعتمد منظور وفلسفة المذهب الفردي أمثال جون لوك وجاك روسو على أساس الاعتراف بحقوق الإنسان وحياته العامة باعتبارها حقوقاً طبيعية لكل فرد وليست مكتسبة، وعلى الدولة احترام وضمان تلك الحقوق، كما تعرف المواطنة أيضاً بأنها عبارة عن مجموعة من الحقوق والواجبات يتمتع ويلتزم بها في الوقت ذاته كل طرف)². لقد مست تعريفات المواطنة جوانب كثيرة ومختلفة من حياة الإنسان ككل. لكن يبقى أهم تعريف للمواطنة هي الإحساس والشعور بالانتماء الإنساني إلى بقعة جغرافية أرضية محددة، وهي التي يمارس عليها الإنسان حياته الطبيعية التي يعبر عليها بكل نشاطاته اليومية والاجتماعية مع مجموعة من الناس، وهي التي يقيم عليها بشكل دائم أو مؤقت³. تلك البقعة هي الوطن وهؤلاء الناس هم الشعب المنتمي لذاك الوطن، وبالتالي يحمل جنسيته ويخضع لقوانينه وتشريعاته، ويتقاسم فيه الحقوق والواجبات مع كل المواطنين الذين يقيمون معه على الرقعة نفسها. المواطنة هي التمتع بكامل الحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية والحريات التي يتمتع بها الإنسان وتضمنها له القوانين والدساتير المختلفة، لكونه مواطناً وكونه فرداً في المجتمع المبني قانوناً على مبدأ العدل والمساواة وعلى مبدأ تكافؤ الفرص بين كل المواطنين، ونظير كل الواجبات والأخلاقية والاجتماعية والمدنية التي يلتزم بها المواطن تجاه الوطن، إنها تقوم أساساً على

¹ - عبد العزيز قریش، مفهوم المواطنة وحقوق المواطن، الجزء الأول، الموقع الإلكتروني: <http://www.oujdacity.net>، 06 جويلية 2017.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص ص 11-12.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص 10.

مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات، وهي أفكار وطنية سامية مترجمة في شكل سلوكيات وأخلاق وآداب وتربية مبنية على كل مناهج التعليم والتكوين العصرية والحضارية، التي لا تقصي التراث والعادات والتقاليد والأعراف في كل مجتمع، المواطنة هي طريقة حياة مختلفة تتباين بتباين درجات التحضر والمدنية العصرية. إن سلوك المواطنة شرط أساسي لدوام الحياة والأمن والتعايش بين الأفراد بعضهم البعض، وبين الأفراد والدولة الممثلة في الوطن، هذا السلوك الذي يعبر على احترام حدود الحريات، واحترام الآخر، واحترام القوانين والنظم، والسهر على تطبيقها بعدل وشفافية ودون تمييز أو تحيز، بسبب الدين أو اللغة أو العرق أو أي شيء آخر من أسباب التشتت والفتن، وأن يتلون السلوك المواطني بخصوصية فلسفة كل مجتمع في الحياة وهويته وعاداته وتقاليده، هكذا وبمرور الوقت وتطور حياة الإنسان اكتسبت المواطنة بعدا آخر، فأصبحت (على وجه التحديد قضية اجتماعية عالمية)¹.

وقد تعرّف المواطنة على أنها المساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات بين الناس في وطن معروف ومحدد، والحق في مشاركة الجميع وعضويتهم السياسية وحقهم في صنع القرار، والمسؤولية الفردية والجماعية تجاه التنظيمات والهيئات القانونية الفاعلة، والحق في القيام بجميع المهام والوظائف الإدارية والسياسية في دواليب الدولة والحكم، وذلك عن طريق الممارسات الحرة والشفافة والديمقراطية الحقيقية²، وهي في الوقت نفسه طاعة القانون والدفاع عن الوطن وعن كل التنظيمات والالتزامات والقواعد الاجتماعية والسياسية المعمول بها في الوطن³، وهي تفاعل المواطن مع القواعد والتشريعات والتنظيمات السياسية والاجتماعية والمدنية والاقتصادية التي تربطه وتحدد سلوكه وعلاقته بالنظام الحاكم الممثل للشخصية المعنوية للوطن. ولا تعدو أن تكون تلك القواعد كل الحقوق والواجبات التي يحددها المشرع الوطني بالدساتير والقوانين والتي تعرض في غالب الأحوال على المواطن في استحقاقات وطنية⁴. إنها تعبير على حرية الإنسان على أرضه ووطنه، مع احترام مسؤولياته والتزاماته تجاه الوطن والآخرين الذين

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p65.

² - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص45.

³ - ينظر: طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 12.

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص43.

يتقاسمون معه هذا الوطن، إنها إحساس وشعور بالانتماء للوطن، دونما أن يعني ذلك الانسلاخ عن انتسابه لأسرته أو لمجتمعه، ودونما أن يتعارض ذلك مع عاداته وتقاليده ودينه ولغته وكل مكونات شخصيته وهويته، إنها الوجود الايجابي في المجتمع المبني على العدل والمساواة في الحقوق والواجبات، دون أي تمييز قائم على العرق أو الدين أو الجنس أو اللون، أو على الرأي السياسي أو الفكري. (ولا يمكن تصور أن الإنسان لكونه كائن حيواني اجتماعي، يمكن أن يتأقلم في أي شروط للوجود أو للحياة)¹، بل يجب أن يوفر له فضاء كبير ومناسب يمكنه من التعبير على وطنيته ويسمح له بممارسة المواطنة الحضرية. ولما سبق تكون المواطنة أيضا هي انتساب الفرد لدولة معينة عن طريق الولادة على أرضها أو عن طريق الجنسية التي تحصل عليها بعد تقديمه طلب عن ذلك إلى الدولة المقيم على أرضها، وهكذا ستكون المواطنة (في المستقبل ثقافية، اجتماعية، اقتصادية، عالمية أو كونية، متعددة القوميات)².

أما الهيئات الدولية ممثلة في وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فعرفت المواطنة في المادة الثالثة عشر كآتي: (لكل فرد حق في مغادرة أي بلد بما في ذلك بلده، وفي العودة إلى بلده)³ كما نصت المادة الخامسة عشر من الوثيقة نفسها (لكل فرد حق التمتع بجنسية ما، ولكل إنسان الحق في أن يعترف له بجنسيته)⁴، هذه مواطنة سياسية التي حملها وعرفها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، (لكنه يجب البحث عن تعريف أكثر انفتاحا للمواطنة، يسمح بتوسيع عملية المشاركة لكل المواطنين وتحميلهم مسؤوليات أفعالهم، وهي المواطنة الجديدة التي يمكن تكييفها بالمواطنة الاجتماعية)⁵. ويقترح تعريف الإعلان العالمي لحقوق الإنسان من المواطنة العالمية التي تعبر على إنسانية وكونية الفرد، فانتماء هذا الأخير إلى أمة معلومة ومجتمع محدد على رقعة جغرافية معروفة، لا يعزله على باقي الكرة الأرضية، فيصبح مكونا وعضوا أساسيا في الوطن الكبير الذي هو العالم أو الأرض التي يعيش عليها جميع البشر. هنا تتحقق (المواطنة العالمية ولما لا؟ إنها الحلم القديم للجنس

¹ - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, p20.

² - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p10.

³ - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

⁴ - الإعلان نفسه.

⁵ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p128.

الإنساني، الذي بدأ يظهر للعيان بدفع من مجموعة من الشروط والمفاهيم العصرية: كالشعور بنهاية الكون "الأرض- الوطن"، وتطور الاتصالات والتبادلات الثقافية، المساواة في أنماط الاستهلاك، دور المنظمات غير الحكومية "ONG"، الأنترنت، التشريعات العالمية الكبيرة لحقوق الإنسان وواجباته¹. ويشكل (دور المواطن العالمي في حماية البيئة والحفاظ عليها من التلوث، عنصرًا إيجابيًا إن خضع لأسس التربية البيئية...وتعدها للتربية على القيم والاتجاهات...وهذا التطور والتغيير الاجتماعي الثقافي، يتطلب إيجاد نماذج إستراتيجية ضمن برنامج تغيير شامل يهتم بالفرد والمجتمع وحتى العالم)²، وما اجتماع رؤساء دول العالم مؤخرًا في مؤتمر الأرض بفرنسا لدليل على المواطنة العالمية التي يتمتع بها جميع سكان الأرض، وكيف التزمت الدول بالشروط العالمية للحفاظ على نظافة الأرض وحماية البيئة من التلوث والحد من الإشعاعات النووية، لأن الأرض أضحت بيتنا الكبير ووطننا الواحد. ومن هذا المنظور يمكن أن تكون المواطنة العالمية هي العولمة في أبرز صورها التي تعني (هيمنة النظام العالمي على مختلف شعوب العالم، لتحل محل سيادة الدولة الوطنية على مقدرات مجتمعاتها كما كان الحال من قبل على مر التاريخ الإنساني، فالعولمة – كنظام عالمي جديد- تتجه نحو تحرير الاقتصاد والتجارة والمصارف والإعلام والثقافة والاجتماع من قبضة الدولة وسيطرتها على مؤسسات المجتمع ليدور في فلك العالمية والكونية بدلا من فلك المحلية والوطنية والقومية)³.

تجتمع كل التعريفات السابقة على مجموعة من النقاط المشتركة، وهي أن المواطنة أفكار وقيم ومجموعة من السلوكيات المختلفة المعبرة على المساواة في الحقوق والواجبات على رقعة ترابية معروفة، وهي الشعور بالانتماء والولاء للوطن وللقيادة السياسية التي تمثل هرم السلطة فيه، المنتخبة والمعينة ديمقراطيا، والتي هي مصدر الإشباع للحاجات الأساسية وحماية الذات من الأخطار المصيرية المختلفة. وفي كل ذلك تبقى المواطنة هي انتماء الإنسان بالمعيشة أو بالمولد إلى مجتمع ما، على رقعة جغرافية محددة، والتمتع بمجموعة من الحقوق والواجبات في جو من الأخلاق والمبادئ والولاءات والمشاعر

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p5.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص209.

³ - المرجع نفسه، ص104.

النفسية والاجتماعية المشتركة، إنها(القطب الذي تدور حوله كل النقاشات السياسية والعلمية)¹ في الوطن أو في العالم، (ولا إمكانية لتحقيق التنمية الحقيقية الشاملة دون عملية تثقيف فعلية من أجل المواطنة ومن أجل بناء ثقافة وشخصية وطنية، تحددها مفاهيم حقوق الإنسان والديمقراطية)².

أما المواطنة في المجتمعات العصرية اليوم فهي (مجموعة من الحقوق والواجبات، الحقوق للمواطن على وطنه والواجبات مستحقات على المواطن تجاه وطنه، وهي تثبت بحكم القانون والتي بموجبها يتأكد انتماء الفرد إلى مجتمع بعينه)³، فهي إذن (العلاقة بين الفرد والدولة...ويحكم هذه العلاقة واجبات وضوابط. كما أن المواطنة تعطي الفرد عدة مزايا مثل الحماية داخل وخارج البلاد، بالإضافة إلى حقوق سياسية مثل تولي المناصب العامة، كما تفرض عليه واجبات مثل الحفاظ على الدولة)⁴ والوطن والدفاع عنه. وعليه تكون المواطنة العصرية هي التعبير الحقيقي عن المدنية الحديثة والعصرية وعلى المؤسسات والسلطات القويّة المبنية على شفافية الحقوق والواجبات، لأنه من الحقوق البديهية للمواطن: الحق في الطريق وفي المستشفى وفي المدرسة وفي الأمن، كما أن الدفاع على الوطن والوفاء والإخلاص للأمة الوطنية وتطبيق القوانين ودفع الضرائب، والخدمة الوطنية من الواجبات الأولى التي يتوجب عليه القيام بها. وهو ما يضمن له حياة مدنية وسياسية مبنية على مبدأ تكافؤ الفرص، دونما تمييز عرقي أو ديني أو مبني على الجنس أو اللون أو المكانة الاجتماعية المالية. وقوام كل ذلك رابط متين وعادل وشفاف بين الفرد وأجهزة الدولة، يقوي ويدفع روح اللحمة والوحدة بين الفرد وغيره من الأفراد من جهة وبين الأفراد وأجهزة الدولة من جهة أخرى. وبناء على علاقة الفرد بالدولة في التأسيس للمواطنة يمكننا (استخلاص أربعة نماذج نوعية للمواطنة، النموذج الليبرالي المبني على الحرية الفردية المحمية بالحقوق، النموذج الجمهوري الذي يستند إلى الانتخابات المتعددة، النموذج المدني الذي يختلف عن الليبرالي، والنموذج الوطني المتحد)⁵.

¹ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p7.

² - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص231.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 13.

⁴ - المرجع السابق، ص43.

⁵ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p11.

ننتهي إلى المواطنة هي المساواة في الحقوق والواجبات بين أبناء الوطن الواحد في ظل الديمقراطية السياسية والاجتماعية، التي تضمن حق المشاركة لكل فرد في إدارة شؤون الدولة وتولي الوظائف العمومية والمشاركة السياسية، وهي إلى ذلك جملة من القيم والمبادئ التي تعبّر على حق الفرد في العيش الكريم والسعيد والأمن في ظل الحكم الراشد، لخدمة الوطن وتكوين مواطن صالح يحب وطنه ويدافع عنه، فهي (مسيرة الإنسان المواطن في ظروف تطبعها مفاهيم الديمقراطية، الإدماج، الهوية، الحق، التسامح، المساواة واحترام القانون، كل هذه المفاهيم تتفاعل وتنشط في أفق يتميز بالنقاش العام وبالحوار والتشاور)¹، و(تبقى المواطنة قضية حية ومتطورة، تبحث عن نموذج حقيقي للحمة المواطنين واتحادهم)². (المواطنة هي الترجمة الواقعية لأحاسيس ومشاعر الولاء والانتماء وفهم المواطن لحقوقه وواجباته)³، وهي (شكل من أشكال الإنتاج الثقافي، وينبغي أن نفهم تشكيل المواطنة باعتبارها عملية إيديولوجية تحدد علاقاتنا بالآخرين والعالم في نظام معقد من التمثّلات في حياة المواطن السياسية والثقافية والاجتماعية والتربوية والسياسية)⁴.

4- عناصر المواطنة: إن ولادة الإنسان فردا واحدا تظهر أن (عليه أن

يكون تحت طائلة سلطات المجتمع، وعليه أن يضمن بنفسه البقاء على قيد الحياة، وهو ما يساعده على اكتشاف نقاط ضعفه، فأن توجد فردا معناه أن تكون منفصلا على الآخرين، كل الناس ولدوا بنفس الحقوق، المساواة في الحريات تساوي بين اللجوء إلى العنف أو تفضيل الدفاع عن النفس. هكذا تثبت الفردانية أنها حرية بائسة أو يائسة)⁵، نتيجة هذا أحس الفرد بأهمية الفرد الآخر وأهمية الجماعة والاتحاد والتعايش والتضامن، يقول ابن خلدون: (لا بد من اجتماع القدر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت لهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضا في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه)⁶، وهو يتناول حاجة الإنسان لأخيه الإنسان في تحصيل الرزق وفي الأمن، لهذا فأن تكون مواطنا هو أن تلتزم بالعقد الاجتماعي الذي يربطك بالوطن وبغيرك

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, ellipses, paris, France, p126.

² - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p54

³ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص42.

⁴ - المرجع نفسه، ص54.

⁵ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p28.

⁶ - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص 57.

من المواطنين الذين يقاسمونك الوجود على هذه الأرض، وأن تشارك في كل التظاهرات الوطنية والمجتمعية التي تعبّر من خلالها على أهميتك ووجودك داخل الوطن، وعلى مساهمتك في كل النشاطات العامة الهادفة لصيانة الوطن والحفاظ عليه وتطويره باعتباره البيت الكبير الذي يجمعنا، وأن تفرّق جيداً بين المصلحة العامة وشؤونك الخاصة، وتحترم اللوائح والتشريعات والقوانين والعادات والتقاليد. وأن لا تخضع لذوي المصالح الضيقة ولا للجماعات الضاغطة سواء كانت سياسية أو اقتصادية، وهي التي تهدف لتحقيق مصالح ضيقة على حساب مصلحة الوطن والمجتمع. أن تكون مواطناً هو أن تحترم ساعات عملك وأن تؤدي مهامك بكل نزاهة وإخلاص، وأن تحافظ على مكان عملك، وعلى الطريق والشارع المؤدي إليه وعلى نظافة وسائل النقل العامة والخاصة التي توصلك إليه، هذه الأفكار الوطنية هي التي تساعدك على اكتساب والتحلي بالسلوكات الأخلاقية والهادفة والمعبرة على خدمة الوطن وحمانيته، وتساعدك على أن تظهر مواطنة جميلة لهذا الوطن. تلك السلوكات والأفعال والتصرفات هي التي تتمظهر وتتجلى في مجموعة من القيم والثوابت والمبادئ، المتعددة والمختلفة باختلاف مجالات الحياة، فهي الثقافة المحلية في المعتقد وفي اللغة في العادات والتقاليد، وفي كلّ ما يتعلّق بأمر الحياة الإنسانية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية. فيبدو الإنسان في هذه القيم واحد من الكل المكوّن للأسر والمجتمعات والأمم، مع احتفاظه بخصوصيته وشخصيته المميزة، ونستطيع أن نبيّن حدود هذه الثوابت والقيم في مستويين هما المستوى المادي والمستوى المعنوي.

1-4/العناصر المادية: نعني بها كل الثوابت المادية التي تؤسس للمواطنة

الاجابية، من خلال ممارسة الإنسان وتفاعله وتحضره على الأرض، إنه لا يمكن الحديث عن مواطنة حقيقية دون الحديث عن الإنسان أو الأرض. فالمواطنة هي مظهر من مظاهر الثقافة الإنسانية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، ولا يمكن أن تكون هذه الثقافة إلا من خلال تفاعل الإنسان على الأرض في الطبيعة ككل.

1-1-4/الأرض: هي التراب ووحدة الإقليم، إنها (تلك البقعة من العالم التي

ترتبط بها معنويات الشخص ويتعلق بحبها، أو هي تلك الأرض التي نشأ عليها، واختلط

بأهلها، وتعلم منهم طريقة الحياة فأصبح يشعر بأنه جزء لا يتجزأ منها¹، هي ما ينتج ويعزز ويكوّن الشعور بالارتباط إلى المكان، فينمو هذا الشعور ويتبادل بين الأفراد الذين يقيمون بصفة دائمة في المكان نفسه، فيكوّن لديهم علاقات، سرعان ما تصبح روابط جغرافية وإقليمية نتيجة الإقامة المستمرة والدائمة في مكان جغرافي واحد ومحدد، (الاستقرار في بقعة معينة، ولمدة طويلة، من شأنه أن يعزز الروابط بين الأفراد، وهو يتبع تبادل المنافع، وتفاعل المشاعر والأحاسيس، واحتكاك الآراء والأفكار، وتبادل وجهات النظر بصدد المشكلات التي تعنّ لهم، ومن ثم تنشأ الرابطة)² الوطنية بينهم. أما الإقليم في الوقت الحاضر فهي حدود الحيز المكاني التي تشكّل الحدود الإقليمية للدولة ذات السيادة عليها. (ومن هنا فإن وحدة الإقليم أو الوطن تعتبر عاملا من عوامل تكوين الشخصية... والتماسك الاجتماعي والقومي بين أفرادها. فعاطفة حب الوطن، عاطفة غريزية في الإنسان في كل زمان ومكان. فكلنا نحب الوطن الذي نسكنه ونعيش تحت سمائه، وننعم بمناظره، ونأكل من خيراته، ونتغذى بحبه منذ الصغر، فأصبحنا نحبه حبا فائقا، ونحن إليه عندما نتغرب عنه، ونغار عليه إن مس احد كرامته بسوء، ونعيش من أجل خدمته، ونموت في سبيل الدفاع عنه وحمائته ضد كل عدوان من أي مصدر كان)³.

4-1-2/الشعب: كل فرد هو عضو أساسي في بناء المجتمع، فسرعان ما يقوم

الفرد بربط علاقات اجتماعية وأخوية مع فرد أو مع مجموعة من الأفراد مبنية على الاحترام والولاء، والشعور بالانتماء للمجموعة التي يتحكم في أفرادها المصير المشترك، والهدف الواحد في الحياة، وهو ما من شأنه أن يكوّن بينهم نوعا من الثقافة الاجتماعية المشتركة، وهذا هو (ما يعطي المجتمع روحه الجماعية التعاونية، وهي التي تمكّن أعضاء المجتمع من العيش والعمل معا، بأقل ما يمكن من الفوضى والتدخل في شؤون بعضهم البعض)⁴، فيشكّلون جماعة مميزة فوق الأرض، وهي الأشياء نفسها أيضا التي تربط المجتمعات ببعضها البعض، فيتجمعون ويتحدّون كأفراد وكجماعات في بقع أرضية متجاورة ومتجانسة

1 - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص43.

2 - المرجع نفسه، ص44.

3 - المرجع نفسه، ص45.

4 - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص41.

ومتكاملة ثقافيا وسياسيا واقتصاديان فيكونون ما يسمّى الشعب أو المواطنين. (فأن تكون مواطنا هو أن تكون لك الإرادة في ذلك بكل حرية، وأن تكون قادرا على ذلك بصفة مستمرة في الحياة)¹.

4-1-3/الدولة: وهي التي تتم باجتماع الناس وتعصّبهم، كما يقول ابن خلدون: (بهذه العصبية يكون تمهيد الدولة حمايتها من أولها)²، (اعلم أن هذه الأطوار طبيعية للدول. فإن الغلب الذي يكون به الملك إنما هو بالعصبية، وبما يتبعها من شدة البأس وتعود الافتراس، ولا يكون ذلك غالبا إلا مع البداوة، فطور الدولة من أولها بداوة. ثم إذا حصل الملك تبعه الرفه واتساع الأحوال، والحضارة إنما هي تفنّن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله)³، يرى ابن خلدون أن السلطة تتشكّل من المدنية والعصبية والغلبة، فعندما تتشعب المهام وتكثر النشاطات ويزداد اجتماع الناس ويكثرُوا، تتضح هذه القلّة القليلة التي تحكم الأغلبية، عن طريق سن القوانين والتنظيمات وفرض القوة. أما كلمة الحضارة التي وردت في كلام ابن خلدون، فهي المواطنة العصرية بعينها، التي تتلخص في سلوكات الناس وصنائعهم ونشاطاتهم اليومية في المدينة. إذن فالدولة هي الحكومة أو السلطة أو نظام الحكم، ممثلا في كل السلطات الثلاثة الرسمية والقانونية المعروفة وهي السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية والسلطة القضائية. وهي السلطات التي تتحكّم في الفضاء الوطني، وهنا يتبين أن المواطنة هي أيضا (فضاء قانوني أكثر منه جغرافي أو ترابي)⁴، ولكننا نقول (فضاء المواطنة عندما يكون المواطنون مرتبطون بمكان جغرافي ويكون لهم الحق في ذلك، وهذا المكان ليس بفعل العثور عليه كواقع معين، ولكن لأن المواطنون ولدوا بهذا المكان، أو أنهم يسكنون ذلك المكان، إنه ارتباط شرعي بالفضاء المكاني، بفعل الحق في المكان أو بفعل القانون الذي يربطهم بالمكان، أو لتواجدهم واستقرارهم بذلك المكان، أو بفعل كل وسيلة تم بها تحويل المكان من مواطن إلى آخر، وهذه الصفة القانونية والشرعية للارتباط بالمكان

¹ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p45.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص 168.

³ - المرجع نفسه، ص 183.

⁴ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p10.

تحددها القوة العمومية الحاكمة أو نظام الحكم السائد)¹. (هناك علاقة جدلية بين التعليم والنظام السياسي تطرح نفسها في تلك التبدلات التي تحدث في بنية النظام السياسي وتنعكس بصورة أو بأخرى في بنية النظام التعليمي، ومن هنا فإننا لا يمكن أن نتصور أن يكون هناك نظام تعليمي ديمقراطي في ظل نظام سياسي استبدادي والعكس صحيح)².

ويقوم بتمثيل الدولة أو تمثيل نظام الحكم أو تمثيل سلطاتها المختلفة أشخاص يتم اختيارهم من طرف الشعب من بين أفراد الشعب، وفق أيديولوجية معينة، تحددها عادات كل مجتمع وأعرافه السياسية والاجتماعية، أو يتم تعيينهم واختيارهم وفق القوانين والتنظيمات والدساتير السائرة المفعول في كل مجتمع. وتكون سلطة الدولة في هذه العمليات (في أعلى هرم المجتمع المدني والسياسي، لتنظيم مناخ الحياة المشتركة للناس، حيث تعمل على توفير الحرية والمساواة والعدل، لاستكمال كل الفروقات والنقائص الطبيعية والاجتماعية بين أفراد المجتمع...وبهذا يصبح المواطن ليس فردا من المجتمع فقط بالمعنى العام، ولكن مواطنا أساسيا في الوطن ككل وعضوا مؤسسا في الدولة)³.

لكل دولة راية وطنية تميزها عن الأمم والشعوب الأخرى، تحترمها وتقديسها، وتعتني بها ولا تهينها، فهي ترمز إلى تاريخها وبطولات شعبها، كما أنه لكل وطن نشيد رسمي خاص به يسمى السلام الوطني، يكون من تأليف أحد أبطالها الشعراء، والنشيد الوطني هو الآخر لا يمكن الاستهزاء به أو السخرية منه بل يجب الاستعداد له عند سماعه، وتحفيظه للنشء وحثهم على احترامه وتمجيده، فهو رمز الوطن الذي مات من أجله الملايين، لأجل أن يحيا هذا الشعب ويعيش حرا ديمقراطيا ذو سيادة.

4-1-4/القانون: هو العقد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهو كل

التنظيمات والقوانين والتشريعات التي تتحكم وتنظم العلاقات بين الأفراد فيما بينهم وبين الأفراد ونظام الحكم القائم. يضع نظام الحكم عادة هذه القوانين، عن طريق مؤسساته وسلطاته المختلفة، غير أنه لكل مجتمع نظريته وأيديولوجيته في وضعها والتعامل معها. وهي التي تحدّد على أساس المساواة والعدل ومبدأ تكافؤ الفرص كل حقوق الفرد وما يجب

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p10.

² - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص14.

³ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p10.

عليه من واجبات تجاه الفرد المجتمع وتجاه الدولة، هذه الأخيرة تتدخل بفضل السلطات المنتخبة أو الموضوعة قانوناً، لإحقاق الحقوق وإلزام الواجبات بين المواطنين، وهي عملية (إعادة تنظيم فضاء المواطنة من خلال لامركزيتها، مع حفاظ الدولة بدور المراقب المركزي لضمان ممارسة المواطنة من طرف الجميع)¹.

4-1-5/الدين: في الإسلام ممثلاً في كلّ النصوص الدينية والسنية ذات

الطابع العقائدي والتشريعي والتنظيمي في علاقات الأفراد الاجتماعية والمدنية وفي تعلقهم بعضهم ببعض وبلادانهم، وفي صلتهم بالله وفي حياتهم ككل. إنّ (الدين يتّصل بالينابيع الروحية للفرد، وبالتالي يكون مصدراً من مصادر القوة والتماسك بين أعضاء الجماعة الواحدة)². ومن النصوص الدينية والنبوية التي تتناول حب الوطن والولاء له، جاء في القرآن الكريم: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ 126﴾³، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة (ما أطيبك من بلد، وما أحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك)⁴. لقد كان الدين الإسلامي (القوة الروحية التي دفعت عرب الجزيرة إلى فتح البلاد التي أصبحت عربية فيما بعد، كما ظل الإسلام المحور الذي تجتمع حوله هذه البلاد في وحدة سياسية، وحضارية واحدة، ولا ننسى أن القرآن هو الذي حافظ على بقاء اللغة العربية من الانحلال، إلى لهجات عربية متباينة، وبذلك ساعد على بقاء وحدة الثقافة والتعبير في العالم العربي، والقرآن هو كتاب الإسلام الخالد)⁵. ومما سبق يتضح أهمية ما تحمله النصوص الدينية من حب للأرض والوطن، وتدفع الأفراد والمجتمعات لحب الأرض والوطن والدفاع عليه بالنفس والنفس. تختلف النصوص الدينية باختلاف الشعوب والأماكن، ومهما اختلفت الأديان فإن (دور الدين في التماسك الاجتماعي والمحافظة على كيان الجماعة، وإشاعة النهضة في صفوفها، أمر لا يمكن أن ينكره أحد. يقول إسماعيل

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, pp17-18.

² - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص34.

³ - سورة البقرة، الآية: 126.

⁴ - الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترميذي، الجامع الكبير، المجلد السادس، دار الغرب الاسلامي، بيروت/لبنان، ط1، 1996، ص208.

⁵ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص37.

القباني "وإذا كانت دروس التاريخ قد علمتنا شيئا، فهو أن كل نهضة عظيمة فيه قد قامت على أساس حركة روحية وفكرية، ويكفي دليلا على ذلك أن أشير إلى نهضة العرب في صدر الإسلام"¹. لكن النصوص الدينية كثيرا ما تكون سببا في الفتن والحروب نتيجة الفهم السيئ أو الاختلاف في فهم الأفكار، وهنا تتدخل التربية والتكوين لضبط الفهم الصحيح والجيد للنصوص الدينية، وشرح التفاسير وإعادة تبسيطها للنشء.

4-1-6/اللغة: هي (الأساس...في تكوين الأمة، وبناء القومية، لأنها بمثابة

القلب والروح من الأمة، لذلك فإن الشعوب التي تتكلم لغة واحدة، تكون ذات قلب واحد، وروح مشتركة، ومن هنا فهي تكوّن أمة واحدة. فوحدة كاللغة توجد نوعا من وحدة الشعور، ووحدة التفكير لدى المتكلمين بها. وتربطهم بسلسلة طويلة، ومعقدة، من الروابط الفكرية والعاطفية، وتكون أقوى الروابط التي تربط الأفراد بالجماعات. ولذلك قالوا إن اللغة والأمة أمران متلازمان ومتعادلان)². اللغة إذن هي سياراة الثقافة العامة وكل الثقافات المحلية ذات الصلة بالثقافة الوطنية العامة، إنها الحافظة أو قل هي الأرشيف الوطني كله. للغة جبروت كبير في ربط الأواصر وجمع الشمل، لأن الناس مولوعة بحب لغاتها والتعلق بها، فتتجمع وتتكتل كل الأفراد التي تتكلم اللغة الواحدة، وتصبح من مميزات الوطن ورموزه، وإن تكلمنا هنا عن اللغة فالشيء نفسه بالنسبة لكل اللهجات المحلية ذات الصلة باللغة الوطنية، للغة أيضا دور كبير في حفظ ذاكرة الشعوب وفي نقل أعمال وبطولات السلف للنشء الجديد، فالحضارات التي خلدها التاريخ واستمرت وعاشت هي الحضارات التي كانت لغاتها قوية وحية وهو ما نجده في الشعوب المصرية والصينية واليونانية والعربية والرومانية القديمة، لكن الوضع الراهن عرف بحوار الثقافات واللغات لذا يجب التصدي إلى بعض الأصوات المنعزلة والمنفردة والتي تنادي إلى التعصب إلى لغة دون أخرى أو إلى ثقافة محلية وإقصاء الثقافات الأخرى، لهذا يجب التركيز على التحسيس والتوعية التربوية القائمة على الحوار والاستماع للآخر وتفاذي سياسة الإقصاء أو الجهوية المقيتة التي تعتبر عامل فتنة وتفرقة وليست عامل وحدة وبناء فلا تعد من المواطنة في شيء، ولو كان هناك أمم وشعوب ودول

¹ - المرجع نفسه، ص34.

² - المرجع نفسه، ص28.

بعدد اللغات واللهجات والثقافات كان العالم متفرقا متناحرا مشكلا في قبائل وعصابات و فرق، لكنه تعايش واستقر ضمن الحضارة الحديثة والمدينة العصرية، نتيجة الحوار وتعايش الأديان واللغات والثقافات، اللغة هي روح المجتمع المعبرة عن بعده الحضاري والثقافي، وهي (صورة وجود الأمة بأفكارها، ومعانيها وحقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه، فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر)¹.

4-1-7/التاريخ: (إذا كانت اللغة هي روح الأمة، فإن التاريخ هو ضميرها،

لذلك فإن التاريخ المشترك يعتبر إلى جانب اللغة المشتركة من أهم عوامل الشخصية)² الوطنية، فالماضي المشترك لجماعة من الأفراد هو من أهم الأسباب لاجتماعهم واتحادهم. فوطن بلا تاريخ هو وطن بلا مستقبل، يلعب التاريخ دورا كبيرا في بلورة الهدف والمصير المشترك الواحد للأفراد وللشعوب، والتاريخ هو مجموعة الأحداث والانجازات البطولية لأفراد الشعب الواحد، وهو كل الأبطال الذين نعز بتذكرهم وتمجيدهم وتدريسهم للنشء، إنهم هم الذين صنعوا مجدنا وعزتنا ورسوموا مستقبلنا، (فالتاريخ هو المادة المرتبطة بالأحداث وبالشعوب الماضية، في حين التربية والتعليم على المواطنة مرتبطة بالواقع الآني)³، المواطنة تعطي الروح والحياة للحوادث التاريخية، وتمنح هؤلاء الذين صنعوا التاريخ حياة متجددة في كل زمان، ولنا في شهداء الثورة التحريرية خير دليل فهم يعيشون بيننا في كل زمان، ولا يختزلوا في الشهداء فقط، بل في كل الأبطال المناصرين للقضايا الإنسانية في العالم ولقضايا تحرر الإنسان والحرية والانعقاد. فالتاريخ هو الجانب الحي في تطور حياة المجتمع واستمراره، هو مرجعية هامة للبناء والتطور والنماء، إن حب الأحداث التاريخية والعمل بها وتمجيدها هي المواطنة الحقيقية، فالتاريخ هو مرجعية المواطنة، وهو اللحمة والعلاقة المتينة التي تجمع الأفراد للعيش والتعايش في أمن وسلام. تدرك الإدارة المدرسية (أن الجانب التاريخي في نص أي مشروع يعد العمود الرئيسي في إقامة صرحه على قاعدة صلبة يقيها من الضعضة والوهن ويصلح تأوها ويدراً صدعها. ثم إن التاريخ هو ركاز الأمة المدفون في أعماق الزمن، تعود إليه كلما ضاقت بها السبل واشتدت عليها

¹ - المرجع نفسه، ص 28. منقول من وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي، ج3، دار المعارف، 1972، ص 33.

² - المرجع نفسه، ص 33-34.

³ - Bovier F et Chiasson-Desjardins S, L'appropriation conceptuelle dans un milieu urbain au premier cycle du secondaire en histoire et en éducation à la citoyenneté, Revue de l'interdisciplinarité Didactique, p73.

الأوصاب والأدواء لتأخذ منه العبرة والدواء. والأمة دون تاريخ شجرة مقطوعة من الجذور التي تعطيها الرونق وماء الحياة سرعان ما تذبل وتذوي وتنهار على الأرض قشاً بلا ثمن¹. إن التاريخ هو (السجل الثابت لماضي الأمة، باعتباره ديوان مفاخرها، ومدخر ذكرياتها، وثبتاً بانجازاتها في كل الميادين، هو الذي يحدد إلى درجة كبيرة آمالها وأمانيتها... فكل الذين يشتركون في ماض واحد يعتزون به، ويفخرون بمآثره، وينتسبون إليه هم أبناء أمة واحدة)²، لذا تحرص الأمم كل الحرص وتتصدى بحزم لكل محاولات التزييف التي تمس تاريخها من طرف الأمم الأخرى، بل وتخوض الحروب الطويلة لأجل ذلك، وهي تحرس دائماً على إعادة كتابة تاريخها وفق الشهادات الحية ممن عايشوا تلك الحقبات والمراحل، وهذا يدل على تمسك الأفراد والمجتمعات بتاريخهم ويعبر عن حبهم له، وهو التعبير الحقيقي عن المواطنة.

4-1-8/ التراث والعادات: التراث والعادات والأعراف، هي الثقافة المحلية

الخاصة، وهي (مجموعة المنجزات الفكرية والروحية لأمة من الأمم منذ فجر تاريخها حتى الزمن الحاضر... فهي مجموعة الأفكار والقيم والعقائد التي تعمل في مجموعها على تكوين السمات العامة التي تميز إنساناً عن إنساناً، أو جماعة عن جماعة، أو هي بعبارة أخرى حياة وطاقية وقيم وأفكار وأحاسيس، ومعنى هذا أن ثقافة الأمة تتسع لكل ما أبدعته عبقريتها، خلال مراحل التاريخ التي مرت بها منذ بدأت تعيش حياة اجتماعية)³، فهي في عمومها الأشياء الأولى التي عرفت بها المجتمعات أو ابتكرتها من مبادئ وقيم وسلوكات قبل ظهور المدنية والحضارات الكبيرة. لم تنصد القوانين والأديان للعادات والتقاليد إلا ما كان يتعارض مع الممارسات الإنسانية والسياسات الاجتماعية والوطنية العامة، بل عملت على تكريسها وبعثها من جديد، لأنها كانت ولا تزال عامل لحمة واتحاد. فالناس على اختلافها مجبولة على حب العادات والتقاليد المشتركة، وهي تحب الكارنافالات والأسواق الشعبية، مثل ما يعرف في المجتمع الجزائري بالتوزيع والتوزيع والوعدة المختلفة، والأشكال المختلفة للأعراس والاحتفالات الكثيرة، ولازال إلى اليوم معمولاً بهذه الدساتير الاجتماعية في الأرياف

1 - أ.المفتش دحماني محمد أرزقي، قراءة في القانون التوجيهي للتربية الوطنية، جريدة الخبر، السنة: 26، مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد: 9 سبتمبر 2016، ص17.

2 - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص34.

3 - المرجع نفسه، ص ص 39-40.

والقرى، التي تتميز بغياب القوانين والتنظيمات المدنية المتصلة بالمدينة. (الثقافة في جوهرها ظاهرة اجتماعية نفسية تحتل مكانها في عقول الأفراد ولا تجد تعبيراً عن نفسها إلا عن طريق هؤلاء الأفراد، لذلك فإن شخصية كل فرد في المجتمع إنما تتطور وتؤدي وظيفتها على أساس وجود ارتباط دائم بينها وبين الثقافة التي تنتمي إليها)¹.

تتكاتف كل هذه الثوابت المادية للمواطنة وتتفاعل فيما بينها، ويكون المواطن/الشعب فيها هو المثير الأول ونقطة الارتكاز التي تدور حولها كل الثوابت الأخرى، فلا يمكن أن نتحدث عن مواطنة بدون مواطن، فكل الثوابت الأخرى لا يمكن أن تقاس أو أن نتحدث عنها دون الإشارة إلى المواطن، إنه صانع كل شيء في الحياة، وهو البداية وهو النهاية، إنه روح المواطنة الحقيقية.

2/العناصر المعنوية: تتفاعل الثوابت المادية السابقة الذكر، مكونة نوعاً من

اللحمة ونوعاً من الاتحاد، فتصنع الوطن الكامل القائم والمتحد، لكن ما يبعث الحياة في تلك الثوابت ويجعل الوطن يتحرك وينمو ويحيا ويتطور هي الثوابت المعنوية، والتي يعتبر الإنسان/المواطن وطنها الأول، فهي كل مشاعر الحب والولاء والانتماء والشعور والغيرة على الوطن²، والابتعاد عن مشاعر التفرقة والجهوية والقومية المقيتة، وعدم التعصب للثوابت المادية ولا حتى للأفكار، والابتعاد عن التطرف مهما كانت صورته وأشكاله سواء للدين أو اللغة أو للجنس، ومن بين أهم الثوابت المعنوية:

2-1/حب الوطن: هو علاقة شعورية قديمة لدى الإنسان، وهي أساس الأخوة

والتعايش في أمن وسلام بين مجموعة من الأفراد، فالحياة هي مجموعة من العلاقات العاطفية والإنسانية، لذا يعتبر (حب الوطن والولاء له من القضايا التي تهتم بها المؤسسات التعليمية في العصر الحاضر، وذلك من خلال العملية التربوية بكل ما تشتمل عليه من مناهج وأنشطة وأهداف وطرق تدريس)³، حتى يتكوّن لدى الشباب نوعاً من الشعور الإيجابي تجاه الوطن والأمة، وحتى يعلم النشء الصاعد حب الإنسان لأخيه الإنسان وحب الإنسان للوطن ولأرض ككل، كل الأديان والأعراف والمعتقدات التي عرفها الإنسان تعلم الحب لا الكره،

¹ - المرجع نفسه، ص41.

² - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص86.

³ - المرجع نفسه، ص86.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من الدعاء، (عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد، فقال: هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لبتيها)¹، وهذا لدليل واضح على حب المكان والوطن، فهو ما يضمن استمرار الحياة على الأرض في سلام وأمن، فيصبح (حب الوطن هو حب الأرض والشعب، ويجسد بتضحية الفرد من أجل الوطن والشعب والأرض تضحية نابعة من شعوره بحب الوطن)².

علاقات الحب هي التي تصنع المجتمعات والدول والأوطان، بالحب نبني لا بالكره والضغينة، الكره عدو الحياة وعدو الإنسان، الحب هو التعبير الحقيقي عن المواطنة وعن الحياة السعيدة وعن المجتمعات المتحضرة، هو الذي يبني الفضاء الاجتماعي القائم على المساواة والعدل وعلى الحرية والاحترام المتبادل في ظل الوطن الواحد الذي يحوي كل المواطنين بلا تمييز ولا عنصرية ولا تعصب، يعامل الجميع على قدم المساواة في الحقوق والواجبات فيتفاعل فيه المواطنون بحب ودون إقصاء، ويعملون بجد وتقان لبناء وطنهم وحمايته، مستبعدة كل المشاكل التي تعترضهم، بحلول توافقية تخدم الوطن أكثر مما تخدم الأفراد على أساس التفاهم والمشاركة والانسجام والاتحاد ضمن فضاء من المفاهيم والأفكار المتفتحة والعالمية والإنسانية وهذه هي المواطنة الحقيقية، وهذه هي الوطنية التي تعني حب الوطن والدفاع عنه وبنائه وتشجيده وخدمته ونصرته وتلبية نداءاته عند الحاجة.

2-2/الغيرة على الوطن: المواطنة هي (تعبير عن التعلق أو الارتباط

الروحي والنفسي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه اللذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط يكون بإخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسؤولياته نحوه)³. إذن فالغيرة هي هذا الشعور الروحي والوجداني بحب الوطن والافتخار به والتضحية لأجله، والابتعاد عن كل مظاهر التعصب والقومية المفرطة والجهوية التي تعبّر عن الخواء الفكري وعن خلل في المواطنة، فلا عيب في الافتخار بديننا ولغتنا وتاريخنا ووطننا، لكن العيب عندما يؤدي بنا هذا الافتخار إلى الإقصاء والتفوق ورفض الآخر، إن هذا من أشد عوائق المواطنة التي يجب أن نعمل على محاربتها وأن

¹ - الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترميذي، الجامع الكبير، المجلد السادس، ص206.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص70.

³ - طارق غير الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص14.

نرتقي بكل مقوماتنا عن طريق الحوار وحوار الثقافات والأديان واللغات، فالوطن هو البيت الكبير التي تجمعنا على اختلاف ثقافتنا وألسنا ومعتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا، فيجب أن نتفاعل داخله ونكمل بعضنا البعض، ونغير على اختلافنا وتنوعنا وثراء وغنى ثقافتنا التي تتسع لكل شيء، عن طريق احترام الحريات والأفكار والاختلاف، هكذا نكون قوة عصرية متحضرة يحسب لها ألف حساب، ونلحق بركب الدول المتقدمة التي قطعت أشواط كبيرة في الرقي والتحضر، على الرغم من اختلافها في كل شيء، وعلى الرغم من تاريخها البشع الذي يشهد لها بالحروب الكبيرة بين أقطارها، لكنها تناست كل ذلك وتوحدت وهي متفرقة، هكذا يكون الوطن فوق أي اعتبار وقد قالها الرئيس الراحل محمد بوضياف "الجزائر أولا وقبل كل شيء" والوطن قبل كل شيء، خذوا كل شيء واتركوا الوطن.

2-3/الانتماء والولاء للوطن: هو مشاعر الفرد بالاعتزاز والفخر بالانتماء

للمجموعة والخضوع لها، وهو الشعور بالانتماء للوطن والولاء له وإلى المجتمع. وهو المشاركة في صناعة التاريخ الموحد والمشارك للجماعة وللامة وللوطن، والعمل بكل التنظيمات والقوانين والسلطات الفاعلة في الوطن. إن (الشعور بالانتماء مرتبط ارتباطا وثيقا بدافع الأمن، فأى فرد بحاجة إلى أن ينتمي إلى شخص معين أو إلى تنظيم اجتماعي كالأُسرة أو الدولة ليتقمص شخصيتها، ويوحد نفسه بها ويشعر فيها بالألفة والأمان والسكينة والأمن والهدوء والاستقرار)¹ وبالقوة، فيأتمن على شخصه وعلى ممتلكاته وعلى عائلته وبيته. ولكي تكتمل مواطنة الفرد يجب أن تتضمن (ولاءه وانتماءه الفكري والسلوكي للمجتمع الذي نشأ وعاش فيه بحيث يدرك الفرد حقوقه وواجباته تجاه هذا المجتمع ويعمل من أجل ضمان تقدم المجتمع واستقراره والدفاع عنه)² وعن الوطن، فالشعور بالانتماء يقوي العلاقات بين أفراد المجتمع ويصنع اللحمة والاتحاد والقوة، وتتضافر كل الجهود لخدمة الوطن والدفاع عليه، والعمل على تطويره والارتقاء به، فيهبّ الشعب هبة واحدة عندما يتطلب الأمر ذلك. أقل ما يقال عن شعور الانتماء والولاء أنه (الحب والبذل والعطاء والمسؤولية والتوازن بين المصلحة العامة، والمصلحة الخاصة والتعاون والمشاركة والاستعداد العميق والعمل

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 68.

² - طارق عبر الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص ص 16-17.

المتواصل لخير المجتمع والفخر والاعتزاز بالتضحية الوطنية)¹. وقد أعطى الشعب الجزائري الدرس والدليل في ذلك خلال الثورة التحريرية حيث قاموا كرجل واحد ضد المستعمر، متناسين كل المشاكل الجزئية والاختلافات الضيقة التي كانت ولا تزال تميز الشعب الجزائري الذي عودنا على التحامه واتحاده عند الضرورة. فرغم محاولات الإغراء التي كان يقوم بها المستعمر من حين لآخر، ورغم محاولات الإدماج وعمليات الطمس للتاريخ وللهوية والشخصية الوطنية، ومحاولة فرنسة الثقافة الجزائرية، إلا أن وعي المجتمع الجزائري وشعوره بالانتماء لهذا المجتمع حال دون ذلك، وفوّت كل فرص التفرقة والتضليل على الحاسدين والمتربصين. هذا هو الشعور بالانتماء للوطن والتمسك بالقيم والمبادئ الوطنية المتجذّرة في الشعب وفي المجتمع، وبالمثل والمبادئ الإنسانية العالية، وتوخي السلوكات المتحضرة التي تعبّر عن رقي المجتمع وتمدّنه، والإحساس أن هذا الوطن ليس لي وحدي ولكن يشاركني فيه الآخر والآخر والآخر. (فلا يمكن أن نعرف لذة العيش معاً، أو أي تأسيس لشعور وطني، دون المرور على مدرسة الحياة المدنية والخبرة الاجتماعية الحقيقية والممارسة الديمقراطية الفعلية، فالمواطنة هي ثمار الممارسة الحياتية المتواصلة، ونتاج ثقافة اجتماعية راقية مؤسسة على حقوق الإنسان والحرية)². وما يمكن التعبير عليه بخصوص الولاء والانتماء للوطن هو (الانتساب الحقيقي للدين والوطن روحاً وفكراً، وتجسيده بالجوارح عملاً، والرغبة في تقمص عضوية ذلك، وحبا واعتزازاً)³ بالانتساب للدين واللغة والوطن معاً.

كل هذه المشاعر والأحاسيس السابقة الذكر (تتأثر بجملة من العوامل الاجتماعية والسياسية والثقافية، فهي تتأثر بإشباع الحاجات وتحقيق الذات، والشعور بالأمن والأمان والعدالة والخدمات والرعاية الاجتماعية، وتتأثر كذلك سلباً)⁴ بغياب العوامل نفسها أو تردّيها. وكل تلك المشاعر والأحاسيس مرتبطة (بالتنشئة الاجتماعية الأولى الصحيحة للأفراد على علاقات السلطة والهيمنة والتبعية والخضوع)⁵، أي على التنشئة والتربية على المواطنة وتعليم الوطنية وعلى المبادئ والقيم الوطنية، وهو ما يساهم أيضاً في بثّ وبعث

¹ - المرجع السابق، ص70.

² - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, p49.

³ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص70.

⁴ - طارق غير الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص88.

⁵ - المرجع السابق، ص69.

الوعي لديهم بأهمية تاريخ الوطن وبطولاته وإنجازاته، والأهمية الإستراتيجية والجغرافية الطبيعية والاقتصادية للوطن، ومن ثمّ نضمن ممراً آمناً لأدراك الطفل وشعوره بكل الرموز الوطنية كالعلم والنشيد الوطنيين واحترام النظام السياسي للبلاد، ومعرفة حدود الحقوق والواجبات، فينشأ الطفل ويتعلم منذ صغره حب الوطن والالتزام بتنظيماته وقوانينه والعمل وتطبيقها، والإسهام والمشاركة في الأحداث الكبيرة ذات الصدى الوطني الكبيرة كالأعياد الدينية والوطنية التي دأبت المجتمعات على الاحتفال بها. إذن فغرس مشاعر الولاء والانتماء والغيرة وحب الوطن مرتبطة أساساً بالمؤسسة التعليمية أولاً، وبطبيعة النظام السياسي الحاكم ثانياً، وبنوعية المناهج التعليمية المعتمدة ثالثاً¹.

5- تطور مفهوم المواطنة: مما لا شك أن قضية المواطنة مرتبطة بالإنسان

أولاً وبالأرض ثانياً، وتطورها مرتبط هو الآخر بتطورهما، فهي مرتبطة بالحكم والمحكوم والوطن، وهي موجودة منذ أن وطأت قدم الإنسان هذه الأرض، لكن ممارساتها كانت تختلف من زمن لآخر وكانت تتطور كرونولوجياً واطراداً مع تطور حياة الإنسان، ولا يمكن إرجاعها إلى منبع واحد، بل إنها نتيجة التقاء ظروف وأزمنة وأمكنة متعددة مرتبطة بتطور الإنسان وتطور حياته. أما تتبع تطور مفهوم المواطنة فهو تتبع لتطور حياة الإنسان على الأرض منذ الرجل الأول، وتتبع لكل التغيرات التي عرقتها حياته وثقافته في جميع المجالات، المليئة بالأحداث والصراعات والحروب، بسبب حب السيطرة على الأرض وحب التملك، والتي تعود في مجملها لارتدادات ممارسات المواطنة.

اليونانيون القدامى عامة والأثينيون خاصة كان لهم السبق في كل شيء يمس ثقافة وحضارة الإنسان، وهم أول من مهد الطريق للبشرية في ممارسة المواطنة والحياة الجميلة، كان لهم الأفكار والتجارب الأولى في كل المجالات، وعرفوا السياسة، الاجتماع، التاريخ، الفلسفة، الفنون، الأدب، الطب، الفلك، وغيرها كثير من ميادين البحث. وهم بالطبع عرفوا ومارسوا الحكم. وعرفوا الديمقراطية والمواطنة هذه الفكرة الحرجة في السياسة الأرستقراطية، والتي مفادها أن المواطنين سواسية أمام القانون، ويشاركون على حد المساواة في صناعة القرار السياسي، وفي مهام السياسة وأدوارها في المدينة، الضامنة والجامعة

¹ - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 87.

للروابط الاجتماعية، من خلال الاعتراف بحقوق المواطنين وضمانها والمساواة والحرية وحق التنوع والاختلاف¹.

تمتد المواطنة في جذور التاريخ، لارتباطها بتطور حياة الإنسان وبحضارته وثقافته منذ أن وطأت قدماء الأرض لأول مرة، وإن كنا بصدد ربط المواطنة بالثقافة والحضارة، فإننا نشير إلى ربطها أولاً ببداية استقرار الإنسان وبداية تشكل المدن والمجتمعات القارّة، إنها الحديث عن علاقة المواطنة بالمجتمع المدني، فلا يمكن أن نتكلم بوضوح عن المواطنة في المجتمع الريفي الذي تحكمه العادات والطوطمية أكثر من التنظيمات والقوانين، أو الحديث عن المواطنة في المجتمع المتنقل الذي لا يستقر على حال ولا يمتلك أرضاً يقوم عليها، بل وجوده واستقراره تتحكم فيه أشياء أخرى غير الأرض كالماء والكأرغم أن هاذين الأخيرين عنصران مهمان في عملية تشكل الأرض.

إن تتبع قضية تطور مفهوم المواطنة لا يعني البحث في الأصول اللغوية لهذا المصطلح، ولكن يعني تتبع تاريخ تطور الأحداث الإنسانية، وبالتالي فتتبع المواطنة يقتضي منا البحث في تطور تاريخ أحداث حياة الإنسان عبر العصور، قبل أن يتضح ويتبلور مصطلح المواطنة كقضية إنسانية وسياسية واجتماعية وتربوية هامة، فهل المواطنة هي التاريخ نفسه؟ أم هي أحداث التاريخ؟، وهو ما جعل مادة التاريخ ذات أهمية كبيرة في برامج ومناهج العملية التعليمية العامة، فهي (المادة المناسبة لتدعيم التربية والتعليم على المواطنة)² والوطنية.

تطور الحركات الإنسانية/الاجتماعية منذ قيام أنظمة الحكم الأولى في بلاد الرافدين والفراعنة وفارس والصين والهند كان له التأثير الكبير على الحضارة الإنسانية في تصحيح الإيديولوجيات السياسية، وطرق ممارسة الحكم والعلاقة التي تحكم الحاكم بالمحكوم، ورسم مبادئ الحرية والمساواة والحقوق والواجبات، وبداية مشاركة الإنسان في صنع واقعه ومستقبله، وهو ما ساعد الإغريق والرومان على وضع أسس سياساتهم والتأسيس لفكرهم الوطني. الذي كان حتى بداية القرن الثامن عشر يتأرجح بين الحكم الحر

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p52.

² - Bovier F et Chiasson-Desjardins, L'appropriation conceptuelle dans un milieu urbain au premier cycle du secondaire en histoire et en éducation à la citoyenneté, Revue de l'interdisciplinarité Didactique, p59.

والمطلق، وتميزت كل الأنظمة الحاكمة بالمنافسة والتجديد سواء بين الحكّام أو المحكومين من أجل التفوق وتحسين الممارسة السياسية، وتحقيق رفاهية الإنسان/المواطن¹.

وقد أفرز هذا الصراع الإنساني التاريخي المستمر فكراً ومفهوماً مختلفاً للمواطنة، وحتى في الممارسة الحالية لها فإنها مرتبطة بالتوجهات السياسية والثقافية والحضارية والاقتصادية والإيديولوجية التربوية وحتى الدينية للشعوب والمجتمعات، لكن المواطنة تبقى جانباً مهماً في كل الممارسات السياسية والاجتماعية، وأساس مهم لكل أنظمة الحكم مهما كانت نوعيتها ديمقراطية أو دكتاتورية في توجيه السلوك الإنساني. لكن طرق رسم مبادئ الممارسة المواطنة تختلف من نظام لآخر، وتختلف حسب ردة الفعل التي يبديها كل مواطن تجاهها.

إن فكرة المواطنة ذات تاريخ طويل في أوروبا خاصة، تبدأ من أثينا اليونانية حتى الثورة الفرنسية سنة 1789، ففي اليونان كانت المواطنة من صنع الرجال الأحرار والكهنة، وكانت تعبّر عن الممارسة الحرة لدواليب الحكم والوظائف وصناعة القرار، إنها المأساة الحقيقية القائمة على عملية التطهير من كل السلوكات والانفعالات الفكرية والسلوكية التربوية غير المرغوب فيها، والتي لم تعد قادرة على مواكبة التطور الفكري. وهي التي تكلم عنها أرسطو وقال أنها فعل أخلاقي تام من صنع الأبطال الأحرار، الذين فتحت لهم الممارسة السياسية والمدنية بصفة كبيرة في الميدان الحكومي ومركز صنع القرار السياسي والاجتماعي²، وبعد عزل العبيد والفلاحين أصبح المواطن هو الإنسان الحر والبطل المخلص للأمة من الهموم والمخاطر وليس العبد السلبي.

بعد أثينا انتقلت الممارسات الحضارية والسياسية إلى روما، وبان جلياً أن العلاقة التي تتحكم في المواطنة هي علاقة سياسي بالاجتماعي، ولم تعد الممارسة السياسية من نصيب الأحرار والإبطال فقط بلا امتدت إلى جميع شرائح المجتمع، وهنا اقتربت المواطنة من مفهوم المشاركة، أي مشاركة الجميع في بناء الإمبراطورية الرومانية، وبظهور القوانين والتنظيمات والتشريعات نظراً لاتساع رقعة الإمبراطورية الرومانية ودخول كثير من الشعوب الأخرى في دائرتها، تطور مفهوم المواطنة من المشاركة إلى

¹ - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص47.

² - ينظر: أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، درط، دس ط، ص18.

مفهوم الحماية، لكن بصفة أقل عندما يتعلق الأمر بالعبيد والطبقات الفقيرة في المجتمع، وبعد الثورة الفرنسية 1789 انتقل إلى مفهوم المواطنة إلى الممارسة العصرية والمشاركة الانتخابية وبفضل الثورة الفرنسية أصبح للمفهوم كل المعاني التي يعرفها اليوم.

أما المواطنة لدى العرب والمسلمين، فلا يمكن الكلام عنها قبل مجيء الإسلام، كون العرب كانوا شعباً تحكمه الطوطمية والعصبية والإغارة. أما بمجيء الإسلام فقد أعطى للمواطنة بعداً آخر، فأصبحت في كنفه (صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم... فهي تعبّر عن الصلة التي تربط بين المسلم كفرد وعناصر الأمة كالأفراد المسلمين والحاكم والإمام، وتتوج هذه الصلات جميعاً الصلة التي تجمع بين المسلمين وحاكمهم من جهة وبين الأرض التي يقيمون عليها من جهة أخرى)¹. لقد انتقل الإسلام بالمجتمع العربي انتقالاتاً نوعياً، حيث بدأ بالاستقرار وبناء المدن والمساجد التي كانت بمثابة البرلمانات والمدارس والجامعات، وظهرت مبادئ جديدة في الممارسة السياسية كالشورى والعدل والمساواة بين جميع الناس الرجال والنساء، الأبيض والأسود، وعرفوا القصاص والجباية وتفتّنت التجارة وازدهرت الحركة العلمية، فذابت وانعدمت طبقة العبيد، وتحرّرت المرأة من الوأد حية، وظهر مفهوم جديد للحقوق والواجبات. كما تميز المسلمون بالتعايش والسلام والأمن فقد عاش بينهم غير المسلمين من العجم واليهود، وحافظ الإسلام على احترامهم وضمان حقوقهم، فمفهوم النظام (السياسي والاجتماعي في الإسلام يجعل المسيحيين واليهود أشخاصاً يشملهم هذا النظام "وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله"²، هذه هي المواطنة في الإسلام. والمعطيات التاريخية تبين أن أنموذج التعددية الجوارية يطبع التعايش ما بين الجماعات الاعتقادية في العالم الإسلامي، فإن الصفات العامة للمواطنة في كل الدول الإسلامية كانت تنطلق من الجماعة المسلمة والجماعات الأخرى فيما يرتبط بعلاقتها بالدولة)³. وهذا كان نوع من التحضر وقبول الآخر بين المسلمين، (المواطنة في الإسلام

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص ص 14-15.

² - سورة آل عمران، الآية: 199.

³ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص ص 52-53.

تتجاوز علاقة المواطن بوطنه مسقط رأسه إلى المجتمع الإنساني ككل فالمواطنة عبارة عن مستويات ودوائر متعددة من العلاقات تبدأ من علاقة المواطن المسلم بمجتمعه المحلي مروراً بالمجتمع...الإسلامي، وإنهاءً بالمجتمع الإنساني العالمي، وهذه العلاقة انبثقت منها حقوق وواجبات وتفاعلات محكومة بضوابط شرعية¹. لكن اتساع رقعة الدولة الإسلامية بفعل الفتوحات الكبيرة ودخول كثير من الأعاجم في الإسلام ووصولهم إلى مقاليد الحكم، بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، أدى إلى ظهور أشكال كثيرة من الفتن والتناحر بين المسلمين، والتنافس السياسي وحتى الحربي بينهم على الخلافة والزعامة، فتغير المفهوم بعد أن عرف استعمالات وممارسات متطورة، وعاد إلى مفهوم الحماية فقط، وبالتالي انحصر مفهوم المواطنة بين المواطنة الدينية الفوقية وبين المواطنة الدنيوية المبنية على الاجتهاد الإنساني.

أما ابن خلدون في كتابه المقدمة فربطها بالعمران والعصبية والقوة إذ يقول: (هذا الاجتماع ضروري للنوع الإنساني، وإلا لم يكمل وجودهم وما أراده الله من اعتمار العالم بهم واستخلافه إياهم، وهذا هو معنى العمران الذي جعلناه موضوعاً لهذا العلم... ثم إن هذا الاجتماع إذا حصل للبشر كما قرّرناه وتم عمران العالم بهم، فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض، لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم... فيكون ذلك الوازع واحد منهم يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة، حتى لا يصل أحد إلى غيره بعدوان، وهذا هو معنى الملك)². يشرح ابن خلدون هنا طريقة ممارسة الحكم، أو كيفية حدوث المواطنة، وهو يرى أن الناس يتنازلون لإنسان مثلهم يفوقهم قوة وجبروتاً، ليفرض سياسته بينهم ويحميهم من بعضهم البعض، ويضيف ابن خلدون فيقول: (وذلك أن الرئاسة لا تكون إلا بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية كما قدمناه. فلا بد في الرئاسة على القوم أن تكون من عصبية غالبية لعصبياتهم واحدة واحدة، لأن كل عصبية منهم إذا أحست بغلب عصبية الرئيس لهم أقروا بالإذعان والإتباع)³، يواصل ابن خلدون أن الناس يتنازلون لواحد منهم خوفاً منه وطواعية له، لأنه يفوقهم قوة وفتكاً، وقد تكلم هوبز عن هذا أيضاً فيما بعد وسماه قانون الغاب أو قانون القوة. نعود إلى ابن خلدون فكأنه قد أجاب مسبقاً عن تساؤل جون جاك

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 14.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص 58.

³ - المرجع نفسه، ص 145.

روسو في العقد الاجتماعي 1762 عندما تساءل: (يولد الإنسان حراً، ويوجد الإنسان مقيداً في كل مكان، وهو يظن أنه سيد الآخرين، وهو يظل عبداً أكثر منهم، وكيف وقع هذا التحول؟ أجهل ذلك)¹، ويضيف روسو فيقول: (بما أنه ليس لإنسان سلطان طبيعي على مثله، وبما أن القوة لا توجب أي حق، فإن العهود تظل أساساً لكل سلطان شرعي بين الناس)²، يربط جون جاك روسو العلاقة بني الحاكم والمحكوم بعلاقة شعورية ذاتية مبنية على العهد، وهنا تكون السيادة والطاعة للنفس التي أبرمت العقد، فهي تدين له وتؤمر بأوامره وتنتهي بنواهيها، لأنها أبرمته بإرادة وطوعية. وهي الأفكار التي سمحت فيما بعد بربط مفهوم المواطنة والحكم بمبادئ الجمهورية الحديثة في فرنسا، وبقيم الحرية والعدل وبالمساواة. يرى روسو أن نظام الحكم هو نتيجة الإرادة العامة، والتي كانت في أولها إرادة فردية خاصة، فالإرادة العامة هي التي تنظر للمصلحة المشتركة لجميع الإرادات الخاصة، وبما أن السلطة هي نتيجة الممارسات الإنسانية، فذلك المواطنة هي نتيجة لممارسات الإنسان وسلوكاته السياسية والاجتماعية ورغباته الحرة³، (إن نظام الحكم من صنع فكر الإنسان، فذلك المواطنة هي نتيجة لإرادة الإنسان)⁴. المشترك أنه في كل التطورات التاريخية التي عرفها الإنسان ارتبط مصطلح المواطنة بجملة من الحقوق والواجبات التي يغلب عليها الطابع السياسي والاجتماعي. فارتبطت مواطنة الإنسان في أول الأمر بنظام الغاب والقوة، فلقد كان لابد من نظام قوة ينظم الحياة، ويحفظ الحقوق ويحدد الواجبات. ثم ارتبطت المواطنة بنظام الانتخاب والاقتراع، فأصبحت تأخذ معنى حق الانتخاب من طرف المواطن الذي يبلغ عمر محدد، يختلف من مجتمع لآخر لكنه في أغلب الأحيان يتراوح بين 18 و21 سنة، وفي هذا الطرح الجديد أصبح هناك فرق بين الإنسان والمواطن، رغم أن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر سنة 1947 لم يحمل كلمة مواطن وإنما حمل كلمتا فرد وإنسان، (يولد جميع الناس أحراراً متساوين في الكرامة الحقوق، وقد وهبوا عقلاً وضميراً

1 - جون جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، تر: عادل زعيتير، ص29.

2 - المرجع نفسه، ص35.

3 - ينظر: المرجع نفسه، ص64.

4 - Monique Castillo, La citoyenneté en question, ellipses, paris, France, 2002, p29.

وعليهم أن يعامل بعضهم بعضاً بروح الإخاء)¹، (لكل فرد الحق في الحياة والحرية وسلامة شخصه)².

عندما ارتبطت المواطنة بالانتخاب أصبحت حقيقة وممارسة فعلية، لكن التطورات التي عرفتها أوروبا وأمريكا فيما يخص إرساء مبادئ المواطنة كممارسة وشعور، عزلت الأطفال والنساء، فانتظرت النساء سنة 1908 ليثرن في الولايات المتحدة، والمطالبة بحقوقهن، وهو ما كان لهن محققات بذلك مبدأ المساواة الفعلي مع الرجال، وهو المبدأ الذي مكنهن من ممارسة مواطنتهن كاملة، أضيف بعد ذلك لمفهوم المواطنة كل الحقوق الاجتماعية والسياسية والمدنية المشروعة قانوناً. لقد (شهد مبدأ المواطنة منذ نهاية القرن الثامن عشر إلى وقتنا الحاضر تطوراً ملموساً حيث شمل جميع فئات المواطنين البالغين والراشدين من كلا الجنسين، وتحسنت آليات ممارستها على أرض الواقع...حيث أن الجميع أصبح يتمتع بروح المشاركة واتخاذ القرارات بشكل جماعي كون الشعب هو المصدر لكل السلطات)³ عن طريق الاستحقاقات الانتخابية الوطنية المختلفة. وتطورت المواطنة شيئاً فشيئاً إلى أن أصبحت جزءاً من حياة الإنسان ككل، تدخل في كل ما له علاقة بوجوده وحياته، وفي كل (الخطابات الإنسانية وفي كل شيء، يرتبط بحياته، فهل بقي حقيقة هناك مفهوم محصور للمواطنة؟)⁴، وهل بقي جانباً لم تمسه المواطنة؟ إنها جوهر فلسفي كبير على علاقة بكل السلوكات والممارسات الاجتماعية والسياسية الإنسانية القديمة. أما بعض الأفكار العصرية المتأخرة فاعتبرت أن المواطنة والجنسية شيء واحد مثلما هو الحال في كندا. و(بعيدا عن كل هذه التساؤلات المتعلقة بمفهوم المواطنة في الوضع الحالي، تبقى المواطنة مطروحة على مستوى أساساتها النظرية، من منظور خاص بالسيادة الوطنية وحتى بالديمقراطية)⁵.

6- المواطنة حقوق وواجبات: كما رأينا أن المواطنة عبارة عن تفاعل كثير

من العناصر أهمها العنصر البشري الفردي/المواطن، العنصر الاجتماعي الجماعي/المجتمع والحكومة والعنصر الطبيعي رقعة أرضية محددة/الوطن، وهي كل هذا الفضاء المشكل من

1 - الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، سنة 1947، المادة الأولى.

2 - الإعلان نفسه، المادة الثالثة.

3 - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص42.

4 - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p33.

5 - Ibid, p34.

تفاعل تلك العناصر، الفضاء الذي يسمح للبشر بممارسة حياتهم، وتحسين وسائل عيشهم، وفق قواعد ونظم وقوانين تحدد سيرورته. إن تلك النظم والقوانين هي مجموعته الحقوق والواجبات التي يتمتع بها كل طرف سواء المواطن أو المجتمع أو النظام الحاكم على أرض الوطن ككل، ويمثل فيها العنصر البشري اللبنة الأولى باعتباره الوسيلة الفاعلة والهامة، فهو أساس المجتمع وهو الهرم الحاكم وهو الحامل والممثل لكل الحقوق والواجبات، وهو أساس الحركة والتفاعل والمنورة البناءة، وبه يتم التغيير والاستمرار والتطور في الممارسات السلوكية الاجتماعية والمدنية السياسية، والعمل على تقدم الوطن، وتحسين صورته وصورة أفرادها في أعين الأمم والأوطان الأخرى. لكن لتحقيق هذا الاستمرار والتطور المعيشي والاجتماعي، يجب أن تكون هناك علاقات محددة ومتينة بين الجميع على أرض الوطن، وفق تاريخ وثقافة وعادات وتقاليد ومعتقدات وإيديولوجية كل أمة وكل مجتمع، فيعرف كل طرف حقوقه وواجباته، ومجال وحدود مناوراته وفضاء عمله وممارساته¹. لأن كل السياسات الحديثة تقوم على مبدأ التخصص والتحديد في إطار الشفافية والاحترام والحكم الراشد والديمقراطية العصرية. لبلورة مفهوم المواطنة وترجمته لممارسات وسلوكيات وتصرفات متمثلة في مجموعة من الحقوق والواجبات المحترمة من كل طرف.

من كل ماسبق هل يمكننا القول أن المواطنة تتلخص في الحقوق والواجبات فقط؟ إلى حد بعيد هي كذلك. لكن (هذه الحقوق والواجبات التي تكوّن المواطنة تتنوع من مجتمع لآخر وعلى الرغم من اختلافها فإن بينها قواسم مشتركة لها حدود لا ينبغي التنازل عنها ولعل من أهمها التساوي بين جميع المواطنين في حقوق المواطنة وواجباتها، وتيسير سبل التعاون والولاء بينهم للوطن الذي يعيشون فيه)². بالإضافة إلى تصرفات البشر الشخصية المختلفة، والتي تعبر عن طرق وأنماط حياتهم، وعن ردود أفعالهم تجاه بعض المثيرات الاجتماعية والطبيعية، وهي إلى ذلك تعبر أيضا عن ممارساتهم لحرياتهم في إطار الاحترام التام للحريات الأخرى. أما الحقوق والواجبات فهي في أغلب الأحيان محددة سواء بالقوانين والتنظيمات أو بتعاليم الأديان والمعتقدات والعادات والتقاليد، لذا فهي تختلف من شعب لآخر ومن أمة لأخرى، لكنها تتشابه في البعض الكبير منها الذي يأخذ طابع الإنسانية

¹ - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص13.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وحقوق الإنسان، وتختلف باختلاف مجالات الحياة الإنسانية، وتتنوع بتنوع المستويات الثقافية والاجتماعية والسياسية. يبقى الحق في المواطنة الحق الأبرز لدى جميع الشعوب، جاء في الدستور الجزائري المواد 29-31-32-44 (كل المواطنين سواسية أمام القانون- تستهدف المؤسسات ضمان مساواة كل المواطنين والمواطنات في الحقوق والواجبات – الحريات الأساسية وحقوق الإنسان والمواطن مضمونة – يحق لكل مواطن أن يتمتع بحقوقه المدنية والسياسية وأن يختار بحرية موطن إقامته وأن ينتقل عبر التراب الوطني)¹. ومن حقوق المواطنة أيضا (التمتع بإحدى الحقوق السياسية كحق الانتخاب وحق الترشح والحق في الإعلام والتجمع، أو الحقوق الاجتماعية كالحق في الصحة والتربية والعمل والسكن أو الحقوق المدنية الحق في الحرية الشخصية، وحرية التعبير وحرية التملك، وهي الحقوق التي تعبر عن المواطنة المدنية والمواطنة السياسية والمواطنة الاجتماعية)². لكن رغم (المكاسب التي حققتها حقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطية في كل منطقة من مناطق العالم، مازال الكثير من البشر يعيشون في خوف ويحلمون بالحرية يوما ما)³، لأن المواطنة الشاملة أو العالمية (تستند إلى تمتع المواطنين بكافة الحقوق السياسية والقانونية والاجتماعية والثقافية، وهو ما يعني قيام عقد اجتماعي يؤكد على أن المواطنة في الأمة هي مصدر كل الحقوق والواجبات، وأيضا هي مصدر لرفض أي تحيز فيها يتعلق بالحقوق والواجبات وفق أي معيار سواء كان الجنس أو الدين أو العرق أو الثروة أو اللغة أو الثقافة لذلك فمن الضروري التأكيد على التلازم بين الحقوق والواجبات القانونية والسياسية والحقوق الاجتماعية والاقتصادية والثقافية حتى تتحقق الديمقراطية الكاملة)⁴ ومواطنة الديمقراطية. وأهم الحقوق والواجبات هي:

1-6/الحقوق: تشكّل (حقوق الإنسان كلاً لا يتجزأ...يتمتع بها جميع

الأشخاص دون تمييز على أساس اللون أو الجنس أو البلد أو الدين أو الثروة أو الرأي. إنها تقوم على قيم كونية "الكرامة، الحرية، العدالة" وهذه القيم تعتبر مثلاً أعلى في البشرية، ومبادئ قادرة على تنظيم حياة البشر...وهي تعتبر بعض الأفعال أفعالا غير إنسانية مثل

¹ - الدستور الجزائري، لسنة 1996 الفصل الرابع، ص 13 – 15.

² - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p167.

³ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص77.

⁴ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص41.

العبودية والتعذيب والحرمان من الحرية)¹. ولا يمكن فصل فعل وممارسة المواطنة الحقيقية (عن مجموعة الحقوق الاجتماعية الأساسية "كالحق في العمل، في السكن، في الصحة، في التربية وفي الحماية الاجتماعية"، وهو هنا لا يتعلق بمواطنة اجتماعية، ولكن بشروط اجتماعية تضمن ممارسة المواطنة الحقيقية في المجتمع وفي الحياة)²، وأهم الحقوق الفردية التي يناشدها الفرد في المجتمع لضمان ممارسة مواطنة حقيقية هي:

-/ الحق في الحياة: لكل مواطن الحق في الحياة، والحق في توفير التأمين الكافي لحياته، والمساواة مع جميع الأفراد الذين يتقاسمون معه العيش على أرض الوطن الواحد، ويجب محاربة كل أشكال العبودية والتعذيب والاتجار بالبشر، وكل أشكال التمييز العنصري، ضمان حرية كل مواطن والمساواة أمام القانون واحترام حريات الآخرين، ويجب الحذر من (العبودية الجديدة المطبقة في المجتمعات المعاصرة، ليس بصفة مؤسساتية منظمة لأن العبودية القديمة تم القضاء عليها رسمياً منذ زمن بعيد، لكن وضع العبودية موجود وحاضر دائماً بنفس الأشكال القديمة، فكثير من الأفراد لا يتمتعون بكل حقوق البقاء على قيد الحياة، إلا ما يستفيدون منه نظير بعض الخدمات التي يقدمونها، دون التمتع بالحماية في ظروف عملهم وفي حياتهم ووجودهم ككل)³.

-/ الحق في الأمن والحماية: لكل مواطن الحق في الأمن على شخصه وعائلته وممتلكاته، وحمايته من كل عمليات الابتزاز والتوقيفات التعسفية، والاستفادة من حماية القانون له في إطار احترام التنظيمات المعمول بها، والحق في الامتلاك الخاص وحق المساهمة والاستثمار في كل المشاريع والأعمال الوطنية .

-/ الحق في التمتع بحرية كاملة داخل الوطن (فإن تكون مواطناً هي أن تكون حراً في الدولة الحرة، وهو تعريف عام لا يصف الحرية بمثالية، ولكنه يعني القدرة على ممارسة هذا الحق بفعالية)⁴ في الدولة وفي الوطن. ويشمل حق كل مواطن في حرية السفر والانتقال داخل الوطن، وحرية الإقامة قانوناً في حدود تراب الدولة والوطن، وحق الخروج والدخول من وإلى أرض الوطن، في إطار ما تسمح به التنظيمات والقوانين

¹ - المرجع السابق، ص 77.

² - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p64.

³ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p15.

⁴ - Ibid, p15.

المعمول بها، وبما به تسمح حقوق الجوار والعلاقات الثنائية التي تربط الوطن بالدول الأخرى، وقوانين تنقل وعبور الأشخاص والسلع.

-/ الحق في حرية التعبير والفكر دون التعرض للقفز أو المساس بحدود أو حريات الآخرين، والحق في تبني أيًا من الآراء الفكرية والإيديولوجية بحرية وفي ظل الاحترام المتبادل، واحترام قواعد الاختلاف البناء ومحاربة سياسة الإقصاء، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، (فالمواطن رجل حر ليس بالمعنى الميتافيزيقي أو المجرد، وباستبعاد بعض المهام الضرورية والحيوية للبقاء على الحياة، يمكن أن يتفرغ لمهمة المواطن الحقيقية، فحرية المواطن ليست من وحي الخيال)¹، ولكنها واقع وممارسة ومواطنة.

-/ الحق في حرية التدين (والاعتقاد والإيمان، وحق الامتلاك...والحق في العدالة)² والمساواة، وحرية الدين والتدين، في إطار احترام كل القوانين والتنظيمات المتعلقة بممارسة الشعائر الدينية، بالإضافة للحق في الكلام وحرية التعبير عن المعتقد، والحق في استعمال كل اللغات الإنسانية المعروفة وفق النظم والقوانين المعمول بها. واحترام حرمان الأشخاص وحرمان منازلهم، وعدم التدخل في شؤونهم الأسرية والعائلية، إلا فيما يسمح به القانون والتنظيم المعمول به، وعدم المساس بعزة الإنسان وكرامته وشرفه وشخصه.

-/ الحق في التحزب والعضوية والمشاركة (في القوى السياسية الموجودة في المجتمع باعتبار أن المواطن عضو فاعل في السلطة السياسية، أو كناخب لهذه القوى السياسية)³. فهو حق لكل مواطن بلغ السن القانونية في الانتخاب واختيار ممثليه في المجالس المحلية والنيابية، وحق الترشح لتولي المناصب الإدارية والسياسية إذا استوفى الشروط المعمول بها، واحترم التنظيم الساري المفعول، بالإضافة إلى حق العضوية والمشاركة محليا ووطنيا في الأحزاب والجمعيات المختلفة الفاعلة في الساحة المحلية والوطنية، (فمعنى أن تكون مواطنا؟ أن يكون لك الحق في الانتخاب... لأن الدخول إلى المواطنة عبر الانتخاب يعتبر في كثير من الأحيان من المسلمات، وشيء عادي وربما تافه، وهو أن الاقتراع العام تحول إلى حق سياسي طبيعي)⁴.

¹ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p15.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص31.

³ - المرجع نفسه، ص32.

⁴ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p5.

-/ الحق في العمل وتكافؤ الفرص، و الحق في المشاركة في مسابقات التوظيف المختلفة، والحق في توفير مبدأ تكافؤ الفرص أمام الجميع بطريقة عادلة ومتساوية وعدم إقصاء أي فرد، (فتنبع أهمية التكافؤ في الفرص التعليمية وفي العمل من ارتباطها بالتكافؤ في فرص الحياة ذاتها وسائر متطلبات العدالة الاجتماعية)¹ والحياتية للإنسان، والابتعاد عن كل مظاهر التمييز للعرق أو الجنس أو اللون أو الدين، وتوظيف كل الظروف التي تضمن العمل الكريم والأمن والذي لا يمس بكرامة أو شخصية المواطن. بالإضافة على حق تقلد الوظائف العامة في كل الجماعات المحلية والمرافق العمومية ودواليب الدولة والحق، والمشاركة في التنمية الوطنية والفاعلية في الاقتصاد الوطني، والحق في تأسيس الحركات المطالبة التي تدافع عن حقوق العمال، وتحسين ظروف العيش الكريم أثناء العمل وبعد الإحالة على التقاعد، (وإذا كانت الدولة هي الموظف فيجب عليها احترام مبادئ دولة القانون والحق، كتكافؤ الفرص والمساواة في معالجة جميع المواطنين بنفس القوانين والوسائل)².

-/ الحق في تمتع المواطن بالرفاهية الاقتصادية والأمان الاجتماعي والتمتع بحياة أفضل، والحق في الحماية الاجتماعية والرعاية الصحية³، وذلك من خلال التأمين الاجتماعي، وتوفير الرعاية الصحية وتحسين المعيشة الاجتماعية، وتوفير الحد الأدنى من الغذاء عند الحاجة، حماية الأيتام والمسنين وحماية المرأة والطفل على السواء، بالإضافة إلى توفير السكن وتوفير سبل تحسينه، وتحسين فضاءات ومساحات ممارسة الرياضة في محيط مهياً ونظيف عملاً بمبدأ العقل السليم في الجسم السليم.

-/ الحق في التعليم والتكوين ومحاربة الأمية والتسرب المدرسي من خلال وضع خطة وميكانيزمات محفزة للاقبال على الدراسة والتكوين، لتحسين ثقافة الأفراد واستثمارهم استثماراً إيجابية يعود بالفائدة على الفرد نفسه أولاً وعلى المجتمع والوطن. دون أن ننسى الحق في متابعة التعليم العالي ولوج ميادين البحث العلمي المتطور، وذلك أيضاً من خلال توفير مخابر البحث وتشبيد الجامعات والمعاهد.

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص26.

² - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p10.

³ - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية، ص32.

-/ العدالة والمساواة في المحاكم والحق في التوجه لكل المحاكم والمجالس القضائية والحق في مرافعات عادلة، وضمان كل الحقوق والامتيازات التي يضمنها الدستور والقوانين والتنظيمات المعمول بها في الوطن، بكل عدل ومساواة بين جميع المواطنين على حد سواء.

ما سبق ذكره من حقوق (وكل الحقوق المختلفة المدنية، السياسية، الخاصة/الفردية/الشخصية، المهنية والاجتماعية هي المؤسسة للمواطنة العصرية)¹، وهي أهم الحقوق التي يمكن أن تضمن لنا مواطنة ناجحة، لذا يجب على كل الهيئات التربوية السهر على تمريرها وتعليمها للنشء من خلال تحيين البرامج التعليمية وتفعيلها بما يطلبه المتعلمون، وعملا بما تطلبه المواطنة الحديثة والعصرية القائمة على احترام الحقوق لضمان أداء الواجبات .

2-6/الواجبات: -/ على المواطن أن يحب وطنه ويدافع عنه بماله وقوته، ويصد كل الهجمات التي يتعرض لها سواء كان ذلك ثقافيا أو حربيا. وأن يعمل على تطويره والمساهمة في إنمائه وبنائه، ويجب أن يكون جاهزا للرد على أي هجوم يتعرض له الوطن بقلمه ولسانه وبيده وبماله، ويكون جاهزا لتلبية نداء الوطن في أي وقت، وأن يثبت ذلك ويبرهن عليه بحماس وحب كبيرين، وهو إلى ذلك مدعو للحفاظ على كل الممتلكات والإنجازات والمكاسب العمومية والوطنية والمرافق الاجتماعية والحضارية وصيانة كل الإنجازات والمنشآت التي شيدت على أرض الوطن ، فعليه العمل على تنمية الدولة والوطن. -/ على المواطن أن يكون على دراية واسعة بكل القوانين والتنظيمات المعمول بها على أرض الوطن الذي يقيم عليه، وطاعتها والعمل بها وتطبيقها وحمايتها، والتدخل لردع من ينتهكها مباشرة أو بإعلام السلطات الأمنية المسؤولة على ذلك، والمخولة قانونا للتدخل لأجل ردع المخالفين، وتطبيق كل العقوبات القانونية لذلك.

-/ يجب على المواطن تلبية كل الخدمات الواجبة عليه كمواطن كأداء واجب الخدمة الوطنية العسكرية، والاستجابة لنداء الوطن عند كل خطر محقق به، وكلنا يتذكر كيف تجند كل البريطانيين شيوخ ونساء وشباب عند قدوم الخطر الألماني قبيل الحرب

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p165.

العالمية الثانية. وعلى المواطن تسديد كل الإتاوات والفواتير المترتبة على استعمالاته واستهلاكاته نظير الخدمات التي تلقاها واستفاد منها، وعليه دفع كل الضرائب والجبايات التي تفرضها القوانين والتنظيمات المعمول به في أرض الوطن، ويتفادى كل مظاهر التهرب الضريبي والجبايي.

-/ على المواطن احترام قوانين النقد والصفقات وقوانين السوق والاقتصاد، وعليه محاربة كل مظاهر الفساد والرشوة والاحتكار والمضاربة، وعدم المتاجرة في الممنوعات، والابتعاد عن تهريب السلع على الحدود، وعن مظاهر التحويلات غير القانونية للأموال، وهذا من أجل حماية اقتصاد البلد والمساهمة في تطويره وتنويعه.

-/ على المواطن الحفاظ على المحيط والبيئة وحمايتهما من كل مظاهر التلوث والأوبئة، وعليه الحفاظ على التراث الوطني، من خلال صيانة المتاحف والاعتناء بها، والحفاظ على كل الآثار المنتشرة على طول التراب الوطني، هذه الآثار التي تعبر عن بطولات وانجازات السلف الذين أسسوا وبنوا وشيدوا واستشهدوا بالأمس من أجل وطن اليوم. والمواطن مطالب أيضا بمعرفة تاريخ وبطولات وطنه، ومعرفة كل الأبطال الذين دافعوا ورفعوا عاليا راية الوطن ودافعوا عليه في أحلك الظروف، وعليه تمجيد كل ذلك ونقله من السلف إلى النشء الجديد، وعليه البحث باستمرار في تاريخ بلاده ودراسته (لأن دراسة التاريخ وتعليمه هي الوسيلة الوحيدة التي تمكن النشء من تطوير بعض الأفكار والمراجع/المرجعيات القريبة منهم أو من العالم الذي يعيشون ويكبرون فيه)¹.

-/ يجب على المواطن أن يكون على دراية تامة بكل الحقوق التي يضمنها له القانون، ولا يكتفي بهذا فقط بل عليه أن يعرف حدودها، وعليه أن يطالب بها في إطار القانون، بكل الطرق الحضارية والمدنية في جو من الاحترام المتبادل.

تعتبر الحقوق والواجبات واقع طبيعي ومنطقي وضروري في ظل نظام المواطنة، فهو النظام الديمقراطي الذي يتساوى فيه الجميع دون تمييز مهما كان نوعه أو شكله. فالحقوق والواجبات هي المشكل الأساسي للمواطنة التي تختلف حدودها من بلد لآخر، ويتحكم فيها تاريخ الأمم وعاداتها وتقاليدها ونظمها ودساتيرها، وللمواطنة الديمقراطية دور

¹ - Bovier F et Chiasson-Desjardins S, L'appropriation conceptuelle dans un milieu urbain au premier cycle du secondaire en histoire et en éducation à la citoyenneté, Revue de l'interdisciplinarité Didactique, p75.

كبير في الحفاظ على ارث الأمة ووحدة الوطن واستمراره وتطوره، ورسم معالم الشخصية الوطنية وتميزها، وتشكيل شخصية الفرد الفاعلة والمشاركة والنافعة لنفسها والمجتمع وللوطن.

ما يمكن الإشارة إليه في هذا المجال أن الحرمان من بعض الحقوق قد يؤثر سلباً على أداء بعض الواجبات، وهذا ما يطرح خلافاً في ممارسة المواطنة ويدفع الإنسان إلى التمرد وإظهار مواطنة سلبية في المجتمع وفي الوطن، (فهؤلاء الذين لهم صفة المواطنة ولا يستطيعون ممارستها، لأنهم مقصيين ومستبعدين في الواقع الاجتماعي من ممارسة المواطنة، هؤلاء هم المعوزين الذين يعيشون الفقر المدقع، أزمة التوظيف بينت أن المواطنة الفعلية والممارسة والمشاركة الاجتماعية لا يمكن تنميتها وتحسينها إلا من خلال ضمان وتأمين الحق في العمل، لأنه في ظل البطالة يتعذر على العمال ممارسة حقوقهم)¹.

7- الفرق بين الوطنية والمواطنة: تميزت حياة الإنسان في السنوات

الأخيرة بتطورات وتغيرات مثيرة وعجيبة مست كل نواحي المعيشة والعلاقات التي تربط الإنسان بمحيطه الاجتماعي والسياسي، لذا توجست بعض الأمم والمجتمعات من مصيرها وخافت على تماسكها، وانتابها الحيرة والشك من المستقبل الذي ينتظرها. وذلك بالنظر إلى المعطيات الجديدة التي تفرضها العولمة وسائل الاتصال الاجتماعي الجديدة، والتغيرات الاجتماعية المتسارعة المتأثرة بالتطور العلمي والتكنولوجي الباهر، فخافت أن تؤثر على قيمها ومبادئها وعاداتها وتقاليدها العريقة، وخاصة تلك المجتمعات ذات البعد الديني المعروف، فالعولمة تتناقض مع الوطنية والمحلية التي تهدف إلى إحياء التراث والثقافة المحلية والحفاظ عليها، في حين تذهب العولمة إلى تذويب كل ذلك في بوتقة واحدة². لكن هذا الخوف والريبة والشك لا يعني أنه سيدفعها للتفوق أو العيش في جزيرة معزولة، إذ أنه (لا يسمح بانغلاق الشعوب على نفسها، أو الانكفاء على ماضيها، أو تقديس تراثها لتصبح سجيناً له... إن العولمة تفرض تحديات كبرى على الأمم والشعوب)³، ويجب الخوض في هذا العالم الموحد والمتربط والمتصل والإقبال عليه، دون المساس بالهوية والتاريخ والاعتقاد

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p165.

² - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص102.

³ - المرجع نفسه، ص103.

وبالعادات والتقاليد، وهو الشيء الذي لا يتأتى إلا بالتربية والتكوين المستمر على القيم والمبادئ الخاصة، حتى نكون في أفراد مجتمعاتنا قاعدة شخصية متينة لا تنزع بك كل تلك المهددات الثقافية والإعلامية، ومتشعبة بالمعارف والقيم والمبادئ، التي تمكنهم من التفاعل والتأثير والعيش، ودون أن يؤثر ذلك على واقعنا وتاريخنا وهويتنا، ونجعل من ذلك وقود التطور والنماء ونستثمره استثمارا جيدا من خلال حوار الثقافات والأديان البناء، وهو ما يدعونا لإعادة النظر في بعض المصطلحات وتحديدها وتصنيفها كالوطنية والمواطنة، (ويقودنا للتساؤل عن موقع الوطنية - المواطنة، وحول وزن المجتمع المدني في تفكيك المواطنة...مواطنة بالوراثة ومواطنة بالشعور. وأفضل فرق هو حق الإنسان وحق المواطن...الأولى هي حريات والثانية هي قوى الحكم)¹.

يواجه الكثير من الممارسين والدارسين التباسا في التفريق بين الوطنية والمواطنة ويخلط الكثير بين هاذين المفهومين، فيستعملون كلمة المواطنة للدلالة على الوطنية والعكس، في حين أن المصطلحين بينهما فرق كبير، لكنهما مرتبطين ببعضهما البعض، ونجاح الواحدة مرتبط بنجاح الأخرى، فلا يمكن الكلام عن المواطنة دون الحديث عن رسم جيد لقواعد وحدود الوطنية. إن هذه الأخيرة تعبّر عن الجانب النظري والتشريعي في حين تعبّر المواطنة عن الجانب التطبيقي والميداني، (فصفة الوطنية أكثر عمقا من صفة المواطنة أو أنها أعلى درجات المواطنة، فالفرد يكتسب المواطنة بمجرد انتسابه إلى جماعة أو دولة معينة، ولكنه لا يكتسب الوطنية)²، التي تبقى شعورا وجدانيا فطريا تجاه الأرض التي ولدنا عليها وولد عليها أبائنا وأجدادنا.

بيّن الأستاذ عبد المحسن بن عبد الله الماضي الفرق بين الوطنية والمواطنة، حيث قال: (المتفق عليه أن الوطنية شعور والمواطنة ممارسة. والوطنية حب ووفاء بينما المواطنة قبول "برضا أو بتبرم". والوطنية حرارة وانفعال وجداني أما المواطنة فهي سلوك وتصرفات. والوطنية شعور يحضر في المناسبات العامة. أما المواطنة فهي الأداء الفردي للواجبات اليومية. والوطنية ارتباط عاطفي بالأرض والمجتمع، بينما المواطنة ارتباط عملي...والوطنية حس قلبي ضميري داخلي، أما المواطنة فهي سلوك فعلي ظاهر. والوطنية

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p5.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص52.

لا تعدُّ فيها ولا تبدُّل، أما المواطنة فهي التكيُّف والمرونة بما تعنيه من تغَيُّر وتبدُّل. أي أن الوطنية نتيجة لواقع بينما المواطنة وسيلة لهدف. ومن المتفق عليه أيضاً أن الوطنية هي محصلة للمواطنة. فلا وطنية جيدة بدون مواطنة جيدة. الوطنية ذات علاقة بالتاريخ والهوية. أما المواطنة فهي التناغم والإيقاع الحياتي اليومي. الوطنية مرتبطة بالأرض وبالمجتمع. بينما المواطنة مرتبطة بالمعيشة اليومية في بلدك، أو بلد غير بلدك. الوطنية لا تشترط الالتزام بالقيم والمفاهيم المجتمعية، بينما لا مواطنة دون التزام بهما. وإذا كانت قمة الوطنية أن تتجاوز القوانين والأنظمة ونواميس الحياة في سبيل وطنك. فإن قمة المواطنة هي الالتزام بالقوانين والأنظمة. أخيراً الوطنية ممكن أن تفقد مالك أو حياتك بسببها، أما المواطنة فيمكن أن تفقدها بسبب نضوب الفائدة أو بسبب مالك أو حياتك¹.

فالوطنية هي أفكار ومشاعر مجردة، وهي الأبعاد التنظيرية والقاعدية التي يجب أن يكون الأفراد على دراية بها، إنها الملكة التي يجب أن يتمتع بها كل فرد وينميها من خلال التربية والتعليم. وهي تمثِّل وجداني لجميع الحقوق والواجبات المحددة قانوناً، (هي حالة الانتماء إلى الأمة أو المجتمع الثقافي، الذي يملك وحدة تعود لأصول مختلفة ومتنوعة، والوحدة يمكن أن تكون تاريخية، سياسية، إثنية، لغوية أو دينية)²، ويمكن القول أن الوطنية هي القيم والمبادئ والعادات والتقاليد المكرسة والمترسبة في أذهان الأفراد، والتي أساسها الحق، الخير، الجمال، العدل والمساواة والعيش السعيد. أما المواطنة فهي ما يعبر عن الجانب التطبيقي، إنها الممارسات والسلوكيات الاجتماعية والسياسية الفعلية في الحياة وفي الوطن، المواطنة هي كل النتائج الثقافية والحضارية، التي توصل إليها الإنسان من خلال تطوير حياته لأجل الوصول إلى حياة أفضل واسعد. إنها ردود الفعل تجاه مثيرات الطبيعة من خلال تصورات الإنسان وترسباته الفكرية والنظرية، وما يعرفه عن أسباب العيش الحسن. وهي كل السلوكيات والأفعال المشاهدة في مسرح الحياة، والتي يقوم بها الأفراد داخل المجتمع المكون من الفرد والمجموعة والنظام، والمواطنة لا تتحقق إلا من خلال التفاعل المثمر بين كل هؤلاء الممثلين والفاعلين على الأرض، وفي هذا يقول الأستاذ عبد المحسن

¹ - عبد العزيز قریش، مفهوم المواطنة وحقوق المواطن، الجزء الرابع، الموقع الإلكتروني: <http://www.oujdacity.net>، بتاريخ: 06 جويلية 2017، منقول عن الموقع: <http://www.algazalschool.com>.

² - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, ellipses, paris, France, p167.

بن عبد الله الماضي في هذا الشأن : (أن المسافة بين الوطن والمواطن لا تجسرهما ولا تجسدها محض كلمات ومشاعر وشعارات، ولكن التجسيد والتجسير يتمثل في سلوك المواطن بين حقوقه وواجباته! وهو السلوك الذي يعكس حقيقة المواطنة وفاء وانتماء .. المواطنة الحققة هي تمثّل سلوكي للحقوق والواجبات وعدم تغليب أي منها على الآخر! .. إن المواطنة الحقيقية وفاء وانتماء يجب أن يعبر عنها بسلوك وطني منتمٍ فعلاً لا قولاً.. مُواطنة تستشعر الواجبات بنسق متوازٍ ومتوازن مع الحقوق! مُواطنة .. تستشعر أن الإخلاص في أداء الواجب هي ممارسة حق الوطن تجاه مواطن آخر. مُواطنة.. تضيء التربوي من الداخل برقابة ذاتية وليس وهج ضوء يسلطه الآخرون عليه من الخارج. إن المواطنة السلوكية الواعية بالحقوق والواجبات هي الانتماء الحقيقي)¹ للوطن وللاُمة.

فالاستعمال الجيد للمواطنة وتطبيقها في الميدان هو الإجابة على السؤال: (كيف نبني عالم أو مجتمع أو وطن انطلاقاً من أفراد متساوين ومختلفين ومتنافسين؟)²، فممارسة المواطنة هي الأساس لبناء دولة حضارية قائمة على الاحترام المتبادل بين الأفراد، في ظل التنوع والتعدد الثقافي والديني، أساسها العيش الآمن في الوطن الواحد، والتعاون على حماية الوطن والعمل على تطويره وإعلاء رايته. فالمواطنة ليست شعارات نرفعها ولقاءات نعقدها، وإنما هي عمل قاعدي كبير يستهدف فئة محددة من المجتمع هي ذلك النشء الكبير، حتى يكون مسلحاً للدفاع والذود على وطنه وثقافته وتاريخه. فهي تتطلب نوعاً من الأهلية والنضج السياسي والاجتماعي، (فممارسة المواطنة والتحلي بها في المجتمع يعطي الانطباع عن معنى مجرد للوطنية، وإلى مشروع المجتمع الذي هو بناء الأمة، عبر مسار تجديد وبعث التراث والعادات والتقاليد المشتركة بين الأفراد)³.

الوطنية هي المشاعر الوجدانية، وهي مشاعر الحب والوفاء المفعم بالتفاعل والانفعال الإيجابي، وهي عودة تاريخية وحب جنوني للأرض وتمسك بالعائلة والأفراد. هي القيم والمبادئ الثابتة التي لا تتغير، أما المواطنة فهي كل السلوكات والتصرفات المعبرة عن الرضا بالعيش في مجتمع واقعي محدد وفق نمط حياة واضح. المواطنة هي هذه العلاقة

¹ - عبد العزيز قريش، مفهوم المواطنة وحقوق المواطن، الجزء الرابع، الموقع الإلكتروني: <http://www.oujdacity.net>، بتاريخ: 06 جويلية 2017، منقول عن الموقع: <http://www.algazalishool.com>.

² - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p27.

³ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p58.

العملية المتغيرة والمتجددة بين الإنسان والطبيعة، وهي هذا التصرف والسلوك الإنساني المتغير الظاهر للعيان، والذي يمكن تكييفه عبر الزمان والمكان. إنها كل التفاعل والتمازج والتلاحم بين الأفكار والمبادئ والقيم، وبين تلك السلوكات والأعمال والممارسات في المجتمع، والتي تصنع نمط حياة متطور وواعي وموجه، وثقافة وطنية متميزة ومتجذرة، ومجتمع متطور أساسه احترام كل الحريات والحقوق والواجبات، قائم على العدل والمواطنة. إنه لا استقامة للمواطنة إلا باستقامة المجتمع والأفراد، (فالمواطن الحقيقي هو الفرد الذي يلتزم بواجباته السياسية والنقابية والاجتماعية والجموعية إلى غيرها من المهام الاجتماعية والسياسية، مع ممارسة صلاحياته المدنية في إطار احترام التنظيمات المعمول بها في الدولة)¹، وهكذا فقط يتم التأسيس لإنتاج مواطنة حقيقية وفعالية.

8- علاقة المواطنة بالمدنية: الأرض عنصر أساسي وضروري لممارسة المواطنة، فهي التي تمنح المجال والمساحة للتحرك والتفاعل والمناورة. الأرض تعني الاستقرار والدوام والاستمرار، فكل الحضارات التي بقيت واستمرت هي الحضارات التي عرفت الاستقرار، وعندما نتكلم عن الاستقرار فإننا نتكلم عن الزراعة والصناعة، الحرفتان اللتان بهما عرف الإنسان الاستقرار والصبر، وبداية مزاوله العمل وانتظار النتائج والثمار. وكان الاستقرار إيذاناً ببداية تشكيل المجتمع المدني ومؤسساته، (وتجسيدا لمبدأ العمل الجماعي، بإخراج الفرد من حالة التفوق الذاتي من ناحية، وترشيد السلوك في أطر وهياكل مستقرة وذات قواعد عامة من ناحية أخرى، فمؤسسات المجتمع المدني تعبير عن نظرية المشاركة الاجتماعية المنظمة)².

عندما نتكلم عن العمل والزراعة والصناعة فإننا نتكلم أيضا عن العمليات الموازية التي أقامها الإنسان في ميادين البناء والتشييد، من أجل الاحتماء من البرد والحر ومن كل المؤثرات الطبيعية، ومن الإغارة والحروب، وبغرض حماية نفسه وممتلكاته. شمل هذا البناء البيوت والمدارس والمصانع والمخازن والمرافق الاجتماعية المختلفة، وانتقل بعد ذلك إلى العمارات وتشييد المرافق الكبرى كالطرق والحدائق والمساحات العامة، ودور

¹ - Ibid, p60.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص104.

السينما والمسارح ومراكز المؤتمرات والاجتماعات والجامعات والمدارس، وكل الوسائل التقنية والتكنولوجية، (إن نطاق الخبرة الشخصية الحيوية المباشرة ضيق جداً، ولولا الوسائط التي تمثل الأمور البعيدة الغائبة عنا، لأوشكت أن نتدنى خبرتنا إلى مستوى خبرة الحيوانات. فكل خطوة من الوحشية إلى المدنية، تتوقف على اختراع الوسائط التي توسع نطاق الخبرات المباشرة المحضة وتزيد معناها سعة وعمقا)¹. إن كل تلك الخبرات والانجازات والثقافات الإنسانية، هي ما شكّل وكون ما يسمى اليوم بالمدينة والمدنية أو الحضارة، وقد تناولها كثير من العلماء وربطوها بالعمران، يقول ابن خلدون: (الاجتماع الإنساني ضروري. ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم: "الإنسان مدني بالطبع"، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران. وبيانه أن الله - سبحانه - خلق الإنسان وركّبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهده إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله)²، يرى ابن خلدون أن من أسباب مدنية الإنسان هو البحث عن الرزق والعيش في أمان، وسعى لتحقيق ذلك ببناء المدن والعمران.

وعليه فقد عرفت كل الحضارات القديمة أشكال مختلفة ومتنوعة من المدن والعمران وأنماط الحياة، يبقى أهمها تلك التي ظهرت قديماً في مصر والصين واليونان، فكانت المدينة وعاء مقبول لممارسة الإنسان لنشاطاته المختلفة، وكانت رحماً خصبا لحياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، في إطار مجموعة من القوانين والنظم التي تحكم العلاقة بين الناس، ثم تطورت المدينة إلى ما أصبح يعرف بالجمهورية وهي كل الوطن بمفهومه العام. ونكاد نجزم أن المدينة هي أحسن مناخ لممارسة المواطنة، إذ أنه لا يمكن الكلام عنها وممارستها إلا في ظل وجود المدينة الكاملة المعالم بعمرانها وتنظيماتها وسلطاتها. وهو الشيء الغائب في الأرياف والقرى التي تحكمها الطوطمية والعادات والتقاليد، ففي (العهد الملكي الروماني قسّموا الدولة إلى منطقتين مركزيتين هما: Urbs وهي المدينة وAger وهو الريف أو القرية التي تحيط بالمدينة، وعلى أساس تلك المنطقتين تم تقسيم الناس إلى مواطنين أو غير مواطنين، ففي المدينة يسكن المواطنون يعني الكهنة والربان والقساوسة

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص ص 141-142.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص 57.

وقادة الجند، أما الأرياف فقد طرد إليها غير المواطنين أي الخدم والعبيد¹، اذن المدينة من حق المواطنين، والريف ملجأ من يفتقدون لصفة المواطنة من العبيد والخدم، وهذه كانت نظرة تربط المدنية بالمواطنة، وهنا يمكننا القول أن (فضاء المواطنة كان فضاء مدني أي مرتبط بالمدنية وقوانينها)²، وبمؤسسات (المجتمع المدني المتمثلة في الأحزاب السياسية والنقابات العمالية والاتحادات المهنية والجمعيات الثقافية والاجتماعية)³. ولاين خلدون رأي آخر في هذا: (اعلم أن اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلته من المعاش، فإن اجتماعهم إنما هو للتعاون على تحصيله والابتداء بما هو ضروري منه وبسيط قبل الحاجي والكمالي. فمنهم من يستعمل الفلح من الغرسة والزراعة، ومنهم من ينتحل القيام على الحيوان من الغنم والبقر والمعز والنحل والدود لنتاجها واستخراج فضلاتها. وهؤلاء القائمون على الفلح والحيوان وتدعوهم الضرورة، ولا بد إلى البدو. لأنه متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك. فكان اختصاص هؤلاء بالبدو أمرا ضروريا لهم، وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكين والدفاع إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة... ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفة، دعاهم ذلك إلى السكون والدعة... واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر. ثم تزيد أحوال الرفة والدعة... في التأنق في علاج القوت واستجادة المطابخ وانتقاء الملابس الفاخرة في أنواعها من الحرير والديباج وغير ذلك، ومعالجة البيوت والصروح إلى غايتها، فيتخذون القصور والمنازل، ويجرون فيها المياه ويعالون في صرحها، ويبالغون في تنجيدها، ويختلفون في استجادة ما يتخذونه لمعاشهم من ملبوس أو فراش أو آنية أو ماعون. وهؤلاء هم الحضر... ومن هؤلاء من ينتحل في معاشه الصنائع ومنهم من ينتحل التجارة. فقد تبين أن أجيال البدو والحضر طبيعية لا بد منها كما قلناه⁴. لقد لخص ابن خلدون من هم البدو أو الريف ومنهم الحضر أو المدينة، والأسباب الطبيعية لتحول

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p12.

² - Ibid, p12.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص105.

⁴ - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص ص 134-135.

الريف إلى مدينة، وابن خلدون حسب قوله يعتبر أن المواطنة تطورت من مواطنة بدوية إلى مواطنة حضرية.

لكن مع مرور الوقت وتطور البشرية، وسيطرة نظام الحكم على المدينة ومؤسساتها، أخذت بعض مظاهر المدينة تنتقل إلى الريف وبدأ هذا الأخير يتمدد ويتحضر، فبدأت تتشكل معالم المدينة الجديدة في الأرياف والقرى، وعادت المواطنة من المدينة إلى الريف عكس رأس ابن خلدون. المدينة بقيت (مقرا للنظام الحاكم، لكن فضاء المواطنة بدأ يتجاوزها، وبدأ يتشكل بطريقة مغايرة في محيطها أو في الأرياف)¹، وبعد فترة من الزمن تساوت الأرياف مع المدن كلية، وذلك بعد كثير من الإصلاحات السياسية والاجتماعية، التي نقلت كثيرا من عناصر المدينة إلى الريف، بعد تسجيل حملات نزوح من الريف إلى المدينة.

لقد منحت المدينة للإنسان الفرصة للتعبير عن ثقافته، ورسم معالمها بما تتيحه له من فرص هائلة للإبداع اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا، ومن خلال تفاعله الإيجابي مع الطبيعة، فكان يحسن شيئا فشيئا من طريقة حياته، وبدأ يتحضر طرديا وتوازيا بكبر المدينة وتوسعها وتطورها، هذه الأخيرة التي كانت تتأثر هي الأخرى بما كان يصل إليه الإنسان من تطور سواء في التكنولوجيا أو تطور ممارساته الاجتماعية والسياسية لأجل ترقية نمط حياته. إن الطبيعة المدنية والحضرية هي الحاضنة الأولى لاجتماعية وسياسة الإنسان. وهي المترجمة والمرآة العاكسة لممارساته ولسلوكاته المختلفة التي تفرضها علاقاته الأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، وكل حاجاته المتنوعة داخل المدينة². وهذا ما شكّل وكون نوعا من الحقوق المدنية التي توفرها المدينة للإنسان، وفرضت عليه مجموعة من الواجبات أيضا، (المدنية مستوحاة من التسامح الذي من خلاله اعترف بحق الآخر في أن يكون مختلفا عني، ويفكر غير تفكيري، المدنية تقتضي العمل بالمثل، لا أحترم اختيارات الآخر إذا كان هذا الآخر لا يحترم اختياراتي، لا توجد مدنية إذن دون توقّعات منتظمة ومحدّدة ترسم العلاقات بين أفراد المجتمع... أما المواطنة فيمكن

¹ - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p13.

² - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص106.

ممارستها في محيط المعيشة، في حياة المجتمع، وفي كلّ الفضاءات التي تشهد وجود مجموعات انسانية)¹.

من خلال ما سبق نفهم أن مجموعة الحقوق المدنية واجتماعية الإنسان وسياسته وأخلاقه داخل المدينة. هي ما يكوّن العلاقة بين المواطنة والمدينة، ونفهم أن هذه الأخيرة ما هي جانب مهم من المواطنة التي تميز حياة الإنسان بشكل عام، المدينة وطن محدد يجتمع فيه الإنسان بأخيه الإنسان مكونا مجتمعا مصغرا، ضمن مجموعة من الظروف والعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والعقائدية، بالإضافة إلى العادات والتقاليد، فيضمنون باجتماعهم واتحادهم أمنهم وتواصلهم، وسير الحياة بينهم، واستمرارهم في العيش داخل المدينة/الوطن الواحدة. وأن يبعدوا كل أسباب الفرقة والفتن، وأن يجعلوا من الاختلاف والتنوع عامل قوة وتلاحم ولا عامل فرقة وصراع²، وذلك بأن يجعلوا من (المواطن الواحد مجموعة مواطنين، بطريقة إلزامية أو عفوية، ومرتبطة بمطالب التعدد والتنوع، وهو شعار يفترض مساهمة جميع المواطنين، لتفادي مخاطر التماثل أو تطابق الحياة العامة... فالتنوع والتعدد يعني احترام كل هذه الاختلافات التي يجعل منها التسامح بين الأفراد معتقدات غير قابلة للتغيير)³.

لا تعدو إذن المدنية أن تكون جزءا مهما من المواطنة، يعبر عن فكر الإنسان وثقافته، شاركت كل أطراف المجتمع الإنساني في تطويره وبلورته وممارسته. فالمدنية نتيجة لكل الممارسات والسلوكات الإنسانية، التي عرفها الإنسان وابتكرها لأجل تحسين وتطوير نمط حياته، على أساس علاقات مختلفة بين الأفراد وأشخاص حاكمين يمثلون نظام الإدارة والحكم. الإدارة إنتاج المدينة تتعارض مع الطبيعة الغريزية والحيوانية القائمة على القوة والعداوة، بواسطة القوانين والأحكام والنظم التي تمثلها، لضمان حقوق جميع الناس، وعدم اعتدائهم على بعضهم البعض، بالإضافة إلى ضمانها أداء الواجبات تجاه الآخر والمجتمع والمدينة والوطن. من هنا تكون المدينة هي مهد الفكر المواطني باعتبارها اللبنة الأولى

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p171.

² - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص112.

³ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, ellipses, paris, France, 2002, p56-57.

لاستقرار الشعور الوطني ونمائه، ولترسيخ مبادئ وقيم التسامح والمساواة والعدل. والابتعاد عن مظاهر التفرقة والفتن، مهما كان لونها عرقي أو لوني أو جنسي أو ديني، وتكريس مبدأ حوار الثقافات وحوار اللغات وحوار الأديان، وثقافة المؤسسات المنتخبة ديمقراطياً.

هذه هي الأمور التي تتم عن طريق التربية الموجهة للنشء، التي تساعد على تعميق الشعور الوطني وتكريسه في ذواتهم منذ السنوات الأولى، لبناء شخصياتهم القاعدية على حب الوطن والذود عليه، (فتعليم المدنية هو تربية النشء على سلوك احترام قواعد وقوانين الجماعة لكل ما هو مشترك في الأماكن العامة، المدارس، الثانويات، الشوارع، في وسائل النقل الجماعية وفي مراكز التسوق العامة)¹. أما المواطنة في ظل المدنية فهي (جملة المفاهيم والمبادئ وأشكال الفهم ومنظومة القيم والاتجاهات ومجموعة العادات والمهارات والسلوكيات اللازمة، لدعم وتفعيل المجتمع المدني باعتباره تلك المنظمات التطوعية غير الحكومية الربحية المستقلة عن الدولة، والتي تهدف إلى خدمة المجتمع والصالح العام... ولدعم فعالية المواطنين السياسية والمدنية بكل أشكالها ومستوياتها)².

المواطنة ما هي إلا مجموعة من السلوكيات الاجتماعية والأخلاقية التي تتفاعل وتتنظم باستمرار، من أجل إعطاء فائدة وقيمة نفعية متداولة في واقع الناس والمجتمعات والدولة، عبر ممارسات واقعية حقيقية في الحياة المعيشية للأفراد والمؤسسات. قائمة على التعايش والعيش في سلام بين جميع المكونات والتنوعات الإنسانية والاجتماعية المختلفة، أمام قانون وتنظيم واحد قائم على مبدأ التساوي والعدل في الحقوق والواجبات، والتعاون والاتحاد والتضامن بين الجميع في المدينة الواحدة دون تمييز، وهو ما يشكل المدنية العصرية والتحضر الإنساني المرموق والمأمول، على أساس الحرية الحقيقية في ضوء الاحترام لكل الأخلاق والأعراف وقوانين المدنية المتحضرة، والفسيفساء الاجتماعية والفكرية الثقافية والسياسية، (والمفارقة العجيبة هي محاولة إرساء السلم المدني انطلاقاً من

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p171.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص107.

مفاهيم الصراع وعلى أساس الصراع نفسه والجدل العنيف بين المفاهيم والأفكار.... العقد الاجتماعي بين الأفراد يؤسس على مبادئ الحوار بين مصالح الأفراد والجماعات)¹.

يتصف كل مجتمع إنساني بمميزات خاصة ساهمت في نشأته واستمراره وبقائه، هي الأرض والشعب والعلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافة والعادات والتقاليد والمصير والأهداف المشتركة، يتميز كذلك كل مجتمع بنسق ثقافي خاص يتكون من منظومة القيم والعادات والتقاليد والأعراف التي تشكل في مجملها هويته وفلسفته. بالإضافة إلى مجموعة القوانين والتنظيمات والمؤسسات الإدارية² المتعددة والمختلفة والتي تعد المنظومة التربوية أحد أقطابها، يتلخص دورها في تمرير المعارف وتحسيس المتعلمين بالتعلمات الهامة، وتمكينهم من منهجية التفكير السليم، القائمة على تزويدهم بمجموعة من القيم والمبادئ والمعارف والمهارات التي تمكنهم من التكيف والعيش بسلام في مجتمعاتهم، فيشكلون بالإضافة التي تنقص المجتمعات للتطور والاستقلال الفكري والحرية، ولا يحدث ذلك إلا عن طريق سياسة تربوية هادفة، قائمة على مناهج وطرق تعليم مدروسة.

9- أهمية المواطنة في حياة الفرد، المجتمع والوطن: أصبحت التربية

والتعليم على المواطنة وعلى قيمها ومبادئها من المظاهر الحضارية والعصرية الجديدة التي قلبت حياة الإنسان، وانتقلت به من الحياة الطوطمية والنمط القبلي القديم، إلى حياة المشاركة والانفتاح والتنوع والاختلاف. (وزاد من أهمية التربية على المواطنة ظهور الدولة الوطنية والمجموعات القومية، التي أولت اهتماما كبيرا لتربية أبنائها على مفاهيم الانتماء والهوية، وكيفية ممارستهم لحقوقهم والقيام بواجباتهم)³. فأصبح (إعداد الناشئين والشباب للمواطنة والمسؤولية في المستقبل هدف تربوي رئيسي. حيث يواجه الشباب اليوم عالما معقدا ومضطربا، يتميز بانفجار معرفي وتطور تكنولوجي غير مسبوقين، أحدثا تغييرا ملحوظا في الاتجاهات والقيم والمعتقدات، هذا فضلا عن نمو علاقات دولية معقدة وإزالة الحدود والفواصل السياسية بين كافة الأقطار)⁴. لذا أصبحت تشكل التربية والتعليم على قيم المواطنة

¹ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p57.

² - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية، ص105.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية، ص5.

⁴ - المرجع نفسه، ص21.

والمبادئ الوطنية، ركنا هامًا في بناء شخصية الإنسان والتعبير على وجوده، وهي التي تحفظ الإنسان من الانحراف النفسي والاجتماعي، وتجعله إنسانًا فاعلاً وإيجابياً وناجحاً في الحياة، كما نظمت علاقته بالإنسان الآخر وبنظام الحكم، من خلال تبيان ما له من حقوق وما عليه من واجبات في ظل مبادئ العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، وعلى أساس مبدأ التعايش والحياة معاً، الواحد يكمل الآخر، في فضاء من التنافس النزيه والشفاف يقول الله تعالى بعد باسم الله الرحمن الرحيم: (خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ)¹ أي التنافس في العمل الجاد الذي يصنع السبق والتقدم والرقي للمواطن وللوطن، ويعبر عن الممارسة المواطنة الحقيقية من خلال تلك التصرفات والسلوكات الأخلاقية والحضارية.

ولم تتوقف المواطنة عند ذلك فقط بل أصبحت أسلوب تفكير ديمقراطي وسياسي واجتماعي واقتصادي، تتبناه كل المجتمعات والشعوب لتحقيق تنمية وطنية وبشرية متكاملة أي تنمية تمس كل القطاعات والميادين في المجتمع وفي الدولة، وتعطي للمواطن أسلوب تفكير سليم وحضاري متمدّن يتماشى والتفكير السياسي والاجتماعي والاقتصادي السائد، وتتيح للدول ظروف العمل والتسيير والحكم الراشد، في جو من العدل والمساواة في الحقوق والواجبات وفي ظل الديمقراطية والشفافية وتكافؤ الفرص، (التربية على المواطنة تساهم وتدخل في ديمقراطية المدرسة وكل النظام التربوي، وهو ما يسمح بدمقرطة المجتمع ككل)²، وتساهم (التربية على المواطنة في كل الفضاء المدرسي، في تحقيق توافق بين المدرسة والجمهورية ويجعل منهما واقعان سياسيان ضروريان)³.

المواطنة نتاج التفاعل الاجتماعي والثقافي النزيه والمنتج بين الأفراد والجماعات، (فمكوناتها تقوم جميعاً على أسس ثقافية واجتماعية، ولهذا كانت دراسة الشخصية لا يمكن أن تكون كاملة، بدون دراسة الثقافة والمجتمع)⁴. وكمثال على هذا التفاعل الثقافي والاجتماعي والمدني، تلك المسابقات الاجتماعية التي عنوانها: أنظف حيي وأنظف مدينتي، ومسابقات الروح الرياضية، ونداءات مكافحة العنف في الملاعب، ومسابقات الجمعيات فيما يخص الزواج الجماعي للشباب الذين يعجزون عن تنظيم مراسيم الزفاف

¹ - القرآن الكريم، سورة المطففين، الآية 26.

² - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel ,p100.

³ - Ibid ,p157.

⁴ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص25.

بصفة انفرادية، دون أن ننسى حملات التنظيف الجماعية للمدن وللأحياء، والحقيقة أن الشعب الجزائري كان السباق إلى ما يعرف بالتوزيع، هذا ناهيك عن موائد الإفطار الجماعية التي تقام خلال كل شهر رمضان، وحملات كبش العيد، وكسوة اليتيم وغيرها من المظاهر الاجتماعية الرائعة، إن هذه المظاهر وكل أشكال الفولونتاريا في المجتمع، تعبر بجلاء عن التفاعل والنضج الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي وصلت إليه مجتمعاتنا، وتعبر كلها عن الممارسة الفعلية والحقيقية للمواطنة.

المجتمع هو الذي تتم فيه الممارسة المواطنة (فهو المكان الذي يحدث فيه التفاعل، والثقافة هي التي تصب هذا التفاعل في قوالب معينة. وتعطي للفرد أنماط السلوك، ومختلف القيم، والمعايير التي يحسن بها التفاعل ويحقق أغراضه)¹ في المجتمع وفي الحياة ككل. لهذا إقرار المواطنة الحضارية في المجتمع من شأنه أن يساهم في القضاء على كل مظاهر التمييز العنصري أو المهني أو كيف ما كان لونه أو مصدره، وهذا من خلال السلوكات والتصرفات المواطنة القائمة على الاحترام والتفاهم والحوار، وحرية التعبير والتفكير تطبيقاً لمبدأ: "أختلف معك في الرأي لكنني سأدافع على حريتك"، فتستثمر الخلافات بين الأفراد في تحسين الإنتاج الفكري والاقتصادي وتكون عامل قوة وإضافة مفيد.

هكذا تعمل المواطنة على تماسك المجتمع وترابط أجزائه وتكاتفها لبناء الكل الكبير وهو الوطن. وبإعطاء حق المواطنة بعده العملي الفعلي، نستبعد كل مظاهر الفتن والتفرقة والحروب والجهل، التي تكون نتيجة للتعصب الثقافي والتطرف الديني، والصراع الفكري المقيت، وهي أسباب كافية لإثارة النعرات والصراعات والفتن، وبالتالي التفرقة بين الأفراد والمجتمعات فيفني بعضهم بعضاً في الحروب الأهلية، وينتشر الحقد والإرهاب. وهو ما يحدث منذ مدة في بعض الدول العربية والإسلامية، فالمواطنة تقتل هذه الأفكار والآفات عن طريق ممارسة فكرية سوية ومعتدلة أولاً سرعان ما تصبح وتتحول لممارسة اجتماعية وأخلاقية واقتصادية سلمية وآمنة، المواطنة هي ميدان التنافس الفردي والجماعي في آن واحد، دون تمييز عرقي أو لغوي أو ديني أو جنسي، ودون إقصاء، وهي (درء للفتن

¹ - المرجع نفسه، ص 25.

والعنف...وهي تتجاوز الاعتقاد الديني واختلافاته¹ وكل الفروقات الثقافية الأخرى. المواطنة بميكانيزماتها الوضعية تستثمر هذا الاختلاف والتنوع في تطوير الوطن والدفاع عنه وحماية المواطن وممتلكاته وتوفير الأمن لجميع الأفراد/المواطنين. فيكون الشيء المميز الوحيد بين الأفراد هو العمل والإبداع والتسابق لخدمة صالح المواطن، المجتمع والوطن، هكذا فقط يحس الجميع بالانتماء للوطن الواحد وبالمستقبل الواحد الذي يصنعونه بأيديهم لأنفسهم ولوطنهم، ويحقق فيه الفرد مكانته الاجتماعية والوظيفية بواسطة مؤهلاته وكفاءته وعمله. فيصبح الوطن ميدانا للتعبير عن مشاعرهم وأحاسيسهم وأفكارهم دونما تهميش أو إقصاء، وميدان آمن للاعتزاز بمعتقداتهم وشعائرهم ولغاتهم ولهجاتهم وبعاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وطقوسهم، في جو من الاحترام والممارسة الحضارية والمدنية.

(اقترن مفهوم المواطنة أو ما يدل عليه من مصطلحات عبر التاريخ، بإقرار المساواة للبعض أو للكثرة من المواطنين، وتمثل التعبير عن إقرار مبدأ المواطنة في قبول حق المشاركة الحرة للأفراد المتساوين)². وتبقى المواطنة الحقيقة هي التي تحدد ما لقيصر لقيصر وما لعيسى لعيسى، فيعرف الفرد حدود واجباته ونطاق حقوقه. تحرص الدول على نشر ثقافة المواطنة وضمانها وحمايتها من خلال مجموعة القوانين والتشريعات والتنظيمات التي تسنّها وتضعها حيز التطبيق، وهي التي تنظم وتتحكم في العلاقات التي تربط الأفراد والجماعات ببعضهم البعض أو بينهم وبين الدولة أو السلطة الحاكمة، وتساهم جملة القوانين في ضمان الأمن وانتشاره بين المواطنين. فيتحرر المواطن من عقدة الخوف على نفسه وعلى أسرته وعلى ممتلكاته، وتزداد ثقته بنفسه وبوطنه، فيتجه للبناء والتشييد والدفاع عن الوطن لرد جميل العيش بعزة وكرامة وأمن للوطن، وتتحقق عناصر الاتحاد واللحمة والشراكة الكبيرة بين الجميع من أفراد ومؤسسات وسلطات، فنصل إلى تماسك اجتماعي وطني وهو ما يسمى بالأمن القومي والسياسي والاقتصادي.

المواطنة لا تتعارض مع التنوع الثقافي والاجتماعي والسياسي، بل تعمل على إثرائه، وتزيد من التفاعل بين علاقاته، وتعمل على شدّها وتمتينها، وتحول هذا التنوع إلى عامل قوة وثراء وغنى اجتماعي كبير، كما تقوم من خلال الممارسات الاجتماعية

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 61.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 10.

والمدينة والحضارية بتفعيل حوار الثقافات واللغات والأديان. وتقوم بعزل كل فرص التفكير الضيق والمتطرف، وتفوّت الفرص على أصحاب الأفكار الجهوية والتفرقة العنصرية بين الأفراد، من خلال ضمان الحقوق والواجبات على مبادئ العدل والمساواة بين كل أفراد المجتمع، ووفق القوانين الحضارية والمدنية السارية المفعول. المواطنة مظهر من مظاهر الحياة العصرية، وأسلوب حياة اجتماعي وسياسي واقتصادي متطور، فأولا هي يحدد ويضمن الحقوق والواجبات للجميع وفق القوانين والتنظيمات. كما يوفّر إقرار المواطنة كل الميكانيزمات والوسائل للمواطن، حتى يتمكن من ممارسة حريته والمطالبة بحقوقه بطريقة حضارية عصرية، وتوفر المناخ المناسب لأداء كل واجباته المنتظرة منه بعيدا عن كل مظاهر العنف والفوضى والتعصب، إنها تعبير عن النضج الاجتماعي والسياسي والثقافي، وعن الوعي الفكري الراقي للفرد والمجتمع، وهي الأشياء الأساسية والضرورية لبناء الوطن وتطويره ورقية.

أصبح (إعداد المواطن الصالح يمثل هدفا رئيسيا من أهداف التربية والتعليم، وما يزيد من أهمية تحقيق هذا الهدف هو هذه الثورات المعلوماتية¹ والاتصالية الكبيرة، التي ساهمت في تحطّم الحدود التقليدية وحوّلت العالم - في ظل العولمة- إلى قرية صغيرة، مفتوحة الفضاء الثقافي المتعدد، وما صاحب ذلك من انفتاح على العالم كله بكل ما يحمل من مخاطر كبيرة قد تؤدي إلى انحراف فئة الشباب عن النهج الوطني. ولتحقيق هذا الهدف والحفاظ على عناصر الشخصية الوطنية ورموزها وقيّمها. تساعد تربية النشء وتعليمه على المواطنة وفق البرامج والمناهج التعليمية المواطنة الهادفة، على حب الوطن والاعتزاز به وبتاريخه، والعمل على الحفاظ على ثرواته المتنوعة، وعلى انجازاته. انطلاقا من الحفاظ على المدرسة وأثاثها وتجهيزاتها، ثم الحفاظ على البيت، وعلى بالمرافق العمومية والخدمات المختلفة. بالإضافة إلى إتقان العمل والتفاني فيه وزيادة الإنتاج وتطويره، وعدم التكاثر والفساد، والحرص على التمسك بالوطن وبمؤسساته ونظمه وقوانينه، وباللّحمة

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص9.

الوطنية. والتماسك الاجتماعي والسياسي وعلى الاعتزاز بالانتماء إلى هذا الوطن وهذه الأمة¹.

تشجع المواطنة على بناء المعرفة المتنوعة والشاملة، القائمة على الاختلاف في الرأي، والاتفاق في مسائل الوحدة الاجتماعية، والعمل المشترك للصالح العام والمصير المشترك وخدمة الوطن والدفاع عليه، هذه المعرفة هي شرط أساسي للممارسة المواطنة الحقيقية المبنية على الاحترام ومعرفة حدود ما للفرد من حقوق وما عليه من واجبات، واللجوء لكل الأساليب الحوارية والحضارية والديمقراطية، لذا تسعى كل الدول (إلى جعل التعليم ديمقراطياً من خلال تعميم البرامج وتوحيد المناهج والمقررات... بالإضافة إلى تعميم التعليم وإلزاميته وإجباريته، لكي تحدد الدولة الراحية لأبنائها من نسبة الأمية والفقر والتخلف، فالتعليم هو الذي يغير المجتمع ويحقق الديمقراطية الحقيقية، كما أن المتعلم يتعلم الديمقراطية داخل المدارس والمؤسسات التربوية، ويتربى في أجوائها المفعمة بالحرية)².

10- المواطنة والديمقراطية: رغم التعاريف الكثيرة والمتنوعة للديمقراطية

إلا أننا نتفق جميعاً على أنها إجراء تعني مشاركة وإسهام المواطن في صنع مصيره ومصير وطنه، من خلال عمليات الاستحقاقات والاقتراعات والانتخابات المختلفة التي تعتبر من الواجبات المنوطة به، بالإضافة إلى مشاركته بآرائه وأفكاره في معالجة المشكلات الوطنية، وتقديم الحلول كل في مكان اختصاصه وفي دائرة عمله، وعلى الجهة الحاكمة تقدير وتثمين هذه الآراء والأفكار واحترام إرادة الشعب واختياراته في عملية الاقتراع والانتخاب. فالديمقراطية تقوم على أساس الاعتراف بحقوق المواطنين الأساسية كالعيش في كرامة وعزة وشرف، وضمان الحقوق في مجالات الصحة والتعليم والأمن، والابتعاد عن كل مظاهر الاستبداد والعنف والفساد، وكل شكل من أشكال الدكتاتوريات القائمة على التفرد في الحكم، والحق في التعبير عن آرائه بكل حرية. (الديمقراطية تتطلب المواطن الحر المبدع المتحرر من السيطرة على أفكاره وذهنيته، وهذا المواطن الحر لا يمكن تكوينه وتشكيله بعيداً عن النظام التعليمي السائد، فلا يمكن أن يتكوّن ويتشكّل وعي الإنسان الحر إلا في إطار من التعددية الثقافية القائمة على العقل والمنطق والداعمة للأفكار الوطنية

¹ - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 68.

² - جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط 1، بيروت/لبنان، 2001، ص 13.

المستتيرة)¹. وقد ظهرت الديمقراطية منذ عصر الأنوار في اليونان، وهو القرن الخامس قبل الميلاد، حيث ظهر أول نظام حكم ديمقراطي (واستمر وجوده عبر العصور، واعتبرت الديمقراطية آنذاك ذات طابع سياسي، ثم ظهرت أنماط الديمقراطية في مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية. وتطور مفهوم الديمقراطية بفضل الجهود الفردية والاجتماعية والثورات والحركات الفلسفية والسياسية التي قادها الإنسان، حيث استهدفت القضاء على الإقطاع والعبودية والرق وأنظمة الظلم والفساد بهدف تحقيق الكرامة الإنسانية والمساواة والعدالة الاجتماعية)².

أما المواطنة فرغم تعاريفها المختلفة فهي الأخرى عمليا لا تعدو أن تكون كل الممارسات والسلوكات والتصرفات التي تعبر عن أدائنا لواجباتنا ومطالبتنا بحقوقنا، فهي تلك العلاقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تحكم الأفراد وتنظم الحياة بينهم في المجتمع وداخل الوطن الواحد، وتنظم قواعد استغلالهم للموارد والثروات الوطنية الطبيعية والزراعية والصناعية، هي كل الاداءات في المجتمع وفي الوطن التي تعبر عن تحضرهم ومدنييتهم وعاداتهم وتقاليدهم بصفة راقية ومتطورة، بعيدة عن كل أشكال العنف والتطرف والتفرقة والجهوية، (لا توجد مواطنة حقيقية دون الاعتراف بالهوية، ودونما ضمان أدنى الوسائل لممارستها)³ في حياة الناس والمجتمع والوطن. (ولا توجد ديمقراطية دون أن يعترف أي فرد بالمجتمع ودونما أن يعترف به في المجتمع، فأول امتحان للمواطنة هو أن يفتح أي مواطن فمه في وسط العائلة الاجتماعية)⁴ ويعبر عن رأيه بكل حرية واحترام. (ليست الديمقراطية مجرد شكل للحكومة، وإنما هي في أساسها أسلوب من الحياة المجتمعة والخبرة المشتركة المتبادلة. إن ازدياد عدد الأفراد المشتركين في مصلحة واحدة وانتشارهم على ظهر الأرض، بحيث يصل كل منهم عمله بأعمال غيره، ويعتبرها مفيدة ومسددة لاتجاه عمله، معناها أيضا تحطيم الحواجز التي فرقت بين الطبقات والأجناس والأوطان، وحالت بين الناس وإدراكهم مغزى أعمالهم كاملا)⁵.

1 - شيل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص7.

2- أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص79.

3 - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Éducation à la citoyenneté, p188.

4 - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, p22.

5- الديمقراطية والتربية، جون ديوي، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص90.

يشهد التاريخ أن المواطنة الحقيقة ما كانت لتظهر إلا في الشعوب الديمقراطية والمتحضرة التي تؤمن بالقيم وبالمارسات الديمقراطية، وهكذا رأينا الشعب الصيني واليوناني، وهذا ما رأيناه لدى الشعوب المسلمة في أوج تحضرها، عندما كانت تعتمد فعلا الديمقراطية في الممارسات السياسية والاجتماعية القائمة على العدل والمساواة والشورى بين الأفراد. وإذا كانت (المواطنة الفعالة هي جملة المفاهيم والمبادئ وأشكال الفهم ومنظومة القيم والاتجاهات ومجموعة العادات والمهارات والسلوكيات اللازمة للمواطنة باعتبارها علاقة حقوقية بين الفرد والمجتمع والدولة، وباعتبارها العضوية الديمقراطية الواعية والفعالة والمسؤولة في حياة مجتمع أو مجموعة من المجتمعات، بكل جوانبها السياسية والاجتماعية والمدنية والثقافية، وعلى كل المستويات المحلية والقومية والعالمية)¹، فالمواطنة الديمقراطية هي أن تضمن الدولة للمواطن كل حقوق (الاحترام والحماية وأن تصون كرامته، وأن تقدم له الضمانات القانونية التي تحفظ له حقوقه المدنية والسياسية بالإضافة إلى إعطائه الحق في المشاركة، وفي اتخاذ القرارات التي تتعلق بأمر حياته)² ووطنه. إنه لا يمكننا الحديث عن المواطنة في ظل المجتمع الاستبدادي والديكتاتوري، وهو ما عرفناه أيضا لدى شعوب اسبرطا وأثينا في القديم فكانت الأولى دكتاتورية وكانت الثانية ديمقراطية، فانتشر العلم والمعرفة في أثينا، فتطورت وعرفت كل أشكال العلوم والبحوث في حين كانت اسبرتا متوقفة على نفسها، إلى أن زالت وزال حكمها وكتب الخلود لأثينا. (التربية على المواطنة تركز على ضمان كل الحقوق، حق التعليم، وحقوق الإنسان، وعلى الحق في الديمقراطية)³.

الديمقراطية والمواطنة ركيزتان أساسيتان في استمرار الدول وبقائها وحتى في خلودها، فالديمقراطية توفر للمواطن الجو الملائم والوسائل الضرورية لممارسة المواطنة وتفعيلها والتعبير عنها، فتبين للفرد ما له من حقوق وما يترتب عليه من واجبات، وما له من حريات وما يترتب عليه أيضا من مسؤوليات، فتكون مشاركته واعية وفعالة، بدون تدخل أي قوة خارجية أو فوقية تجبره على ذلك. انطلاقا من أحقيته في المشاركة في

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 13.

² - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/الأردن، ط1، 2011، ص43.

³ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p175.

كل الأنشطة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتولي المناصب والوظائف بكل عدل ومساواة أمام القانون والتنظيمات العامة، فلا تمييز أو استثناء إلا ما تفرضه الكفاءة والمردود، فيتكون شعور مشترك بالمواطنة والتزام قوي بقواعد الديمقراطية.

الديمقراطية مظهر هام من مظاهر المواطنة، إنها الجانب الراقى فيها، فهي سلوك حضاري متطور ونمط حياة متميز، الديمقراطية لا تكون إلا من خلال تحقيق التوافق بين أنظمة الحكم وبين حقوق المواطن الكثيرة داخل الوطن، فتبتعد الأنظمة عن كل مظاهر الاستبداد والانفراد بالحكم، وبالتالي تنتج مواطنا متفتحًا وديمقراطيًا في سلوكياته مع الأفراد وداخل أسرته ومجتمعه وفي أمته ووطنه¹، على شعور تام بانتمائه لوطنه، ووعيه بأهميته في تشكيل الثقافة الوطنية المبنية على التنوع من عادات وتقاليد وأعراف وأيديولوجيات وأفكار ومفاهيم، وهذا الشعور والإحساس يولد فيه روح الدفاع عن الوطن والعمل على تطويره وحمايته من كل اعتداء أو خطر أو تهديد، (فالتربية على المواطنة القائمة على التنوع الثقافي يمكن أن تكون وسيلة لتربية الجديدة على المواطنة)².

ولكي نصل إلى المواطنة الديمقراطية يجب أن يكون هناك مشروع اجتماعي تربوي هادف ومقصود، يأخذ في الحسبان ديمقراطية التعليم واجباريته، ومحاسبة الأولياء الذين يساهمون في تسرب أبنائهم من المدارس وفي منعهم من الالتحاق بها. والسعي لتحقيق مجانية التعليم في المستويات الأولى/الابتدائية، ويجب العمل أيضا على محاربة كل أشكال الإقصاء والعزلة والتهميش لجهة دون أخرى، خاصة على مستوى الأرياف التي تعاني من مستوى معيشي اقل مما وصل إليه المستوى في المدن، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص دون استثناء أو تمييز. إنه على النشء أن يكون على قسط ولو ضئيل بالثقافة الديمقراطية القائمة على العدل والمساواة، حتى يتسنى له الممارسة الوطنية بفكر متحرر، وعن قناعة كبيرة بحدود حقوقه وواجباته، وهو النضج الذي لا بد منه لتحقيق المواطنة الديمقراطية، فيعرف الفرد كثير من المقومات والمبادئ التي منها المشاركة السياسية، المسؤولية الوطنية، حب الوطن والدفاع عنه، الشعور بالانتماء، الاعتزاز باللغات واللهجات الوطنية، بالعادات والتقاليد، الافتخار بالتاريخ الوطني وبكل البطولات والانجازات الوطنية، معنى الحقوق

¹ - ينظر: أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص41.

² - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p27.

والواجبات والوعي بأنها حقوق إنسانية عالمية شرعتها الديانات السماوية والتشريعات والتنظيمات الوضعية، حب القوانين والتنظيمات والعمل بها في كل مجالات الحياة¹. فإذا كان المجتمع مكون من (مواطنين أحرار ينتظمون في بنى وتشكيلات وتنظيمات ضرورية كالفئة أو الطبقة الاجتماعية أو الجماعة المهنية، وأخرى إرادية طوعية كالجمعيات والمؤسسات الدينية والأحزاب السياسية، ويؤلفون نسيجاً من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية التي تقوم على المواطنة وعلى حرية الفرد وحقوق الإنسان، فإن المجتمع المدني بهذا الشكل يساهم في تقديم القدوة عن الديمقراطية)².

أما فيما يخص التربية على المواطنة (فمن المستحيل أن نجد في جميع المناهج والمذاهب الفلسفية اعترافاً أوفى من اعتراف أفلاطون بأهمية النظم الاجتماعية في التربية من جهة، وباعتماد هذه النظم على الوسائل المستخدمة في تهذيب النشء من جهة أخرى. كما أنه من المستحيل أن نجد إدراكاً أعمق من إدراكه لوظيفة التربية في اكتشاف استعدادات الأفراد وإنمائها وتدريبها على النحو الذي يضمن اتصالها بأعمال الآخرين)³. وهذه هي التربية على المواطنة الحقيقية، تربية النشء على الحقوق وعلى الواجبات وعلى احترامها والمطالبة بها، وتعليمه كيفية ممارستها وتطويرها في المجتمع وداخل الوطن، والأمر هنا يتعلق بتكوين الشخصية القاعدية للفرد/مواطن المستقبل، وتكوين نظريته وصورته الأولى للحياة، وما تقتضيه من ثقافة حول حقوق الإنسان المتمثلة في كل الممارسات والسلوكات الاجتماعية وعلاقاته مع الأفراد ومع المؤسسات الوطنية. إن تربية النشء على المواطنة تعني تربيتهم على قيم الديمقراطية والتغيير البناء وعلى حقوق الإنسان، وكل هذا متوقف على الأسرة والمجتمع (فكل حركة إنسانية هي نتاج لحركة اجتماعية... فالعنف والإرهاب بصفة خاصة نتاج لعملية حراك اجتماعي معينة تم تحريكها بتفاعل عوامل مختلفة منها العوامل السياسية والعقائدية والنفسية والاقتصادية)⁴، فلنحذر أي وجهة نوجه أطفالنا.

1 - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص45.

2 - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص ص 121-122.

3 - الديمقراطية والتربية، جون ديوي، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص92.

4 - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص75.

(المقصيون من المواطنة والديمقراطية، هم هؤلاء الذين لا يستطيعون ممارسة مواظنتهم، لأنهم يعيشون حياة مزرية أو ليس لهم نفس الحقوق ونفس الواجبات مع الآخرين، إنه أن تعيش وتمارس الديمقراطية معناه قبول الحق في حرية التعبير والكلام، واجب الديمقراطية هو محاربة الإقصاء، أما السبب الحقيقي للإقصاء فهو الخوف: الخوف من الآخر، من الغريب، الخوف من المأساة، الخوف من العنف، الخوف من المرض وخاصة الأوبئة)¹، وعليه تعني المواطنة والديمقراطية المشاركة الشاملة في الحياة العامة بصفة فعالة، والعضوية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الحقيقية في المجموعة، في الأمة وفي الوطن، والحصول على فرص متكافئة لتغيير وتطوير نمط الحياة الفردية. والاستفادة من الأنشطة التعليمية التي تؤهل المواطنين لأن يكونوا صالحين ونافعين وأحرار ومسؤولين أمام كل تصرفاتهم وسلوكياتهم، وأمام القانون والتشريع المعمول به. وهو ما يبرهن بصفة جلية عن الشعور بالانتماء للأمة وللوطن والذي لا يكون صدفة أو تلقائيا ولكن نتيجة عمل ومشروع تربوي، تعليمي واستراتيجي، يأخذ بجدية العلاقة الوطيدة بين التعليم والتعلم والديمقراطية والمواطنة والثقافة، (الديمقراطية كشكل من أشكال الحياة ونظم الحكم السياسية المعاصرة التي يتوقف عليها طبيعة وبنية النظام السياسي الاقتصادي، لا يمكن لها أن تنشط وتتواجد إلا في إطار من الحرية، فالإنسان الحر هو مطلب أساسي من مطالب الديمقراطية والحياة السياسية القائمة على التعددية السياسية والثقافية، والتعليم بحكم طبيعته وتكوينه وفلسفته وسياسته، قائم على تشكيل وتكوين المواطن، ومن هنا فإن تكوين وتنشئة المواطن من خلال نظام التعليم أمر أساسي وضروري، لذلك فإن طبيعة النظام السياسي الديمقراطي ستعطي التعليم الفرصة والآلية لتشكيل المواطن الحر، المبدع القادر على التعاطي مع متطلبات الديمقراطية)²، ومشاكل الحياة والوطن بإيجابية كبيرة.

(الديمقراطية ليست نظام حكم فقط، إنها فرضت كطموح جماعي كبير، لحرية مثالية وللحياة السعيدة في الوقت نفسه، تميل من وقت لآخر لتحديد واعتماد بعض القيم السيسيواجتماعية التي لا رجعة ولا نقاش فيها، والجمع فيها مع بعض القيم الأخرى كالحرية والمساواة، وحقوق الأغلبية وحقوق الأقلية، وحماية حق حرية التعبير وحق المشاركة في

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p173.

² - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص7.

الحكم. فالمعنى الخاص لديمقراطية المواطنة بحاجة لإحساس وشعور الجميع بضرورة المشاركة في الحياة المؤسساتية، التي هي المعبر الوحيد على العدالة السياسية. الديمقراطية هي أيضا الثقافة العامة المبنية والمؤسسة على المبادئ المشتركة)¹، فالديمقراطية إذن هي صفوة المواطنة فهي أعلى درجة من الممارسة المواطنة الراقية، وهي لا تكون إلا إذا تشكلت مجموعة من العلاقات المبنية على التفاهم والمشاركة والاحترام المتبادل بين المواطنين والسلطات الفاعلة على مخرجات وموجبات المواطنة الديمقراطية الحقيقية. وهذا لا يتم إلا من خلال الاهتمام بالجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تسمح للمواطن بالمساهمة والتعبير عن وجوده وأهميته في المجتمع بحرية وأمان، فلا يمكن أن نتكلم عن حقوق سياسية واقتصادية واجتماعية ما لم يوجد ضمانات ممارستها داخل المجتمع والوطن، وهو ما يمثله القانون والتنظيمات والتشريعات الفاعلة والمنتخبة ديمقراطيا، وقوة تطبيقها واحترامها والعمل بها، فكل من المواطنة والديمقراطية تعبير عن حقوق الإنسان الحر، وعن حقوق المجموعات والأقليات في التعايش والتفاعل وفي الحياة معا في كنف العدل والمساواة، والمشاركة المتساوية في صنع القرار ورسم المستقبل وتحديد المصير، كل حسب كفاءته ومردوده لا كنتيجة لتمييز عرقي أو جنسي أو أي لون من ألوان التمييز، (يقول كومنيوس في شرحه لمفهوم الحكمة العالمية أو باناسوفيا *panasophia* كل شيء يجب أن يعلم لجميع الناس بدون النظر إلى ثروته أو دينه أو جنسه أو عرقه، يقول كومنيوس هذا في الوقت الذي كانت فيه المرأة تعاني من الدونية تجاه الرجل، يضيف كومنيوس أن المرأة لها نفس القدرات الفكرية كالرجل)².

الكلام عن المواطنة والديمقراطية يقودنا للحديث عن مصطلح آخر وهو ديمقراطية التعليم، الذي نعني به تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، وجعل التعليم في متناول كل أفراد المجتمع، وتوفير كل الوسائل المادية والبشرية لإتاحة التعليم للجميع دون تمييز، وهي أيضا (جعل التعليم ذا خاصية شعبية يستفيد منه الجميع بدون استثناء أو إقصاء، فتصبح المدرسة مفتوحة للفقراء والأغنياء بطريقة عادلة ومتساوية تتكافأ فيها الفرص)³، وعندما

¹ - Monique Castillo, La citoyenneté en question, p60.

² - ينظر موقع <https://www.wikipedia.org> بتاريخ: 10 مارس 2017.

³ - جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، ص13.

ننجد في تحقيق مبدأ الحرية في التفكير، ونرسي مبادئ الديمقراطية على مبدأ العدل والمساواة وتكافؤ الفرص، نتوصل إلى بناء (المجتمع المفتوح، المجتمع الذي يسعى عن قصد وتصميم في سبيل تطوره، ولا يعمل فقط على المحافظة على الوضع الراهن...وهو مجتمع يقبل التغيير كوسيلة للقضاء على الفساد والانحلال، وأن الذكاء الإنساني والمجهود التعاوني من جميع أفراد المجتمع، تؤدي جميعا إلى نمو الإنسانية وتقدمها... ديمقراطية التعلم: المقصود بها أن يكون التعليم منصبا على المتعلم الذي ينبغي أن يستفيد من جميع التعلّات على غرار أقرانه، بشكل عادل أو متساو في إطار تكافؤ الفرص)¹.

¹ - المرجع نفسه، ص12.

II/الفصل الثاني: المواطنة والعملية التعليمية.

تمهيد: إن غريزة حب المعرفة والإطلاع سيطرت على فكر الإنسان منذ أن وطأت قدماه الأرض، فهي غريزة يميلها فضوله، وتفاعله وردّة فعله على ما يدور حوله في الطبيعة، محاولة منه لمعرفة وتفسير كل المظاهر المحيطة به، ولتطوير وسائل معيشته في الحياة وفي البحث وفي الحصول على معارف جديدة. كان التعليم وما يزال وسيظل مجالاً للبحث وللتطوير، ما جعل الفكر التربوي الإنساني يعرف مراحل كبيرة من التغير والتطور، من المرحلة الكلاسيكية القديمة إلى المرحلة الفكرية الحديثة والعصرية¹. وكان للفكر التربوي دور كبير في تمدّن الإنسان وتحضره، من خلال الأفكار والمعارف والعلوم الجديدة، التي أثرت في تغيير حياة الإنسان الاجتماعية وتطويرها. تسمى هذه الحركات التطورية الإنسانية التي عرفتها المجتمعات (بالعمليات الاجتماعية التي تعني ديناميكية الحياة الاجتماعية، وما تتضمن من أفعال تقتضي الدخول في علاقات ترتبط باستمرار الحياة الاجتماعية، وتغييرها وتكييفها. فهي تتضمن كل ما يسهم في تنظيم العلاقات الاجتماعية بين مكونات النظام الاجتماعي التي تتصل بمجال البيئة والأفراد، والأنظمة الاجتماعية وثقافة المجتمع، وفلسفته)².

ومن نتائج الحياة الجديدة ظهور فكرتي المواطنة والديمقراطية، وهما تحصيل حاصل لتطور حياة الإنسان الفكرية والتربوية، فلقد لعب الفكر التربوي والتعليمي دوراً كبيراً في معرفة الإنسان للمواطنة وممارسته للديمقراطية بكل صورها وتجلياتها، سواء كانت السلوكات أو التصرفات، أو كل الممارسات الاجتماعية والإدارية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية والثقافية بشكل عام، التي عرفها الإنسان بفضل تطوير وسائل التربية والمعرفة الإنسانية. فالمواطنة ليست خاصية ملازمة للإنسان أو للطبيعة مثل المعرفة، ولكنها إنتاج اجتماعي حضاري مدني، طوره الإنسان من خلال التفاعل الاجتماعي الحاصل بين الأفراد والمجتمعات، وبفضل كل المبادرات الإبداعية الإنسانية الفردية والجماعية. وقد ساعد ظهورها (في تنسيق القيم والاتجاهات والمواقف المختلفة لدى المجتمع وأفراده...وفي تمكينهم من التفاعل مع البيئة المادية والاجتماعية والتكيف معها، عن طريق

¹ - ينظر: شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص 25.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 136.

تشكيل النموذج المعرفي والمنهج الفكري والشخصية الثقافية)¹. صف إلى ذلك أن التربية والتعليم على المواطنة (والديمقراطية، يحقق مجموعة من الوظائف الجوهرية كالتعليم والتثقيف والتثذيب والتنوير وتحرير الفكر من قيود الأسطورة والخرافة والشعوذة والسمو بالإنسان نحو آفاق إيجابية ومثالية)². لكن يجب أن نحذر من تطور المجتمعات وبداية سيطرة الظروف الاجتماعية/الاقتصادية على حياة البشر، فعندما (يتحول المجتمع شيئا فشيئا إلى ما يشبه السوق، تغيب القضايا الإنسانية والاجتماعية والفكرية والقيم والسياسية، والوطنية)³، فنفقد من ورائها إنسانية الإنسان أي نفقد المواطنة.

تكاد المواطنة أن تتلخص في مجموعة الواجبات والحقوق الإنسانية، المتجذرة في طبيعة الحياة الإنسانية، وفي ممارساته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لهذه الحقوق والواجبات، التي أخذت حديثا مصطلح حقوق الإنسان. إن التمتع بالحقوق والواجبات هو ما يمنح للفرد المناخ الملائم للتعبير عن حريته وكفاءته، واستظهار مواهبه وذكائه ومهارته في الحياة الاجتماعية، وإشباع حاجياته الروحية وغيرها من المتطلبات الحياتية الأخرى. فترتبط المواطنة بظروف الإنسان الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، وتصنع (المجتمع الحر... الذي يشترك أفراداه أيضا، في تطويره وتوجيه التغيير الاجتماعي الحاصل له)⁴.

إن حياة الإنسان الصعبة التي عرفها في العصور الأولى، هي التي شحذت فكره وصقلت موهبته لمواجهة كل الصعاب والمشاكل الحياتية، وأثرت فيه بصفة كبيرة ودفعته لتطوير نمط حياته ومناهج الفكر والتفكير. وفي هذا لعب الفكر التربوي دورا كبيرا في تطوير ورسم معالم المواطنة وقيمتها وممارستها وحدودها وشروطها. وفي المقابل ارتبطت المواطنة بحياة الفرد والمجتمع، وبمجمال مكونات الشخصية الإنسانية القاعدية، وأهلته لخلق قوانين وأنظمة ومؤسسات لتنظيم الحياة بين الأفراد، والحفاظ على المكتسبات والانجازات والبطولات وحمايتها. واستطاع الإنسان بفضل كل الظروف الاجتماعية

¹ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

² - جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، ص12.

³ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel ,p14.

⁴ - المرجع السابق، ص12.

والسياسية والاقتصادية والثقافية مجتمعة، أن يحول تلك الأفكار والقيم والمعايير الوطنية المجردة، إلى سلوكات وممارسات نظامية وقانونية تعبر عن تحضره وتمدنه وتطوره.

هكذا أصبحت تربية النشء وتعليمه على المواطنة عمل استراتيجي وهدف لكل السياسات التربوية الراشدة، (المدرسة هي المكان الأساسي لبناء أي مواطنة، ومواجهة كل أنواع الفكر المتطرف الهادف للعصبيّة والتفرقة)¹، وأصبح تعليم المواطنة هو ترسيخ ثقافة الحوار في كل المجالات والميادين وترسيخ قبول ثقافة التنوع والاختلاف، لبناء الوطن الواحد والقوي بتنوعه واتحاده، وترسيخ شعور الدفاع عن الإنسان وحمانيته والدفاع عن حقوقه المشروعة، حسب القوانين والدساتير والتشريعات السارية المفعول، (وتحقيق التماسك الاجتماعي لأبناء الوطن وتكوينهم في إطار من الوحدة الثقافية، التي تحقق التجانس الاجتماعي والثقافي، وتسيّد ثقافة وطنية مستنيرة لكل أبناء الوطن، تحقق التنوع في إطار من الوحدة)² والاستقرار والتضامن. لهذا يكون للظروف الاجتماعية ومناهج التعليم أهمية كبيرة في ترسيخ قيم المواطنة، وإن ما يعيشه اليوم كثير من الشباب الحديث من انقسام في الشخصية، وتعارض في القيم والأفكار، ليعود لخلل في المواطنة نتيجة مشاكل كبيرة في واقع التربية والتعليم وفي المناهج التعليمية المعتمدة لهذه المجتمعات.

1- تعريف التربية:

1-1/ التعريف اللغوي: فهي تعني: (تربّ "التربي": مص ترَبّي.

تربويّ: نسبة إلى التربية I مدرّس تربوي: يجمع بين الدراسة الأكاديمية ومناهج التربية وطرق التدريس. تربية: 1 مص ربّي، 2 "في علم النفس": تنمية الوظائف الجسمية والعقلية والخلقية كي تبلغ كمالها I أصول التربية "علم": وظيفته البحث في أسس التعليم وقواعده، التربية "علم": وظيفته البحث في أسس التنمية البشرية وعواملها وأهدافها الكبرى تربية بدنية /رياضية: تقويم الجسم وتدريبه، عديم التربية: قليل الأدب كلية التربية: الوزارة المسؤولة عن التربية والتعليم (تسمى كذلك: وزارة التربية والتعليم — وزارة المعارف)³.

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p124.

² - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص30.

³ - جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص ص 502-503.

1-2/التعريف الاصطلاحي: التربية (مفهوم مرتبط من حيث الطبيعة

والشمول بمفاهيم أخرى عديدة. كالوعي، والاتصال، والثقافة، والحضارة، والتمدن، والتعليم، وغيرها. على أن مفهوم التربية عند الجميع يتصل، من حيث المعنى الاصطلاحي، بالإنسان حصراً دون غيره من المخلوقات، وأنه يتضمن معنى نقل المعارف والخبرات والمواقف والاتجاهات والمهارات من طرف إلى طرف آخر وتطويرها، والتشارك في هذا النشاط¹، كما يدخل في مجالها نقل وتمير الأفكار والعمليات والاستراتيجيات والمبادئ والقيم والأهداف المستقبلية من إنسان إلى إنسان آخر، أو من مجتمع لمجتمع، أو من أمة إلى أمة أخرى، ويضع كل مجتمع الآليات والتنظيمات اللازمة لتحسينها وتجديدها وفق ما يفرضه العصر، وما تفرضه تطورات حياة الإنسان. هكذا يضع كل مجتمع العمق والتاريخ والمصير المشترك لشخصيته التربوية، فيحافظ على بقائه واستمراره، ويرسم تميزه واختلافه وخصوصيته بين الشعوب والأمم، من خلال تكوين النشء وتعليمهم منذ الصغر على حب القيم والمبادئ الوطنية والدفاع عن الوطن وغرس الشعور بالانتماء للمجتمع وللأمة. لأن (هدف التربية الأساسي هو تنمية التفكير واستغلال الذكاء، فمعنى هذا أن التربية تعمل من أجل الحرية الإنسانية، فالتأكيد على نمو الطفل هو تأكيد على تحرير قدراته العقلية من قيودها، وإتاحة الفرصة لها للانطلاق حتى تستطيع أن تستخدم بطريقة فعالة إمكانيات البيئة التي يعيش فيها)². إنها عملية إعداد وتكوين وتنشئة للطفل، تمس كل جوانب حياته الروحية والجسمية والفكرية والاجتماعية والمدنية والثقافية والسياسية والوطنية، فهي عملية تكيف أو تفاعل ما بين المتعلم والبيئة التي يعيش فيها³.

اهتمت الشعوب منذ القديم بقضية التربية، وحاولت مرارا وتكرارا ضبط السلوكات الإنسانية وفق رؤى وتوجهات مختلفة، تتحكم فيها وتمليها مجموعة من الأفكار والمعتقدات السائدة آنذاك. (إن لفظ التربية بمعناه المتعارف عليه في العصر الحديث، لم يكن متداولاً في الأدبيات القديمة. ذلك أن التأديب والتأديب والتهدب والتهديب والتعلم والتعليم والنصح والإرشاد وغيرها من المفردات، هي التي كانت تغطي على كتابات المربين

¹ - حارث عبود، الاتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2009، ص ص 53-54.

² - جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، ص12.

³ - ينظر: أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص37.

والمهتمين بميدانها، لتعني التخلق بالأخلاق الحسنة، وتعليم الأبناء القيم الأخلاقية والتزام الفضيلة، وحثهم على التعلم واكتساب المعرفة والمهارات المهنية. واتسع ذلك ليشمل القيم والمثل والثقافة والتحضر، وما إليها مما يتصل بالتكيف للحياة وتكيفها¹. إذن شملت التربية آنذاك كل مناحي الحياة العامة، ومحاولات وسبل تحسين نمطها وتطويرها، كما كانت تشمل تعليم المعارف والعلوم والفنون المختلفة خاصة الرقص والمبارزة والمصارعة. وكانت تركز في مجملها على تنشئة الطفل على حب وطنه والدفاع عنه وعن شرفه، وتنشئته على حب وتبني بعض القيم والمبادئ الاجتماعية والوطنية والسياسية، والعادات والتقاليد والأعراف، حتى تنعكس على سلوكياته، وتتكسّر في مخيلته، وتنقل بين الأجيال التي تسكن نفس المنطقة. بالإضافة إلى تعميق الحس والشعور بالواجب تجاه المجتمع، وتنمية الشعور بالانتماء للوطن والاعتزاز به، وغرس حب الوطن والوطنية والأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين، واحترام النظم والتعليمات. وتعريف النشء بمؤسساتهم وهيئاتهم وموجبات احترامها وحبها وحمايتها والدفاع عنها. (فالتربية هي تنمية جميع جوانب شخصية الناشئ ليكون مواطناً سعيداً صالحاً، وحيث أن لكل مواطن حقاً في أن يكون له دور في سياسة بلده، فلا بد أن يتم تنمية هذا البعد من شخصيته ليلعب دوره السياسي بوعي وخلق ومسؤولية)².

كان الآباء والأجداد وأولياء الأمر والمسؤولون، يحرصون على تعليم الأبناء ما كان عليه الكبار من علم ونضج اجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي، فيتعرف الأطفال ويتعلمون ما يجب أن يقومون به كمواطنين صالحين في المجتمع وفي الأمة. فتسهر الأسر بشكل عام على (بث القيم في نفوس أفرادها، وبإكسابهم المفاهيم والعادات والتقاليد التي تضبط سلوك أفرادها وتحكم علاقاتهم الاجتماعية داخل الأسرة وخارجها)³، وبهذا يتلقى الأطفال الإعداد الأحسن والتكفل اللائق على كل الأصعدة. وبهذه التربية يتم التحكم في كل الصفات المرغوبة والخصال المطلوب وجودها وتوفرها في شخصية الطفل، وإعداده إعداداً يتضمن كل المعارف الدينية والروحية الخاصة بالعبادة، وبمعرفة الله وصفاته وبممارسة كل الشعائر الدينية والروحية، وتأهيله لمعرفة كل واجباته وحقوقه. (لقد كانت التربية وسيلة

¹ - حارث عبود، الاتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2009، ص 55.

² - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/الأردن، ط1، 2011، ص 233.

³ - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2011، ص 19.

للمحافظة على النظام الاجتماعي الاقتصادي القائم وتعزيزه¹، فهي عملية إعداد وبناء شاملة ومبرمجة لشخصية الإنسان، ويبقى على هذا الأخير القيام باستكمال بنائها، موظفا خصوصياته وأبعاده الخاصة. إن هذه التربية الأسرية الأولى مهمة جدا للطفل، (فهي الصالحة من وجهة النظر العقلية لتوفير التبادل الفكري الحقيقي والفعال، وهي تؤدي من الناحية الخلقية إلى ممارسة حقيقية لمبادئ السلوك، وليس إلى مجرد خضوع خارجي. وليس الغرض هنا هو نفي أثر المعلم، ولكن هو جعل ضغطه مرنا، بحيث يتحول إلى تعاون بين المعلم والمتعلم)²، وهكذا فقط يكتمل التكامل بين جميع الأطراف المشاركين في العملية التربوية الضرورية للطفل. ويكون كل ذلك متابع من طرف الدولة فهي الوحيدة التي (تستطيع أن تضع المناهج والبرامج لهذا التعليم، وأن تقوم على تنفيذ هذه المناهج والبرامج. وأن تلاحظ ذلك ملاحظة متصلة دقيقة، حتى لا ينحرف التعليم عن الطريق التي رسمت له)³.

ورغم الانتشار الواسع والاستعمال المكثف لمصطلح التربية، (إلا أن مفهومها لازال غامضا، حتى بالنسبة لكثير من المشتغلين في المجال التربوي؛ يتجلى هذا الغموض في كون كثير من الأفراد يخلطون بين التربية وبعض المصطلحات المرتبطة بها كالبيداغوجيا والتعليم والتكوين، بسبب وجود علاقة وطيدة بينها)⁴. أما إذا رجعنا إلى كلمة التربية "Education"، وجدنا أن معناها مجرد عملية القيادة والتنشئة؛ وإذا فكرنا فيها من ناحية نتائجها، فلا بد لنا أن نقول إنها عملية صوغ وتكوين لفعالية الأفراد، - صب لها في قوالب معينة - أي تحويلها إلى علم اجتماعي مقبول لدى الجماعة⁵، وتبدأ هذه التنشئة الاجتماعية من البيت فتعتبر (فترة ما قبل المدرسة من أهم الفترات في تشكيل ملامح شخصية الفرد المستقبلية، وتحديد معالم سلوكه الاجتماعي والسياسي المستقبلي، بما يتضمنه ذلك من قيم واتجاهات ومفاهيم ومبادئ وسلوكيات، وهي من أكثر المراحل العمرية تأثيرا

1- أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 609.

2- غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، دار منشورات عويدات، والشركة الوطنية للتوزيع والنشر، بيروت/لبنان، دس ط، ص 34.

3- شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص 31.

4 - بوفلجة غيات، التربية ومتطلباتها، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران/الجزائر، ط 2، 2004، ص 5.

5- الديمقراطية والتربية، جون ديوي، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 11.

في نمو الفرد¹ وتشكيل شخصيته القاعدية. وتكون الأسرة في هذه المرحلة هي الخلية الأساسية، إذ تبدأ بالتربية البيولوجية عن طريق الأم بواسطة الرضاعة والحضانة والحماية الصحية والجسدية، ثم تنتقل إلى أول تصادم مع العالم الخارجي، وهي عملية اكتساب لغة الأم وسلوكها وثقافتها، وفي هذا يقول حافظ إبراهيم: الأم مدرسة إن أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق، أي أعددت شعبا متربيا وذو شخصية ومبادئ وقيم، ثم تنتقل عملية التربية إلى الروضة وهي أسرة موسعة ومنها إلى الجيران والأهل وأخيرا ينتهي به الأمر في المدرسة، وهي التي تختزل كل المحيط الاجتماعي، هذا دون أن ننسى عناصر المحيط المكمل من الشارع والمسجد والإعلام السمعي والمرئي. (فلمحيط الخارجي تأثير على سلوكيات التلاميذ خارج المدرسة وداخلها: فالعديد من المدارس تشكو من ضعف في التجهيزات في المحيط المباشر كالفضاءات الخضراء والنوادي... حيث أصبح المحيط المباشر فضاء تباح فيه العديد من التجاوزات والسلوكيات المنافية لقواعد الحياة المدرسية وخاصة العنف المادي واللفظي)². لكن في المقابل يجب التأكيد أيضا أن (التطور المذهل والمتسارع للقيم والأخلاق قد يكون عاملا آخر للاستقرار. فلقد كانت الأسرة في الماضي هي الإطار الطبيعي لتحضير مواطن المستقبل، لانتقال الفرد من قانون الأسرة إلى قانون الدولة ودولة الحقوق. وحديثا مع توفر وسائل تعويض الأسرة بدأ هذا الدور القديم للأسرة يتلاشى، وتولت علوم أخرى التكفل بعملية حمل القيم المنقولة من جيل إلى آخر)³. وعليه تكون التربية (مهمة علمية وأخلاقية وفكرية واجتماعية تضطلع بها الأسرة والمجتمع، وتتضافر في أدائها جهود مؤسسات وهيئات عديدة، رسمية وغير رسمية، تشمل البيت والمدرسة والمسجد وأجهزة الإعلام والمقهى والنادي الرياضي والاجتماعي، وغيرها من مصادر المعرفة والخبرة والتطوير الثقافي والحضاري)⁴.

وفي كل هذا تبقى الأسرة هي القاعدة الأساسية لتربية الطفل، وهي المسؤولة على توفير الأمن والحماية والسعادة والعيش الجميل للطفل، وتربيته في مناخ من

1- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 182.

2 - عبد الوهاب محجوب وبمشاركة مجموعة من الباحثين، العنف المدرسي دراسة السلوكيات المنافية لقواعد الحياة المدرسية، تونس: المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، ط1، 2011، ص ص 121-222.

3 - Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p2.

4 - حارث عبود، الاتصال التربوي، ص 56.

الحب والود والحنان والاستقرار، لكي يحقق التوازن العاطفي والاجتماعي الأول، ومصدر شخصيته القاعدية، إن النمط الأسري هو أول نمط حياتي يكتسبه الطفل ويمارسه، وفي الأسرة يأخذ السلوكات والممارسات السياسية والاجتماعية الأولى في الحياة¹، فيها يتعلم ما له من حقوق وما عليه من واجبات، فيها يكبر ويكتسب كل سلوكاته ومعارفه ومعتقداته الابتدائية. وعلى أساس هذه الشخصية الموروثة يستند لاستكمال بناء ورسم شخصيته الخاصة وفق ما تعلمه وما اكتسبه في حياته من معارف وأفكار ومكتسبات وقيم ومبادئ ومعايير أخرى جديدة وعصرية، كلها تؤثر في رسم شخصية الإنسان وتربية². وهكذا من خلالا الزواج بين الأصالة والمعاصرة نتوصل إلى تكوين مواطن صالح، مفيد، معطاء، ومنتج لمجتمعه وأمته ووطنه، وقادر على التكيف في كل الظروف الحياتية، ومهيئاً لمجابهة الحياة الاجتماعية، إن التعامل مع الطفل بإيجابية وتفتح، واحترام خصوصياته وشخصيته، يساهم في بناء شخصيته وحرية وتحرره في التفكير والعمل، كما تساهم في بناء قراراته وتوجهاته بصفة وضعية تحترم الآخر وتؤمن بالتعايش معه، وبعيدة عن التعصب والتطرف والإقصاء، (تشكل التربية معارضة مستمرة لكل تطرف سياسي أو فكري، فللتربية دور اجتماعي، وهو بشكل رئيسي دور مستقل وديمقراطي)³.

تكمن قيمة (التربية المدنية في تزويد التلاميذ بقناعات تساعد على تحقيق التعايش السلمي والاستقرار وممارسة ثقافة السلم، ولذلك تحمل مكانة خاصة في المنظومة التربوية، نظراً لما تطمح إلى غرسه لدى الناشئة من مفاهيم وقيم)⁴ اجتماعية وحضارية ووطنية، (التربية الوطنية هي ذلك الجانب من التربية الذي يشعر الفرد بموجبه بصفة المواطنة ويحققها فيه، وهي أيضاً تعني تزويد الطالب بالمعلومات التي تشمل القيم والمبادئ والاتجاهات الحسنة وتربيته إنساناً ليصبح مواطناً صالحاً يتحلى في سلوكه وتصرفاته الأخلاق الطيبة، ويملك من المعرفة القدر الذي يمكنه من تحمل مسؤولية لخدمة دينه ووطنه ومجتمعه)⁵، أما التربية على المواطنة فهي سليقة التربية العامة وهي التربية على حب

1- ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص182.

2- ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص611.

3- المرجع نفسه، ص612.

4- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص126.

5- المرجع نفسه، ص72.

الوطن وعلى الحقوق والواجبات الوطنية، التي تهدف إلى تنشئة الطفل على القيم والمبادئ الوطنية والديمقراطية، وحقوقه السياسية والمدنية وكل الواجبات تجاه الوطن والأمة، بالإضافة لاحترامه حقوق وواجبات غيره من المواطنين، وتربية الأطفال على تعميق وتجذير الحس الوطني والشعور بالواجب تجاه المجتمع والوطن، وتقوية الشعور بالانتماء والاعتزاز بالمصير المشترك، وغرس حب الوطن والتوجهات الوطنية، بالإضافة لغرس مشاعر الأخوة والتفاهم والتعاون بين المواطنين، واحترام النظم والقوانين والتعليمات، وحب المؤسسات الوطنية السياسية والاقتصادية. إن الممارسة الفعالة للمواطنة تدل على التربية الحسنة والعميقة للناشئة، وتدل على أن التربية على المواطنة جزءا هاما من التربية العامة ومن كل الإستراتيجية والمنهجية التربوية الوطنية، لقد (أصبحت أولوية وطنية، وحقًا مضمونا لكل من يتمتع بالجنسية الوطنية، وحاجزا ضد اللامساواة)¹ والإقصاء والتهميش. لكن هذه التربية الموجهة، التي أصبحت المجتمعات والأمم تليها الاهتمام الكبير، وتكرس لها موارد مالية وبشرية عظيمة لها حدودها وشروطها. (التربية من أجل المواطنة هي ذلك النشاط التعليمي التربوي الذي يدمج الأجيال في مجتمع متحرر أو متجه نحو التحرر، كما يدمج ثقافة المواطنة بالأجيال الناشئة. فالتربية على المواطنة، هي عملية تأهيل الأجيال للمساهمة الفعالة في قضية التحرر المواطناتي... ويتم التأهيل من خلال تنمية القدرات الذهنية والعقلية وتزويد الناشئة بالمعارف العلمية والقيم الاجتماعية، وبخاصة قيمة الحرية، وتطوير الأذواق الجمالية للفن والأدب، وتربية المهارات العلمية اللازمة للحياة، والانفتاح على العالم، مع استيعاب ثقافة العولمة)². وتعتبر التربية على المواطنة (صورة من صور التوعية الفردية والجماعية والتأهيل الاجتماعي والتوجيه الصحيح، ومثال على تحسين أوضاع البنية الاجتماعية والاقتصادية... وتؤدي إلى صقل شخصية التلاميذ وتزويدهم بالوسائل المعرفية التي تمكنهم من وعي دورهم في المجتمع واستيعاب الواجبات المطلوبة منهم، وأدائها عن عقيدة وإيمان واقتناع)³.

¹ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p106.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص64.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص126.

2 - شروط التربية السليمة: من الصعب تجسيد أي مشروع تربوي دون

تخطيط، أو دراسة مسبقة تأخذ في الحسبان حالة المربي والطفل والبيئة التربوية الاجتماعية والسياسية، ومجموعة من (شروط الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، حتى يمكن إنجاز وإنجاح خطة تعليمية وخطة تنموية متناسبتين، تكون فيهما التنمية في خدمة التعليم، والتعليم في خدمة التنمية وينسجم من خلالهما النظر مع العمل، ويزول التناقض القائم بينهما، وتلتصق المدرسة بالمجتمع والمتقف بواقعه الاجتماعي وبمصلحة المجتمع)¹. وعليه فمن المتعارف عليه أن التخطيط لأي مشروع تربوي نهضوي إصلاحي لا بد له من تحضير وبحث ومشاورة، ولا بد من توفير الجو المناسب لمباشرة أي عملية تربوية ناجحة. فالتخطيط للمشاريع التربوية يعتبر من أصعب المهام التي تواجه المختصين والعاملين والمنشغلين بالمجال التربوي، سواء على مستوى القاعدة أو على مستوى الهرم. وتصبح كذلك عليهم مسألة توحيد الرؤى والمناهج حول التربية على المواطنة، ويواجهون أيضا عتبة التنوع اللغوي والديني والعرقي في المجتمع. فيصعب تحقيق الإجماع أو لم الشمل أو حتى تلبية كل ما تطلبه أطراف هذا المجتمع الفسيفسائي من تربية وتعليم ومعرفة. ويجب أن تأخذ كل البحوث والدراسات في الحسبان هذا الجانب الحساس، وأن تجعل منه عامل لَم واتحاد وليس عامل فتنة وتفرقة، عامل إثراء وقوة وليس عامل ضعف وتناحر. المطلوب من التربويين ومن الآباء والأولياء ومسؤولي ومنشطي دور الحضانة، والمعلمين في المدارس وحتى الأئمة في المساجد، ومسؤولي الرياضة والقائمين على كل النوادي الثقافية والرياضية ومراكز التسلية والترفيه، وكل من له يد في العملية التربوية من بعيد أو من قريب، أن يكونوا على ثقافة وطنية كافية، وأن يكونوا واعين بأهمية القضية الوطنية الواجب عليهم نقلها وتمريضها للناشئة ممن هم تحت مسؤوليتهم أو ممن هم في اتصال مباشر أو غير مباشر معهم، فالتربية أهمية كبيرة في حياة البشر والمجتمعات والدول فهي (أداة ووسيلة المجتمع الأساسية للتقدم، تعد الناشئين ليكونوا بناء المستقبل ومواطنين صالحين في المستقبل. وهي أداة المجتمع في الحفاظ على ثقافته وتراثه الحضاري، وفي إعداد الطاقات البشرية المؤهلة والمدربة. وهي وسيلة الأنظمة السياسية في استمرارها واستقرارها، وفي تحقيق أمانها

¹ - أمانى غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 65.

الوطنية وتطلعاتها القومية، وهي أملهم الوحيد للخروج من واقع التخلف واللاحق بركب الحضارة العالمية المتقدم)¹. وللوصول لهذا المستوى من التربية يجب توفر مجموعة من الشروط أهمها:

-/ نشر وتوسيع ثقافة المواطنة: وهذا يستوجب (تضييق الفجوة بين الثقافة

المجتمعية والثقافة النخبوية، عن طريق ربط النظرية بالممارسة والفكر بالتطبيق العملي، بالإضافة إلى اعتماد سياسة تنموية شاملة تشجع قيم الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية)². وأن تكون كل الأطراف الموكلة إليهم مهام التربية والتعليم، والذين هم في اتصال مباشر مع الطفل على ثقافة مواطنة كافية حتى ولو كانت محدودة فيما يخص الوطنية والمواطنة. ليتمكنوا من تربية الأطفال التربية اللازمة فيما يخص الوطنية والمواطنة، (مبدأ التربية المواطنة وارد في مفهوم الديمقراطية ونظامها التربوي...المجتمع المعاصر ومشاكله موجود في الإطار المدرسي الذي ما هو إلا انعكاس لذلك...ممارسة المواطنة أصبحت توجه أساسي ومهمة متواصلة للمدرسة التي تعترف بتورط دورها في بلورة وبناء فكرة المواطنة لدى التلميذ)³ فيجب أن يحسبهم بأن المجتمع امتداد للأسرة وأن الوطن امتداد للمجتمع، وأن حب الأسرة يستوجب حب المجتمع وحب الوطن الذي هو البيت الكبير الذي يجمعنا. وأن يعملوا بجدية على تمرير مبادئ وقيم وعادات وتقاليد وتراث وأعراف الأمة وتاريخها وثقافتها وبطولاتها وانجازاتها والاعتزاز بها وحمايتها والدفاع عنها⁴، وهذا هو المضمون الثقافي والوطني والتراثي للشعب وللوطن. إن (المفهوم المعاصر للمواطنة هو تعليم التلميذ وتحسيسه بوجود نظام قانوني لكل فرد يتمتع بحقوقه ويقوم بواجباته، مهياً للاندماج داخل مجموعة أو مجتمع. المؤسسة المدرسية تسعى لأن تجعل من التلميذ فاعلاً حقيقياً ومسؤولاً داخل محيطه الاجتماعي)⁵، والمواطنة هي كل السلوكات والتصرفات التي يبديها الطفل أثناء تفاعله مع مضمونه الثقافي الموروث والمنقول إليه، ومع المضامين الثقافية للمجتمعات والأمم الأخرى، ومع ما يتعلمه وما يتلقاه في كل مراحل نموه، في جو من الاحترام والتعايش السلمي القائم على قيم ومبادئ العدل والمساواة والوحدة والتضامن والاندماج والتعايش،

1 - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص239.

2 - المرجع نفسه، ص65.

3 - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p125.

4 - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص140.

5 - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p125.

والاختلاف البناء وحرية التعبير واحترام الرأي الآخر. وهو ما يوفر له ولغيره كل ظروف العيش الكريم والحياة السعيدة والحرية والديمقراطية. فيندفع للدفاع عن الوطن وحمايته، ويتربى على حب الطبيعة والحفاظ على نظافتها وعذريتها، ويتعزز شعوره بالانتماء للوطن وتزداد حماسته لخدمته، في جو من التضامن والتعايش والتعاون في جميع المجالات.

-/ تحسيس الأسر والمجتمعات بأهمية تربية الأطفال على المبادئ والقيم الوطنية:

تعتبر الأسرة (أداة التنشئة التي لا دخل للمرء في اختيارها ولا يملك إزاءها إلا الرضا والقبول، وبذلك فهي تلعب دوراً رئيسياً في عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية، حيث تغرس في أبنائها منذ نعومة أظافرهم معاني الوطنية والولاء والاحترام وتحدد لهم هويتهم¹ وتبني لهم شخصيتهم، وتعد أيضاً (المؤسسة الأولى التي تقوم بتربية وتعليم الأطفال ما تشاء، دون تدخل سلطة أخرى من سلطات المجتمع... أما اليوم هناك مؤسسات تربوية واجتماعية، تساعد الأسرة على القيام بهذه الوظيفة كالحضانة ورياض الأطفال ما قبل المدرسة)². لذا يجب أن يكون هناك وعي عام لدى الأسر والمجتمعات والمؤسسات التربوية والاجتماعية، بأهمية التربية والتعليم على أخلاق وسلوكات المواطنة والمبادئ والقيم الوطنية، (والتعريف بحقوق الإنسان، ومسؤوليات المواطنة المدنية والسياسية والاجتماعية، وطرق المطالبة بهذه الحقوق والمسؤوليات... وتنمية القيم والميول والاتجاهات والمهارات والقدرات الضرورية للمواطنة الواعية والفعالة والمسؤولة والأخلاقية)³. إن مكتسبات ونواتج التربية والتعليم على المواطنة والوطنية إنجاز كبير يجب الحفاظ عليه وتطويره والاعتزاز به، وبالانتماء والولاء لهذا الوطن، ويجب أن يكون الجميع على وعي تام بضرورة تمريره وتعليمه للأطفال في جو من القناعة والرضا والديمقراطية والحرية، حتى يتم تقبله بفخر. ويجب أن نحترس من وسائل الدعاية المغرضة التي تهدف إلى الانسلاخ من تاريخنا وتراثنا، خاصة ما ولّده العولمة ووسائل الاتصال الاجتماعي، ويجب عليهم توفير كل الوسائل والمناخات المناسبة لعملية التربية والتعليم، والسهر على تمرير المعرفة الثقافية في تعليم المواطنة. هذه هي التنشئة الاجتماعية الصحيحة المصحوبة بالثقافة المدنية والوطنية، التي يجب أن يستفيد

¹- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص182.

²- منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم قطيشات، العنف الأسري، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2011، ص20.

³- المرجع السابق ص139.

وينهل منها الطفل في سنوات عمره الأولى، حتى يسهل عليه تقبل ما يدور حوله ويسهل عليه تحقيق التوائم الحسي مع المضامين الثقافية الأخرى التي تمس بثقافته، فينجح في تحقيق حوار الثقافات وتقبل الآخر¹، بالإضافة إلى تمكّنه من معرفة كل حقوقه وواجباته بعيدا عن التعصب والتطرف ومظاهر التفرقة والجهوية. إن هذه الأنشطة التربوية الأسرية والاجتماعية الأولى، تلعب دورا كبيرا في تقدير الشعور بالانتماء الوطني والسياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي للوطن وللأمة.

/- إعطاء أهمية كبيرة لتدريس المضامين الوطنية في المدارس:

تستكمل التربية على المواطنة وتتعرّز بعد الأسرة في المدرسة، حيث يتم التركيز على تنمية المواهب والقدرات الأولى في مختلف المجالات التي تقتضيها التربية الأولية، وتمرير كل القيم والمبادئ الأولى، التي لا تكتمل إلا بتكوين وتعليم ممنهج وموجه وفق إستراتيجية وطنية كبيرة عبر المدرسة²، فالتربية على المواطنة لا تكتمل بمعرفة القيم والمبادئ الوطنية الهامة فقط، وإنما هي شعور وإحساس داخلي مبني على الحب والولاء، ووعي بأهميتها في حياة الأفراد والمجتمعات، يتكون شيئا فشيئا عبر الأسرة والمدرسة. ويتيح تعيشا في كنف السعادة والاحترام والتعايش الآمن، بعد استبعاد كل مظاهر الحقد والضعينة والفتن والحروب، فتتحقق أهداف خدمة الوطن والدفاع عنه، ويصل المجتمع لبناء نظام اجتماعي سياسي اقتصادي ديمقراطي متطور³.

يرى البعض (أن النمو التربوي والتعليمي في عالمنا الحديث، يتصف بتعليم المحتوى)⁴، ومن المضامين التربوية التي يجب التركيز عليها في المدرسة، نجد المواد التاريخية لأنها الوحيدة القادرة على ربط الخلف بالسلف، وتعريفهم ببطولات وانجازات الأمجاد ، وتعليمهم احترام الأبطال الذين صنعوا تاريخ الوطن. كتخصيص حصص ومضامين هامة للمتعلمين في الجزائر حول الثورة الجزائرية والشهداء والمجاهدين، دون ان ننسى زعماء المقاومات الشعبية قبل الثورة التحريرية، إن المضامين التاريخية والتراثية هي العناصر الأساسية التي يجب التركيز عليها في المدرسة لتربية النشء على المواطنة، فيزود

¹- ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية، ص138.

²- ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص65.

³- ينظر: المرجع السابق، ص139.

⁴- المرجع السابق، ص67.

الأطفال بواسطة المناهج والبرامج التعليمية بكفاءات ومهارات الممارسة المواطنة. لمادة التاريخ تأثير كبير في تنمية مشاعر الحب الوطني، والولاء والانتماء للوطن وللشعب وللأمة وللوهية الوطنية، والافتخار بتاريخ الوطن وحضارته وانجازاته الكبيرة، لأن (تاريخ الأمة هو روحها، ومنطلقها الذي لا يمكن تجاهله أو الانقطاع عنه)¹.

تربية الناشئة على قيم ومبادئ المواطنة من خلال نشر وتعميم المضامين الوطنية والتاريخية، يضمن سيرورة المؤسسات الاجتماعية والسياسية واستمرارها واستقرار الوطن والفكر السياسي السائد، والحفاظ على الفكر الثقافي الوطني المنتشر، بالإضافة إلى تعويد النشء على احترامها وأدوارها ووظائفها، واحترام كل التنظيمات والتشريعات والقوانين الصادرة من الهيئة الحاكمة وتطبيقها، واحترام كل الرموز الوطنية المعروفة من الراية الوطنية والنشيد الوطني، هكذا تصبح المواطنة مكوناً اجتماعياً للشخصية الفردية للمواطن، والشخصية الجماعية للمجتمع وللأمة، وقد أظهرت (امتحانات التاريخ في كل الأنظمة التربوية، وضوح العلاقة الوطيدة بين المواطنة والتربية)².

-/ التركيز على دور الدين وأماكن العبادة في تكريس القيم والمبادئ الوطنية:

من الأدوار الأخرى التي تقوم بها الأسرة (ترسيخ قواعد الدين وتعليم أحكامه للصغار. ونقل القيم الروحية السامية التي تهذب أخلاقهم. فعن طريق الأسرة يكتب الأطفال دينهم ونظامهم القيمي الأخلاقي الذي يمكنهم من معرفة الفرق بين الخير والشر والحق والباطل والفضيلة والرذيلة وحسن المعاملة وإساءة المعاملة)³. لأن الأديان وكل المعتقدات الروحية تعتبر من القيم والمبادئ القديمة التي أولت لها كل الشعوب على اختلافها وعلى اختلاف تصوراتها الفكرية، اهتماما كبيرا. فكانت تنشئ أطفالها على حب الدين والمعتقد، بل وتصر على اجتهداتهم ونجاحهم في الممارسات الشعائرية. وكان أكثرها يعتبر أن النجاح في الحياة الدينية الدنيوية بوابة للنجاح في الحياة الآخوية، مثلما نجد في الحضارات المصرية والصينية القديمة، بالإضافة إلى ما حملته تعاليم الإسلام وكل الأديان السماوية التي سبقته، فكلها يحمل حبا للمواطن وللوطن، وتحمل في ثناياها نصوص كثيرة تحض على حب الوطن

¹ - بوفلجة غيات، التربية ومتطلباتها، ص17.

² - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p56.

³ - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص20.

والدفاع عنه وحمايته، وتخصص مكانة لائقة للإنسان وتبين حقوقه وواجباته، لهذا يجب التركيز على هذه النصوص عبر المدرسة، لما لها من وقع خاص في نفوس الأطفال والناس جميعا، ويجب عليها أن تنتقي وتختار المناهج والبرامج المناسبة لتقديمه بعيدا عن كل أنواع التطرف والعنصرية وبعيدا عن كل مظاهر التمييز العنصري والضعينة والكراهية للبشر، وتدعم كل ذلك بأنشطة تربوية تلخص التربية على الأخلاق والسلوكيات الحميدة والمعاملات المرغوبة، وهو الجانب الاجتماعي والأخلاقي المطلوب والمنصوص عليه في كل الأديان، بالإضافة إلى الحث على نظافة الجسم والروح والمكان والمحيط، وحب الآخر والتعاون، ومناصرة نداءات السلام وحسن الجوار.

تستثمر المؤسسة التعليمية في التربية على المواطنة النصوص الدينية وكل التراث الوطني والعادات والتقاليد، وذلك من خلال تجنيد المساجد ودور العبادة التي تقوم (بإزالة الخلافات والنزاعات بين أفرادها وتحكم بالعدل بينهم وتقوّم سلوكهم من خلال أساليب التنشئة الاجتماعية التي تتبعها، والثواب والعقاب للحفاظ على حقوقهم وتمكينهم من أداء واجباتهم وتحقيق النظام في حياتهم والحيلولة دون وقوع الفوضى والتفكك)¹، (وعملا بمبدأ تكافؤ الفرص في التعليم وحق الدخول إلى المؤسسات التعليمية. فكل تلميذ أو طالب له الحق في الالتحاق بمؤسسة تعليمية مدرسية أو جامعية، ولا أحد يمكن أن يحرمه من حقه هذا في التربية)². فالمدرسة تساهم بقوة في تحسيس وتوعية الأطفال وتوجيه سلوكهم نحو الولاء للوطن والشعور بالانتماء للأمة والمجتمع، والتربية على المواطنة هي تنمية معارف وأفكار الفرد وتطويرها، ليكتسب القوة والحكمة والعلم الذي يمكنه من سلوك تصرفات منطقية، وانتهاج ممارسات وطنية عن حب ورضا واقتناع. ومن هنا يتضح أيضا (أهمية الدور الذي يمكن أن تضطلع به جمعيات الإصلاح الديني، فهي تهدف إلى تشجيع أعمال البر والخير وبث الأخلاق الحميدة والتعريف بالإسلام ونشر فضائله وآدابه. وتقوم كذلك بتقديم

¹ - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص21.

² - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, ellipses, paris, France, p122.

المساعدات النقدية والعينية للمسلمين، وتوزيع الصدقات والزكاة ورعاية الأيتام والفقراء داخل البلاد وخارجها)¹.

يحتل موضوع النظام التعليمي والتحديات التي تواجهه موقعا مهما على سلم الأولويات المطروحة على التربويين والمشتغلين بالعلم التربوي عند دراسة القضايا المتعلقة بمستقبل الوطن ومناقشتها. فالنظام التعليمي منظومة واسعة من العلاقات والإجراءات والقيم والمبادئ والرموز الوطنية، أبعد وأشمل من كونها أبنية مدرسية ومعلمين وطلاب، حيث أن دور هذه المنظومة في أول الأمر هو أن تعنى بالوطن وبالمجتمع الذي ينتمي إليه المواطن². التربية على المواطنة هي تعليم الأطفال وتكوينهم بهدف تقوية شعور حب الوطن والدفاع عنه، وتعزيز شعور الانتماء والولاء للمجتمع وللوطن وقيمه وتشريعاته ومؤسساته وتراثه وثقافته، حتى يترجم ذلك في سلوكياتهم وتصرفاتهم، فتفعيل التربية على المواطنة، يركز في المقام الأول على الأسرة والعقيدة، وفي المقام الثاني على المدرسة لتعليم النشء روح الحوار واحترام الاختلاف، وتبني حوار الأديان والثقافات، والحفاظ على التراث في زمن العولمة والتكنولوجيا العصرية.

3- علاقة التربية بالتكوين: رأينا في بداية هذا الفصل أن التربية هي مجموعة

من الأفكار والمعارف والعمليات والاستراتيجيات والمبادئ والقيم والأهداف المستقبلية، التي يتم نقلها وتميرها من إنسان إلى إنسان آخر، أو من مجتمع لمجتمع آخر، أو من أمة إلى أمة أخرى، فيضع كل مجتمع آلياته وتنظيماته اللازمة لتحيينها وتجديدها، وفق ما يفرضه العصر وما تفرضه تطورات حياة الإنسان. ورأينا أيضا إعداد وتكوين وتنشئة للطفل منذ الصغر، يمس كل جوانب حياته روحيا وجسميا وفكريا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا واقتصاديا، لكن التربية كثيرا ما ترتبط بمصطلح آخر، كالتكوين فهل التربية هي التكوين؟ أم أنهما شيان مختلفان؟ أم هما عنصران مكملان لبعضهما البعض؟.

التربية هي التنشئة الجسدية والروحية والفكرية والاجتماعية والثقافية للإنسان فهي مجموعة من العمليات الفكرية والاجتماعية التي تهدف لتعليم الطفل وتطوير كفاءاته

¹ - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص232.

² - ينظر: شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص39.

وقدراته ومهاراته، وتهيؤه لأن يتواصل مع باقي البشر في المجتمع، وأن يجابه مشاكل الحياة ويتفاعل معها تفاعلاً يمكنه من العيش السعيد. كما أن عضلات الجسم تتقوى وتكبر بالحركات الرياضية المجهدّة، كذلك فإن ملكات العقل تتقوى بالعمليات الفكرية التربوية والتعليمية¹.

لا يبتعد كثيراً التكوين عن التربية، بل أن هناك من الدارسين من يطلق هذا المصطلح على التربية وعلى عملياتها المختلفة، لكننا نرى أن التكوين عملية مغايرة للتربية، فلا يمكن الحديث عن التكوين دون تربية مسبقة، فهو مجموعة عمليات ذات صبغة تعليمية، يعرفها الإنسان بعد أن يتجاوز مراحل تربوية مهمة بعد سن الطفولة. غرضها التخصص والتحسين والارتقاء بمستويات التربية التي عرفناها في حياتنا الأولى أو في مرحلة الطفولة إلى مراحل متطورة في التخصص في تعلم شيء ما، فهي عمليات تربوية مرتبطة بالعمل المهني أو البحث المتخصص، يلجأ إليها الإنسان لاستكمال بعض التدريبات والمهارات على بعض الملحقات التقنية أو التكنولوجية التي يستعين بها في عمله اليومي، أو التي يعود إليها بغرض الخبرة في المخبر أو أثناء إجراء بحوثه المختلفة. فالعمليات التكوينية نلجأ إليها أثناء عملية التخصص في مجال مهني مهاري معين، بعد تلقي مجموعة من المعارف التربوية والتعليمية العامة، حتى نحسن من المستوى ونصل إلى نتائج دقيقة. لهذا يرتبط التكوين بمصطلحات: التخصص والمهني والعلمي والمخبري، أو بكل المصطلحات المرتبطة بالمهنية كقولنا التكوين الطبي، الصناعي، الرياضي، التجاري وغيرها كثيرة من المصطلحات المهنية والحرفية، إن التكوين عمليات منظمة ودقيقة وهادفة لإكساب المتكون بعض الأسس المعرفية المحددة والدقيقة، وهو عملية مقصودة بغرض التحسين وزيادة المردود والإنتاج والوصول إلى الحلول. غالباً ما تكون منظمة من طرف المؤسسات والشركات ذات الطابع الاقتصادي والتجاري. وحتى المؤسسات ذات الطابع الإداري والسياسي، في حين تتم العمليات التربوية والتعليمية على مستوى المؤسسات المدرسية.

إذن لا يمكن الحديث عن تكوين دون تربية، (فالفرّد يحتاج إلى التربية كي يصبح إنساناً له مقومات وصفات الإنسانية، وينتقل من طور الفردية الجسدية إلى طور

¹ - ينظر: أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص 37.

المشاركة الإنسانية والمنسجمة مع واقع المجتمع بمعنى أنه ينتقل من كائن مؤثر ومنسجم مع مجتمعه ومحيطه، يؤثر ويتأثر بالآخر، فالفرد يرث عن والديه أساسه البيولوجي "من الصفات الجسمانية"، أما المكونات النفسية والاجتماعية لشخصيته فلا يرثها ميراثا بيولوجيا بل يرثها ميراثا اجتماعيا¹، وهي العلاقة بين الشيء التكويني والشيء التربوي في الفرد. فتأتي العملية التكوينية بعد العملية التربوية لتزويد الأفراد بقدرات ومهارات مهنية وحرفية وفنية، تهدف إلى إكسابهم كفايات مهنية، تساعد على التحكم في مهنتهم وحرفهم واختصاصاتهم، وتنمي مواهبهم وخبراتهم ومهاراتهم، فيسهل عليهم الاندماج في الحياة العملية، ويظهروا مجهودات كبيرة للقيام بوظائفهم وأدوارهم بكل تقان وإتقان وحماس، مضاعفين إنتاجهم ومردودهم ومرتقين بمؤسساتهم وشركاتهم وإداراتهم إلى مراتب عليا. ويستكملون ذلك بحب مؤسساتهم وشركاتهم والدفاع عليها ويحفظونها من الفساد والكساد والإفلاس، ويتحولون إلى منتجين ومساهمين في التنمية الوطنية والرقى الاجتماعي للأمة والتقدم الاقتصادي للوطن، فالتكوين يعبر عن تخصص الإنسان المتعلم في مهنة معينة حسب حاجاته ورغباته وتخصصاته، فيتوصل إلى تحقيق التوازن والاستقرار النفسي والاجتماعي، فيصبح مواطن نافعا².

لكن ونحن أمام تفعيل المواطنة وتحسينها في المجتمع والوطن، فأين التكوين من المواطنة؟ وكيف يمكن أن نرسم برامج تكوينية فيما يخص الممارسة والسلوك الوطني؟ يعتبر أداء واجب الخدمة الوطنية من التكوينات الملحة الخاصة بالشباب، حيث يتعلم الشاب كل ما هو مرتبط بالوطن، ويتعلم احترام الرموز والمبادئ الوطنية وثوابت الأمة والدفاع عنها، بالإضافة إلى بعض المعارف العسكرية والخطط الحربية التي يتلقاها الشبان في الثكنات والمعسكرات والمدارس العسكرية، بالإضافة إلى عمليات التدريب على استعمال الأسلحة المختلفة، والآلات الحربية كالسيارات والشاحنات والمدرعات الحربية، ومعارف أخرى ذات الصلة في الرياضيات والفيزياء والهندسة والتاريخ والجغرافيا وحتى الفلك، وفي الأخلاق والقيم الاجتماعية للأمة وللوطن. إن هذا الواجب الوطني والتكوين العسكري المتخصص، هو الوحيد الذي يمكن أن نلحقه بالتكوين على المواطنة، دون أن ننسى ما تقوم

¹ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/الأردن، ط1، 2011، ص38.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص39.

به مدارس أشبال الأمة المستحدثة مؤخرا في كثير من ولايات الوطن، فطبيعة عملها الرسمي والنظامي وزيتها الموحد من شأنه أن يساعد النشء ويزيد من تربيته الوطنية، فينشأون على حب الوطن والدفاع عليه واحترام الرموز الوطنية. ويجب العودة إلى تفعيل أفواج الكشف الوطنية، فهي مرحلة حساسة وفكرة ناجحة، خاصة وأنها تأتي في أثناء توقف الدراسة في العطل، وفي مراحل عمر الطفل الدنيا "الطفولة"، فهي المرحلة التي يجب فيها تلقين السلوكات والتصرفات الوطنية للناشئة، فيشب ويتعود على نمط حياتي ذو طابع عسكري ونظامي ووطني.

يتفق الدارسون والباحثون على أن هناك فرقا بين التربية والتكوين، وأن كليهما يشكلان قطاعان مستقلان، (فالتكوين يتميز عادة بتعليم مهارات من أجل أهداف مهنية محدّدة، بينما تهدف التربية إلى تنمية الفرد ككل، اجتماعيا وذهنيا وبدنيا)¹، وتتم التربية على مستوى المؤسسات التعليمية والمدرسية سواء كانت ابتدائية أو ثانوية أو جامعية، أما العمليات التكوينية فتتم على مستوى مراكز التكوين المهني أو على مستوى المؤسسات والشركات الاقتصادية والإدارية أو الثقافية أو في أماكن ودوائر معدة خصيصا لذلك. لكن ما نسجله بخصوص العلاقة بين التربية والتكوين أنهما ليسا مستقلين تماما فكلاهما يكمل الآخر، ولا يمكن الحديث عن العمليات التكوينية دون الحديث عن التربية والتعليم، فالتكوين هو مرحلة لاحقة من عمليات التربية والتعليم، وهو مكمل للمسار المعرفي والتعليمي للإنسان أو للطفل، وقد حتمت تطورات العصر ووسائل الاتصال والتقدم المعرفي الذي تعرفه الحياة الإنسانية في شتى المجالات، أقول حتمت التنسيق بين العمليات التربوية التعليمية وبين العمليات التكوينية من أجل أفق معرفية مستقبلية، ولتشجيع البحث في المجال الفكري والمهني معا، ولتحيين المعارف والمهارات وتجديدها، وهو ما يعرف بالتكوين المستمر/المتواصل أثناء الخدمة، لضمان المعرفة المستدامة للإنسان والمجتمع وللأمة ككل، (فكل مجتمع يرغب في أن يحتفظ بهويته، ويعمل على تهيئة أفراد و تزويدهم بوسائل النضال والتعامل مع بقية أفراد المجتمع، وبفكرة الولاء له)² وللوطن ككل.

¹ - بوفلجة غيات، التربية ومتطلباتها، ص11.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص39.

4- مفهوم عملية التعليم والتعلم: في تحديد مفهوم عملية التعليم والتعلم فإننا

سنركز على مفهوم العملية في حد ذاتها، وليس على المصطلحات الكثيرة المعبرة عنها سواء في اللغة العربية، أو في غيرها من اللغات الأجنبية، وإذا كان مصطلحا البيداغوجيا والأندراغوجيا مصطلحان يونانيان ظهرا قديما، ويعنيان على الترتيب تعليم الصغار وتعليم الكبار، وعرف اليونان أيضا مصطلح الديداكتيك وكان يعنى لديهم ليعلّم بعضنا البعض. وحديثا أصبح يعني هذا المصطلح بشكل عام حقل التدريس أو حقل التعليم، و مقترن بكل ما له علاقة بالتدريس والتعليم والتعلّم، (علّم: يعلم تعليما: 1 — علّمه الشيء: جعله يعرفه، جعله يتعلمه "علمه القراءة والكتابة" I التعليم الإلزامي: "دخول المدرسة والدراسة فيها لفترة معينة بصورة اجبارية"، التعليم الأهلي الحر: التعليم الذي ينظمه الأفراد والشركات وعكسه، التعليم الرسمي/الحكومي الذي تنظمه الحكومة، تعليم الكبار: تعليم البالغين الذين لم يدخلوا المدرسة في طفولتهم، التعليم المختلط: تعليم الأولاد والبنات في مدرسة أو جامعة واحدة، سن التعليم: العمر الذي يذهب فيه الأطفال إلى المدرسة، مراحل التعليم: الفترات الزمنية التي يتم فيها التعليم "وتختلف من بلد عربي إلى آخر"، وزارة التعليم العالي: الوزارة المسؤولة عن التعليم في الجامعات والمعاهد العليا)¹.

عملية التعليم والتعلم تعني في مجملها عملية نقل وانتقال المعرفة والبحث عليها، وقد شغلت الإنسان هذه الظاهرة منذ القديم ، فكان يسعى جاهدا ليعرف ويتحقق من الظواهر المحيطة به، مدفوعا في ذلك بغريزته المبنية على الفضول وحب المعرفة، باحثا عن سعادته وعن الجمال، وساعيا لتطوير وسائل عيشه وأنماطه في الحياة. وهذا لم يكن ليتاح له إلا بواسطة البحث والتجريب لاكتشاف الحقيقة والخير والجمال. فحقق أشواط كبيرة في معرفة قوانين الظواهر الطبيعية والتحكم فيها، ومعرفة كل قوانين الضرورة التي تفرضها طبيعة حياته وطبيعة المحيط الذي يعيش فيه، بل سعى حتى لمعرفة حقيقة العالم الميتافيزيقي، وإلى معرفة ما وراء الطبيعة التي يعيش فيها².

¹ - جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص 860.

² - ينظر: طاليس أرسطو، فن الشعر، تر: عبد الرحمن بدوي، ص.

ارتبطت غريزة حب المعرفة والشعور بالحاجة للتعلّم بالإنسان منذ القديم، وإن إحساس الإنسان بالمسؤولية تجاه ذلك لشيء عظيم في الشخصية الإنسانية، حيث أن كل الشرائع والأديان تتّمن هذا المسعى وقضايا البحث عن المعرفة والحقيقة، وعدّ في الاسلام من يتوفي في طلب العلم والتعلم من الشهداء، كما أولت كل الحضارات القديمة مثل الحضارة الصينية والمصرية والعراقية واليونانية اهتماما كبيرا بظاهرة التعليم والتعلم، وعملت على نشرها وحث الناس على التعلم، وعلى تعليم أبنائهم ونسائهم مبادئ القراءة والكتابة، ورصدوا لذلك الأموال والوسائل وكل الموارد البشرية والمادية لإنجاح مجهودات التعليم والتعلم، حتى أصبح يقاس مدى تطور الأمم والأوطان، بقياس مستويات التعليم والتعلم فيها، وبمقدور البحث العلمي في الوصول لنتائج تخدم حياة البشر وسعادتهم فيها.

كثير من المصطلحات أطلقت على عملية التعليم والتعلم، ويبقى الديداكتيك هو المصطلح الأقرب ليعبر عن كل جوانب العملية التعليمية التعليمية، فقد كان يعني لدى اليونان القدامى: ليعلم بعضنا بعضا، وبالتالي فهو القريب لضبط مفهوم عملية التعليم والتعلم، لأنه يحمل شقين مختلفين هما التعليم والتعلم، وهكذا نكون أمام فعلين ديداكتيكيين متقابلين هما التعليم والتعلم. ويقصد بـ (Didactique) تدريس المادة التي تهدف إلى جعل الطفل يكتسب هذا أو ذاك من المبادئ، أو من العمليات، أو من طرق العمل. وقد حددت مهام التدريس في كافة المناهج المدرسية تقريبا بما ينبغي اكتسابه من مبادئ: كمبادئ الفيزياء والحساب..الخ¹. وقد تطرق ابن خلدون لهذه القضية في المقدمة قائلا: (اعلم أن تعليم الولدان شعار من شعائر الدين، أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم، لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني ما يحصل بعده من الملكات. وسبب ذلك: أن تعليم الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده، لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات، واختلفت طرقهم في تعليم القرآن باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات)²، لقد انحصر قديما التعليم في تعليم القرآن عن طريق التلقين، ويرى ابن خلدون أن هذا باب هام لتعلم كل الملكات الأخرى. أما إذا ما حاولنا ضبط مفهوم عملية التعليم والتعلم فيجب أن نتناول كل

1- غي بلماد ، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص35.

2- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص588.

عملية على حدة أي عملية التعليم وعملية التعلم، لكونهما تجمعان بين طرفين مركزيين هما المعلم والمتعلم، وهما أساس الدراسات (النظرية والتطبيقية للفعل التعليمي التعلّمي. وعليه فإن المفهوم العلمي والفني للتعليمية هنا، اتكأ أساسا على النظرية والتطبيق)¹، وعلى المعلم والمتعلم والمحتوى الدراسي، وهي العناصر والمكونات الأساسية للعملية التعليمية.

4-1/عملية التعلّم: هي عملية الجمع والتحصيل والنهل والبحث عن كل

مصادر المعرفة والمعلومة والحقيقة منذ الصغر، (فقد أجمع الباحثون على أهمية السنوات الأولى من عمر الطفل. ففيها يكتسب المهارات البدنية والعقلية والنفسية والاجتماعية التي تساعد على إدارة شؤون حياته)²، فالتعلم مرتبط بمراحل العمر الأولى، ويقول المثل: "التعلم في الصغر كالنقش على الحجر"، ورأى أبو حامد الغزالي أن لعملية التعلم شرطين أساسيين يجب أن يتوفرا في المتعلم أو بابين كما يقول وهما: (باب إلى خارج وهو الحواس، وباب إلى الملكوت من داخل القلب وهو باب الإلهام والنفث في الروح والوحي)³، فهو يؤكد على دور الحواس والعقل في عملية التعلم. يلجأ المتعلم إلى عملية البحث عن تعلّم المعرفة والعلوم طواعية، أو موجهة من جهات معينة كالأولياء والمعلمين، حتى يتمكن من إدراك المعارف والمعلومات والخبرات والمهارات والأفكار والمواضيع والسلوكيات التي هو في حاجة إليها، أو راغبا فيها. وهي عملية لصيقة بالمتعلم، لا تتم بالضرورة على مستوى المدرسة فقط، فقد يلجأ المتعلم إلى مصادر خارج المدرسة، كالأسرة والمساجد والأصدقاء وكل الوسائط التواصلية السمعية والبصرية الحديثة، وكل مرافق التسلية والترفيه والتنشيط العصرية، وأصبحت ظاهرة التعلم في وقتنا الحاضر من الأمور البديهية التي تلجأ إليها الأسر لتربية أطفالها وتكوينها منذ الصغر. وزيادة على التعليم الهادف الذي يستفيد منه الطفل عن طريق أمه أو أبوه في المنزل، فهم يبحثون له أيضا على مرافق مكملة كدور الحضانة وأماكن التسلية واللعب.

4-2/عملية التعليم: هي عملية خاصة بالمعلم، وهي كل الأنشطة

التواصلية الهادفة والمقررة والمحضرة مسبقا من طرف المعلم، تدخل فيها كل المذكرات

¹ - رضا جوامع، استثمار تعليمية اللغات في تدريس البلاغة العربية. رهانات وآفاق، مجلة العربية ، مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأستاذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، العدد 02، 2005، ص149.

² - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص21.

³ - الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 3، المكتبة العصرية، درط، صيدا، بيروت، 2011، ص34.

والمخططات التعليمية والوسائل البيداغوجية التي يستعين بها في تأدية نشاطه، لإحداث التأثير والتغيير في واقع المتعلم الفكري والمعرفي والسلوكي والمهاري. وذلك بفضل التفاعل الايجابي الذي يديره بين حالة المتعلم الخام وبين الحالة الجديدة التي ينشطها ويوجهها المعلم، وينهى ابن خلدون على تعليم شيئين في آن واحد، وإنما يجب أن يكون هناك نوع من التدرج، فيقول بعد عملية تعليم القرآن التي أشرنا إليها سابقاً والتي هي أساس كل الملكات: (ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه، ونهى مع ذلك أن يخلط في التعليم علمان، إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك بجودة الفهم والنشاط)¹. وغالباً ما تمسّ الإصلاحات والتغييرات والتجديدات عملية التعليم بصفة كبيرة ولا تمس عملية التعلم إلا بالشيء القليل، كل العمليات الأخرى المرتبطة بعملية التعليم والتعلم، كالتخطيط وتحديد الغايات والأهداف والتنظيم واختيار الوسائل، والتواصل والاتصال والتقويم، هي في الحقيقة عمليات مرتبطة بعملية التعليم وليس بعملية التعلم، لكن تحديد وتقويم عملية التعليم لا يكون إلا باقترانها بعملية التعلم، لأن نتائجها تظهر على المتعلم، ويختصر أبو حامد الغزالي هذه العملية فيقول: هو أن كل (ما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه)².

أما العملية التعليمية التعليمية المعاصرة فهي عملية علمية دقيقة موجهة وشاملة وانتقائية وهادفة، تهتم بكل ما يتصل بالمعلم والمتعلم سواء من قريب أو من بعيد، تعتمد الوسائل العصرية التكنولوجية، وكل وسائل التواصل والاتصال الجديدة السمعية والبصرية، وطرق متقدمة ودقيقة في عملية التقويم. يشترك في إنجاحها كل من المعلم والمتعلم والأسرة المدرسة والوزارة، وكل مراكز التنشيط الشبانية والثقافية والمساجد ودور الثقافة، للوصول في آخر العملية إلى الأهداف والمرامي المسطرة والمخططة سلفاً، وهي كلها نشاطات قائمة على التواصل والتفاعل والتضامن الاجتماعي والسياسي والوطني. نخلص إلى أن عملية التعلم والتعليم عبارة عن (مهمة ذات إطار معلوم يقوم بها المعلم، ومن يسنده في مهمة تحقيق الأهداف التعليمية، طبقاً لآليات واستراتيجيات مدروسة، وبمشاركة فاعلة وفعالة من المتعلمين، وما ينتج عن هذه العملية في الأخير هو ما نسميه التعلم، ولا تطلق مفردة التعليم على النشاط المحصور داخل المؤسسة التعليمية فقط، مدرسة كانت أو جامعة أو ما شابههما،

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص590.

² - الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 1، المكتبة العصرية، درط، صيدا، بيروت، 2011، ص25.

بل يمتد ليشمل النشاط التعليمي خارجها كذلك. وأمثله اليوم عديدة ومتنوعة، وتشمل أنواعا من التعلم الفردي والذاتي، عبر الانترنت ووسائل الاتصال الأخرى¹. وكانت قد منحت المناهج الكلاسيكية القديمة نوعا من السلطة للمعلم على المتعلم، إلا ان المناهج الحديثة اتخذت مبادئ وأسس وطرق أكثر تحررا ومرونة وديمقراطية في التعامل، وفي رسم العلاقة التي تربط المعلم بالمتعلم².

ترتكز العملية التعليمية التعليمية باختصار على المدخلات أولا التي هي كل الغايات التربوية والأهداف والمهارات والتصورات المعرفية أهدافا، وعلى المخرجات ثانيا والتي هي النواتج وقياس الغايات والمرامي المسطرة في بداية العملية التعليمية، وكل الأهداف والكفاءات التي يبديها المتعلم من خلال أدائه وممارساته وأعماله، التي تظهر من خلال القياسات والتقويمات المختلفة التي يلجأ إليها المعلم بعد نهاية العمل التعليمي، وثالثا وأخيرا على التغذية الراجعة³.

أما تعريف العملية التعليمية التعليمية كعملية مركبة فهي ما يصطلح عليه "التعليميات"، وهي ذلك التصور التربوي العام أو المقاربة التربوية العامة أو المنهج التربوي المعتمد في السياسة التعليمية، وهي كل الإجراءات والنشاطات والجهود المنظمة والموجهة والمهيكلية التي تكون بغرض نشر المعرفة والمهارة والسلوك، والرفع من المستوى الفكري للإنسان، والتي تتم داخل المدرسة أو الفصل الدراسي، فترصد لها الهيئات المنظمة لها كالوزارات والدول كل الوسائل البشرية والمادية والأغلفة المالية الضرورية، لإنجاحها وبلوغ الأهداف والغايات المسطرة. إنها نظام معرفي تربوي معقد ومهيكل وحساس في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، ولقد قطعت فيه الدول والحكومات أشواطا كبيرة، فمنها من وصل إلى التعليم الرقمي، ومنها من توصل فقط إلى القضاء تماما على الأمية، ومنها من مازال يتخبط في متاهات الجهل، فلا يعرف حتى القراءة والكتابة التي باتت من الماضي، في ظل سيطرة العالم الافتراضي والالكتروني اليوم.

¹- حارث عبود، الاتصال التربوي، ص 58.

²- ينظر: غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص 40.

³- ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2013، صص 54-55.

5- عناصر عملية التعليم والتعلم: يتفق كل الدارسين على أن المنهج التربوي

هو التصور العام للعملية التعليمية التعليمية، وهو الإطار الذي تتفاعل فيه كل عناصرها ومكوناته، إنه الإستراتيجية التي تحدد وتبين مهام كل عنصر في العملية التعليمية التعليمية. إنه تلك الشبكة الكبيرة المتفاعلة داخل العملية التعليمية التعليمية، والمتكونة أساسا من المعلم والمتعلم والمحتوى أو المضمون الدراسي أو ما يعرف في بعض الدوائر بالمنهاج أو البرنامج، بالإضافة إلى عناصر أخرى كالوسائل البيداغوجية والطرق التعليمية والأهداف التعليمية والغايات والمرامي والكفايات. ونستطيع إدراج حتى المدرسة والأسرة والمساجد المراكز المرافقة، كدور الحضانة والمراكز الشبانية والثقافية.

يختلف الكثير من الدارسين والباحثين في تحديد وتعيين العناصر الأساسية للعملية التعليمية التعليمية، فيوجزها البعض في المعلم والمتعلم فقط ويضيف إليها البعض الآخر المضمون أو المحتوى أو الرسالة، في حين يصر البعض الآخر على إضافة عناصر أخرى كالطرق التعليمية والوسائل البيداغوجية والأهداف والمرامي والغايات. لكن بالعودة إلى التعريف العام للعملية التعليمية التعليمية، فهي لا تعدو أن تكون عملية نقل وتمير المعرفة بين الناس، فعندما نتحدث عن عملية انتقال فنحن أمام طرفين مركزيين هما المرسل والمستقبل، وأمام شيء آخر هو مادة الانتقال والتي هي الرسالة أو المحتوى أو المضمون وهي المعرفة والمعلومة والتعلّات في حد ذاتها. فإن عدنا إذن إلى تحديد عناصر العملية التعليمية التعليمية، فإننا نوجزها أساسا في المعلم والمتعلم والمضمون، وكل الدراسات والبحوث التي تناولت هذه القضية بالدراسة والتحليل، كانت تشتغل أساسا وتعمل على هذه العناصر الثلاثة، ونادرا ما تتطرق إلى عنصر من العناصر الأخرى، بل حتى التطورات والتغيرات التي عرفت المناهج التربوية والعملية التعليمية التعليمية كانت تمس في الأساس هذه العناصر الثلاثة فقط ولا تخرج عنها، وكل الإصلاحات التربوية التي عرفت السياسات التعليمية، كانت تستند وترتكز على عنصر من تلك العناصر التعليمية الثلاثة المعروفة، فركزت المناهج الكلاسيكية على المعلم، في حين عادت المناهج البنوية إلى الإعتماد على النصوص وعلى المحتوى الدراسي، أما المناهج التواصلية العصرية المبنية على وسائل الاتصال التكنولوجية فقد اعتنت خصيصا بالمتعلم. لهذا نقول أن العناصر المركزية

والرئيسية للعملية التعليمية التعليمية هي المعلم والمتعلم والمضمون الدراسي، أما العناصر المساعدة والفرعية فهي الوسائل والطرق والأهداف أو الغايات والوسائط السمعية البصرية وكل وسائل وطرق وشبكات الاتصال الحديثة¹.

1-5 العناصر الأساسية: هي العناصر المتمثلة في المعلم والمتعلم والمضمون

الدراسي:

1-1-5/المعلم: رغم اختلاف نظرة الدارسين والباحثين والمشتغلين بالميدان التعليمي في تصنيفه من حيث الدرجة، فهناك من يعطيه أهمية كبيرة ويجعله عصب العملية التعليمية التعليمية، نظرا لدوره (البارز في تخطيط وتقويم المنهج وانتقاء الفرص التعليمية التي يدرسها، لكونه على بيئة من طبيعة طلابه وإمكاناتهم الذاتية...وهو المسؤول عن تخطيط الفعالية التربوية داخل الصف)². وهناك من يولي له دور مرافق ومرشد ومساعد فقط، في حين يهمله تماما بعضا آخر. لكن ميدانيا يبقى المعلم العمود الفقري للعملية التعليمية التعليمية وهو المحرك الأساسي فيها، إذ بدونه لا يمكن أن نمارس أو نقوم بأي نشاط تعليمي، وذلك نظرا للدور الكبير الذي يضطلع به المعلم، من حيث تحضير العمل التعليمي ومباشرته ومتابعته وتقييمه، واستحداث أعمال مكمل واستدراكية أو تعديلية للعمل الأول، حتى يصل إلى الأهداف المسطرة والغاية المرسومة، وهو الذي يحدد الأهداف وطبيعة المحتوى، ويختار الوسائل والطرق التعليمية المناسبة، إنه حجر الزاوية في العمل التعليمي التعليمي كله³.

أما مهامه فتكمن في مجموعة النشاطات وفي كل المواقف البيداغوجية التي يهيئها للمتعلمين بطريقة مدروسة ومنظمة، فهو من يحضر ومن يباشر ومن يقوم بنقل المعارف ويخطط ويتابع ويقوم ويصلح ويستدرك ويكمل، وبواسطة خبرته وقدراته وتمرسه في العمل، كان في كثير من الأحيان هو من يختار المادة والمحتوى الدراسي للمتعلمين، فهو الأدرى بما يطلبه المتعلم نظرا لعلاقته القريبة منه ومعاشته له، إنه قائد الاوركسترا السمفونية التعليمية، (ولشخصيته وأسلوبه في التعليم أثر على نفسية التلميذ، فالمعلم يشكل في

¹ - ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص ص76-77.

² - المرجع نفسه، ص77.

³ - ينظر: حارث عبود، الاتصال التربوي، ص32.

نظر التلاميذ نموذجا سلوكيا معيناً، غالباً ما يسعى التلاميذ للاقتداء به والتأسيس عليه¹، لهذا لابد للمعلم أن تتوفر فيه مجموعة من الشروط.

يقول ابن خلدون في مسألة حياد المعلم وابتعاده على أمور السياسة وكل القضايا الخاصة بالحكم والدولة فيقول: أن (السبب في ذلك: أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني، وانتزاعها من المحسوسات وتجريدها في الذهن، أمورا كلية عامة، ليحكم عليها بأمر على العموم، لا بخصوص مادة ولا شخص ولا جيل ولا أمة ولا صنف من الناس. ويطبّقون من بعد ذلك الكلي على الخارجيات. وأيضا يقيسون الأمور على أشباهها وأمثالها، بما اعتادوه من القياس الفقهي)²، فيشبه ابن خلدون هنا المعلم بالعالم أو الباحث، وتورطه في السياسة من شأنه أن يبعده على منهج البحث العلمي والتعليمي المحايد الذي أشار إليه في هذا القول. ويجب أن يكون المعلم متخصصا في ميدان التعليم والتدريس، وأن يكون قد تلقى كمّا معرفيا كافيا في ميدان التدريس والتعليم، وأن يكون قد عرف مراحل تكوينية متخصصة، سواء على مستوى القدرات المعرفية والفكرية، أو في مجال العلاقة والتواصل مع الطفل ومع كل المتعلمين، وعليه أن يسعى باستمرار لتحسين معارفه وأفكاره، وأن يكون على اطلاع بكل جديد فيما يخص الطرق والوسائل التعليمية وحتى المناهج والمضامين الجديدة، (إن مسألة إعداد المعلم وتأهيله تأتي من الإيمان بأن نجاح العملية التربوية يرتكز على المعلم بشكل كبير، لذلك لابد من إعداده إعدادا متكاملًا ليكون قادرا على تحمل مسؤولياته... وآثاره الإيجابية على التلاميذ، وعلى قيامه بالأدوار التربوية والتعليمية المنوطة به)³. كما يجب على المعلم توفير الجو المناسب لتمرير ونقل المعرفة سواء داخل المدرسة من خلال التقرب من المتعلمين والتواصل معهم بطريقة أفقية، أو خارج المدرسة من خلال ربط علاقات اجتماعية مع المتعلمين وأسرهم، لمعرفة ميولاتهم واتجاهاتهم، ومساعدتهم داخل الصف المدرسي وخارجه، وأن يكون مثالا للمعلم الذي (يتسم بالوطنية والقُدوة في التضحية والعطاء من أجل الوطن، والقادر على غرس قيم الولاء والانتماء الوطني في نفوس التلاميذ والطلبة، بإظهار الجوانب الإيجابية من تاريخ الوطن وحاضره،

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص181.

² - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص592.

³ - جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، المؤسسة، ص13.

مع التركيز على البطولات التاريخية لأبنائه والإشادة بمواقفهم النبيلة في خدمة وخلق روح التفاني في سبيله والإقدام على التضحية من أجل استقراره وسلامته¹.

أن يكون قادراً وكفؤاً خاصة في الجوانب النفسية والاجتماعية والمعرفية، فعليه أن يتقن دوراً أبوياً وقيادياً، فيسهر على توفير الحالة والوضعية الملائمة للتدريس كمحاربة الفوضى والخوف داخل الصف، وعليه نشر النظام والأمن والأمان بين المتعلمين، وأن يحسن إدارته وتسييره للصف المدرسي، وأن يسهر على إتاحة مبدأ تكافؤ الفرص لكل المتعلمين على السواء، دون تمييز أو محاباة، وأن يكون قادراً بنجاح على التواصل والكلام والتعبير والاستماع والاستدلال والفهم، والقدرة على تصنيف الفروقات الموجودة بين المتعلمين، والعمل على تخفيفها لضمان نجاح العمل التدريسي. وقد أصبح في الوقت الحديث المعلم خاضعاً لخبرات نفسانية واجتماعية، وحتى خبرة في مستوى ومجال تخصصه.

5-1-2/ المتعلم: يقول جون ديوي: (في عالم التربية، يصبح الطفل الشمس

التي على محورها تدور نظم التعليم، والطفل وحده في مبادئ التربية هو مركز الجاذبية)² والنقطة المحورية والهدف الأول من كل عملية تعليمية تعليمية، وفي كل عملية بناء للمنهج التعليمي. لهذا فهو يحضاً باهتمام كبير من طرف جميع الأطراف المشتركة في إنجاح العملية التعليمية التعليمية³. يحمل كل طفل مؤهلات فطرية تساعد على التعلم والتأقلم، يقول الغزالي في هذا: (أما من الظاهر فالحواس الخمس، وأما من الباطن فالخيال والشهوة والغضب والأخلاق المركبة من مزاج الإنسان، فإنه إذا أدرك بالحواس شيئاً حصل منه أثر في القلب، وكذلك إذا هاجت الشهوة مثلاً بسبب كثرة الأكل، وبسبب قوة في المزاج حصل منها في القلب أثر، وإن كف عن الإحساس فالخيالات الحاصلة في النفس تبقى وينتقل القلب من شيء إلى شيء آخر، وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال آخر. والمقصود أن القلب في التغير والتأثر فيه من الأفكار، والأذكار، وأعني به إدراكه علوماً إما على سبيل التجدد وإما على سبيل التذكر، فإنها تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بعد أن كان القلب غافلاً عنها. والخواطر هي المحركات للارادات، فإن النية والعزم والإرادة إنما تكون بعد

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 87.

² - جون ديوي، تر: أحمد حسن الرحيم، المدرسة والمجتمع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان، ط2، 1978، ص 11.

³ - ينظر: حارث عيود، الاتصال التربوي، ص 37.

خطور المنوي بالبال لا محالة¹، هذه هي الأمور الحسية والعقلية التي يتمتع بها كل متعلم بالفطرة، وتستكمل انطلاقاً من واقعه الاجتماعي والنفسي والمعرفي، حيث توضع له الاستراتيجيات التعليمية المناسبة لتحقيق الأهداف والاستجابة لرغباته وحاجاته المعرفية، ولا توجد شروط معينة في المتعلم، فلا يمكن أن نفرض شروط على طالب المعرفة، والباحث عن التعلم، سوى بعض الشروط المرتبطة بشخصيته كالإرادة والرغبة في التعلم، لكنه يجب علينا إشراكه في بناء العملية التعليمية، وخاصة في اختيار المضامين والطرق والوسائل التعليمية فهو الأدرى بما يريده².

أما المميزات الواجب توفرها في المتعلم العادي، فهي بسيطة فيكفي أن يكون قادراً وسليماً جسدياً وعقلياً، وخاصة سلامة حواسه الأساسية، وعندما نقول هذا الكلام، فإننا لا نعزل فئة ذوا الاحتياجات الخاصة أو المعوقين ككل، فهؤلاء لهم برامج مهياً خاصة بهم، لكننا نخص بالدراسة المتعلمين العاديين. لهذا استحدثت بعض المرافق الصحية داخل المؤسسات التعليمية، كالطب المدرسي والمتابعة الصحية المستمرة، عن طريق المراقبة الطبية، ومن خلال الحملات الصحة المدرسية، والتركيز على عمليات التطعيم المنظمة في الأعمار والأوقات المناسبة من حياة الطفل. وفي هذا نركز أيضاً على تحسين نوعية الغذاء ونظافة البيئة والمحيط كالبית والشارع وفي المدرسة، بالإضافة إلى نظافة المتعلم في ثيابه وجسده، عملاً بمقولة العقل السليم في الجسم السليم. فالمتعلم الذي يعاني من مشاكل صحية لا يمكن له أن يتلقى كل التعلّمات والمعارف، فقد يضيع منه كثيراً منها بسبب مشاكل صحية.

(وقد اهتمت الأبحاث بشكل مميز خلال العقود الأخيرة بعنصر المتلقي وعملية التلقي. واجتهد الباحثون كثيراً في ماهية التلقي وكيفية تشكّله والعوامل المؤثرة فيه. ولم تقتصر هذه الجهود على المهتمين بميدان الاتصال، إنما شملت كذلك الباحثين التربويين وعلماء النفس ونقاد الأدب)³، وهذا كله من أجل زيادة المردود التعليمي وتحقيق الجودة في التعليم، وتحسين علاقة المعلم بالمتعلم وترقيتها. وعليه يجب أن يكون المتعلم واعياً وناضجاً عقلياً ونفسياً وشعورياً واجتماعياً، ويجب أن يكون مستعداً وذو قابلية كبيرة للتعليم، وقابليته

¹ - الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 3، ص 35.

² - ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص ص 76-77.

³ - حارث عيود، الاتصال التربوي، ص 37.

للتحرر من السلوك الأسري الطفولي بعيدا عن الأبوين، ومهيئا لاكتساب سلوكيات وتصرفات ومهارات جديدة، تساعد على التكيف في ظروف ومواقف لم يألفها من قبل. فالاستعداد والرغبة الدافعة والإرادة في التعلم تعد من المميزات الهامة الواجب توفرها في المتعلم، فهي أهم العوامل النفسية المثيرة والمحفزة والمشجعة في كل عمل تعليمي. يقول أبو حامد الغزالي: (اعلم أن من انكشف له شيء ولو الشيء اليسير بطريق الإلهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة الطريق)¹.

العلاقة التي تربط المعلم بالمتعلم (مباشرة في كثير من الأحيان، وبخاصة إن كانت داخل غرفة الصف. أما خارج الصف فإن الصلة بينهما تتسم بالتفاهم والتعارف المسبق، والتحاور المباشر)² وجها لوجه أو عبر وسائط التفاعل الاجتماعي أو بواسطة وسائل الاتصال العصرية المختلفة، ولتحسين هذه العلاقة وتطويرها يجب على المعلمين الابتعاد في علاقاتهم مع المتعلمين عن كل أشكال التعنيف والضرب الممارسة ضد المتعلمين، أثناء عمليات التدريب والتعليم، إن هذا من شأنه أن يولد عقد نفسية لدى الأطفال تكبر معهم، فيحملون الضغينة ورد الثأر في المستقبل كلما أتاحت لهم الفرصة ذلك، وهو ما يشجع انتشار ظاهرة العنف والكذب والخداع في المدارس، يقول ابن خلدون في المقدمة: (الشدة على المتعلمين مضرّة بهم، وذلك أن إرهاف الحدّ في التعليم مضرّ بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر وضيق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادة وخلقاً، وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن، وهي الحمية والمدافعة عن نفسه أو منزلها)³. ورغم هذه المحفزات والتشجيعات على التعلم، ورغم كل الجهود والأموال المرصودة، إلا أن كثيرا من مدارسنا لازال يعاني من التسربات السنوية، فما يتسرب من

¹ - الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 3، ص 31.

² - حارث عيود، الاتصال التربوي، ص 60.

³ - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص 590.

المدارس على مستوى مختلف الأطوار، يبقى محرّجا بالمقارنة بما يلتحق بالمدارس من كل عام.

3-1-5/المضمون الدراسي: يسمى أيضا بالبرنامج أو المنهاج أو

المحتوى، وهو المادة العلمية والمعرفية المخصصة والمعدة للتقديم والتدريس في الصف المدرسي، فهي (كل الحقائق والأفكار والمشاعر والمواقف والمهارات التي صيغت بطريقة ما وتسلسل ما لتحقيق هدف محدد)¹، وفي موقف تعليمي محدد، أنها المادة التعليمية الخام المشكلة من (مجموعة جاهزة من الحقائق والمبادئ التي تخص عالم الطبيعة والإنسان)²، قبل أن تخضع للتحليل والتنظيم، وإضافة الأنشطة والمهام التي يتطلبها كل منها، ليتم اشتغالها ضمن مجموعة من العمليات تأخذ بعين الاعتبار قدرة المتعلم وكفاءته وبيئته والأهداف التعليمية المسطرة، فيتفاعل كل هذا في موقف تعليمي أو وضعية بيداغوجية بإدارة وإشراف المعلم، وبمشاركة فعّالة من طرف المتعلم³. وكانت هذه المضامين قديما تحدد من طرف المعلم، لكن حديثا أصبحت تقام لها المؤتمرات والملتقيات والمنتديات التربوية الكثيرة المحلية، الإقليمية والجهوية والوطنية وحتى العالمية، لضبطها وتدقيقها ولحماية عقول المتعلمين وأفكارهم من كل التعلّلات والأفكار المتطرفة، التي تحاول أن تسوّق أفكارها الهدامة عبر المنابر المدرسية، فاعتبار المتعلم هو أرض خصبة لتمرير تلك المعارف، التي لا تمد بأي صلة لتاريخنا وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا.

(بواجه مخطوط المناهج في وقتنا الحاضر صعوبات كثيرة في تحديد محتوى المناهج الدراسية، وذلك نظرا للتطور الكبير في مجال العلوم المختلفة، مما دفعهم لوضع وسائل ومعايير لاختيار محتوى المناهج، وتنظيم المعارف والمهارات والقيم التي تشملها)⁴. وأبعاد كثيرة يجب مراعاتها في ضبط وتشكيل المضمون التعليمي، منها البعد الديني للمجتمع فيجب أن تكون النصوص التعليمية وكلّ المادة التعليمية لا تتنافى وتعاليم الاعتقاد الديني للمجتمع، أو أن تحمل تعاليم أديان لا تمت بصلة لتاريخ المجتمع والأمة ودينها. ومنها البعد التاريخي والسياسي للوطن، فالمضمون التعليمي يعكس أساسا الإستراتيجية السياسية للدولة

¹- حارث عبود، الاتصال التربوي، ص34.

²- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص172.

³- ينظر: المرجع السابق، ص77.

⁴- ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص46.

وللأمة، وهذا حتى لا يكون هناك خلل بين قمة الهرم وقاعدته في الدولة، وهذا البعد والإستراتيجية مستوحاة من تاريخ الدولة وتراثها وانجازاتها وبطولاتها. أما البعد الآخر فهو البعد التراثي، فلا يجب ننسى أثناء إعداد المحتوى الدراسي، تثمين العادات والتقاليد الاجتماعية والسهر على تلقينها للناشئة، حتى لا ينسى الخلف عادات وتراث وأعراف السلف.

يتأثر المضمون التعليمي أيضا (بطبيعة المتلقي/المتعلم وثقافته ووعيه، وعلى ذلك يمكن أن نخطب فئة الأطفال مثلا متحدثين عن الوطن، بمفردات ومحتوى مختلف عن حديثنا في الموضوع نفسه لفئة الكبار. بمعنى آخر، فإن المرسل/المعلم لا يمتلك الحرية المطلقة في اختيار محتويات المضمون والحقائق والأفكار التي يتضمنها، بل هو ملزم بمراعاة قدرة المتلقي على فهمها والتعامل معها)¹. هذا مثال عن التدخل غير المباشر للمتعليم في رسم الخطوط العريضة لضبط محتوى المادة التعليمية. إذن المحتوى التعليمي والبيداغوجي ككل، هو كل المعارف والمعلومات والأفكار والحقائق والمهارات والتجارب والخبرات والكفاءات التي توصل إليها العقل البشري بفعل البحث المتواصل في كل المجالات، وهو كل ما يشكل التراث والحضارة والثقافة العامة من أصالة ومعاصرة، المنتشرة بين أفراد المجتمع والأمة، وهي كل الموروثات الدينية العلمية والفلسفية والأدبية والفكرية والتقنية والثقافية ككل، والتي تقدم للمتعليمين داخل الفصل المدرسي على شكل مقاييس ومحاوور ومواضيع، في جو من التفاعل والجد والمتعة والفرجة والطرفة والترفيه.

2-5 العناصر المساعدة: هي الوسائل والطرق والأهداف.

5-2-1/الوسائل التعليمية: لا تخلو أي عملية تعليمية تعليمية من الوسائل، وهي

تحسب على الجانب البيداغوجي في العمل التعليمي، ولا تحسب على الجانب المعرفي والفكري، إنها جانب مهم ولا يمكن الاستغناء عنه في إنجاح العملية التعليمية التعليمية، فهي (بحث أفضل الأساليب التي بها يمكن تقديم هذه المادة الجاهزة وطبعها على العقل، أو بحث الأساليب التي بها يمكن حمل العقل من الخارج على معالجة المادة معالجة تسهل اكتسابها

¹ - حارث عبود، الاتصال التربوي، ص35.

وامتلاكها)¹. وبهذا تكون الوسائل هي كل (ما تعلق بالآلات والأدوات ولواحقها التي تستخدم في الموقف التعليمي التعليمي، بوصفها وسائل تعليمية تسهل على المعلم مهمته في التعليم، وتيسر للطالب مهمة التعلم والاحتفاظ بما يتعلمه في الذاكرة الطويلة المدى)². بالإضافة إلى كل المعينات والمساعدات المادية والمحسوسة كالورق والأقلام والسبورة والطباشير والكراسيس والكتب وكل الأدوات المدرسية الأخرى الخاصة بالمتعلم وتلك الخاصة بالمعلم والكراسي والمنضدات، والمدفئات والمكيفات الهوائية³، (ونظرا لما يشهده عالم اليوم من تطور تكنولوجي لا سيما في مجال الاتصالات والمعلوماتية، ودخول التكنولوجيا بقوة في مجال التعليم، لم تعد الأسس التي مرّ ذكرها كافية في عملية التعلم والتعليم، وصار واضعي المناهج أن يضعوا في الحسبان المتغيرات والمستحدثات الجديدة في تقنيات التعليم والمعلوماتية)⁴، وهي كل الوسائط السمعية البصرية مثل التلفاز وأجهزة الفيديو والحواسيب واللوائح الالكترونية وأجهزة العرض والتصوير والإسقاط، والهواتف الذكية وكل شرائح الذاكرة الخاصة بحفظ الملفات، وحتى وشبكات التواصل الاجتماعي المختلفة.

كما يمكن أن نقول أيضا بأنها كل الوسائل الأدائية والتواصلية والتبليغية، التي نستعملها سواء في الأداء والعمل، أو في التواصل أو للتبليغ والشرح والإيضاح، فلها دور كبير في مساعدة المتعلمين والمعلمين على الفهم والتواصل، وهي عامل تحفيز وتشجيع لهم، وتساهم في ربح الوقت والجهد، لشرح فكرة أو ظاهرة قد يستعصى على المعلمين شرحها أو تمريرها للمتعلمين، وخلق جو من الحماس والحيوية والفرجة داخل الصف الدراسي، وهي تساهم في استقرار الأفكار والتعلم وتربيتها في أذهان المتعلمين، وتوسع من مخيلتهم وتصوراتهم، حيث تجعل كل المضمون الدراسي ذو قيمة علمية، وقريب للتطبيق في الحياة اليومية.

إقرار الوسائل في العمليات التعليمية التعليمية شيء لا مفر منه، وقد عرفها الإنسان منذ بداياته الأولى في التعلم، لما لها من دور كبير في الإيضاح والإفهام والإيصال والتواصل والتبليغ، وهي قابلة للتغيير والتجديد وحتى الاستغناء عنها، فهي مرتبطة بتطور

¹- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 172.

²- المرجع السابق، ص 71.

³- ينظر: بلماد غي، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كيه، ص ص 54-55.

⁴- محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 140.

حياة الإنسان وانجازاته، وخاضعة لتطور حياة الإنسان، وللنتائج العلمية المعاصرة فيما يخص الوسائل التعليمية. يشترط في الوسائل العلمية تكون قادرة على تحقيق المهمة والهدف، وحاملة لخصائص تؤهلها لأداء دورها التعليمي المنوط بها¹، وأن تكون قابلة للاستعمال من طرف ومن طرف المتعلم ولكل في ذلك وسائله الخاصة، فقط الحذر من كثافة الوسائل المستعملة من طرف الفاعلين في العملية التعليمية التعليمية، فكثرتها واختلافها من شأنه أن يميع العملية التعليمية التعليمية ويخرجه عن إطارها التعليمي، وهو الشيء الذي أجبر تدخل المدرسة التي (فرضت وسائلها في التعليم والتربية على الأطفال بدلا من الاستفادة من الوسائل التي هي بحوزتهم. وهكذا نكون قد ضحينا بالفرديات في سبيل الصف)²، وعليه يمكن للمتعلمين أن يجلبوا معهم وسائلهم الخاصة من بيوتهم، لكن استعمالها في الصف يخضع لمراقبة وتوجيه المعلم. بالإضافة إلى وسائل فطرية وهي المهارات الذاتية التي يتمتعون بها في طريقة التحليل وفي طريقة التفكير، فيميلون إلى أنماط ووسائل فكرية لم يألفها المعلم، هذه الفئة يجب معاملتها معاملة خاصة وبطريقة ذكية ولبقة، حتى يفيد التلميذ نفسه ويستفيد زملائه منه أيضا.

5-2-2/الطرق التعليمية: هناك من يرى أن الوسائل هي نفسها الطرق،

لكنهما يختلفان باختلاف المنهج فكل منهج وسائله وطرقه الخاصة، فتختلف الطريقة عن الوسيلة في كونها عمل إجرائي، وهي خاصة بالمعلم، فهذا الأخير هو من يختار الطريقة التي تناسبه لتمرير المعارف والمعلومات بالشكل الهين للمتعلمين، حتى يسهل عليهم اكتسابها وترسيخها في الأذهان. والطرق قد تأخذ أسماء الوسائل المستعملة، وقد تأخذ أسماء المناهج التي تنتمي إليها، وهي في مجموعها كل الإجراءات والأنشطة التقنية، وكل المخططات والتقنيات والحيل التعليمية، والمبادئ والقوانين المنظمة والمدرسة، التي يسطرها المعلم والإدارة المدرسية معا، والتي تهدف إلى تمرير المعرفة والمعلومة بطريقة سهلة تعود بالفائدة على المعلم والمتعلم. إنها كل الأعمال والتصرفات داخل الصف المدرسي التي يقوم بها المعلم، لتحقيق الأهداف التعليمية المسطرة، وتحقيق السلوكات المرجوة في حياة المتعلمين اليومية. الطرق التعليمية هي أيضا (آليات التعليم والتعلم، والترابط التفاعلي بين

¹ - ينظر: حارث عبود، الاتصال التربوي، ص36.

² - غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص79.

مراحل العملية التعليمية التعليمية. وهذه المراحل هي التخطيط والتنفيذ والتقويم والتطوير. بمعنى آخر فهي ما يهتم بهندسة عملية التعليم والتعلم كاملة، وضمان دقة وفاعلية الصلات المتبادلة بين مراحل العملية التعليمية التعليمية¹.

الطريقة التعليمية هي الأخرى قديمة قدم الفكر التربوي للإنسان، فقد عرفها الإنسان منذ أن بدأ يتعلم ويبحث عن المعرفة والحقيقة، فاستعملها المفكرون والباحثون والفلاسفة في بحوثهم وتجاربهم، يقول أبو حامد الغزالي في إحياء علوم الدين: (أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العلم ثم نشره. وقيل: علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت)²، يشرح الغزالي بطريقة بسيطة الرحلة العلمية أو الطريقة التعليمية التي تبدأ بالسماع والإنصات، وتنتهي باكتساب العلم والعمل على نشره. وقد أصبحت اليوم بعض الطرق (قديمة بحكم التقدم التكنولوجي الذي ألغى الحدود والفواصل بين نمط وآخر... بينما يجتهد الباحثون في استحداث طرق تعليمية أكثر ملائمة لتطور العصر)³ ولتطور المناهج، التي عرفت طرق تعليمية كثيرة، نتيجة لتطور الفكر التعليمي الإنساني، فكل منهج من المناهج التعليمية التي عرفها الإنسان طرقها الخاصة، وهكذا كانت طرق المنهج الكلاسيكي التي لم نعثر عليها في المناهج البنوية الحديثة التي ابتكرت طرقاً جديدة هي الأخرى، أما المناهج التواصلية العصرية، فهي أيضاً لها طرقها الخاصة بها والقائمة على التبليغ والتواصل بين المعلمين والمتعلمين.

5-2-3/الأهداف التعليمية: (الهدف التربوي هو وصف للتغير المتوقع

حدوثه في سلوك المتعلم نتيجة تزويده بخبرات تعليمية، ووصف لتفاعله مع المواقف التعليمية المحددة... ويأتي تحديد الأهداف في مقدمة اهتمام واضعي المناهج... إذ يساعد على وضوح الغايات)⁴، إذن فالأهداف التعليمية هي الغايات والمرامي المرجوة من وراء العملية التعليمية التعليمية. فمن غير البديهي رصد الموارد البشرية والمادية دونما هدف معين منتظر من وراء ذلك، والأهداف مثلها مثل المضامين التربوية، إذ يجب تشخيص النقص والخلل في صفوف المتعلمين، حتى يتسنى للخبراء وصناع القرار التعليمي تحديد الأهداف المرجوة من

¹ - حارث عبود، الاتصال التربوي، ص 71-72.

² - الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 1، ص 19.

³ - المرجع السابق، ص 39.

⁴ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط 1، عمان/الأردن، 2013، ص 30.

وراء كل عملية تعليمية، والاستجابة لرغبات المتعلمين وحاجاتهم المعرفية والعلمية، (فيضعون أهداف تعليمية عامة وأخرى سلوكية، تصاغ وفق قواعد محددة وبطريقة يمكن قياسها، لكي تحكم مخرجات الموقف التعليمي التعليمي، ويقاس في ضوء ما تحقق من هذه الأهداف، ما مدى ما أصابت فيه عملية التصميم وما أخفقت. وتحدد الأهداف التعليمية في ضوء طبيعة المحتوى التعليمي، ومواصفات الطالب، والبيئة التعليمية، والإمكانات المتاحة لإيصاله من وسائل واستراتيجيات)¹. لذا تخضع الأهداف التعليمية لدراسات وبحوث عميقة من طرف ذوي الاختصاص، حتى يسهل تطبيقها وملائمتها لمستوى المتعلمين، وحتى يمكن تحقيقها دون إخفاق أو مشاكل غير منتظرة، والوصول في النهاية إلى تجسيد المشاريع التعليمية المسطرة. إن الأهداف التعليمية هي نقطة البداية ونقطة النهاية في كل عمل تعليمي، ولتحديد أهميتها وفائدة كبيرة على المعلم والمتعلم، فبالنسبة للمعلم تساعد على التخطيط للعمل التعليمي وتقويمه واختيار الأساليب والطرق التعليمية المناسبة، أما المتعلم ففي توقع ما هو مطلوب منهم القيام به. كما يساعد تحديد الأهداف على تسهيل العملية التعليمية من خلال تجزئة المادة الدراسية إلى جزئيات صغيرة أي أهداف إجرائية².

(تعدد الأهداف التربوية هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها تصميم المنهج وتنفيذ العملية التعليمية والأهداف الوطنية... هي الوسيلة الهامة لإعداد الطالب كمواطن صالح في مجتمعه ولمعرفة حقوقه)³ وواجباته، وتقاس أهمية الأهداف التعليمية، بحجم التغيير في سلوك المتعلم، وفي مستوى رصيده العلمي والفكري، بعد مرحلة زمنية معينة من العمل التعليمي، فيجب أن يكون هذا التغيير محسوسا من طرف المتعلم نفسه، وملحوظا من طرف المحيطين به كالمعلم والأولياء والأخوة والأصدقاء، يقول أبو حامد الغزالي: (وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه، فإن العلم إذا كان أفضل الأمور كان تعلمه طالبا للأفضل فكان تعليمه إفادة للأفضل، وبيانه أن مقاصد الخلق مجتمعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة الآخرة... وقال معاذ بن جبل في التعليم والتعلم...: تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا

¹- حارث عيود، الاتصال التربوي، ص76.

²- ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص ص 30-31.

³- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص72.

يعلمه صدقة، وبذله لأهله قرية، وهو الأنيس في الوحدة، والصاحب في الخلوة، والدليل على الدين، والصبر على السراء والضراء... يرفع الله به أقواما فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة، يقتدى بهم)¹. وهناك من أضاف عنصر:

5-2-4/البيئة التعليمية: وهي الموقف التعليمي والوضعية البيداغوجية داخل

الصف وخارجه. صحيح أن للبيئة جبروتها وقانونها في العملية التعليمية، فهي أيضا تفرض منطقتها شئنا أم أبينا، لكونها وضعية من الوضعيات البيداغوجية الممتدة إلى خارج المدرسة². لكن تأثيرها يبقى كتأثير المرافق الاجتماعية العامة، مثل البيت الأسري والشارع والمسجد ودور التسلية والترفيه، فقد تعلمنا في صغرنا كثيرا من الأشياء بواسطة الخطاب الاجتماعي العام، ومن الكتابات الحائطية الخاصة بالمحلات التجارية والمؤسسات الإدارية والعمومية، ومن إشارات المرور وكل اللافتات التي نصادفها في ذهابنا ورجوعنا من المدرسة، وفي الحقائق وأماكن التسلية والترفيه.

تتفاعل كل هذه العناصر الأساسية والمساعدة داخل العملية التعليمية، منتجة لكثير من الأدوار والمهام بين أطرافها في علاقات متناسقة ومترابطة ومتجانسة، تسعى كلها لتحقيق الأهداف المسطرة، التي أساسها نشر وانتقال المعرفة بين صفوف المتعلمين، فتشكّل في نهاية المطاف منهجا تربويا خاصا ومتميزا قائما بذاته، يسمح تطبيقه برسم سياسة تعليمية واضحة، ويساهم في تهيئة الناشئة لمواكبة تطور أنماط الحياة والتغلب على كل المشكلات اليومية، وتحقيق العيش السعيد والطموح إلى مستقبل ملؤه الأمل والعمل.

6- أهمية العملية التعليمية التعليمية: الكلام عن أهداف وأهمية العملية

التعليمية التعليمية، يقودنا لإعادة النظر في اسمها الذي يدل عليها فالمهمة الأساسية للتعليم والتعلم أو التعليمات، هي تعلم وتعليم المعرفة والفكر والسلوك، والمهارة واكتساب الخبرة والتمرس في الحياة. ولا يستطيع أحد نكران أهمية العملية التعليمية التعليمية، لأن الإنسان مجبول على طلب العلم وحب المعرفة والبحث عنها، كما لا يستطيع أحد أن ينفي فائدة البحث العلمي سواء في الطب أو الفلك أو الفيزياء وفي علم الحيوان والجماد، وفي تسخير الطبيعة لخدمة الإنسان وإسعاده، والتغلب على الأمراض، وتقريب المسافات وغزو الفضاء

¹ - الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء 1، ص ص 19-20.

² - ينظر: حارث عبود، الاتصال التربوي، ص ص 37-38.

وتكنولوجيا الاتصال بالصورة والصوت، وغيرها كثير مما غزى وطغى على حياة الإنسان، والذي ما كان ليكون لولا تطور التعليم. كل الأديان والشرائع التي عرفها الإنسان تشجع على التعليم وطلب العلم والبحث العلمي، وقد أصبح التعليم هو السلاح الأول لكل دولة، لذا اهتمت به الشعوب والأمم، وأصبح التنافس بين الدول في مجال البحوث العلمية والاختراعات والتكنولوجيا. (فكل جماعة من الجماعات تسعى إلى أن ترفع مستوى الحياة فيها إلى مستوى العصر الذي تعيشه، على أن يكون ذلك في إطار قيمها ومثلها العليا، وهذا لا يتأتى إلا بالتربية التي لولاها لانزوت المجتمعات وربما مسحت من الوجود)¹.

التعليم سلاح ذو حدين، وسيلة وغاية في الوقت نفسه، تختلف أهدافه بحسب اختلاف الأسباب الدافعة إليه، فهناك من يسعى له لأجل مرامي خيرية، وهناك من يسعى له من أجل مرامي شرية، وهذه الأفكار الأخيرة لا تحاربها إلا التعليمات الصحيحة، فالعلم بلا أخلاق كالقوة بلا قانون، فكل علم يجب أن تصاحبه تربية على الآداب والأخلاق. فكم من علماء ندموا على ما اخترعوه أو ما اكتشفوه نظرا للشرور التي حملوها للإنسان وللشرية، لذا يجب على علوم التربية والأخلاق أن تصاحب وترافق كل العمليات التعليمية، وأن يكون دائما ميثاق أخلاق حاضرا، يطلع عليه الجميع ويحترمه ويعمل به، ويجب أن تشمل كل البرامج التعليمية على حلقات ومواد خاصة بالأخلاق، وهي العلاقات الروحية التي تربط بين أفراد المجتمعات والأمم.

ليس كل من يحمل محفظة ويتوجه إلى المدرسة أو المعهد أو الجامعة يريد التعلم والبحث عن المعارف والعلوم، فكل هدفه من ذلك فهذا يبحث عن مكانة اجتماعية وسياسية بفضل الشهادات التي سيجنيها من وراء التعليم، وبفضل المناصب والوظائف التي سيتقلدها بعد الحصول على الشهادات والدبلومات، والآخر يريد الحصول على أكبر قدر ممكن من العلوم والمعارف والثقافات، وآخر مولع بالبحث عن المستجدات في أخبار التكنولوجيا والاكتشافات والاختراعات الجديدة، آخرون يرون أن التعليم حاجة بيولوجية لا بد منها فهي كالأكل والشرب، يجب القيام بها ما دما على قيد الحياة بطريقة آلية وفضولية. لكن في كل ذلك يجب التركيز على أن عمليات التعليم الموجهة الغرض منها إكساب المتعلم

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص39.

مجموعة من المعارف والمبادئ والمهارات والقيم المحددة، وتعليم الناشئة وتدريبهم للتكيف بالمستجدات فيما يخص العلوم والتكنولوجيا، والتدريب على تطبيقاتها واستعمالاتها في الحياة اليومية، وعلى التأقلم الدائم مع التغير المستمر والمستدام والمستمر للحياة، ومساعدتهم في تنمية قدراتهم ومؤهلاتهم، على التفكير الإبداعي وعلى الاختراع والتطبيق المنهجي لكل النتائج العلمية، بالإضافة للحد من نسب الأمية والبطالة، وتأهيل الناشئة لولوج عالم الشغل والإنتاج، والمساهمة في التطور الشامل للمجتمع وللوطن، والحفاظ على التراث الوطني الثقافي وتطويره وحمايته من الزوال، وتسهيل نقله من جيل إلى جيل، وتكوين العادات والسلوكيات التي تجعل من الفرد عضوا صالحا في أسرته ومجتمعه ووطنه¹.

طبعاً لا يتساوى المتعلمون وغير المتعلمون بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾²، لقد أصبح التعليم وسيلة ونمط حياة، ومطية لتمرير كل مشروع اجتماعي أو سياسي أو اقتصادي أو حتى ثقافي في المجتمع وفي الدول، بل أصبح من متطلبات العصر. وقد تجاوز الإنسان مرحلة الكتابة والقراءة، ولم يعد الأمي هو من لا يعرف ذلك، بل من لا يعرف أمور رقمية عصرية متطورة، مرتبطة بوسائل الإعلام والاتصال الحديثة. ويبقى التعليم فرصة هائلة للحاق بالركب الحضاري والعلمي المتطور لكل من يريد أن يطور قدراته ومؤهلاته المعرفية والعلمية، ويمكننا أن نباشر في أي سن من عمرنا عملية التعلم والبحث العلمي، فنتحول من أناس عاديين فاشلين في تحديد أهدافنا وموقعنا في الحياة إلى أناس ناجحين نساهم في تطور وإفادة المجتمع، طلب العلم لا يرتبط بسن معين أو ببعد المكان، ولكن قليلا من الإرادة والعزيمة فقط.

من الأهداف الرئيسة لكل السياسات والمشاريع التربوية والتعليمية (تكوين الدارس تكويناً ثقافياً وعلمياً وقومياً على مستويات متتالية، من النواحي الوجدانية والقومية، والعقلية والاجتماعية والصحية والسلوكية والرياضية، بقصد إعداد الإنسان... المؤمن بربه ووطنه وبقيم الخير والحق والإنسانية، وتزويده بالقدر المناسب من القيم والدراسات النظرية والتطبيقية، والمقومات التي تحقق إنسانيته وكرامته وقدرته على تحقيق هدفه والإسهام

¹ - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص40.

² - سورة الزمر، الآية 9.

بكفاءة في عمليات وأنشطة الإنتاج والخدمات)¹ لخدمة الوطن وتطويره. بالإضافة إلى تعليمه وتربيته على الأخلاق والمبادئ والقيم، والتركيز على غرس روح الإيمان بالمعتقدات الدينية السائدة في المجتمع والأمة، وتقوية الافتخار باللغات الوطنية والثقافة المحلية وبالعبادات والتقاليد، وثقافة حب الوطن والدفاع عنه، واحترام الرموز الوطنية كالراية الوطنية والنشيد الوطني، والتراث المشترك للأمة، ودغدغة مشاعر الحب والغيرة والافتخار والمروءة في نفسيات المتعلمين على الوطن، وعلى كل الانجازات والبطولات والمكاسب الوطنية، وتفعيل وتعميق شعور الإحساس بالانتماء للوطن، والتصدي لكل الحملات الهدامة التي تستهدف نشر الفتن والتفرقة بين المواطنين عبر قنوات التعليم والاتصال المضادة².

التعليميات والتربية ككل (عملية اجتماعية...تعمل على المحافظة على النظام الاجتماعي والنهوض به، ونقل المعارف والمهارات التي تهتم المجتمع من جيل إلى جيل...وتزودنا بأسس حياة الفرد في الجماعة وواجباته نحوها وحقوقه، وعلى ذلك فإن التربية تختزن بين جوانبها عدة خصائص اجتماعية)³ وعلمية، هدفها تحقيق الرقي المعرفي وتحسين المردود التعليمي، وتشجيع البحث والاختراع والاكتشاف. تهدف التعليميات لتحرير الانسان وتحرير قدراته الفكرية والعقلية، وبتحرير الأفراد تتحرر المجتمعات، فتتفتح عما يدور حولها في المجتمعات الأخرى فتستفيد وتفيد. كما تساهم التعليميات في نشر القيم والمبادئ الوطنية المبنية على العدل والمساواة، والحرية وتكافؤ الفرص في ظل الاحترام المتبادل والديمقراطية، والحوار وحرية التعبير والنقد البناء، حتى نجعل من متعلمينا رجال متحضرين مستعدين لاستشراف المستقبل والتغلب على مشاكل الحياة الراهنة، والعمل المشترك والمنتج لبناء وتطوير الوطن.

تهدف التعليميات أيضا إلى نشر ثقافة المواطنة ومبادئها وقيمها، وتدريب الناشئة على معرفة واجباتهم وحقوقهم ومسؤولياتهم وحدود حرياتهم، وعلى توخي السلوكات والتصرفات الوطنية السليمة والصالحة للمجمع وللوطن، وهي لا تكتفي بتلقين قيم العدل والمساواة والحرية والحقوق والواجبات فقط، بل تسهر على أن تظهر كل تلك التعلّمات في

¹ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص75.

² - ينظر: أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص41.

³ - المرجع نفسه، ص41.

ممارسات وتصرفات وسلوكيات المتعلمين وفي تفكيرهم واعتقادهم وفي حياتهم ككل. هكذا لا تقف التعليمات عند تمرير المعارف والعلوم فقط، بل تقوم بإكساب الناشئة كل القيم والمبادئ والأخلاق الحياتية والوطنية، فزرع سلوك المواطنة يعد نوعاً من الأخلاق بل نوع من التعلّيمات، إذن فمن أهداف التعليمات التدريب على ممارسة المواطنة وعلى السلوك الوطني، والتربية على حب الرموز الوطنية والدفاع عن الوطن. (يجمع المفكرون والمخططون للتنمية بأن التعليم -إذا أحسن تعبئته وتوجيهه كما وكيفاً- قوة فعالة في إحداث التغيير الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وفي تمكين الأمة من مواجهة التحديات والتغلب عليها)¹.

المواطنة قبل أن تكون سلوك ظاهر، فهي فكرة ومعرفة يجب تعليمها، فتسعى التربية والتعليم لتحليل لشرح وتبسيط تلك السلوكيات على شكل معارف وأفكار وتمريها للمتعلمين، ثم العمل على ترسيخها والحرص على تطبيقها في الحياة اليومية، فيعرف المتعلمون ويدركون حدود ومعنى الواجبات والحقوق، وأهمية احترام حريات وحقوق الآخرين الذين يقاسموننا العيش في المجتمع وفي الوطن، فتصبح هذه القيم جزءاً من نفسياتهم واعتقادهم وسلوكهم، فيتعلمون قيمة الحياة الاجتماعية التشاركية المبنية على الاحترام، وهنا يتأسس لديهم شعور الإحساس بالانتماء للأمة وللوطن.

7- علاقة الديداكتيك بالتربية والتكوين: تعتبر مصطلحات الديداكتيك

والتربية والتكوين من المصطلحات المتداخلة والمتراطة، وهي التي استعملت واستهلكت على نطاق واسع في الميدان التعليمي، فكثيراً ما استعمل المشتغلين بالحقل التعليمي أحد هذه المصطلحات مكان الآخر على أساس أن المعنى واحد، وكثيراً منهم من فرق بين المصطلحات الثلاثة، لكن الشيء الأكيد هو أن العملية التعليمية عرفت كل هذه المصطلحات، وما كانت لتعرفها لولا تطورها وتشعبها واتساع مجالاتها، واختلاف أهدافها وغاياتها، ذلك أن التسمية مرتبطة دائماً بالنتيجة أو بالسبب الذي وجدت من أجله، ونظراً لتطور حياة الإنسان من البساطة إلى التعقيد كانت هذه التسميات الثلاثة المعروفة وهي التربية والتعليمات والتكوين.

¹ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/الأردن، ط1، 2011، ص42.

أما التربية فهي من المصطلحات الأولى في الظهور، (التربية عملية متدرجة...في ميادين الحياة وحقولها المختلفة، تنهل من واقع المجتمع وفيه الأخلاقية والجمالية، وتفتح على واقع المجتمعات الأخرى المتطلعة للخير، بما يبني جسور التعاون وأواصر التفاهم معها)¹. وكانت قديما تشمل كل عمليات التعلم والتعليم والتأديب، ومنها اشتقت علوم التربية المعروفة حديثا كعلم النفس وعلم الاجتماع على الخصوص، ومهمتها دراسة السلوك الفردي أو الجماعي، وتصنيفه بين السوي وغير السوي، والتدخل لمعالجته وتعديله أو تغييره عن طريق اكتساب وتعويد الفرد أو الجماعة سلوكات جديدة، وتحاول علوم التربية أيضا معالجة مشاكل عمليتا (التعلم والتعليم والعلاقة بينهما، وبشكل أكثر تحديدا فإنها تفسر الافتراضات والمبادئ لهذه البيداغوجية البنائية، وتعرض لخصائص مختلفة بصورة أساسية عن النماذج التعليمية الأخرى، وكيف يمكن لنظرية التعلم أن توجه عملية التعلم والتعليم في الترتيبات الحقيقية في مواقف أكثر فاعلية وفعالية)². تستعمل علوم التربية طرقا وتقنيات عصرية في ذلك، بل إنها في عملها أصبحت تمس حتى بأشياء من علوم الطب في دراسة السلوك وتحليله ومعالجته، ولها مكانتها الرئيسية في كل المؤسسات المدرسية خاصة والتعليمية عامة، وحتى في المؤسسات والشركات ذات الطابع الإداري والاقتصادي. (فالتربية طبقا لهذا المنظور الواسع، تتجاوز حدود التعلم والتعليم بالمعنى المدرسي المتداول الذي يعتقد به البعض. إنها مفهوم يتصل بشكل وثيق بثقافة المجتمع وقيمه وشخصيته ومقدار تحضره، ونزوعه نحو التقدم وتحقيق الذات. ذلك أن التربية أداة المجتمع في بناء حياة أفضل، ووسيلته الأساسية في تحقيق آماله وبناء مستقبله)³.

أما عملية الديداكتيك أو التعليم والتعلم هي التعليميات بالمعنى الحديث والعصري، فهي عملية (إفهامية لأذهان التلاميذ بمعلومات بعيدة عن شؤون حياتهم، ونقلًا للعلم إليهم برمز لفظية، أي بتعلم القراءة والكتابة)⁴، وهي كل العمليات المنظمة والمخطط لها والهادفة لإكساب واكتساب المعرفة وانتقالها، ولها صلة بالمصطلحات (وبمفاهيم أخرى كحرية التعليم، العدالة في التعليم، تكافؤ الفرص التعليمية، التعليم للجميع، المجتمع المتعلم،

¹- حارث عبود، الاتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2009، ص 57.

²- محمد سلمان فياض الخزاعة وآخرون، نظريات في التربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2011، ص 207.

³- المرجع السابق، ص 57.

⁴- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر:متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 9.

وديمقراطية التعليم¹، وهي تعتبر عملية التعلم والتعليم من العمليات التي تحضها باهتمام كل الهيئات وكل الأطراف من الأسرة إلى أعلى مؤسسة في هرم الدولة. فترصد لها الأطراف المالية الكبيرة، والوسائل الضخمة، وتسهر على تجسيدها هيئات كبيرة، وهي عملية غير ثابتة بل تعرف كثيرا من التغيرات والتجديدات والإصلاحات والتقويمات بصفة دورية، وتشترك فيها أطراف كثيرة، وتتطلب وسائل متنوعة ومختلفة. وتقوم على التكفل والاعتناء بالمعلم والمتعلم وتحسين محيطهما العملي المتمثل في المدرسة، والاعتناء بوضعهما الاجتماعي والمعيشي من أجل تحسين النتائج، والرفع من مستوى التعليم وجودته، وبلوغ الأهداف التعليمية المسطرة في المخططات والمناهج التعليمية سلفا.

إذا كان العمل التربوي (يختص بمعنى شمولي، يتصل بمشاركة جميع الأطراف في تطوير حياة الأفراد والمجتمعات طبقا لفلسفة كل مجتمع وبيئته، وعلى امتداد حقبة تاريخية طويلة، فإن مفهوم التعليم...انما يختص بتلك الأهداف المقصودة التي تسعى المؤسسة التعليمية إلى تحقيقها في كل مرحلة من مراحل الدراسة)². أما العمل التكويني فهو امتداد للعملين التربوي والتعليمي معا، فهو يأتي بعد أن يتلقى المتعلم جانبا معتبرا في التربية والتعليمات يعني بعد أن يكون مكتسبا لرصيد معتبر من السلوكات والمعارف، وهو جانب يتعلق بصفة كبيرة بالمهارات، وحديثا أصبح للتكوين أهمية كبيرة على المستوى الاقتصادي والتجاري، فهو من يزود المؤسسات والشركات والإدارات ذات الطابع الخدماتي والتجاري والصناعي والفلاحي والاقتصادي بالكفاءات واليد العاملة المؤهلة، للتغلب على مشاكل العمل في المؤسسات المختلفة وتحسين الإنتاج وتنويعه والرفع من جودته، أمام زيادة الطلب وتنامي ظاهرة المنافسة في السوق، فالتكوين عبارة عن معارف وكفاءات مكتملة ومتخصصة لهؤلاء الذين هم في ميدان العمل، بهدف الإعداد لسوق العمل أو التحسين والتحديث، والرفع من كفاءات ومستوى العاملين، والتدريب³ على الآلات التقنية الجديدة، ومواكبة التطورات والمستجدات التي تعرفها حياة الإنسان.

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص85.

² - حارث عيود، الاتصال التربوي، ص 57-58.

³ - بنظر: جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص322.

العملية التكوينية والعملية التعليمية التعليمية جزءان لا يتجزآن من العملية التربوية، وكل من تلك العمليات الثلاثة تشترك في أنها تهدف إلى إكساب المتعلم سواء معرفة أو سلوك أو مهارة معينة¹، وهي كلها مترابطة ومتجانسة ولا يمكن الاستغناء عن أحدها في إنجاح واحدة منها، وهو ما يدعوا إلى ضرورة تقاربها وتماسكها وتناسقها². فهدفها واحد وهو تعليم أفعال وسلوكات أخلاقية مهذبة، ومعارف علمية وفكرية ومهارية مفيدة في تكوين المتعلم وتنشئته، على نمط حياتي واجتماعي صحيح وسليم، وبالتالي يستطيع المحافظة على قيم مجتمعه وعلى تراثه وعاداته وتقاليده، فيكون مواطناً صالحاً في مجتمع متقدم وراق، يسوده الاحترام والعدل والمساواة في الحقوق والواجبات، ويكون أفراداً مستقلين وأحرار فكرياً وأخلاقياً، ومستعدين لتحمل نتائج سلوكياتهم وتصرفاتهم. كل من المصطلحات الثلاثة تعبر عن المسار التربوي والتعليمي والتكويني في حياة المتعلم ككل، هذا المسار الذي هو عملية (تنظيم جديدة للخبرة، تزيد في معناها، وفي المقدرة على توجيه مجرى الخبرة التالية)³ واللاحقة، في عملية نمو مستمرة ومتواصلة للمعرفة.

8- علاقة اليداكتيك بالعلوم المجاورة (علم النفس، علم الاجتماع وعلم التاريخ):

إن الثورة العلمية والنهضة الفكرية الكبيرة، صاحبها ظاهرة انفجار العلوم وتشعبها وانفصالها، فعرفنا استقلال اللسانيات التطبيقية والتعليمية عن اللسانيات العامة وانفصال علمي النفس والاجتماع عن الفلسفة. لم تعرف هذه العلوم استقلالاً تاماً، بل بقي بعضها يمس ببعض في أمور كثيرة ويكمل بعضها البعض الآخر، فتستخدم التعليمات نتائج وطرق ومناهج علم النفس وعلم الاجتماع في تمرير المعارف والتعلمات والمهارات، ويستند كل من علمي النفس والاجتماع على نظريات المعرفة والتعليم في معالجة بعض المشاكل النفسية والاجتماعية، وتحسين السلوكات الفردية والجماعية.

لقد واجهت التربية والتعليم بعض مشكلات تعليمية بأعراض جديدة، لم تكن معروفة في الميدان التربوي والتعليمي، ووجدت نفسها مشلولة أمام إصلاح بعض

¹ - ينظر: أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص 85.

² - ينظر: بلماذ غي، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص 98.

³ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 79.

السلوكات التربوية غير السوية التي يبدئها بعض المتعلمين، هذه المشاكل التي تعود إلى أسباب نفسية واجتماعية، تؤثر بشكل كبير على الأداء الفردي والجماعي للمتعلمين، وهو ما دفع التعليمات للبحث عن الحلول لدى بعض العلوم المجاورة، وخاصة لدى علم النفس وعلم الاجتماع بصفتها العلمان الأقرب إلى مجال علوم التربية والتعليم.

ان علاقة التربية والتعليم بعلمي النفس والاجتماع وطيدة وعميقة، فقد اعتمدت التربية والتعليم كل نتائج البحوث النفسية والاجتماعية وحتى التاريخية التي توصلت إليها، ولجأت إلى مناهجها وقوانينها وعلمائها، فأصبح علماء النفس والمرشدين الاجتماعيين والخبراء التاريخيين من تعداد الطاقم التعليمي لكل مؤسسة تربوية وتعليمية، يرجع إليهم للتدخل في مجال اختصاصهم ان استدعت الضرورة ذلك، أو أنهم يدلون بملاحظاتهم لإصلاح بعض الظواهر التي تمس بمجال تخصصهم في الحقل التربوي التعليمي قبل تفاقمها وتعقدها، فيقومون بدور وقائي.

8-1/علاقة اليداكتيك بعلم النفس: لقد بدىء في (توظيف المنهج

النفسي في الدراسة والتحليل بشكل علمي منذ مائة عام، أي مع بداية علم النفس ذاته في نهاية القرن التاسع عشر، وذلك إثر صدور مؤلفات فرويد في التحليل النفسي)¹، وللمنهج النفسي في العملية التعليمية جذور عميقة، وهي تلك الملاحظات التي كانت ترد فيما يتعلق بالظواهر التعليمية التعليمية²، المتعلقة بتحسين المردود التعليمي وأسباب الفشل التربوي. فعلاقة التعلم والتعليم بعلم النفس تنطلق من أن الجانب النفسي ذو دور كبير في تكوين شخصية الطفل، وخاصة في تحديد سلوكياته وضبطها وفق الاستراتيجية التربوية المعتمدة، ويتدخل الجانب النفسي حتى في تشكيل منهج تفكيره وفق مناهج التفكير السليمة. فيختص علم النفس الطفل بدراسة (استجابات الطفل وجهوده في التكيف مع مؤثرات البيئة الطبيعية والإنسانية التي تحيط به. وقل الأمر نفسه عندما يكبر الطفل ويشيب. فدراسة الطفل هي في الوقت ذاته دراسة لعمليات تكوينه)³. لذا أصبحت

¹ - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص46.

² - ينظر: المرجع نفسه، ص45.

³ - غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص97.

المؤسسات التربوية لا تستغني على الأخصائيين النفسانيين في صفوف طواقمها الإدارية، حيث توكل لهم مهام ذات طابع نفسي، فمن خلال ملاحظاتهم ومعايشتهم للصفوف المدرسية، يقومون بمراقبة سلوكيات المتعلمين، وعزل الشواذ منهم أو الذين يبدون تصرفات عدوانية، ويقومون بمتابعتهم والجلوس معهم والاستماع إليهم، حتى يتمكنون من تشخيص مشكلاتهم، ومساعدتهم على الخروج من أزمتهم، ويقومون كذلك بمساعدة المعلمين على ضبط مناهج خاصة بهم لمساندتهم ومساعدتهم على الاستدراك المعرفي، والاندماج ضمن المجموعة العامة ويتغلبون على مشاكلهم النفسية، (يركز هذا الاتجاه على الصعوبات التعليمية الناتجة عن الجوانب النفسية والعمليات العقلية، لأن اهتمام علماء النفس منصّب على فهم القدرات المعرفية، والأساليب والعمليات التي يستخدمها الفرد في التعليم)¹.

8-2/ علاقة الديداكتيك بعلم الاجتماع: (تمكن علماء الاجتماع مع دوركهايم،

أن يثبتوا أن التربية هي قبل كل شيء مجهود يهدف إلى طبع الأجيال الجديدة بطابع الجماعة... وبواسطة الثقافة)². وهذه السيطرة الاجتماعية والجماعية معناها (تكوين ميل فكري معين في الفرد أو طريقة إلى فهم الأشياء والحوادث والأعمال، تعينه على الاشتراك الفعال في الأعمال الاجتماعية)³، هذا عن أهمية علم الاجتماع في التربية والتعليم، أما العلاقة بينهما فتبدو من خلال تناول علم الاجتماع لتلك المشكلات الجماعية، التي يعاني منها مجموع المتعلمين في المؤسسة التعليمية الواحدة، أو في مجموعة من المؤسسات، أو في منطقة من المناطق أو جهة من الجهات، ومن تلك المشكلات مثلاً: تراجع نسب النجاح لسنوات متتالية، أو تراجع المردود التعليمي أو تدني النتائج، أو ظاهرة أخرى كظاهرة تسرب التلاميذ أو تزايد العنف بين المتدربين أنفسهم، أو تجاه معلمهم أو مسؤوليهم، فيقوم الأخصائيون والمرشدون الاجتماعيون ببحث ودراسة، ووضع مشروع عام يتناول القضية من كل الجوانب المحيطة بالمؤسسة التربوية من الداخل ومن الخارج. ويجب الصبر على تطبيق هذه الدراسات، فنتائجها لا تظهر إلا على المدى الطويل. ويركز فيها علماء الاجتماع

¹ - ماجدة السيد عبيد، صعوبات التعليم وكيفية التعامل معها، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط2، عمان/الأردن، 2013، ص36.

² - غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص 106.

³ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص37.

على (العوامل البيئية الخارجية التي تؤدي إلى صعوبات التعلم، فمثلا الحرمان من المثيرات البيئية المناسبة، وسوء التغذية والحرمان الاقتصادي والثقافي، كلها أمثلة على العوامل البيئية التي ان ظهرت فمن المتوقع ان تخلف عددا من الأطفال الذين يعانون من صعوبات التعلم)¹، وهكذا بتدخل هؤلاء الشركاء الاجتماعيون نتمكن من التحكم في السلوك الجماعي للمجموعة، ونضمن لهم حياة اجتماعية سعيدة، ونحسن تعاملنا وتواصلنا اليومي معهم كتربويين ومعلمين. هكذا يتعلم الطفل ويتربى على الاحساس بالمسؤولية في تحمل نتائج أعماله وسلوكاته، ويعرف حقوقه وواجباته تجاه مؤسسته وأسرته ومجتمعه ووطنه، فيضع كل مجهوداته البدنية والفكرية في خدمة المجتمع والوطن، وفي تقوية الانتماء والتضامن الوطني، والمساهمة في حفظ القيم الثقافية والمبادئ الوطنية.

3-8/علاقة الديداكتيك بعلم التاريخ: أما علاقة التربية والتعليم بعلم التاريخ

فتتلخص في مد المناهج التربوية والتعليمية، بكل الحقائق والمعلومات الدقيقة وبالحوادث التاريخية، ونقل كل البطولات والأمجاد بكل صدق وأمانة إلى الناشئة، وتعريفهم بكل الأبطال والحضارات السابقة. يقوم علماء التاريخ بتصحيح هذه المعلومات وضبطها وتحقيقتها وإبعادها عن التزييف والتزوير، ومن هذه الحقائق والحوادث التاريخية نجد المبادئ والقيم الوطنية، التي يكون لها أثر كبير في تحقيق المواطنة الصحيحة وتحسين السلوك تجاه المجتمع والوطن. فلعلم التاريخ دور كبير وأهمية واسعة في التربية على المواطنة، والمساهمة في حب الوطن والدفاع عنه، والحفاظ على الرموز الوطنية والافتخار بها، وهناك من ذهب إلى أن التربية على المواطنة هي تعليم التاريخ لكن هذا غير صحيح فتعليمية التاريخ ما هي إلى جزء من المنهاج التعليمي العام.

كل العلوم السابقة والمجاورة للتربية والتعليم كعلوم النفس، الاجتماع، والتاريخ تساهم في تحسين المردود ورفع المستوى التعليمي، من خلال مشاركتهم في العملية التعليمية، ومن خلال الملاحظات والمناهج والأساليب الخاصة ونتائج أعمالهم ومجهوداتهم التي يضعونها في خدمة التربية والتعليم، وتدخلاتهم الإيجابية في الاهتمام بالمتعلمين الذين هم في أمس الحاجة إلى اهتمام وتكفل نفساني واجتماعي وثقافي تاريخي يساعدهم على

¹ - ماجدة السيد عبيد، صعوبات التعليم وكيفية التعامل معها، ص38.

التواصل وعلى الاندماج في المجتمع، والتغلب على كل المشاكل والظروف الصعبة كالضغوط نفسية والاجتماعية على الفرد والمجتمع، التي تؤثر في حياتهم وعلى سلوكياتهم الاجتماعية. هكذا تساهم العلوم المجاورة في مساعدة المؤسسات التعليمية والتربوية للوصول إلى التحكم في ضبط سلوك سليم ومردود تعليمي مرضي، وتمكين المتعلم من أن يحول ظروفه الصعبة ومشاكله الاجتماعية وعقده النفسية وحاجاته المعرفية والتاريخية إلى أسباب للنجاح والتفوق.

9- علاقة العملية الديداكتيك بالتكنولوجيا العصرية: من مخرجات الثورة

العلمية والنهضة الفكرية التي عرفت أوربا، بعد التحرر من سيطرة الإقطاع والكنيسة في نهاية القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، ظهور مصطلح التكنولوجيا، وهذا مصطلح يعبر على كل النظريات والقوانين والقواعد الفكرية والعلمية والصناعية والوسائل والطرائق الجديدة التي اخترعها الإنسان واكتشفها. وإذا ما عدنا إلى تعريف مصطلح التكنولوجيا لغويا فهو: (تكنولوجيا/تكنولوجية: تقنية، أسلوب الإنتاج أو حيلة المعرفة الفنية أو العلمية المتعلقة بإنتاج السلع والخدمات، بما في ذلك إنتاج أدوات الإنتاج وتوليد الطاقة واستخراج المواد الأولية ووسائل المواصلات. **تكنولوجي**: منسوب إلى التكنولوجيا. **تكنيك**: تقنية)¹، وهي كلمة إغريقية المنشأ، مركبة من كلمتين: techno بمعنى فن أو التطبيق ، وlogos بمعنى علم أو المهارة، أما في القاموس الفرنسي فتحمل تقريبا المعنى نفسه:

(Technologie nf Etude des techniques industrielles «outillage, méthodes de fabrication, etc» considérées dans leur ensemble ou dans un domaine particulier. **technologique** a – **techcologiquement** av-**technologue** n)².

(ومع بدايات القرن الحادي والعشرين كسرت التكنولوجيا حواجز الزمان والمكان في مجال الاتصال والتواصل بين بني البشر وصار العالم كله مفتوحا أمام الجميع، وصار الناس فيه كما لو كانوا في قرية صغيرة، بفضل الأقمار الصناعية وشبكات الأنترنت)³.

¹ - جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص 201.

² - Dictionnaire Hachette, sous la responsabilité de Ghislaine Stora, p1584.

³ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص140.

ونظرا لتطور حياة الإنسان واتساعها وتشعبها وتعقدها، كان بحاجة لهذه التكنولوجيا لتسهيل أنماط حياته وتحسينها وتطويرها، عن طريق تحسين وسائل وطرق تعليمه، فلم تكن التربية والتعليم في معزل عن التكنولوجيا، بل عرفتها هي الأخرى، واستعملتها في المناهج التربوية بصورة واسعة. في التعليم والتدريس وفي التقويم بغرض تحسين الأداء وتجويد المردود، وربح الوقت والمال والمكان، فلم يعد ضروريا لا الحضور ولا الاتصال المباشر بين المعلم والمتعلم، واستغنى كل من المعلم والمتعلم عن المحفظة والكتب والكراسات والأقلام، والبحث جاريا اليوم في سبل الاستغناء حتى عن المدرسة التقليدية، وتغييرها بالمدرسة الرقمية أو الافتراضية. فقد كان الميدان (التعليمي فيما قبل عصر المعلومات قاصرا...في المقابل تتيح تربية عصر المعلومات أشكالا متعددة للتعليم في المدرسة والمنزل وأماكن العلم، وقد تنوعت مصادر تقديم الخدمات التعليمية من فصول افتراضية، ومراكز تدريب داخل مؤسسات الأعمال، وموقع تعليم وتعلم عن بعد من خلال الأنترنت وما شابه. لقد أضاف هذا أبعادا عديدة للمنظومة التربوية فيما يخص أطوار التعليم والتعلم)¹.

ولو راجعنا التفكير لوجدنا أن التربية والتعليم، هي السبب الأول في التكنولوجيا، تحسين التعليم وتطويره هو من أفرز كل هذه التكنولوجيات التي نعرفها اليوم وليس العكس، إذن تحسين التربية والتعليم هو الذي أدى إلى تطوير التكنولوجيا في الوقت الحالي وليس العكس، فهذا التطور الايجابي للتكنولوجيا كانت قوته ودقته من جراء تطوير وعصرنة التربية والتعليم² ومدهما بمختلف الطرق والمناهج الحديثة. التربية والتعليم هي الألواح الشمسية التي تستمد منها التكنولوجيا طاقتها وتطورها، فالثورة الفكرية والمعرفية التي عرفتها العلوم، هي التي انعكست على التكنولوجيا التي نعيشها اليوم، ونستخدمها في كل مجالات حياتنا اليومية، ولم تجد التربية والتعليم من بد إلا التفاعل والتعايش معها، وهو ما وُلد مصطلحات جديدة عرفتها التربية والتعليم، وهي تكنولوجيا التربية أو تكنولوجيا التعليم. (العلم دائم التغير الأمر الذي يؤدي غالبا إلى تغير في بنية أساسيات العلم كرد فعل للدراسات والبحوث المختلفة التي تضيف مؤشرات جديدة إلى العلم وإمكاناته)³، وهو ما

¹ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص47.

² - ينظر: حارث عبود، الاتصال التربوي، ص 59.

³ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص32.

يجعل الآراء تختلف حول ضبط مفهومي تكنولوجيا التربية وتكنولوجيا التعليم، بل ويفرق كثير من الدارسين بينهما، لكنهما تكادان أن تكونان شيئاً واحداً في حقيقة الأمر، فعندما نتكلم عن التربية أو التعليم فنحن أمام عملية اكتساب المعارف والسلوكات والمهارات، عن طريق مجموعة من الوسائل والتقنيات والمناهج والطرق التكنولوجية، لكننا لا يمكن أن نحجب بعض الفروقات الدقيقة بينهما فعملية اكتساب السلوك تختلف عن عملية اكتساب المعرفة أو المهارة بفضل توظيف الوسائل التقنية والتكنولوجية، وأهمها: هذه الحواسيب (التي تم توظيفها في مجالات عديدة تجاوزت تخزين المعلومات إلى التنبؤ بنتائج التجارب العلمية، وتحليل الظواهر العلمية، والتنبؤ الوراثي)¹.

لكن مهما كانت التسمية تكنولوجيا التربية أو تكنولوجيا التعليم، فهي منهج معقد ومنظم ودقيق ومتكامل قائم على الوسائل والتقنيات والقواعد التكنولوجية، واعتماد النتائج العلمية العصرية في عملية التربية والتعليم، فهي مجموعة من الطرق والقوانين والتنظيمات والأفكار، والموارد البشرية المؤهلة، والأساليب والآلات التكنولوجية، وكل الموارد التعليمية المادية، الهادفة إلى تحسين عملية التربية والتعليم، وزيادة الأداءات وتجويدها، والوصول إلى حلول للمشكلات التربوية والتعليمية، التي تحول دون الوصول إلى الأهداف المرجوة وتقويمها والتحكم فيها.

وبهذا تكون تكنولوجيا التعليم والتربية هي كل المحاولات والعمليات المنهجية وفق قوانين وقواعد عملية دقيقة، تستثمر فيها كل الموارد البشرية والمادية، وفق منهج علمي تربوي تعليمي محدد، هدفه الإعداد والتخطيط والتحسين والإتقان والجودة والتقويم في التربية والتعليم، من خلال توظيف نتائج البحوث العلمية ومجهودات العلماء والباحثين والدارسين والنقاد والمفكرين في المجال التربوي التعليمي، وما يمكن التنبؤ إليه أن تكنولوجيا التعليم والتربية ليست الوسائل التقنية والتكنولوجية فقط، بل هي أيضاً القوانين والقواعد والنظم التربوية وكل المناهج ذات الطابع التربوي والتعليمي الجديدة.

وما يمكن الإشارة إليه أيضاً أن (نظم الاتصال...ساعدت على نقل المعلومات بكثافة عالية وبسرعة الضوء، فضلا عن الأقمار الصناعية التي أدت إلى زيادة

¹ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص521.

الكمية والنوعية في نقل المعلومات، مما يؤدي إلى تغيرات جوهرية في مفاهيم التنشئة والتعليم لتكون قادرة على التعامل مع معطيات ثورة الاتصال وفي نفس الوقت الحفاظ على الهوية الثقافية¹ والشخصية الوطنية، إن إدخال التكنولوجيا في المناهج والطرق التربوية والتعليمية له أهمية كبيرة في ربح الوقت وزيادة المردود المعرفي وتحسين السلوك التربوي، وفي استيعاب الكم المعرفي الهائل المتدفق بفعل تطور وسائل الاتصال والحفظ، كما سمحت التكنولوجيا بتوظيف الوسائط التعليمية الجديدة لإعانة المدرسة والأسرة في العملية التعليمية والتربوية، كالاستعانة بالتقنيات الحديثة كالحاسوب واللوائح الإلكترونية والهواتف الذكية، تساهم التكنولوجيا أيضا في زيادة التعايش والتفاعل بين مجموعة المعلمين والمتعلمين داخل الدوائر التربوية والتعليمية، ومساعدة المعلم في مهامه التعليمية والارتقاء بمستواه التكويني والمعرفي العلمي، كما يساعد إدخال الوسائل التكنولوجية في تحفيز المتعلمين وزيادة من حماسهم للإقبال على التعلم والتفاعل، وذلك من خلال ما تثيره تلك الوسائل من ميول ودوافع للبحث والسؤال والتعلم، وزيادة الإدراك والفهم والتفكير والتواصل وتنوع الخبرات والمهارات، والاقتصاد في الوقت والمكان والمال.

لكن أين هو استثمار هذه التكنولوجيا في التربية والتعليم على القيم الوطنية، وفي زيادة الوعي الوطني لدى المتعلمين والمستخدمين لهذه الوسائل؟ أم أن هذه الوسائل التكنولوجية وتكنولوجيا التربية والتعليم تبقى بعيدة على أن تساهم في التربية والتعليم على قيم المواطنة والمبادئ الوطنية، وتحسين سلوك المواطنة لدى المتعلمين. تعتبر وسائل الإعلام أهم الوسائل التكنولوجية المسيطرة في المشهد التعليمي، ولها دور كبير (في تعزيز القيم الاجتماعية وتدعيمها، وتصبح في كثير من الأحيان المصدر الرئيس للمعرفة، كما أن المعلومات الواردة من وسائل الإعلام عادة ما تلعب دورا أساسيا في صنع قرارات الجماهير حيال القضايا المختلفة... كما تقوم وسائل الاتصال بنقل الموروث الاجتماعي ونشره من جيل إلى جيل، والتعريف به، وهو ما عبر عنه بالوظيفة التعليمية لوسائل الاتصال، التي تعنى بتأهيل الفرد وتنشأته)² التنشئة الصحيحة والسليمة، (فالتطورات السريعة في بنية الاتصال والإعلام، التي أعقبت اختراع الحاسوب والانترنت، قد عززت الحاجة إلى التربية

¹ - المرجع نفسه، ص521.

² - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص234.

الإعلامية، وإلى العمل الجاد على تزويد أبنائنا بما يقتضي من وعي ومهارات واتجاهات إيجابية، بغية التعامل مع وسائل الاتصال ومصادره بثقة واقتدار، بما يمكنهم من توظيف النشاط الاتصالي في بناء ذواتهم، وبما يعزز قدراتهم على الاستفادة منها باستمرار، لا بما يهدم بنائهم الروحي والمعرفي والقيمي¹ والوطني، فيجب الاحتراس فقط من هذه الوسائل فهي - إن غابت الرقابة- تحولت إلى أخطبوط يأتي على الأخضر واليابس، إلى دورها السلبي الهدام، الداعي إلى الفوضى والعنف والتطرف في كل شيء.

(تلعب الأسرة دورا كبيرا في التوعية والتنوير، وفي التربية والوطنية بإكساب الأفراد روح المسؤولية وتدريبهم على احترام القانون وتعويدهم على التعاون واحترام الرأي الآخر، وعلى العمل الجماعي، وتنمية روح التكافل، وترسيخ قيم السلام وحقوق الانسان)². وزيادة على ذلك تعتبر الأسرة الأساس الأول للطفل في التربية الاجتماعية والمدنية والوطنية، وهي القاعدة الصلبة لبناء شخصيته من كل الجوانب ورسم سلوكياته المختلفة، وتعليمه وتشنته على حب الوطن وحب رموزه ومبادئه ومقوماته وعاداته وتقاليده المختلفة³، وغرس الانتماء في نفسيته للوطن وللأمة الواحدة، ويجب أن تشرح له معنى الانتماء لرموز الوطن كالراية الوطنية أو النشيد الوطني، وعلى الأسرة أن تحمي ابنها من هذه العاصفة التكنولوجية وأن تهيئه لأن يستفيد منها إيجابيا، ويأخذ منها ما يعود عليه بالفائدة والعلم والمعرفة، فوسائط التواصل الاجتماعي أصبحت وسيلة أخرى بين أيدي المتعلمين وهي سلاح تكنولوجي ذو حدين، لذا يجب الاحتراس من استعمالاتها، وكلنا يتذكر ما فعلته هذه الوسائط فيما اصطلح عليه بالربيع العربي، من تعبئة للشباب العربي وتحريضهم على العنف والفوضى، حيث أدى ذلك إلى خراب كثير من الدول العربية والتي لازالت تعاني إلى اليوم من عدم الاستقرار والحروب الأهلية، فتعطل وشل جهازها التربوي والتعليمي، وعادت إلى سابق عهدها في التخلف والركود. وهي أيضا سببا في إلغاء وإعادة امتحان البكالوريا في الجزائر لموسم 2016/2017، لكن كان لها دورا إيجابيا في تركيا حيث ساهمت في الحفاظ على الشرعية والديمقراطية، والحفاظ على القيم الوطنية التركية،

¹- حارث عبود، الاتصال التربوي، ص 62.

²- أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 44.

³- ينظر: منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص 24.

هنا كان الاستعمال الجيد والاستثمار المناسب للتكنولوجيا في الحفاظ على الوطن وعلى القيم الوطنية، هذه هي تكنولوجيا المواطنة التي يجب أن نتحدث عنها ونعلّمها لأبنائنا.

في الاخير بعد تعرضنا لتكنولوجيا التربية والتعليم، أصبحنا أمام مصطلح جديد ألا وهو تكنولوجيا المواطنة، ونشير هنا أن (التطور العلمي والصناعي والاقتصادي والمعلوماتي أدى إلى وجود عالم موحد، وفرض احتكاكا واتصالا مباشرا بين كافة الأمم والحضارات التي كانت تمثل كيانات ثقافية مستقلة في الماضي، وبات من المحتم أن ينظر البشر إلى مشكلاتهم في إطار ثقافي واجتماعي وقيمي عالمي)¹ وهو ما يعني غزو العولمة التكنولوجيا، فيجب الحذر منها ومن تأثيراتها على الهوية والثقافة المحلية. فنحن عندما نتحدث عن التكنولوجيا فإننا نقصد الجانب الايجابي منها، وهو الجانب المتعلق بالمناهج التكنولوجية في مجال الاتصال التي تساعد المنشغلين في ميدان التربية والتعليم على الإشهار والنشر المعلوماتي والتعليمي، وإشاعة المعرفة والأفكار والمهارات والمواقف²، وتربية النشء على حب الوطن والتعلق بمبادئه ورموزه، والشعور بالانتماء للأمة والوطن، وذلك بواسطة الوسائل التكنولوجية الحديثة، لأن الطفل العصري أصبح شديد التعلق بهذه الوسائل. لذا يجب تبنيها لتمرير التعليمات والسلوكات الوطنية والمواطنة المرجوة، بالإضافة إلى إطلاق حملات الكترونية خاصة بحب الوطن والتعريف به وبيطولاته وأبطاله، هكذا نستثمر التكنولوجيا العصرية في الحفاظ على الوطن وعلى رموزه ومبادئه، والعمل على حبه والدفاع عليه.

10- دور التعليمات في غرس قيم المواطنة: شكّل (التعليم في كافة

صوره، وخلال مراحل التاريخ المختلفة من حياة الأمم والشعوب أحد أهم روائع التقدم والتنمية والاستتارة، من هنا فقد أولته الحكومات والدول الأهمية العظمى، في مراحل التحول الكبرى)³، لهذا لا يمكن تمرير أي مشروع سياسي أو اجتماعي دون مراجعة مناهج التعليم والتعلم ودون المرور على المدرسة، وتبدو أهمية هذه الأخيرة في (المحافظة على كيان الجماعة وشخصيتها القومية الخاصة، في أنها تعدّ الأطفال الصغار من أبنائها لأن يكونوا

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 522.

² - ينظر: حارث عبود، الاتصال التربوي، ص 58.

³ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص 11.

أعضاء صالحين فيها...ولذلك كانت إحدى وظائف المدرسة الأساسية في المجتمعات الإنسانية عبر مراحل التاريخ، هي المحافظة على التراث الثقافي للجماعة عن طريق نقله من السلف إلى الخلف من جيل إلى جيل، لأنها هي التي تعلم لغة الجماعة وتاريخها، وآدابها وعلومها، وفنونها، وتقاليدها لأبناء الأمة¹. وعلى المدرسة ومناهجها أيضا أن توضع (القيم الإنسانية في صميم النظم الأخلاقية والثقافية)² والتربوية والتعليمية. لذا فالتعليمات هي الجسر الآمن الذي ينبغي على القائمين على الشأن التربوي سلوكه للتمرير مفاهيم وأفكار المواطنة، وهي الطريق الوحيد لتربية الناشئة على قيم المواطنة وعلى مبادئ العدل والمساواة والحرية والتضامن والتسامح وعلى حرية التعبير واحترام الآخر وعلى مبدأ تكافؤ الفرص، واحترام الحقوق والواجبات، والاستعداد لتحمل مسؤولية نتائج أعمالها، (وسواء على أرض الوطن أو في الغربة فالتربية على المواطنة لها أهداف واحدة هي تنمية مشاعر الانتماء لدى الفرد لوطنه)³. ويحمل مفهوم التربية والتعليم على المواطنة أفكارا وطنية كبيرة منها: الهوية وتكوين الشخصية الوطنية، الوعي والشعور بالولاء، الأدوار الاجتماعية والسياسية والمدنية وكل الحقوق والواجبات بصفة عامة، وأخيرا الكفايات والمهارات والخبرات الوطنية⁴.

ولغرس قيم المواطنة في نفوس المتعلمين، يجب العودة إلى عمليات إعداد المضامين المدرسية وتسطيرها، ويجب أن لا توضع بصفة عشوائية بل يجب دعوة المختصين في الشأن التربوي التاريخي، ويجب التركيز على مادتي التاريخ والتربية الوطنية أو المدنية كيفما كانت تسميتها، واختيار النصوص ذات البعد الوطني والتضامني، من خلال توظيف لكل البطولات والانجازات الوطنية والتعريف بالأبطال الوطنيين، ويجب الحرص على تقديم معلومة صحيحة ودقيقة وغير مغلوطة خاصة عندما يتعلق الأمر بحوادث تاريخية وتراثية وحضارية للأمة وللوطن. هذه المشاريع التربوية أصبحت أكثر من ضرورة، خاصة في الدول التي تشهد نزاعات عرقية وطائفية وتسودها الفتن والحروب الأهلية، فيبقى تعليم

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص ص46-47.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص58.

³ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p62.

⁴ - ينظر: المرجع السابق، ص54.

المواطنة لأطفالها وشبابها هو الحل الوحيد للقضاء على هذه المشكلة الكبيرة، وحماية الشباب من الخطابات المغرضة والمتطرفة الهدامة، ومساعدة أفرادها على العيش باستقلالية فكرية متحررة من كل الضغوطات ذات البعد الديني أو الثقافي أو العرقي، أو تحت طائلة الإكراهات المختلفة¹.

التربية والتعليم (وسيلة المجتمع لإعداد مواطنيه إعدادا يضمن انتمائهم له، والمحافظة على هويته وتطويره، في ظل التغيرات المتسارعة التي يمر بها، ويكسبهم القيم والممارسات اللازمة للتعامل مع الآخرين، والتعاون معهم والاتصال بهم، والمشاركة الفعالة في اتخاذ القرارات وحل المشكلات، حيث يؤكد المربون أن مواطنة التلاميذ تتأثر بجميع عناصر المنظومة التعليمية من معلم ناجح وكذلك الإدارة التعليمية والأساليب والإجراءات والوسائل المتبعة من أجل الأهداف المنشودة)²، وهي إنجاح التربية الوطنية التي تؤدي إلى النجاح في التربية على المواطنة. ويتم بلوغ ذلك من خلال التركيز على العلوم الإنسانية والنفسية والاجتماعية، وتضمينها كل القيم والمبادئ التي لها صلة بالمواطنة، فتهتم بهذه القيم من خلالها التعرف عليها، والتدرب على طريقة ممارستها والعمل بها، ثم تبنيتها كأفكار وسلوكات ومهارات، وممارستها وتطبيقها بطريقة عفوية وتلقائية في الحياة اليومية³. التعليم المدرسي على المواطنة هو تعليم تفاعلي بين المتعلم والمعلم داخل المدرسة وخارجها، قائم على المشاركة الأفقية والمتساوية، لهذا فالمدرسة لا يجب أن تكتفي بما تقرر في المنهاج أو البرنامج، وإنما يجب أن تبرمج خرجات لفائدة المتعلمين إلى متاحف والحدائق والإدارات ذات الصلة بالعمل التربوي كدور الثقافة والتنشيط الشبابية، وهي الخرجات التي تسمح للمعلمين بمراقبة سلوك المتعلمين وتدخلاتهم وردود أفعالهم تجاه المثيرات الخارجية المختلفة، ثم تصحيحها في عين المكان على ضوء ما تلقوه داخل المدرسة، وحثهم على انتهاج السلوك الحسن والصحيح والسوي، وعلى المعلمين والمدرسين إعطاء المثال والقوة في ذلك للمتعلمين.

¹- ينظر: ماجدة السيد عبيد، صعوبات التعليم وكيفية التعامل معها، ص212.
²- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص ص 5-6.
³- ينظر: تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص46.

بصفة عامة فإن النخبة المسؤولة عن عملية التعليم والتعلم داخل المدرسة، كمؤسسة تعليمية واجتماعية موكل إليهم عملية تمرير وترسيخ كل المعارف والعلوم والقيم والمبادئ والأخلاق الاجتماعية، في جو من التفاعل بين المعلم والمتعلم عبر مختلف البرامج والمناهج والنصوص التعليمية المختارة لحمل تلك القيم والمبادئ، وهذا العمل لا يتضح ولا ينجح إلا من خلال المدرسة النظامية والعمومية، لكونها هي الوحيدة التي تستقبل وتستوعب أعداد هائلة من أبناء المجتمع المتعلمين، لذا (عليها السعي لتحقيق حياة ديمقراطية كريمة تقوم على العدل والمساواة والتكافؤ والجدارة والاستحقاق)¹ بين جميع المتعلمين، دون تمييز عرقي أو اجتماعي أو ثقافي. وبذلك تنتشر تلك القيم والمبادئ بين جميع الأفراد ولا تكون حكرا على طبقة دون أخرى، كما لا تسمح بتسلط فئة على فئة أخرى، المواطنة ليست نظريات وأفكار في الكتب وفي المدارس، بل هي ممارسات وسلوكات وتطبيقات بين الجميع في الحياة الواقعية.

وما يلاحظ أن كل الشعوب (المقهورة في العالم اعتمدت في كفاحها من أجل استرجاع مقومات شخصيتها القومية على التربية والتعليم...يبدوا هذا في الجزائر طوال فترة احتلالها "1930-1962" الطويلة من طرف فرنسا)². فبالتربية والتعليم على المواطنة يعتقد المتعلم بقضية وطنه، ويلتزم بالشعور الذي يدعوه لتأدية واجباته تجاه أسرته ومجتمعه وتجاه وطنه، والإحساس بحجم المسؤولية الملقاة عليه، كما يستعد لتحمل نتائج سلوكاته وتصرفاته وأفعاله، فتصير المواطنة بهذا الشكل حماية للمواطن، ومشروع مجتمع ونمط حياة متطور وعصري، وبفضل التربية والتعليم على المواطنة يعرف المتعلم حدود حريته، وحدود علاقته بالآخرين في المجتمع، ومجموعة أدواره داخل الجماعة، وتنمية قدراته وبناء الثقة بنفسه، واستقلاليته في الرأي وأخذ القرار، وكل هذا هو الضامن الوحيد لحياة اجتماعية تشاركية آمنة، فقيمة الفرد لا تظهر إلا في موقعه وأهميته داخل المجتمع القائم على القيم والأخلاق.

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص13.

² - المرجع السابق، ص48.

(الثقافة الاجتماعية الشاملة، التي كان المدرسون الاشتراكيون والجمهوريون يحملونها في فترة من الزمن، أين كانت المدرسة تمثل الباب الكبيرة المفتوحة على العالم، هي في طريق الاندثار والزوال اليوم، لأنها تمثل إيديولوجية فردية تجارية معرفية لا تعترف بالمعارف والعلوم، بل تعترف بمنطق التجارة والربح والرابحين فقط)¹، في حين تعليم المواطنة يؤسس لعالم إنساني اجتماعي مبني على الحوار، وقبول الآخر وحرية التعبير، واحترام الرأي الآخر ومبدأ الاختلاف، وتجسيد حوار الثقافات والأديان وتبادل الأفكار، وترسيخ قيم التسامح والتضامن والتعاون والمشاركة الفعلية في الحقوق والواجبات، (وعلى أن نقبل بصراع الحضارات، لأن الحضارة العالمية واحدة متصلة، فالصدام بين الثقافات يمكن أن يوتر في إطار حضاري بعيدا عن العنف وسفك الدماء)² والتعصب والتطرف. المواطنة هي ضمان حق إثبات الفرد لوجوده وفعاليته وأهميته في المجتمع، فيندمج المتعلم بطريقة سلسلة داخل المجتمع كمواطن يحترم الآخر ويقبل به، ويحترم القوانين والتنظيمات المعمول بها، وتفعيل المواطنة وممارستها يحقق التكامل والمشاركة بين الأفراد في المجتمع، ويزيد من حبهم للوطن والدفاع عنه وعن مؤسساته، وتمكنهم من إثبات الوجود في الوطن، وتأكيد مواظنتهم فيه. بل إن (التقدم الحقيقي للوطن في ظل تحديات القرن الجديد ومستجداته، تصنعه عقول وسواعد المواطنين، فإن إكسابهم قيم المواطنة يعد الركيزة الأساسية للمشاركة الإيجابية والفعالة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية)³.

كما تسمح تعليمية المواطنة بإدراك المعاني الحقيقية (للعقيدة التي يتمتع بها الأفراد داخل الجماعة أو الأمة. وبحسبهم فإن المفهوم الأخير "الأمة" يعد أكثر اتساعا وشمولا من مفهوم الوطن أو القومية أو غيرهما، إذ يوفر عضوية تلقائية للأفراد تتضمن كامل الحقوق السياسية والاجتماعية، ومن ثم لا تعد المواطنة في المجتمع الإسلامي منحا أو انتقالا للحقوق من الدولة إلى الأفراد، وإنما هي عبارة عن حقوق تلقائية لمجموع الأفراد الذين ينتمون إلى عقيدة واحدة)⁴. هذه هي المعاني الحقيقية السمحة للأديان المبنية على

¹ - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, p48.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص58.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص6.

⁴ - المرجع السابق، ص60.

التسامح والاعتدال والتضامن والمشاركة وعدم الإقصاء أو التمييز، والبعيدة عن التطرف والعنف، والهادفة لنشر كل الأفكار الداعية لحب الوطن، والافتخار بالهوية والتراث والعادات والتقاليد الوطنية، والانفتاح على كل القيم والمبادئ الانسانية والعالمية، واعتماد الممارسة الديمقراطية ومواثيق احترام حقوق الإنسان، وحوار الثقافات وتعايش الأديان. هكذا فقط تخدم التربية والتعليم المواطنة، وتساهم هذه الأخيرة في تطوير العملية التعليمية التعليمية وجودتها، (فالمواطنة الحقّة تنطلق بالضرورة من الأهداف الوطنية، والتي لا تكون إلا بالوعي الحقيقي بالمفاهيم الوطنية، ودعم المؤسسات الوطنية لكل ما من شأنه بلورة أسس المواطنة الإيجابية، بدءاً من المستوى الضيق وانفتاحاً نحو المستوى العلمي للانسانية، ولمفهوم المواطنة خصوصية محددة في كل بيئة، فالمواطنة تختلف وعياً وفقاً للأيديولوجية، حيث أن المواطنة في الفكر الليبرالي تختلف في ترجمتها العملية في السلوكيات عن مدلولات المواطنة في الفكر الاشتراكي أو الإسلامي، كما تختلف المواطنة فهماً وفقاً للمفاهيم السياسية المتعلقة بالولاء لنظام الحكم، ومن هنا جاءت خصوصية المفهوم العالمي للمواطنة لتتجاوز أنظمة الحكم وانتماءاتها، للاهتمام بالأخوة الإنسانية عالمياً ووحدة الجنس البشري عامة)¹.

¹ - أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/ الأردن، ط1، 2011، ص232.

III/الفصل الثالث: السياسة التعليمية في الجزائر.

تمهيد: تعود أصول الجزائريين (إلى ثقافة عتيقة كانت ذات صلة مباشرة بالثقافات الشرقية، حتى جاء الاحتلال الروماني...وبعد الاحتلال الروماني...جاءت إلى البلاد جماعات قليلة من الجزيرة العربية فانتشرت في نواح كبيرة منها، تلقاهم الأهالي بالترحاب... وفتحوا لهم صدورهم ولا حظوا فيهم حسن الاستعداد ولطف المعاملة، ووجدوا لديهم العون والمساعدة على ما كانوا يعانونه من جراء مخلفات الاستعمار الروماني. وقد بهرهم ما جاؤوا به من الهداية المحمدية فاعتنقوها وتبنوها وتجنّدوا لنصرتها، حتى إنهم ساهموا في تبليغها إلى المغرب ثم إلى الأندلس)¹. أما في الفترة العثمانية فتميزت الجزائر بالهدوء والاستقرار والسكينة ولم تعرف فتن ونعرات كبيرة، بل واستمرت الحركة الثقافية في التطور على ما هي عليه، رغم محاولة الأتراك فرض ثقافتهم المحلية ولغتهم في المعاملات الإدارية والرسمية. و(لاحظ جميع المؤرخين العرب والغربيين منهم أن التعليم في الجزائر كان منتشرا في كل أنحاء البلاد، ومن الملاحظ أنه...ليس هناك تعليم آخر في ذلك العهد إلا التعليم الإسلامي الذي كان يشمل حتى القرى والأرياف. فكان الكثيرون من أبناء الجزائر يحسنون القراءة والكتابة. ولنا في ذلك شهادة الغربيين أنفسهم منهم الجنرال فالري كتب يقول عام 1834م: إن كل العرب "الجزائريين" تقريبا يعرفون القراءة والكتابة حيث هناك مدرستان في كل قرية)². هكذا كانت الجزائر قبل 1830 بلد علم ومعرفة، (وقد عرفت...حضارة لامعة كانت العربية أثنائها صالحة لبث العلم ومعالجة الأدب)³، وكان العلماء والباحثون والأدباء يحجّون إلى مساجدها وكتاتيبها وزواياها ومدارسها المنتشرة في مدنها مثل بجاية وتلمسان وتيهرت والعاصمة والوادي، طلبا للعلم والمعرفة والدراسة ومواصلة التحصيل العلمي، ونيل الشهادات، فكانت بها مدارس ومراكز للمعرفة وهي التي عرفت ابن طفيل وعرفت ابن خلدون وعبد الرحمن بن رستم وقبلهم طارق بن زياد ومازيغ وماسينيسا ويوبا وغيرهم كثير من العلماء الأصليين والمهاجرين إليها. (يقول سعد زغلول في كتابه "الجزائر في معركة التحرير": كان بالجزائر في يوليو 1830 م ثلاثمائة مدرسة،

¹ - نصيرة زميرلين، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة/الجزائر، درط، 2013، ص ص 11-12.

² - المرجع نفسه، ص 17، منقول عن سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط2، 1977، ص64.

³ - محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص49.

وأربع جامعات دراسية في كل من الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان ومازونة.. وكانت هذه المعاهد تضم 180 ألف طالب من مجموع الشعب البالغ وقتئذ ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة¹. وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على وعي الشعب الجزائري وإدراكه (لمقومات شخصيته الوطنية والقومية، لأنها بداية الطريق السليم لتقدمه، ورقية، وازدهار شخصيته، وبالتالي مساهمته بطريقة فعالة في التراث الثقافي والحضاري. سواء على النطاق المحلي الخاص به، أو على النطاق الإنساني العام. لأن هذا الإدراك، بقدر عمقه، ونضجه، هو الذي يمكن هذا الشعب، من تصفية العناصر السلبية في نسيج شخصيته الوطنية والقومية، والعمل على نمو وازدهار العناصر الإيجابية في هذا النسيج، وبذلك يطرّد تقدمه، في إطار الأصالة والتفتح)².

عرفت الجزائر إذا ازدهارا تربويا ومعرفيا وثقافيا لم تشهده من قبل، وما لم تعرفه غيرها من المدن آنذاك، كالتطور المشهود في علوم الرياضيات والهندسة وفي العمران والمدينة، وذلك نتيجة التنوع العرقي بين الأمازيغ الأصليين والافارقة القادمين بالإضافة إلى العرب والأتراك الوافدين والأوروبيين الباقين منذ سيطرة الرومان على المنطقة، فكانت الجزائر مركزا لتلاقي الحضارات والأديان والثقافات، هذا كله انعكس إيجابا على الجانب المعرفي والعلمي في المنطقة. دون أن ننسى حركات الهجرة والتجارة التي كانت تتم بين الشرق والغرب برا وبين الشمال والجنوب بحرا عبر البحر الأبيض المتوسط وما كانوا يحملونه من مراسلات وخطابات وثقافات بين الشعوب، والتي كانت الجزائر مركزها. بالإضافة لاعتماد الشعب الجزائري التعليم العربي الحر حيث نهض بقيادة جمعية العلماء المسلمين وبعض الجمعيات والزوايا الأخرى... والمساجد والجوامع على نطاق واسع في الوطن، من أجل نشر التعليم العربي، وبعث الثقافة العربية الإسلامية، وتعليم مبادئ الدين والتاريخ الوطني، إلى أبناء وبنات الجزائر... يقصد الحفاظ على كيانه الوطني وشخصيته القومية. مما ساعد على حدوث نهضة تعليمية عربية واسعة النطاق خلال مرحلة الدراسة

¹ - المرجع السابق، ص 26، منقول عن سعد زغلول فؤاد، الجزائر في معركة التحرير، الجزائر، 1956، ص 28.

² - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص 21.

"1931-1956"...وقد كان شعار هذه المرحلة هو:"الإسلام وطننا - والعربية لغتنا— والجزائر وطننا"...كسلاح مضاد لسياسة...الفرنسة والتتصير والإدماج¹.

إن ذلك التطور العلمي والمعرفي انعكس على الوضع الاجتماعي فلم تكن هناك تفرقة بين الإناث والذكور في طلب العلم، بالإضافة إلى وجود هامش شبه مضمون من حرية التعبير والرأي والكتابة، فهرع الجميع إلى التعليم والمعرفة بدون تمييز عرقي أو جنسي، وفي الجزائر أُلّف ابن خلدون عالم الاجتماع كتابه "المقدمة"، وكل الذخيرة والارث الكبير الذي حمله هذا الكتاب ما كان ليكون لابن خلدون في مكان آخر غير الجزائر لما توفره من معطيات مادية وتراثية وثقافية وإنسانية يحتاج إليها الباحث عند تأليف أي كتاب. ونشير هنا أيضا إلى الدور الذي لعبه الدين، فقد كان (الإسلام ولا يزال عاملا رئيسيا في بعث النهضة في أوساط الشعب الجزائري، كما كان عاملا رئيسيا في المحافظة على اللغة العربية من الاندثار لأن الإسلام هو القرآن، وبالتالي هو الذي حفظ مقومات الشخصية الجزائرية...ولا عجا أن يكون الإسلام مقوما من مقومات الشخصية الجزائرية وثقافة الجزائريين...يقوم عليه الكثير من قوانيننا وتقاليدينا وعاداتنا وقيمتنا، ولذلك أصبح الواقي لنا من كثير من الهزات الثقافية التي تعرضت لها بلاد أخرى في مختلف مراحل التاريخ)².

أما في الجانب الاقتصادي والسياسي فحدّث ولا حرج لقد كانت الجزائر تسيطر على كل حركة الملاحة البحرية على مستوى البحر المتوسط، وذلك بفضل أسطولها الكبير الذي كانت له اليد الطويلة على مستوى البحر المتوسط، فكان يضمن الحركة التجارية وتنقل الأشخاص والبضائع والسفن من الجزائر وإلى خارجها عبر البحر، بل كانت الجزائر تفرض الضرائب والإتاوات على السفن الأخرى العابرة عبر البحر الأبيض المتوسط³، كما كان يمتاز الجيش العثماني آنذاك بقوة كبيرة، وكانت تعود إليه مهمة حماية السواحل الجزائرية، هذا الوضع السياسي المريح ساعد على تطور الزراعة والصناعة في الجزائر، وانتعاش حركة التجارة وكل المبادلات الاقتصادية.

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص9.

² - المرجع نفسه، ص39.

³ - ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص367.

لكن بعد 1830 بدأت الجزائر عهدا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا آخر، وهو بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر بسبب حادثة المروحة المشهورة، وتحطم الأسطول الجزائري الذي كان يحمي الواجهة الساحلية على مستوى البحر المتوسط. وبعد دخول الفرنسيين عبر ميناء سيدي فرج أخذوا في الاتساع والتوغل شيئا فشيئا حتى سيطروا على كامل التراب الوطني شرقا وغربا شمالا وجنوبا¹، وهنا بدؤوا في بسط سياستهم وإستراتيجيتهم القائمة على محو الهوية الوطنية والقضاء عليها، وبداية تعزيز وغرس الثقافة والمبادئ الأوربية وإعادة المكانة للدينين المسيحي واليهودي في الجزائر. (لقد اقتحمت الجيوش الغازية عاصمة الجزائر سنة 1830م، وانتشرت عبر المدينة بشراسة لم يسبق لها مثيل في تاريخ شمال إفريقيا، ارتمت على المحلات التجارية فنهبتها، والمنازل والقصور وعلى كل العقارات المهمة فخربتها، منها ما تحول إلى فنادق لاستقبال وفود المعمرين، ومنها ما أصبح ثكنة يأوي الجيوش المعمرة ومنها ما تحول إلى حانات... خرج حينئذ المواطنون مطرودين، مشردين، حفاة، عراة يبحثون عن مأوى)².

عانت المدرسة الجزائرية في زمن الاحتلال من كل أنواع التشويه والتنكيل والمسخ واستهداف العقيدة والرموز والقيم والوحدة الوطنية، (فأول ما عمد إليه الاستعمار الفرنسي في الجزائر، مطاردته لعلمائها وتشريدهم، لأنهم هم الذين يحرضون الأهالي على محاربة الصليبيين الغزاة. فاستشهد كثير من العلماء وهاجر آخرون، وهدمت كثير من الكتاتيب والزوايا)³؛ كما قامت فرنسا بالقضاء على كل المدارس الوطنية واستبدالها بأخرى أروبية فرنسية، لا يلتحق بها إلا الفرنسيين والمعمرين والعملاء والخونة من الجزائريين، كما قلّصت من دور المساجد وأفرغتها من الدور التربوي والتوعوي والمعرفي، لسيطرة المذهب الليبرالي اللاتكي، وقامت بمحاربة الأئمة والعلماء وقتلهم أو سجنهم وتعذيبهم أو نفيتهم، واستبدلتهم بآخرين عملاء وخونة، وقد شجع هذا العمل الهتمي والوحشي الذي يحارب الهوية الوطنية واللغة العربية والدين الإسلامي وحتى المعالم والانجازات الوطنية، على فرار كثير من العلماء خارج الجزائر نتيجة الاضطهاد وسياسة التضييق⁴.

¹ - ينظر: المرجع نفسه، ص 368.

² - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 43.

³ - بوفلجة غيات، التربية والتعليم بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران/الجزائر، ط2، 2006، ص 19.

⁴ - ينظر: أ. المفتش/دحماني محمد أرزقي، جريدة الخبر، 9 سبتمبر 2016، ص 17.

أمام هذا الوضع الاستبدادي لم تنجح إلا بعض المدارس الصغيرة وبعض المساجد المراقبة من طرف العملاء في البقاء، مع التضيق على دورها، فحرم الكثير من الجزائريين من التعليم والتحصيل المعرفي، وكان لهم أيضا ملاذا في الزوايا التي كانت تعويضا للمساجد، (هذا هو البلاء الذي أصاب التعليم الإسلامي غداة الاحتلال وبعده أصدرت الإدارة الفرنسية الجزائرية أوامر بمنع فتح مدارس جديدة للتعليم الإسلامي، وتم غلق حوالي ألف مدرسة... واحتلوا اثنين وستين مسجدا... وقد سمحت بفتح الكتاتيب القرآنية في نطاق ضيق جدا، فعرقلوا التعليم الإسلامي، وذلك بمنع اللغة العربية والقرآن الكريم والتاريخ الجزائري، وكل ما يعني العالم الإسلامي، ومنها تحتم على بعض المدرسين أن يواصلوا مهمتهم في نطاق ضيق للغاية بل معظمه خفية)¹. تواصل عمل المستدمر في قلب الذاكرة الوطنية وتصويرها في الحضيض، وأن الحضارة والتقدم هو ما أتت به فرنسا لتخلص الشعب الجزائري من دائرة التخلف والجهل والجوع، والقفز به إلى دائرة التحضر والتقدم والتطور العلمي والتكنولوجي، والحياة الفكرية المبنية على حرية التعبير والرأي، في وقت كانت فرنسا تتلقى الهزيمة تلوى الأخرى في بقاع أخرى من العالم وحتى في فرنسا نفسها أمام فشل كثير من السياسات الاجتماعية والاقتصادية للحكومات الفرنسية.

حاولت فرنسا القيام بعملية غسيل مخ للشعب الجزائري، وتصوير الأمة الجزائرية على أنها أمة جاهلة لا تعرف القراءة والكتابة، وأن اللغة العربية لم يعد لها وجود ولا فائدة وهي ليست لغة علم ومعرفة، كما أن الدين الإسلامي مكانه المسجد، ويجب أن يبعد نهائيا على الحياة الإنسانية والممارسات الاجتماعية اليومية، موهمة الأمة الوطنية أنه من واجبها مساعدة الأمم المتخلفة مثل الجزائر للحاق بركب الحضارة والتطور والتقدم، وذلك حتى يتسنى لها تمرير مشروعاتها التعليمية والثقافي القائم على نشر المبادئ الفرنسية، حتى تقتل روح المقاومة والرفض للمستعمر²، وتقضي نهائيا على رموز وجذور الهوية الوطنية، وتزور التاريخ وتنسي الشعب الجزائري في تراثه، كان هدف فرنسا الرئيس هو (أن تدخل

¹ - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 48.

² - ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 369.

اللغة الفرنسية محل العربية، بنشرها ما بين الأهالي عن طريق السلطة والإدارة، ولا سيما إذا أقبل الجيل الجديد على التعليم في المدارس)¹ الفرنسية.

لكن تاريخ الجزائر يشهد عكس ذلك، فقد كانت ولا تزال منارة علم ومعرفة ومقصد العلماء والباحثين، الجزائر لم تعرف في تاريخها الجهل والاستبداد الذي عرفته فرنسا نفسها في القرون الوسطى، بل عرفت الحرية في الرأي والتعبير، وضمان حقوق المرأة والطفل والمساواة بين الرجل والمرأة في إطار العادات والتقاليد والمعتقدات الجزائرية الأصيلة². وكان لاضطهاد فرنسا وعملائها الفضل في (رفع وتيرة الحركة الدفاعية الكامنة في الشعب الجزائري آليا، وفي دفع تأجيج الروح الوطنية الجزائرية مجددا، وفي رفع مستوى الممانعة اللغوية العربية فيه أيضا، وفي رفع أداء القيم الإسلامية في الروح الجزائرية الحية، وفي إعادة بعث مكامن القوة في عناصر الثقافة والهوية الأصيلة للشعب الجزائري، الذي انصهر عبر الزمن في راهنه الثقافي الأصل والمتميز، والذي نراه.. جليا وجزائريا بامتياز، بالرغم من حملات المسخ والفسخ والبخس والتشويه)³، والقساوة والإجرام التي تمارسها فرنسا. وعرفت الجزائر علماء ومفكرين كبار حملوا على عاتقهم لواء المقاومة والرفض للمستعمر، كالشيخ المقراني والشيخ الحداد ولالا فاطمة نسومر والأمير عبد القادر، وبخصوص هذا الأخير يقول: (الفرنسي فيليب:....إننا لا نفهم شيئا من حياة المغامرة للأمير عبد القادر الجزائري، فهي حافلة بدروس حديثة بالنسبة إلى المسلمين والمسيحيين معا. إنه رجل حربي، بارع، بعيد عن العالم، في عزلة، ينادي بتعاليم دينه، وأصحابه تربطهم وحدة العادة والأصل والإيمان)⁴. كما عرفت الجزائر كثيرا من الأدباء والمفكرين وعلى رأسهم قادة جمعية العلماء المسلمين مثل عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، العربي التبسي ومبارك الملي، دون أن ننسى الصدى العالمي لأفكار مالك بن نبي، وهم الذين مازالت أفكارهم تدرس في كبرى الجامعات العالمية إلى اليوم.

1- نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 48.

2- ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص370.

3- أ.د. أحمد محمود عيساوي، الأبعاد الاستعمارية لفرنسة المنظومة التربوية، جريدة الشروق اليومي، العدد 5096، مؤسسة الشروق للأعلام والنشر، الجزائر، 11 ماي 2016، ص 17.

4- نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 48، منقول عن فليب ديستورشاترين، إفريقيا في مفرق الطرق، 1955، باريس، ص133.

فرغم محاولات فرنسا المتكررة والمستمرة لطمس الهوية الوطنية والقضاء على كل محاولات النهضة والمقاومة، من خلال (الحرب الباردة والمعلنة التي شنتها على التعليم الإسلامي ومؤسساته، واتخاذها من المبشرين أعوانا لها للتعجيل بتحقيق أهدافها)¹، وهي تمسيح المجتمع الجزائري وفرنسته. بقيت المؤسسات التعليمية الجزائرية المختلفة، تحت النشء وتعلمه في الخفاء وفي العلن، وبقي الجزائري متمسكا بمسجده، وكانت الزوايا مملوءة بالطلبة والطرقين والمريدين، وكان الكل يعمل من أجل نشر العلم والمعرفة، وفصح سياسة المستعمر الخبيثة، لقد (وقف الشعب الجزائري بالمرصاد، فدفع عن وطنه وعن نفسه عوادي من يريد به السوء، وقاوم مقاومة عنيفة، بالقلم والمسجد والزوايا والأحزاب.. ثم لجأ أخيرا إلى إيقاد نيران الثورة المباركة لإزالة الظلم والاستبداد واستعادة سيادة الأمة لتكون رفيعة الشأن سامية المقام عزيزة الجانب منيعة الحمى)². هكذا ظل نور العلم والمعرفة ساطعا في ربوع وطننا المفدى، وهو النور الذي بفضل انطلقت أول رصاصة من جبال الأوراس الأشم، معلنة نهاية عصر الجهل والظلم والاستبداد، وبداية عصر تنمية الوعي الشامل بقضايا الوطن والإنسان الجزائري.

1- التوجه التعليمي الجزائري إبان الثورة التحريرية: أقل ما يقال عن

الأمة الجزائرية في ظل الاستعمار الفرنسي منذ دخوله سنة 1830، أنها كانت تقاوم من أجل الحفاظ على رموز الهوية الوطنية كالدين واللغة واللهجات المحلية والعادات والتقاليد، وعلى تاريخ الجزائر وبطولاتها وأبطالها، هذه الرموز التي كانت من أولى أولويات المستعمر لمحاربتها وطمسها، وتعويضها بالمقومات والمبادئ الأوروبية والغربية³، لذا كان المجتمع الجزائري في ظل سياسة التضييق والتعتيم التي كانت تمارسها فرنسا، حريصا على نقل كل التراث المحلي والمبادئ الوطنية للناشئة، حتى لا تضمحل وتذوب في بوتقة الحضارة الغربية، فلو حدث هذا الوضع لذهبت الجزائر بدون رجعة، ولنشأ مجتمع جديد لا يعرف من تاريخه وحضارته إلا انجازات وبطولات فرنسا وشعبها.

¹ - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 68.

² - أ. المفتش/دحمانى محمد أرزقي، قراءة في القانون التوجيهي للتربية الوطنية، جريدة الخبر، السنة: 26، مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد: 9 سبتمبر 2016، ص 17.

³ - ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2، الجزائر، 2010، ص371.

(إن الحكومة الفرنسية لم تفكر يوماً ما في التخلي عن هذا البلد ولا حتى في تحسين ظروف حياته اليومية، سواء من الناحية الاقتصادية أم من الناحية التعليمية. إنها فرنسا الاستعمارية الطاغية التي تسعى إلى تحويل الفرد الجزائري، إما إلى شخص فرنسي الجنسية واللسان والعقيدة، أو إلى إنسان متجرد من شخصيته... فأغلقت المدارس أو حولتها إلى ثكنات احتشد فيها الجيش الفرنسي واعتقل الأساتذة والمعلمين والطلبة، وحجزت الجرائد الوطنية، وأصبحت اللغة العربية غريبة من جديد في قعر دارها)¹. وانتشرت سياسة فرنسا المبنية على الأرض المحروقة والدمار والتشريد والتهجير، فغلقت جل المساجد وحولت بعضها إلى كنائس أما ما بقي من أشباه المساجد فكان خاضعا للمراقبة والإملاء، كما غلقت المدارس العربية، وواجهت المعلمين والأئمة بالتعذيب والتشريد والأسر والتهجير إلى بلدان بعيدة، فلجأ من بقي من أفراد المجتمع إلى المساجد المحدودة التي بقيت، وللزوايا لتعليم أبنائهم الثقافة العربية الإسلامية، وهناك من لجأ حتى للتعليم في البيوت، فشارك كل أفراد الأسرة كبير وصغير نساء ورجال في هذه العملية التي تدور بين الأسر وداخل البيوت، وقد كان لها فضل كبير في تنوير وتعليم نافر مهم من المجتمع². أما الزوايا فهي الأخرى كانت مراقبة من طرف السلطات الفرنسية وكانت هذه الأخيرة على علم بكل كبيرة وصغيرة تجري بداخلها عن طريق عيونها وعملائها، وما يميز الزوايا أنها كانت مملوءة بالشباب الجزائري الذي كان يقصدها من كل ربوع الجزائر، ومن خلال الزوايا عملت فرنسا على دس مشايخ وأئمة مشعوذين وسحرة داخل المجتمع الجزائري. وضيق على عمل الأئمة فمنعت الآيات التي تحت على حب الوطن ومقاومة المستعمر وعلى الحرب والجهاد، واصلت فرنسا سياستها (بالقضاء على التعليم الاسلامي، وإزالة المنابر وإتلاف الكتب والمخطوطات العتيقة القيمة التي تمثل ذخيرة الأمة وثروتها، لتحل محلها كتابات تحوي الأساطير والأكاذيب فتغذي بها العقول البريئة... وتجريد الشعب من مكارم الأخلاق وتبديلها بالانحلال وسوء الخلق، واعتدى على المرأة الجزائرية المسلمة الطاهرة)³ وانتهكت حرمتها وشرفها. لكن بقدر ما كان للزوايا من سلبيات دسّها المستعمر، كغسل أدمغة الجزائريين،

¹ - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 220.

² - ينظر: المرجع السابق، ص 387.

³ - المرجع السابق، ص 221.

وتشويش أفكارهم وتبويض صورة فرنسا والفرنسيين، بالإضافة إلى تربية المجتمع على بعض الخرافات والعادات السيئة كالشعوذة والسحر، وإيهام الجزائريين بأن فرنسا دولة قوية لا تقهر، وهي قدر محتوم وجميل على الجزائريين. كان لها أيضا دور إيجابي كبير يتمثل في تعليم القراءة والكتابة وبعض مبادئ المعرفة في الفلك والجغرافيا.

هذه الظاهرة التعليمية المحتشمة الأولى في الجزائر إبان الفترة الاستعمارية، كان لها وقعها وأثرها الإيجابي فبفضلها بدأت المقاومة، والحق يقال أن المستعمر بقدر ما عمل على قتل كل مقاومة في الجزائر، فإن وجوده فقط كان جس نبض وامتحان حقيقي للجزائريين بخصوص وطنيتهم وممارساتهم وسلوكاتهم تجاه وطنهم، فالمستعمر هو الذي دفع الأمير عبد القادر أولا إلى حمل السلاح في وجهه، وثانيا إلى إنشاء مراكز سرية لتعليم الجزائريين وحثهم على المقاومة وعدم الخضوع للمستعمر¹، وهو ما حدث فعليا فيما بعد كثورات الأمير، والزعاطشة ومقاومة الشيخ الحداد والمقراني وبومزراق والشيخ بوعمامة.

أما نفر قليل من الجزائريين فقد هاجر إلى البلدان المجاورة كالمغرب وتونس ومصر للدراسة بجوامعها كالقايروان والزيتونة والأزهر، هذه الأماكن التي كان يحج إليها الناس من كل حذب وصوب طلبا للعلم والمعرفة، وهؤلاء هم من كان لهم الفضل الكبير في إيقاظ النفوس ورفع الهمم وتنوير الشعب الجزائري، وبهم كان التخطيط للثورة التحريرية التي وضعت حدا لكل الممارسات الظلامية التي كان ينتهجها المستعمر تجاه الشعب الجزائري، لقد أيقن الجزائريون أن ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وأن الحرية تأخذ ولا تعطى، فقرروا في ليلة من ليالي شهر نوفمبر الأغر من سنة 1954، إعلان بداية الثورة التحريرية في جبل من جبال الجزائر الأوراس الأشم. (فاندلعت الثورة المباركة ليلة الأول من تشرين الثاني، ليلة القدر الكبرى كما سماها مفدي زكريا. فكان لكل رجل ولكل امرأة ولكل طفل حظه من الجهاد، ومن البديهي أن يتحدث شعراؤنا عن هذه الليلة المشهودة المنذرة بزوال الاستعمار على الدوام فهي هو مفدي زكريا)² شاعر الثورة يقول عن نوفمبر في الإلياذة: (تأذن ربك ليلة قدر///// وألقى الستار على ألف شهر... نوفمبر غيرت مجرى

¹ - ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص372.

² - المرجع نفسه، ص438.

الحياة///// وكنت نوفمبر مطلع فجر¹. (جاءت بعون الله الثورة الكبرى...فعزمت على تحرير هذه البلاد، ونزع ثوب العبودية عنها والباسها ثوب الكرامة والحرية، في ظل العروبة والإسلام، فتغير حينئذ الكفاح السياسي وانقلب إلى الكفاح المسلح، ووضع الشعب الجزائري كله أمام المسؤولية إما بالانضمام إلى الثورة أو الانحياز إلى العدو)².

لقد أربكت الثورة التحريرية فرنسا، بل وأفشلتها وأعاققتها في الاستمرار في سياستها تجاه الشعب الجزائري، فقد أصبح لها عدو جديد، وقد فهمت أن الثورة انطلقت من البيوت والمداشر ومن المساجد والزوايا فزادت في سياستها القمعية تجاهها وحددت مدة الدخول والخروج من هذه الأماكن، لأنها كانت تريد أن تجهض هذه الثورة في أيامها الأولى، وصورت المجاهدين الأوائل آنذاك بأنهم عصابة وسراق وقطاع طرق، لكن هيهات أن يكون لها ذلك، فقد انتشرت الثورة في كامل التراب الوطني بسرعة كالهشيم في القش، (وهب إليها الشعب الجزائري أطفالا وشبابا ورجالا ونساء، شيوخا وكهولا، موظفين، أغنياء وفقراء، جميعهم وحدوا الصفوف وأعلنوا ثورة كبرى على فرنسا)³. وبدأ المجاهدون يزدادون يوما بعد يوم ويكبر عددهم وتكبر انتصاراتهم وانجازاتهم البطولية، وبدأ صداها يصل دول العالم الخارجي، رغم كل التعتيم الذي كانت تمارسه فرنسا.

ومما زاد فرنسا غيضا هو التحاق المتعلمين الجزائريين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية بالثورة التحريرية، لقد كانوا سما ناقعا في حلق فرنسا، لأنهم يجيدون اللغتين العربية والفرنسية وهم من فضح أعمال فرنسا، وكان من بينهم السياسي والطبيب والصحفي والممرض، وهو كل ما كانت الثورة في حاجة إليه، فاشتعلت الثورة أكثر وأكثر، وانتقلت الاحتجاجات والمقاومة إلى فرنسا نفسها. ومما زاد الثورة تنظيما وهيكله هو مؤتمر الصومام 20 أوت 1956. فاشتدت حدة التظاهرات الطلابية في الجزائر وفرنسا، وازدادت إضرابات التجار ومسيرات الشعب الجزائري يوما بعد يوم، ناهيك عن الكتابات الصحفية المؤيدة للثورة من الجزائر ومن خارجها. وصولات وجولات الساسة الجزائريين في المحافل الإقليمية والدولية. لقد ولدت الأمة الجزائرية من جديد من رحم الثورة التحريرية، ولم يكن

¹ - مفدي زكريا، إلباظة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1987، ص69.

² - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 221.

³ - المرجع نفسه، ص 221.

لها ذلك لولا التعليم الداخلي الذي كان يتم في المدارس الفرنسية والعربية، وفي المساجد والزوايا والبيوت، بالإضافة للتعليم الخارجي الذي كان يتم بالدول المجاورة والصديقة.

وكما أسلفت فلقد انتهجت فرنسا سياسة الأرض المحروقة في الجزائر، وخاصة بعد اندلاع الثورة في أول نوفمبر 1954، بالإضافة إلى مواصلتها سياسة التجويع والتفجير ضد الشعب الجزائري. وأعلنتها حربا اقتصادية وفلاحية على الجزائريين الذين عانوا من حرق محاصيلهم الزراعية، ومن الجوع ومن البرد في الشتاء، ومن تهجيرهم وحرق بيوتهم¹، ومن المرض والأوبئة. فكانوا يموتون جوعا ومرضا ورميا بالرصاص أو حرقا بالنار، والعمل تحت أشعة الشمس وفي البرد القارص بدون أجر. ولم تكن تمنح لهم حتى صفة المواطن، كانوا بشرا من الدرجة الثانية يعاملون كالعبيد ويعانون من كل أنواع التمييز العنصري. في حين كان الفرنسيون ومن معهم من معمرين يهود وأفارقة ومن كل بقاع العالم، يتمتعون بكامل حقوقهم الوطنية والمدنية والصحية والاجتماعية والأمنية ولا يدفعون شيئا، ويمارسون كل مواظنتهم على أرض الجزائر وضد الجزائريين. (لقد أفرزت حرب التحرير مواطنين جزائريين جدد، يمتازون فيما بينهم بالتضامن والأخوة وحسن الخلق والمكارم، فالثورة وحدثت سبلهم، فهبوا جميعا من عرب وبربر وبني ميزاب، كلهم كالرجل المسلم الواحد، من أجل استرجاع عزة هذا البلد وكرامته في ظل العقيدة الإسلامية واللغة العربية الأصيلة)².

ما يمكن أن نقوله عن التعليم في الجزائر أنه كان منحطا وغائبا إن لم نقل متوقف نهائيا، بفعل ممارسات المستعمر التضييقية، فقد غلقوا المدارس العربية والمساجد والزوايا، وحصرها دورها في الصلاة فقط، ولم يستفد المجتمع الجزائري إلا من هؤلاء الذين كانوا يدرسون في المدارس الفرنسية، الذين كان لهم الحظ في التعليم والحصول على بعض الوظائف الإدارية البسيطة في الحياة العملية الإدارية اليومية، وكان لهم الدور الايجابي في مد الثورة بالوسائل وبالأفكار والاستخبارات وحتى بالعتاد الحربي، وكثير منهم كان يلتحق بالثورة التحريرية مباشرة بعد ذلك، ومنهم أيضا الجزائريين المقيمين في فرنسا والذين التحقوا سرا بأرض الوطن، بعد الدراسة في الخارج، بالإضافة إلى بعض الأجانب

¹ - ينظر: محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 387.

² - المرجع السابق، ص 222.

والفرنسيين أنفسهم المساندين للثورة التحريرية. وقد ساهم كل هؤلاء بأفلامهم وأموالهم وحياتهم في الثورة التحريرية (وكانوا خير قادة للشعب في السلم ومنافحين عنه في الحرب فقد أيقظوا وعيه، وتحذّوا المستعمر، وفضحوا أعماله الشنيعة. فأدبهم كان تحريضا وتحريكا للمواطنين وتأجيجا لجذوة سخطهم عليه...حتى اندفعوا إلى المقاومة المسلحة)¹ أفواجا.

هكذا كان التعليم في الجزائر إبان الثورة التحريرية شبه منعدم، (لأنه سائر الواقع الجزائري، وكان دعوة ملحة إلى النهضة والأخذ بأسباب الرقي والتقدم)²، ومقاومة الاستعمار ومعانقة الحرية والاستقلال. فلقد (أغلقت المدارس الحرة، الخاصة بالتعليم الإسلامي... واعتقل أصحابها. فلم يبق للتعليم الإسلامي أثر سوى في الكتابيب السرية التي هياها بعض الشيوخ في ركن من أركان منازلهم المتواضعة لمواصلة الرسالة المقدسة، وليتحق بها بعض أبناء الوطن في المساء المظلم)³. لكن لا ننسى أن وجود المستعمر الفرنسي كان دافعا لتحريك شعور الوطنية وسلوك المواطنة، وكانت الثورة التحريرية درسا في التربية والتعليم على المواطنة، ولم تكن المواطنة التي أتى بها المستعمر أو تلك التي حاول غرسها في صفوف الشعب الجزائري، بل كانت مواطنة جزائرية خالصة قائمة على تقديس الحرية والعلم والمعرفة ومحاربة التمييز العنصري، ونشر مبادئ الحرية والعدل والمساواة والاستقلال وحق الشعوب في تقرير مصيرها وفي تصفية الاستعمار في كل بقاع العالم. لقد نهض الشعب الجزائري نهضة رجل واحل ضد الحرمان والفقر والاستبداد ومصادرة الحرية وضد التمييز العنصري⁴، وهو ما أفرزته الثورة التحريرية منذ اندلاعها، من توحيد للصفوف والزيادة من التضامن والتعاون، من أجل تحرير واستقلال الوطن، (لقد جند أفراد الشعب الجزائري كل الوسائل التي يملكونها لبث اليقظة والتوعية في مختلف الفئات الاجتماعية بالجزائر وخارجها، فأدرك أبناء الوطن أن الاستعمار ظلم كله وذل وأن دوره الحضاري، إنما هو وسيلة تخدير لشعوب الضعيفة، إنه لمن ظاهرة التفاؤل والإعجاب أن ترى الأطفال الصغار بالمدارس يحاولون مشاركة آبائهم في كفاحهم

1 - محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص501.

2 - المرج نفسه، ص392.

3 - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص225.

4 - ينظر: المرجع السابق، ص394.

للمستعمر)¹. عظمت الثورة في نفوس الشعب الجزائري وانخرط فيها (تحت قيادة جبهة التحرير الوطني... فلا يمكن أن يتوقف اليوم، وقد انطلق به موكب الثورة، إلا إذا نال حريته وكرامته)²، وهو ما كان له في الخامس من جويلية سنة 1962. وقد واصل الشعب ثورته في إصراره على التغيير والتجديد والبناء والتشييد، ليعيش الوطن حرا عزيزا مكرما متقدما ومزدهرا.

(الثورة المسلحة أدت إلى ثورة شاملة في الفكر والسياسة والمجتمع)³، فتواصلت ثورة الشعب الكبرى من خلال إصراره على البناء والتشييد تمثل في مرحلة ما بعد الاستقلال، وهي المرحلة التي عرفت موجة إصلاحات كبيرة مست جميع القطاعات في الجزائر، والتي كان منها الإصلاح التربوي، الذي بني على تعزيز رموز ومبادئ حب الوطن والدفاع عنه في المقررات الدراسية منذ سنة 1962، وذلك لتكوين خير خلف جيل الاستقلال لخير سلف جيل الشهداء والمجاهدين، ولتربية الناشئة على المواطنة الحقيقية فتعرف هذه الناشئة حقوقها وواجباتها، وما لها وما عليها تجاه الأسرة والمجتمع والمحيط والبيئة وتجاه الوطن ككل، هكذا بواسطة التربية على المواطنة فقط نضمن العلاقة بين الأجيال المتعاقبة، ونضمن انتقال سلس وناجح للتاريخ والتراث الوطني بين الأجيال العارفة لحقوقها وواجباتها، داخل الدول القائمة على القوانين والنظم والدساتير، واحترام المؤسسات واستقلال السلطات، وعلى الديمقراطية واستقلالية القضاء والعدل والمساواة بين الأفراد⁴.

2- التوجه التعليمي الجزائري بعد الاستقلال: لقد حاولت فرنسا بكل قوتها

ومكانتها الدولية الكبيرة، القضاء على الهوية الوطنية وعلى رموز ومبادئ الشعب الجزائري، وذلك من خلال قتل المدرسة الجزائرية وإجهاض المشروع النهضوي التعليمي الجزائري، بإغلاق المدارس والتضييق على المساجد وأماكن العبادة، وعملت على نشر طقوس السحر والشعوذة في صفوف المجتمع الجزائري، ولم يكن التعليم إلا للفرنسيين ومن معهم من المعمرين والخونة، لقد استهدفت فرنسا من خلال المدرسة، المشروع التربوي التعليمي الجزائري، لأنه المحرك الهام والقوي للمجتمعات وللشعوب، والحافظ لمقومات

1 - المرجع السابق، ص 224.

2 - نصيرة زميرلين، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 227.

3 - محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص 517.

4 - ينظر: المرجع نفسه، ص 438.

الشخصية الوطنية الجزائرية، وللتراث والتاريخ الوطنيين، ولكل الرموز والمبادئ الوطنية للدولة وللشعب، والعادات والتقاليد الخاصة بالمجتمع الجزائري، وبث النعرات والفتن وسياسة فرق تسد بين أفراد المجتمع الواحد، ومن خلال إنكاء نار الفتنة المذهبية والدينية والعرقية واللغوية بين أفراد المجتمع، وقد وجد المستعمر ضالته لدى كثير من ذوي القلوب الضيقة، الذين يستترون وراء مصالح شخصية وفردية ضيقة، فنجحت فرنسا في خلق جيل أدار ظهره للهوية ومقومات الشخصية الوطنية، واندمج بسهولة في بوتقة المجتمع الفرنسي، وانسلخ من أبناء جلدته وأمتة، وهو بذلك يحاول قتل الشعور بالوطنية والقضاء على الوحدة التي تميز بها الشعب الجزائري منذ فجر التاريخ. هذه الشريحة القليلة ساعدت المستعمر على بسط يده على كل الجوانب الحياتية للشعب الجزائري، فبعد السيطرة على الميدان السياسي والاجتماعي والثقافي، لم يسلم الميدان الاقتصادي هو الآخر وتم إلحاق الصناعة والزراعة الوطنية بفرنسا، فلم يكن هناك بصمة أو هوية لأي منتج وطني جزائري.

وظن الفرنسيون بعد ذلك أنهم بخروجهم في 05 جويلية 1962، ستتوقف الحياة في الجزائر، وأن الجزائريين سيعجزون عن تسيير أمور السياسة والإدارة، وسيصابون بالشلل في كل ميادين الحياة، (فقد غادر الكثير من المدرسين الفرنسيين البلاد... مما أدى إلى توقف التعليم الرسمي، وكانت المدارس القائمة قد أحرقت أو دمرت بحجة أنها كانت تحمي الثوار. وقد هدمت جامعة الجزائر وأحرقت مكتبتها)¹. والحق يقال فقد ورثت الجزائريون بعد الاستقلال واقعا مرأ، لكن الإرادة التي دفعت الجزائري لمقاومة وجود المستعمر وعدم الاندماج، وإلى حمل السلاح والصعود للجبل، هي التي جعلت منه يواصل محاربة الواقع الموروث، يحارب الجهل وينهض بالتعليم ويجعله من أولى الأولويات، لقد وحدث الثورة (أبناء الوطن بدون اعتبارات، لا عربي ولا بربري كلهم كالجسد الواحد، وقد اختلط الدم واختلط النسب ضمن العائلة الواحدة...حتى تحقق الأمل باسترجاع الجزائر)²، فقد استمرت هذه الروح وهذا الحماس الذي ورثه الشعب الجزائري من الثورة بعد الاستقلال. وهو ما أخذته الإدارة آنذاك على عاتقها أيضا، حيث قامت بإرسال بعثات علمية إلى الدول العربية والصديقة آنذاك، من أجل التعلم والتكوين والتخصص، والعودة إلى أرض الوطن

¹ - نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 229.

² - المرجع نفسه، ص 231.

لتولي كل المناصب التي تركها الفرنسيون والمعمرون، كما قامت بجلب الكثير من المعلمين من الدول العربية والصديقة أيضا، وكذلك من الفرنسيين المتعاطفين مع الثورة والمؤيدين لها والذين فضلوا البقاء في الجزائر على العودة إلى فرنسا، وفي المقابل قامت الحكومة الجزائرية آنذاك أيضا بالاهتمام بالبنية التحتية، حيث شرعت في بناء المدارس والثانويات ومراكز التكوين المهني والجامعات والمستشفيات بسواعد جزائرية وأجنبية، وبدأت اللغة العربية تسترجع قيمتها ومكانتها في المجتمع الجزائري شيئا فشيئا، كل هذه العوامل (ساعدت إلى حد بعيد في الدفع القوي للمدرسة وتوسيعها، ونالت التربية في الجزائر المستقلة حصة الأسد من الاهتمام)¹.

تعتبر مرحلة ما بعد الاستقلال أول مرحلة للمنظومة التعليمية في الجزائر، (وبدأت من أول عام دراسي 1962-1963 إلى غاية 16 أبريل 1976. وهي مرحلة طبقت فيها برامج موروثة عن المستعمر، مطعمة بتجارب عربية لإضفاء عليها طابع المحتوى الوطني الذي يخدم تربية وتكوين المواطن الجزائري بعد الاستقلال... وكان التعليم فيها قائم على المحتوى، أو كما يقول المهتمون في هذا الشأن القائم على منطق المادة الدراسية، وهو جيل موروث. خضع لإصلاحات جزئية هدفت إلى التكيف مع ظروف الاستقلال لإعداد المواطن الجزائري المنشود)². هكذا كان توجه الجزائر التعليمي والتربوي واضح من الأيام الأولى للاستقلال، وهو أولوية التخلص من آثار المستعمر، والقيام بإصلاحات التربوية والتعليمية الجوهرية والضرورية، والتي تمس البرامج والمضامين والمناهج ولغة التعليم، رغم أن هذا التوجه لم يكن مؤسس في بداية الأمر نظرا لاستقلال الجزائر الحديث، وفرحة الجزائريين بالحرية والاستقلال. وأول الإصلاحات هو إرساء وزارة التربية والتعليم، والتي تولى حقيبتها في أول الأمر المجاهد المرحوم بن حمودة عبد الرحمان، وهو من سهر على نجاح أول دخول مدرسي في الجزائر المستقلة بتاريخ أكتوبر 1962، والذي كان بمثابة معجزة وتحدي كبير للاستعمار الفرنسي من خلال الدور الكبير الذي لعبه السيد عبد الرحمان بن حميدة في هذا الحدث الوطني الهام، نظرا للوضعية الكارثية التي كانت عليها الجزائر غداة

¹ - بوفلجة غيات، التربية والتعليم بالجزائر، ص36.

² - د. عبد الحق زواوي، مجالبة المناهج في النظام التربوي الجزائري، جريدة الخبر، مؤسسة الخبر، الجزائر، السنة: 26، عدد: 31 أوت 2016، ص 20.

الاستقلال، من نقص فادح في الإطارات القادرة على تربية الناشئة، وكذا غياب الهياكل لاستقبال التلاميذ. فالاستعمار الفرنسي قبل أن يغادر الجزائر أخذ معه كل الإطارات والكفاءات، وقام بتدمير كل الهياكل الموجهة للنفع العام. وبدأ المجاهد المرحوم بن حميدة عمله بعملية جرد لكل الجزائريين ذوا مستوى ثقافي لتولي مهام "ممرنين"، حتى يتكونوا ويكونوا الجيل الصاعد، وقد كلف مساعديه بجرد قائمة تضم اسم كل جزائري ذي مستوى ثقافي وتقييمه إن كان بإمكانه أن يكون معلما أم لا، فالاعتماد على الطاقات الوطنية في التعليم كانت فكرة المرحوم بن حميدة، لأجل تسيير مرحلة قلة المعلمين والمدرسين، الذين يعود إليهم الفضل في تمكين المدرسة الجزائرية من الانطلاق والاستمرار¹. بعدها تداول عدة وزراء على قطاع التربية والتعليم، حاولوا القيام بإصلاحات مختلفة للمدرسة الجزائرية ونظامها التعليمي، واستطاعت الجزائر بفضل إدارتها وكفاءاتها أن تحقق نهضة تعليمية كبيرة، وتضاعف عدد المتدربين من سنة لأخرى، بفعل مجانية وديمقراطية التعليم واجباريته، وهي السياسة التي انتهجتها الجزائر المستقلة للقضاء على الأمية، وتمكين كل الجزائريين من الدراسة والنجاح، والمساهمة في تطوير الوطن والدفاع عليه.

ما غاب عن المهتمين بالشأن التربوي في الجزائر (أن المؤسسة المدرسية ظلت غير مفهومة الدور، في الوقت الذي كانت تمثل فيه وسيلة أساسية في التربية على المواطنة وبلورتها كسلوكات)²، لكنهم استدركوا ذلك وبدأت المنظومة التربوية تضع قدمها على الأرض وتعد طريقها شيئا فشيئا، وبدأت مظاهر التخطيط الاستراتيجي التربوي والسياسة التعليمية في الجزائر تتضح³، إلى أن وصلت إلى ما هي عليه اليوم، (فتسمية النظام التربوي تعود لغاية وإرادة سياسية، إن إشكالية التربية كان قبل هذا ينظر إليها على أنها قضايا أخصائيين ذوا أهداف سياسية)⁴، فلم يكن من البديهي الحديث عن المناهج والوسائل والطرق التعليمية دون تحقيق استقرار سياسي، ودون اتضاح الرؤى والإيديولوجيات في المجال التربوي، ودون الاهتمام بالبنية التحتية من هياكل تعليمية ووسائل مادية، أهمها الكتاب المدرسي، طبعا دون أن ننسى الاعتناء بالجانب الاجتماعي

¹ - ينظر: الموقع الإلكتروني: <http://www.ouargla-aps.dz>، بتاريخ: 17 أكتوبر 2017.

² - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Éducation à la citoyenneté, p105.

³ - ينظر: عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص49.

⁴ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Éducation à la citoyenneté, p105.

للمعلم والمتعلم الجزائريين حتى يتمكن الأول من تأدية دوره على أكمل وجه، ويستفيد الثاني من التعليم ومن ومن المدرسة ويحقق المردود المرجو منه.

أدرك الجزائريون وصناع القرار التربوي أنه (حان الوقت لوضع مناهج وبرامج تعليمية تخدم المبادئ الأساسية المعلن عنها في مواثيقنا لتترجم فعليا في الميدان، ويرتبط ذلك بالوطنية المبنية على أسس جديدة تتجاوز الجانب العاطفي والخطابي المتحجر، وحان الوقت أيضا، لمساهمة كل المعنيين بقضية التربية والتعليم في بلورة المناهج القائمة بوضع صيغ جديدة، تواكب التطور الحاصل في المجالين العلمي والتربوي)¹. وهو ما يظهر جليا في المرحلة الثانية للمنظومة التربوية الجزائرية، وهي (مرحلة التعليم الأساسي الذي كان القصد منه أولا تحقيق الانسجام بين النظامين السياسي والتربوي. وثانيا التوجه العلمي والتكنولوجي...في إطار طموح مشروع عنوانه ترقية اللغة العربية لتصبح لغة التكنولوجيا...هذه الفترة تأريخها يبدأ من تاريخ صدور الأمر 35 المؤرخ في 16 أفريل 1976 إلى غاية تنصيب لجنة الإصلاح في 09 ماي 2000. لنخلص إلى المرحلة الحالية التي ميزتها مرحلة التحول من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا الكفايات. وهي...المرحلة التي تم فيها تنصيب مناهج الجيل الثاني وفق المعيار البيداغوجي دائما. هذه الفترة يؤرخ لها من تاريخ تنصيب لجنة الإصلاح إلى يومنا. وقد عرفت إصدار وثيقة المناهج منذ 2002 إلى 2011، أين تمت إعادة كتابة هذه المناهج بعد صدور القانون التوجيهي للتربية الوطنية القانون 08/04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، وكذلك صدور وثيقة المرجعية العامة للمناهج في مارس 2009. ونحن اليوم بصدد إعادة كتابة مناهج الجيل الثاني التي سنبدا في تطبيقها ابتداء من السنة الدراسية 2016-2017، وعملت اللجنة من خلالها على إبراز وتثمين ميدان القيم والمواقف، وتوحيد المصطلحات تسهيلا لقراءتها وتنفيذها، مع إبراز البعد الاجتماعي للمقاربة البنائية. وهي المقاربة المعتمدة في المناهج الحالية)².

ولم تبق المهمة التعليمية من صميم اهتمامات وزارة التربية فقط بل أصبحت محل متابعة من طرف أعلى هرم في البلاد وهو رئيس الجمهورية، بالإضافة إلى أنها أصبحت تمس وتقحم وتورط وزارات أخرى في عملها كوزارة المالية لضمان الأغلفة المالية

¹ - د.عبد الرحمن عزوق، أي استراتيجية لتعليم ناجح، جريدة الخبر، مؤسسة الخبر، الجزائر، السنة 26، العدد: 7922، 26 سبتمبر 2015، ص 21.
² - د.عبد الحق زواوي، مجادلة المناهج في النظام التربوي الجزائري، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، عدد: 31 أوت 2016، ص 20.

اللازمة لممارسة العمل التعليمي، ووزارة الصحة لمتابعة الجانب الصحي للتلاميذ حتى نحقق مبدأ العقل السليم في الجسم السليم، وهو ما اصطلح عليه بالصحة المدرسية. وزارة الشباب والرياضة هي الأخرى أصبحت مساهمة في العملية التعليمية التعلمية وذلك من خلال ما سمي بالرياضة المدرسية، وهي تشارك في توفير الملاعب وقاعات ممارسة الرياضة، كما هذه الأخيرة نشاط أساسي للمتعلم في المدرسة، ويمتحن فيه كمادة خاصة، كما تسهر وزارتا الدفاع والداخلية عن طريق الأجهزة الأمنية المختلفة على توفير الراحة والسكينة والأمن للمتعلمين وللمدرسين وللمؤسسات التعليمية، وتوفير الأمن أثناء إجراء الامتحانات ذات الصدى كشهادة التعليم الأساسي وشهادة البكالوريا. أما الوزارة التي التحقت مؤخرا بالعملية التعليمية التعلمية فهي وزارة التضامن، التي أوكلت إليها مهمة مساعدة عائلات المتعلمين المعوزين وتدعيمهم ماليا وبالأدوات المدرسية، بالإضافة إلى توفير النقل للذين يسكنون في مناطق نائية وبعيدة عن المدارس. والهدف الأسمى والأساسي من كل هذه الجهود هو (تحسين مردود النشاط التربوي والتعليمي، وتطوير أساليبه وترقية نتائجه نوعا وكما، وكذا تيسير الخدمات المدرسية والتعليمية العمومية والخاصة، بما يلاءم عصرنة التسيير، وطموح المواطن إلى التعليم والعدالة والمساواة في الحقوق والواجبات)¹.

لا يمكننا الحديث على توجه جزائري تعليمي واضح في السنوات الخمس الأولى التي تلت الاستقلال، ذلك أن المنهج يتطلب استقرار سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وهو ما لم يكن للجزائر غداة الاستقلال، وشعبها يتخبط في ثلوث مرعب رؤوسه الأمية، الجهل والفقر، ثم أن الحديث على المنهج يقودنا للحديث عن التخطيط التربوي، فهو عملية صعبة، لا تكون إلا بعد تجارب وخبرات كثيرة وعميقة، كما تستوجب توفر مجموعة من الدارسين والباحثين والخبراء المختصين في الشؤون التربوية والتعليمية، النفسية والاجتماعية والتاريخية، وهو ما لم يكن متاحا للجزائر والجزائريين آنذاك أيضا. لكن ما كان موجود هو بداية عقد الندوات والملتقيات والمؤتمرات الخاصة بالعملية التعليمية، وبداية البحث في تحسين المردود التربوي، وإجراء الإصلاحات التعليمية الواجبة والمناسبة

¹ - أ. المفتش/دحمان محمد أرزقي، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، عدد: 9 سبتمبر 2016، ص 17.

للمجتمع الجزائري، والتي تساهم في تطوير المدرسة الجزائرية، لتنافس باقي المدارس في العالم، وتقرب من التصنيفات العالمية.

صحيح أنه فور الاستقلال لم يكن صوت يعلو فوق صوت الوطن والحرية الاستقلال والراية الوطنية واللغة العربية والدين الإسلامي، وهو منهج مواطني بامتياز رغم عفويته وبرائته، كونه تفسير منطقي لشعب تحرر من نير الاستعمار وعائق الحرية والاستقلال، فلم يكن مخطط له، ولم يكن محدد بالاسم أو بالمنهج، لقد كانت الوطنية والممارسات المواطنة في أوجها آنذاك، ولقد سمعنا كما قصّ علينا أجدادنا كيف كانت النسوة تجود بحليها للخرينة الوطنية، وكل الشعب يتبرع بكل ما يملك ويساهم في بناء الجزائر، وإن توقفنا قليلا فهذه المواطنة الحقيقة وهذا هو السلوك الحضاري. لقد عرف الشعب الجزائري أن الحرية لا تقاس بثمن، وأن الاستقلال غالي، ثمنه الأرواح والدماء، لكن هذا الشعور الوطني النبيل لم يكن مقرونا آنذاك بالعملية التعليمية، إلا أنه كان ذا دور كبير في رسم التوجه التعليم الجزائري، وعمر طويلا ذلك الشعور في المدرسة الجزائرية ولم يأخذ في التلاشي إلا مع بداية سنوات الثمانينات، وأن قلنا الثمانينات فأننا سنتحدث عن التخطيط التربوي المنهجي، وبداية انتهاج المنظومة التربوية الجزائري للمقاربات التعليمية المنتشرة في الدول المتطورة .

3- السياسة التعليمية في ضوء المقاربة بالأهداف: لقد أدركت الجزائر

أهمية التعليم، سواء بالنسبة للمجتمع وللشعب، أو بالنسبة للدولة وكيانها وديمومتها واستمرارها وتطورها. فجاء (القانون التوجيهي للتربية الوطنية رقم 04/08 المؤرخ في 23 جانفي 2008، يعوض ويلغي الأمر رقم 76/35 المؤرخ في 16 أفريل 1976. وجاء هذا القانون ليكرّس فلسفة التربية في الجزائر من حيث غاياتها وأسسها ومبادئها ومستلزماتها، وغيرها من المحاور الأخرى التي تشكّل بمجموعها تنظيرا تربويا قائما بكل شروطه ووسائله البشرية والتنظيمية)¹، فالاستثمار الحقيقي هو الاستثمار في الإنسان، لأنه هو القوة الخلاقة وهو صانع التغيير والتطور، لذا أولت الجزائر أهمية كبيرة لمواردها البشرية، وهي التي كانت ولا زالت تتميز بكتلة شبانية هائلة مملوءة بالحماس والإرادة والاندفاع، وبعد

¹ - أ. المفتش/دحمان محمد أرزقي، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، 9 سبتمبر 2016، ص17.

السنوات الأولى للاستقلال لم يعد التعليم ذلك العمل العفوي، بل أصبح تعليم مخطط له ومدرس، حيث رسمت الجزائر مع بداية السبعينيات إستراتيجيتها التعليمية والأهداف التربوية المرجوة من تلك الإستراتيجية. رغم المشاكل الكبيرة التي ورثتها عن الاستعمار، الذي تركها منهكة ومستنزفة في كل الميادين اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا، ورغم نقص الوسائل المادية الكبيرة والموارد البشرية المؤهلة، رفع الجزائريون التحدي في عقد الملتقيات والاجتماعات واللقاءات للمهتمين بالشأن التعليمي، كما قاموا بجلب الفلسفات التعليمية الغربية وترجمتها وتبسيطها للاستفادة منها، والاطلاع على مختلف المناهج والطرق والوسائل والمضامين الجديدة، للقضاء على الأخطاء والنهوض بالتربية والتعليم.

عرفت الجزائر مع بداية سنوات السبعينيات انتعاشا أدبيا، وعرفت كذلك بداية بروز الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية إلى جانب الذي كان مكتوبا باللغة الفرنسية، والذي كان قد انطلق فيه من قبل. كما عرفت حركة الترجمة انتشارا واسعا، وبدأت تظهر أقلام جديدة في جميع الفنون الأدبية. إن غزارة الإنتاج الأدبي المحلي وطبيعة الإيديولوجية المنهجية التابعة للسياسة التربوية السائدة، هي التي تعكس قوة المضامين التربوية وفعاليتها، وتحدد مؤشر نجاح أو فشل النهج التعليمي، لأن المنهج التربوي في مجمله هو (مجموعة الخبرات والأنشطة التي تقدمها المدرسة للطلبة بقصد احتكاكهم بها، وتفاعلهم معها، فيحدث التعلم عن ذلك التفاعل والاحتكاك، ويتم تعديل سلوك التلاميذ فيتحقق لهم نمو شامل متكامل، وهذا هو هدف التربية. ويخطط هذا النوع من المناهج من جهة رسمية هي وزارة التربية... ويتضمن هذا التخطيط الأهداف التربوية العامة، والمحتوى التعليمي والأنشطة التعليمية وطرائق التدريس، وأساليب التقويم التي تتولى المؤسسة التربوية تقديمها للمتعلمين)¹.

كانت المقاربة بالأهداف أول محاولة جزائرية للتخندق في إيديولوجية تعليمية ممنهجة واضحة، عندما اختارت المنظومة التربوية الوطنية تلك الإيديولوجية المبنية على الأفعال وردود الأفعال وعلى التجارب والخبرات المعدة سلفا من طرف المدرسة². وعمليا بدأت هذه المقاربة في الجزائر منذ (إصلاح 1976 المتمثل في المدرسة الأساسية المتعددة

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص36.

² - ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص21.

التقنيات. وهو الجيل الذي اعتمد التدريس بالأهداف طبقا للنظرية السلوكية "بافلوف وواطسن"، في شقها المتمثل في المنعكس الشرطي الاستجابي. ولعل تراتبية مذكرة المعهد الوطني "ما يقوله المعلم وما يقوله التلميذ تبين ذلك بوضوح منبه-استجابة"¹. كما اتضح ذلك في برامج المدرسة الأساسية خلال سنوات الثمانينيات وبدايات سنوات التسعينيات من القرن الماضي، حيث كان الاهتمام كله منصبا على تحسين المضامين، وتكوين المعلمين في الجانب المعرفي والإجرائي والأدائي. كان اختيار بيداغوجيا الأهداف اختيارا مبررا نظرا لاستقلال الجزائر القريب، والضروريات التربوية المستعجلة، والأهداف الآنية المسطرة، التي كانت تفرض على الجزائر تحديد الغايات والمرامي المرجوة واللازمة لتحقيق نتائج مفيدة وسريعة على المدى القريب، وكذلك للنهوض بقطاع التربية على غرار جميع القطاعات الأخرى التي كانت تعرف هي الأخرى بالموازاة هيكلية وإعادة تنظيم جديدة على مستوى مناهجها وقواعدها ومخططاتها. عرفت هذه المقاربة نوعا من التعديل وذلك بإدخال ما يسمى بالأهداف الإجرائية أي (التدريس بالأهداف كذلك ولكن في شقها الثاني المتمثل في المنعكس الشرطي الإجرائي. وهو المنعكس الذي بحثته المدرسة السلوكية "سكينر وثوراندايك"، حيث برز مفهوم جديد في الممارسة، وهو مفهوم الهدف الإجرائي الذي يصاغ بأفعال قابلة للملاحظة والقياس)².

قامت السياسة التربوية الجزائرية بمحاولة بناء مقاييس ومؤشرات دالة على حدوث التعلم واستمراره وانتقاله بين الأجيال المتعاقبة، ورصد إجراءات قبلية، توقعية وتنبؤية فيما يخص البرامج التعليمية والمضامين التربوية، وكل هذا بغرض التأسيس لسياسة تعليمية واضحة المعالم، كما قامت الجزائر ببناء مناهجها التعليمية الأولى، بالاعتماد على المقاربة بالأهداف التربوية، لكونها من المناهج الحديثة التي يمكن التحكم فيها وتوجيهها، فهي (عملية منظمة مخططة هادفة، فيعد تحديد الأهداف هو الأساس الذي تقوم عليه عمليات المنهج بدءا من التخطيط وانتهاء بالتقويم فالتطوير... وهي تدرج من العام الشامل الذي يحتاج تحقيقه إلى سنوات ومراحل دراسية، إلى الخاص الضيق الذي يمكن تحقيقه في درس واحد. ويسمى النوع الأول بالأهداف العامة بعيدة المدى، ويسمى الثاني بالأهداف التعليمية أو

¹ - د. عبد الحق زواوي، مجالبة المناهج في النظام التربوي الجزائري، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، عدد: 31 أوت 2016، ص 20.

² - المرجع نفسه، ص 20.

السلوكية قصيرة المدى... وهي الحدود التي تنتهي إليها جميع روافد العملية التربوية، فهي تمثل المحصلة النهائية)¹. يتم التعامل مع الأهداف البيداغوجية بعد ضبطها وتحديدتها بشيء من الاهتمام والدقة والتدرج في التقديم والتنفيذ والإقرار، والغرض منها إكساب التلاميذ معارف وسلوكات عدة، تكون قابلة للملاحظة والقياس، وتسهل عليه عملية استحضارها واستظهارها عندما تتطلب الأمور والظروف ذلك، يعمل المعلم فيها على تحقيق الأهداف مجزأة، مع محاولة تعديل سلوك المتعلم، لأن تحديد الأهداف يسمح بقياس المنهاج التعليمي وفق ما يراه المدرس مناسبا لظروف المتعلم والمحيط، ويساعده على تنمية شخصيته بكل مكوناتها العقلية والوجدانية والحركية، فتجعل من المعلم الفاعل الأساسي في العملية التعليمية، وهذا هو المعمول به في المقاربات المعتمدة على حل المشكلات والمشاريع التربوية.

الأهداف البيداغوجية هي الغايات (التي تتبنى تحقيقها المؤسسات التعليمية في مرحلة دراسية معينة، أو مناهج دراسية محددة...أو هي الأهداف التي يشتمل عليها مضمون تعليمي ما)²، وهي وصف للسلوك المراد تطبيقه وانتهاجه من طرف المتعلم، نتيجة معاشته لموقف أو ظرف معين، هي مجموعة الخبرات الواضحة وغير الواضحة التي تتم عن طريق الربط بين مثير واستجابة، (وترتكز النظريات الارتباطية في تفسيرها لميكانيكية التعلم عند الإنسان على افتراض أساسي هو كيفية الارتباط بين مثير واستجابة، أي أن التعلم يحدث نتيجة لوجود ارتباط بين مثير واستجابة، والارتباط يعني تكرار الاستجابة نفسها مع ظهور المثير)³ في كل مرة، ويتم ذلك كله في ضوء شروط محددة ومتقنة، يتم تخطيطها وإعدادها للتعلم مسبق. التي هي المحتوى الرسمي وغير الرسمي، وهي كل العمليات التعليمية التي تتم تحت إشراف المدرسة، والتي يكتسب المتعلمون من خلالها المعرفة والعلم والفهم والسلوك، وينمّون عن طريقها المهارات ويعدّلون الاتجاهات والقيم والأخلاق. الأهداف البيداغوجية في أبسط تعريفاتها هي (تمثل العبارات التي تصف الأداءات التي نرغب من المتعلمين أن يكونوا قادرين على القيام بها قبل الحكم عليهم بالكفاءة في تلك الأداءات. إنها تصف النتيجة

¹- محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص52.

²- المرجع نفسه، ص52.

³- محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص 232.

المرغوب فيها للعملية التعليمية التعليمية، وليس خطوات عملية التدريس ذاتها¹، وهي ثلاثة أصناف معرفية فكرية/عقلية وجدانية وسلوكية، و(قد يتم الخلط بين مجالات الأهداف الثلاثة المتمثلة في المجال العقلي والمجال الوجداني والمجال المهاري الحركي. فمثلا تتم صياغة أهداف تعليمية بالمجال الوجداني ضمن أهداف تتعلق بالمجال العقلي على سبيل الخطأ الناجم عن عدم المعرفة الدقيقة بطبيعة كل من هذين المجالين. وينطبق القول نفسه على المجال المهاري الحركي حيث يمكن وضع أهداف تتعلق بالمجال الوجداني ضمن المجال المهاري الحركي أو العكس)²، وبهذا التعريف تتأكد ضرورة إحداث التوازن والتكامل والتنسيق بين عناصر الأهداف الكلية أو العامة، وعناصر الأهداف الجزئية أو الخاصة، بصفة مختصرة (تؤكد النظريات الارتباطية على أهمية الارتباطات التي تحدث بين المثيرات والاستجابات، لأنها تمثل العناصر الأساسية للسلوك وترى أن التعليم ما هو إلا تكوين عادات سلوكية عند الفرد، وتحاول أن تفسر التعلم بأنه تصميم لتكوين السلوك بين مثير واستجابة معينة، وبعبارة أخرى ترى هذه النظريات أن السلوك يتكون من مجموعة أو تنظيمات من وحدات صغيرة، وكل وحدة منها تتكون من مثير يرتبط باستجابة، وترتبط هذه الوحدات ببعضها بعضا لتكون تنظيما معيناً هو العادة، ويمكن تثبيت هذه العادات السلوكية عن طريق استخدام التعزيز للسلوكات المرغوبة، وتعديل السلوكات السلبية عن طريق الإطفاء)³.

الأهداف المعرفية/الفكرية والعاطفية هي مجموعة القيم والميولات والأخلاق التي يمكن أن يلاحظها المعلم على المتعلم، وهي أهداف يصعب تحديدها في نتائج يسهل ملاحظتها أو قياسها بصفة مباشرة، والسبيل الوحيد لقياس مثل هذه الأهداف، هو ربطها ببعض الدلالات والعلاقات غير المباشرة التي ترتبط بخصائص معينة لهذه الأهداف، والتي يبدي المتعلم ميلا واضحا إليها، أما الأهداف السلوكية فهي تلك التي تظهر على السلوك الأدائي للمتعلم، فهذا الأخير يعبر بحركات سلوكية محسوسة ومرئية عن المعارف التي تعلمها أو اكتسبها، والتي تترجم بلوغ الأهداف والأغراض المرجوة من طرف المعلم، أو أن تلك السلوكات تترجم عكس ما كان يريده المعلم، وهذا أيضا فيه نداء للمعلم لإعادة تقييم

¹- جودت أحمد سعادة، صياغة الأهداف التربوية والتعليمية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2001، ص 138.

²- جودت أحمد سعادة وعبد الله محمد إبراهيم، تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها، دار الشروق للطباعة والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2001، ص398.

³- محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص 232-233.

علاقته بالمتعلم أو إصلاح ما يمكن تداركه، وهذا ما يجعل الأهداف البيداغوجية عرضة للتغيير والتعديل حتى أثناء تسيير العملية التعليمية نفسها، ذلك أن المعلم قد يلحظ أن استعداد المتعلم غير كافي، أو أنه من خلال سير النص يكتشف أشياء وجوانب جديدة تحتاج إلى بحث أو إضافة لم تؤخذ في بادئ الأمر بالحسبان¹، ويفيد هذا المعلم في معرفة ما يوجد بين المتعلمين(من فروق في القدرات والكفاءات والحاجات والاهتمامات في تخطيط واتخاذ القرارات المناسبة لتوفير نشاط التعليم والتعلم الأكثر ملائمة لما يوجد بينهم من فروق فردية، بحيث يجد كل من التلاميذ بطيئي التعلم والعاديين والمتفوقين في موافق وخبرات التعلم، ما يتواءم مع قدراتهم ومعدلاتهم الخاصة بهم في التعلم)².

تعتبر المدرسة البافلويفية السلوكية الخلفية والمرجعية العلمية لعملية التدريس بالأهداف، (فمع ظهور حركة الأهداف التعليمية وأهميتها في عمليات تخطيط البرامج التعليمية والتدريسية والتقويمية، أخذ الكثير من المعلمين يهتمون بالأهداف التعليمية ويبدلون جهودا صادقة في إعدادها واستخدامها في نشاطهم التعليمي)³، بل أن هناك من حاول تطويرها وإدخال كثير من التعديلات عليها. ووظفت في المناهج التعليمية باهتمام بالغ وبمتابعة دقيقة، لتحسين مستوى المدارس التي كانت تعاني من نقص في التحصيل العلمي وضعف في النتائج. تمثل عملية تحديد الأهداف (خطوة أساسية في التخطيط لأي برنامج تعليمي. ونحن نستخدم عبارة أهداف التعلم لأن اهتمامنا في عملية التدريس ينبغي أن يتجه إلى التعلم كناتج لعملية التدريس. وهكذا فإن جميع الأهداف ينبغي أن تصاغ في عبارات تبين نتائج التعلم المراد تكوينها أو تنميتها لدى المتعلمين)⁴، كما أن وضوح الأهداف وجلائها (لدى القائمين بالعملية التعليمية يزيد حماسهم ويرفع معنوياتهم، فهي تعين المشرف التربوي على معرفة مستوى تلاميذه ونوعية مشكلاتهم وتوجيههم تربويا ومهنيا، كما تعتبر معيار للمعلم لتقييم نتائج عمله)⁵، و(تعتقد النظريات الارتباطية أنها تستطيع أن تصمم سلوك الإنسان من خلال تصميم المثيرات أو الخبرات التي يتفاعل معها في البيئة. وهي فرضية

¹ - ينظر: جيرولد كمب، تصميم البرامج التعليمية، ت: د/أحمد خيري كاظم، دار النهضة العربية، القاهرة، درط، 2001، ص ص 81-82-83.

² - المرجع نفسه، ص 43.

³ - المرجع نفسه، ص 55.

⁴ - المرجع نفسه، ص 47.

⁵ - محمد هاشم فالوقي، بناء المناهج التربوية: سياسة التخطيط وإستراتيجية التنفيذ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية/ مصر، درط، 1997، ص 56.

مهمة للعملية التعليمية التعليمية، وتحاول هذه النظريات ان تتجاوز تفسير الاستجابات اللفظية، إلى مجال آخر، وهو مجال تفسير تعليم الانفعالات الوجدانية والأفكار المجردة، والمبادئ العلمية المختلفة، حيث يتعلم الطفل احترام والديه لأنه يشعر أنهما مصدر أمنه وإشباع حاجاته، ويتعلم الراشد الولاء لله لأنه سبب في خلقه ووجوده وأساس نعمته¹، وكذلك يتعلم الطفل حب وطنه والدفاع عنه وخدمته لأنه يعرف أن لا وطن له غيره، وأنه وطن أبائه وأجداده.

في تقييم هذه المقاربة تم الوقوف على جملة من السلبيات والنقائص أثناء تطبيقها، فهي تهتم بالمعلم فقط وهو الذي يلعب دورا بارزا في العملية التعليمية، ولكنها لا تهتم بما يجري في ذاكرة المتعلم من عمليات عقلية داخلية لا يمكن ملاحظتها، فكل ما تهتم به هو الملاحظة والاستجابة الخارجية. إن الأهداف تصاغ في شكل عبارات في آخر الدرس وليس على شكل أداءات، وهذا ما أدى إلى عزل أهمية هذه المقاربة في تكوين التلميذ وتعليمه، بالإضافة إلى صعوبة تقسيم وتصنيف الأهداف، بل صعوبة تحديدها لتعددتها واختلافها وتداخلها، مما أعاق كل أشكال التقييم الصحيح، ثم إن تحقيق كل هذه الأهداف لا يجعل بالضرورة المتعلم قادرا على استيعابها وتوظيفها واستثمارها، والتفاعل معها في ظروف ووضعيات دلالية وقيمية على علاقة بمجتمعه ومحيطه خلال حياته اليومية.

جعلت المبادئ الإجرائية لإيديولوجيا التعليم بالأهداف من المتعلم عنصرا سلبيا ومنفعلا في المدرسة وفي المجتمع، يقبل على تعلم كل ما يصل إليه بناء على خطة لم يكن شريكا فيها، ولا واحدا من صانعيها، فيقع في الخضوع لتنبؤات المدرس وتوقعاته، منفذا مطيعا لأوامره وتعليماته، خارجا في النهاية بتعلم معلوم ومحدد ينحصر في اكتساب سلوكات جزئية ومعلومات حسية وجدانية ضيقة، لقد ركزوا على السلوك الانفعال بدل الأفكار والمعارف التي هي الأساس والمحرك لكل سلوك. اعتنت إيديولوجية التعليم بالأهداف بالبرامج والمضامين والطرق والوسائل، وبالأهداف البيداغوجية، وبكل ما يتعلق بالمنهج التربوية، وشملت كل أطوار التدريس، وتميزت بالشمولية والسهولة لكي يفهمها المعلم حتى يسهل عليه تمريرها للمتعلم، وكانت تحركها سياسات تربوية بعيدة عن واقع المتعلم وراهنه،

¹ - محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص 234-235.

فلم تعره أي اهتمام ولم تأخذه في الحسبان، وهو رأس مال كل عملية تعليمية، وأصبح ما يهم هذه السياسات هو الوصول في الأخير إلى الأهداف التي رسمتها، بغض النظر عن كل أشكال التقييم بالنجاح أو بالفشل، وهل كان هذا التعليم الذي يطلبه المتعلمون؟ وهل هو الذي يفضلّه المعلمون؟ أبدا لا شيء من هذا كان في المقاربة بالأهداف.

تحمل إيديولوجية التعليم بالأهداف في عمقها بصمات سياسية للنظام الحاكم والسياسة السائدة، فأيديولوجية التعليم بالأهداف تمثل فترة تميزت بسيطرة الحزب الواحد وشيوع النظام الاشتراكي في الجزائر، وهي فترة السبعينيات وبداية الثمانينيات، فكانت الاشتراكية نهجا اقتصاديا واجتماعيا وحيدا اعتمدته الجزائر بعد الاستقلال، مرحلة تميزت بغياب حرية الحوار والتشاور، وبغياب ثقافة التعدد والاختلاف، ترسم فيها الأهداف والبرامج بعيدا عن أهل الاختصاص. يعتبر المعلمون فيها بياق تحرك بأيادي خفية، لتنفيذ برامج ومضامين وأيديولوجيات مرسومة مسبقا. إن المنهج التعليمي الحقيقي هو (الذي يركز قدر الإمكان على سلطة المشروع الوطني الذي يحقق طموحاتها من خلال الإجماع الوطني، في النهاية تتطلب الديمقراطية أن يكتسب التلاميذ معنى التعاون وقبول الآخر وعدم نفيه، والإيمان بأن المعرفة والقيم نسبية، ولا قداسة في العلم، وأن التعدد في الأفكار والآراء لازم وضروري لاستمرار الحياة)¹. أما إيديولوجية التعليم بالأهداف فكانت على غير هذا، واحدية التوجه تقتل مشاركة المتعلم، وتلغي مشاركة الأطراف الأخرى في التدخل والاقتراح، لا يُسمع فيها إلا صوت واحد هو صوت الإنسان الأمر، فأصبح المعلم هو الآخر صوتا أمرا ومنفذا وليس مرشدا وموجها ومساعدة في الفصل المدرسي، ولا يعدو أن يكون الناقل الأمين والمنفذ المطيع. إن هذا الوضع لا يهيء الظروف اللازمة للتعليم الممارسة التربوية، ويجهض كل محاولات ومبادرات التعبير عن المهارات والكفاءات، ويهمل كلية دور العنصر البشري المعلم/المتعلم. وكانت هذه النقائص دعوة للبحث عن مناهج أكثر ملائمة، ودعوة للاهتمام بالمتعلم، لأنه من (الاتجاهات المستقبلية في التعليم والتعلم، أن التلاميذ ممن يتوافر لديهم

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص ص 14-15.

النضج الكافي يقررون بأنفسهم، ويشاركون المعلمون في تحديد أهدافهم والمحتوى والخبرات التي سوف يتعلمونها، بدلا من اعتمادهم الكلي على المعلمين أو مخطط البرامج التعليمية¹. وانطلاقا من هذا التصور الفكري والإيديولوجي للعملية التعليمية، جاءت الانتقادات عنيفة لبيداغوجية المقاربة بالأهداف، وأثيرت مسألة العودة إلى الاهتمام بفاعلية الشروط الداخلية الذاتية للمتعلم وأهليته وقدراته الداخلية، واعتبرت هذه الشروط أمرا ضروريا لحدوث أي نشاط تعليمي، من جهة أخرى تم تجاوز المفهوم القديم والضيق للسلوك، المتمثل في الهدف البيداغوجي والإجرائي القائم على المثير والاستجابة، إلى مفهوم أوسع هو القدرة التي تشمل إنجازات متعددة ومرتبطة فيما بينها في آن واحد وفي وضعية واحدة.

ارتبطت التربية والتعليم بالإنسان (فهو هدف العملية التربوية وهو القائم بها والمنفذ لها. والتربية بفلسفتها وأهدافها ونظمها ومناهجها وطرائقها ووسائلها متغيرة ومتجددة بتغير الإنسان ذاته حسب العصور والمراحل التاريخية وحسب المجتمعات البشرية. بل أن التربية هي إحدى عوامل التغيير الرئيسية في المجتمع ككل وعليها مراعاة ما يحدث فيه من تغيرات، فهي السبب والنتيجة، السبب في تغيير المجتمع نحو الأفضل بتغيير سلوك الأفراد، وهي النتيجة أيضا لهذا التغيير وما يتطلبه من تحديد الأولويات وإعداد الأفراد لتقبل هذا التغيير والتطور)²، لهذا شعر الباحثون والمختصون في التربية والتعليم أنهم بضرورة التغيير في العملية التعليمية التعليمية، والبحث عن مقاربة جديدة لتحسين الأداء والمردود التعليمي، مقاربة تقوم بيداغوجيا التعدد والاختلاف والإدماج، وتناسب التعدد اللغوي والغنى الثقافي الذي يتميز به الشعب الجزائري.

إن الوقت الذي جاءت فيه بيداغوجيا الأهداف، تطلب مجهودات سريعة، وكان يستشرف آفاق عميقة وسريعة، تعكس عمق آمال وتطلعات وطموحات الشعب الجزائري في بناء جهاز تربوي تعليمي قادر على رفع التحدي، فهل كانت المبادئ والقيم الوطنية أهدافا مستعجلة لبيداغوجيا الأهداف؟ وهل ترجمت فعلا من خلال المضامين إلى أهداف تربوية بيداغوجية حقيقية؟ هذا ما لم يكن وان كان فهو بطريقة عفوية وتلقائية

1- جيروld كمب، تصميم البرامج التعليمية، ترجمة: د/أحمد خيري كاظم، ص 73.
2- محمد هاشم فالوقي، بناء المناهج التربوية: سياسة التخطيط واستراتيجية التنفيذ، ص 51.

محتشمة. لقد كان من أهداف الثورة التحريرية والشعب الجزائري، خلق مجتمع متعلم ومتقف وواعي ووطني، مشبع بالقيم الأخلاقية والوطنية والفنية والجمالية، وهو ما سيتضح من خلال تحليل الجانب التطبيقي من هذه الدارسة المتواضعة. وكانت المهمة الأساسية بعد الاستقلال هي تأهيل جيل جديد لمواصلة البناء والحفاظ على مكاسب الثورة، والعمل من أجل تطور الوطن والدفاع عنه، وحماية رموزه وإنجازاته، جيل قادر على تحمل المسؤولية والتحكم والقيادة.

4- السياسة التعليمية في ضوء المقاربة بالكفاءات: نظرا للمشاكل المسجلة

في إيديولوجية التعليم بالأهداف، وللتغيرات الاجتماعية الكبيرة التي عرفها المجتمع الجزائري، والتي صاحبها تغيرات كبيرة أيضا في الرؤى والأهداف، بدأ الدارسون التربويون في الجزائر البحث عن أنماط جديدة، والاطلاع على مناهج الدول المجاورة والصديقة في مجال التربية والتعليم، وتم القيام بتشكيل أفواج وفرق عمل للبحث في التربية والتعليم، كما تم القيام بتنظيم ملتقيات وندوات لدراسة القضايا التعليمية والتربوية، وتبادل الخبرات والمعارف العلمية، لتذليل الصعوبات ومواصلة العمل في استشراف مفهوم إيديولوجي تعليمي جديد في (في الأهداف والمحتوى والأنشطة، وهو ما يتطلب من واضعي المنهج أن يتحسسوا هذه التغيرات وتضمن المنهج ما يلزم لمواكبتها ومواجهة ما تنطوي عليه من مخاطر، وجعل المنهج مرنا قادرا على مواكبة التغيرات التي يمكن أن تطرأ على ثقافة المجتمع وأساليبه في الحياة، وقادرا على تنمية قدرات الطلبة على التفكير العلمي الناقد لتقبل ما هو مفيد، ورفض ما هو مضر)¹. ويجعل (المتعلم ضمن وسط مدرسي بيداغوجي، تتحد وتتضافر فيه كل الجهود، والوسائل المادية والبشرية لتوجيهه الوجهة الصحيحة، وتعلميه وتربيته على المواطنة الفعالة والتشاركية، وتمكينه من المفاتيح المناسبة ليصبح بنجاح عضوا فاعلا في المشروع الاجتماعي الكبير)²، ويهدف للارتقاء به إلى أعلى درجات التربية والتعليم، وكان هذا هو منهج المقاربة بالكفاءات.

يستند هذا المنهج إلى نظام متكامل من المعارف والأداءات والمهارات المنظمة التي تتيح للمتعلم، ضمن وضعية أو شبكة تعليمية، القيام بالإنجازات والمهام

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص139.

² - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, p115.

والأدوار والأنشطة التعليمية الملائمة، ويجعل من المعلم عضوا ضروريا وعنصرا فاعلا في تنشيط وتحريك وتوجيه قدرات ومهارات المتعلم، ولم يبق دوره محصورا في تزويد المتعلم بالمعارف والسلوكات فقط، (ومع التقدم العظيم في المعرفة والتطورات المتلاحقة في عصر المعلوماتية، والتقدم التكنولوجي أصبحت المهارة هي أن يؤدي الإنسان أي عمل بدقة وسرعة وفهم، كما تقوم الآلة بأعمال في منتهى الدقة وبمنتهى السرعة، أما مسألة الفهم هذه فهي تقع في نطاق العقل البشري فقط، وهذا هو الذي يميز الإنسان عن الآلة مهما كان مستوى طورها)¹، وهو المطلوب في التخطيط لكل مشروع تربوي تعليمي فيجب (توافر خبرات ومهارات متعددة ومتنوعة... أو القدرة على اكتسابها بسهولة. وكلما اتسع نطاق قدرات أفراد الفريق، كانت درجة تأهيل الفريق للعمل أفضل)²، وهذه المهارات والقدرات مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإنسان أي بالمعلم والمتعلم معا.

يعتمد مخططو المنهج ومصمموه ومنفذوه معايير التعدد والتنوع (عند اختيارهم للخبرات التعليمية، حيث لابد من تنوع تلك الخبرات لتتماشى مع ما بين التلاميذ من فروق فردية في القدرات والاهتمامات والحاجات والميول. وفي الوقت نفسه، نجد معيار علاقة الخبرات التعليمية بالحياة، يركز على المعنى الوظيفي لتلك الخبرات التي ينبغي أن تكون وثيقة الصلة بالحياة التي يحياها التلاميذ. إضافة إلى معايير ثانوية أخرى تتمثل في تطوير تلك الخبرات لتعميمات يتم تدريسها وتنميتها لمهارات عدة لدى التلاميذ)³. هذا التعدد والتنوع في الخبرات والمهارات التعليمية يعتبر أساس منهج المقاربة بالكفاءات التي ظهرت وانتشرت في (مستهل قرننا الحالي، وفيه بدأت تظهر تباشير حركات متعددة للإصلاح المدرسي في أوروبا وأمريكا. وقد كتب الكثير حول الموضوع. وقد شمل ذلك، بالإضافة إلى كتابات النظريين، مؤلفات كثيرة ذات طابع عملي)⁴. حيث بدأت المنظومات التربوية في دول أمريكا وأوروبا فعليا في تطبيق هذه المقاربات الجديدة، وتكييف مشاريعها التربوية والتعليمية وفقها، وبدأت عمليات تقييمها، وهي المقاربة نفسها التي اعتمدتها الجزائر منذ سنة

¹ - أحمد حسين الليقاني وفارعة حسن محمد، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، عالم الكتب، ط1، القاهرة، 2001، ص215.

² - جيرولد كمب، تصميم البرامج التعليمية، ترجمة: د/أحمد خيري كاظم، ص 186.

³ - جودت أحمد سعادة وعبد الله محمد إبراهيم، تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها، ص377.

⁴ - غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كيه، ص21.

2000 أي منذ تنصيب لجنة الاصلاح في ماي 2000، والتي (اعتمدت فعليا منذ 2002 إلى يومنا هذا... وهو الجيل القائم على المقاربة بالكفاءات وفق النظرية البنائية)¹.

ترتكز بيداغوجيا الكفاءات على تحديد جملة متنوعة ومتعددة من المهارات والخبرات الأساسية في كل المراحل الدراسية، ولا يعتمد مسارها التعليمي على ضم المعارف والمهارات الى بعضها البعض والتنسيق بينها وتجميعها، بل يتعداه إلى التنسيق والربط بينها، والاهتمام بتوظيف المكتسبات والخبرات السابقة لحل المشاكل التعليمية والحياتية في وضعيات جديدة يفرضها وجود المتعلم أثناء ممارسته لحياته العادية وحياته التعليمية، بالإضافة إلى أنها توسع من المجال المدرسي التعليمي إلى المحيط والمجتمع، وتشجع التعلم والبحث الذاتي من خلال التفاعل الداخلي والخارجي الذي تولده في عقل المعلم والمتعلم وفي العلاقة بينهما، وتجعل التعلم من أولى اهتمامات المتعلم، فهي تسمح بتطوير المعارف والمهارات الجديدة المكتسبة في فضاء المدرسة إلى دلالات ومعارف وحقائق مفيدة، وتعطي السلوك مفهوما واسعا وشاملا وداليا، وتبعده عن ذلك السلوك الضيق المرتبط بالمعطيات العضوية وبالغريزة، السلوك في البيداغوجيا الجديدة هو كل التصرفات التي يبديها المتعلم، كل التصرفات الدلالية والكفائية والفكرية التي ينتجها المتعلم ويفجرها ويكتشفها ولا يتعلمها، وتكيف نشاطه العقلي والوجداني والنفسي الحركي، لكي يكون قادرا على استثمار قدراته وطاقاته بشكل فعال، وأيضا تشجيع الاستقلالية والمبادرة لدى المتعلم، باعتباره متعلم يبني ويطور ذاتيا معارفه وكل ما يتعلمه، فالأفكار ليست ذات معاني ثابتة لدى الأفراد، وعلى هذا يبقى المتعلم حرا في مواقفه وتفكيره، وبعيدا عن قيود ومتابعات المعلم، الذي ينحصر دوره على الإرشاد والنصح والتوجيه فقط.

فرض منهج الكفاءات نفسه في كل الميادين ذات الطابع التربوي والتعليمي، واعتمدته كثير من البلدان المسائرة لمقتضيات التحولات المختلفة في أنظمتها التربوية، وأصبح مصطلح الكفاءة متداولاً كثيرا في مجال التربية والتعليم والبيداغوجيا. يخلط الكثير أثناء تعريفهم للكفاءة بين مصطلحات تربوية مختلفة أخرى، كالقدرة والمهارة والمعرفة، في حين أن الكفاءة شيء آخر، فهي في المعجم العربي الأساسي: (كفاءة ج كفاءات:1 حالة تكون

¹ - د. عبد الحق زواوي، مجالبة المناهج في النظام التربوي الجزائري، جريدة الخبر، عدد: 31 أوت 2016، ص 20.

فيها مساواة بين شيئين "كفاءة الزوج لزوجته في الحسب والنسب"، 2 قدرة على العمل وحسن تصرف فيه "كفاءة فنية نادرة"، "خبير ذو كفاءة"، ... كفاء: مص كفاء. كفو ج أكفاء: 1 مماثل "هذا ليس كفاءا لذاك"، 2 مقتدر "هو كفاء في عمله"، "موظف كفاء". كفو ج أكفاء وكفاء: 1 قوي قادر، 2 وتخفف إلى كفو: مماثل "ولم يكن له كفوًا أحد" 1، و لفظة الكفاءة ذات أصل لاتيني compétence وقد ظهرت سنة 1968م في اللغات الأوروبية بمعان مختلفة، أما اصطلاحا فلها عدة تعريفات، وسنقتصر على تعريفها التربوي والتعليمي، فهي مجموعة من المعارف ومن القدرات الكامنة والدائمة لدى كل إنسان، وهي المهارات المكتسبة عن طريق استيعاب خبرات مرتبطة فيما بينها خلال مرحلة دراسية ما، تتجلى الكفاءة في وضعيات اتصالية ذات دلالة وعلى علاقة بحياة المتعلم، فتثير تجاوبه وتفاعله معها، فهي استجابة تسمح بإدماج وتسخير مجموعة من القدرات والاتجاهات والمهارات والمعارف، في وضعيات وظروف متنوعة، لم يسبق للمتعلم أن مارسها، فتمكنه من ممارسة دور أو وظيفة أو نشاط أو مهمة على أكمل وجه بسهولة ودون عناء، والمقصود بها (أي عمل يقوم به الإنسان في الحياة اليومية التي يتفاعل فيها مع أشياء ومعدات وأشخاص ومؤسسات، وبالتالي فإن هذه التفاعلات تحتاج من الفرد أن يكون متمكنا من مهارات أساسية) 2.

من خصائص الكفاءة أنها تتطلب توظيف مجموعة من الإمكانيات والموارد للوصول إلى نهاية معرفية وعلمية ذات دلالة نفعية بالنسبة للمتعلم والمعلم، تتطلب صياغتها أفعالا قابلة للملاحظة والقياس، وهي قابلة للقويم بناء على النتائج المتوصل إليها، وتقييم الكفاءة أمر يتطلب جعل المتعلم في إشكالية أو وضعية تتطلب دمج وتسخير مجموعة من موارده المعرفية والمهارية، وتجبره على التحرك الحسي والفعل القابل للملاحظة العينية، وتستوجب أيضا التعبئة المستمرة لمجموعة العناصر البيداغوجية الوظيفية (الوضعيات)، وتحيين علاقة المتعلمين بالوضعيات التعليمية البيداغوجية، والارتباط الدائم بالمحتوى الدراسي، ليكون المتعلم على كفاية بشكل مستمر، وليس عند ممارستها في وضعية معينة فقط، هذا ما يجعل الكفاية ملازمة للفرد ودائما في خدمته مع قابليتها للتطوير والتجديد والتقييم خلال الممارسة التعليمية، وخلال السياقات التعليمية المختلفة، (فالنجاح في حل

1 - جماعة من كبار اللغويين العرب ، المعجم العربي الأساسي، ص1043.

2 - أحمد حسين الليقاني ود/فارعة حسن محمد، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، ص215.

المسائل يتحدث إلى نفسه من خلال المسائل الصعبة، وفي مجموعتهم التعاونية يمكن للأطفال سماع أصواتهم الداخلية بصورة أعلى، ويتعلمون كيفية التفكير الناجح في حل المسائل أثناء هذه المداخل¹، هكذا تعمل الملكة الكفائية لدى المتعلم، وهي مهمة لتفعيل المحتويات والمواد التعليمية وإعطائها قيمة في المحيط المدرسي والحياة الاجتماعية لمتعلمين، والسعي إلى تثمين المعارف المدرسية وجعلها صالحة للاستعمال في مختلف المواقف الحياتية، وتحويلها إلى مكتسبات معرفية نفعية، وسلوكات مفيدة، يستعين بها المتعلم في مواجهة أمور حياته.

تعتبر النزعة الحوارية التعددية هي المرجعية والخلفية العلمية للمقاربة بالكفاءات، وليست المدرسة البنائية مثلما يظن البعض من الباحثين، كما أن إيديولوجية التعليم بواسطة الكفاءات ليست منتج أمريكي مثلما يحاول الكثير من الدارسين التربويين الترويج له، إن هؤلاء الذين يروجون لإيديولوجية الكفاءات اليوم، يحاولون عولمة الكفاءة بإسقاطها في فخ الأمركة والنظام العالمي الجديد. أما الكفاءة فهي بضاعة أوروبية ردت إلى أهلها وعادت إلى مهدها. ومنشأها هو الفكر الحواري الباكتيني، الذي بدأ بنيويا ثم انسلخ عن ذلك، وأصبح أب البنيوية الاجتماعية فيما بعد. وهي التي انتشرت ودرست في أوروبا، ووظفت في كثير من مجالات المعرفة والفن والأدب، ثم انتقلت إلى أمريكا عن طريق تلامذة باختين تودوروف وكريستيفا. باختين عارض البنيويين وقدم البديل الحواري والاجتماعي لذلك. إذن فكرة الكفاءات ما هي إلا أفكار الحوارية التي ولدت وانطلقت من روسيا، إلى أوروبا التي نمت وترعرعت فيها، ثم هاجرت إلى أمريكا على يد بعض الأدباء والمفكرين أمثال تودوروف وجاكوبسون وتشومسكي. اعتنق الأمريكان فكرة الحوارية وسموها المقاربة بالكفاءات وجعلوها وسيلة لأمركة العالم وللتصدي للهيمنة الأوروبية في مجال المعرفة والتعليم، خاصة بعد سقوط المعسكر الشرقي، في القرن الواحد والعشرين وبرز النظام الأحادي القطبية². ومن أمريكا عادت فكرة الكفاءات إلى أوروبا وانتشرت في كل بقاع العالم.

تهتم الكفاءة بالجانب الفكري للمتعلم، فهي وسيلة التعليم والإنتاج والإبداع والخلق المبنية على التصور والتنوع وتعدد الأفكار والوسائل وغزارة المحتوى، والتفاعل

¹ - د. محمد سلمان فياض الخزاولة وآخرون، نظريات في التربية، ص 214.

² - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 70.

بين أفكار المعلمين والمتعلمين. تظهر قيمة الكفاءة الحقيقية عندما تطبق بالمفهوم التواصلية والحواري الذي يعطيها بُعدها الإنساني والاجتماعي والثقافي، ويقربها من الأهداف التربوية والتعليمية والبيداغوجية الدقيقة والمطلوبة¹.

ولإيديولوجية التعليم بالكفاءات عدة فوائد أهمها أنها تستدعي وتورط كل القدرات الفكرية والعقلية التي يتمتع بها المتعلم، وتمكنه من امتلاك معارف وخبرات وتقنيات في آن واحد، وفي وضعيات تعليمية مختلفة تتفاعل فيما بينها. يستدعيها ويستثمرها في أي من نشاطاته اليومية أو في حل مشكلة من المشاكل التي تعترضه في المؤسسة التعليمية أو في حياته العادية، كما تساعد الكفاءة المعلم على إجراء التقويمات المختلفة، اعتمادا على الوضعيات البيداغوجية المختلفة التي تتيحها، وتمكين المتعلم كذلك من تقييم مجهوداته بنفسه، فإذا كانت (التربية القديمة تهتم بالجانب العقلي من نمو الطفل، وما يتصل به من اكتساب للمعلومات... فإن التربية الحديثة إلى جانب عنايتها بالتحصيل المعلوماتي، فإنها تهتم بالطفل كاملا وبشخصيته ككل)² في كل جوانبها النفسية والسلوكية والفكرية والاجتماعية. الكفاءة هي قدرة الانسان الفطرية على اكتساب المعرفة وفهمها وتحليلها وتركيبها وتطبيقها وتقويمها³. المعرفة ليست موجودة بشكل مستقل عن المتعلم، بل هي من اكتشافه وابتكاره وإبداعه الشخصي، وهي الموجودة مسبقا في ذاته، تصنع تصوره للعالم المحيط به وللحياة الاجتماعية اليومية. وتسمح الكفاءة باستفزاز كفاءات المتعلم، ومنحه نوع من الحرية والديمقراطية في التعبير، وتمنحه الفرصة لإسماع صوته ومشاركته في كل العمليات التعليمية، وتقييمه من خلال تحميله جزء من المسؤولية على أعماله وأفعاله، لتحديد النجاح أو الفشل، (ان تمكن الفرد من المهارات الحياتية، وممارستها في مختلف المواقف يشعر الفرد بالفخر والاعتزاز بالنفس... ويشعر الآخرون بالثقة فيه)⁴. وهو ما يسمح به التوظيف الفعال للكفاءة التي وحدها تساعد الإنسان على التكيف والاكتشاف والمعرفة والتعلم الذاتي.

أما بالنسبة لاعتماد وتطبيق بيداغوجيا الكفاءات في الجزائر، فيعود ذلك إلى نهاية الثمانينات، التي عرفت فيها الجزائر تغيرا جذريا مس جميع الميادين السياسية والاجتماعية

¹ - ينظر: يمني العيد، في معرفة النص "دراسات في النقد الأدبي"، دار الأفق الجديدة، ط3، بيروت، لبنان، 1985، ص 23.

² - أ/ عبد المجيد عيساني، التقويم في تعليم قواعد النحو العربي بين الفشل والنجاح، مجلة العربية، العدد 01، ص 124.

³ - ينظر: محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 57.

⁴ - أحمد حسين الليقاني وفارعة حسن محمد، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، ص 223.

والاقتصادية، ولم تكن بعيدة عن رياح الديمقراطية التي مست المعسكر الشرقي، فعرفت هي الأخرى تغييرات سياسية كبيرة، تغير فيها نظام الحكم السياسي من الأحادي إلى التعددي الديمقراطي، وعاشت تغييرات وإصلاحات كبيرة مست كل مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية. دخلت الجزائر بعد ذلك عصر الديمقراطية والتعددية الحزبية، وعصر الاقتصاد الحر أو ما اصطلح عليه باقتصاد السوق من الباب الواسع. تأثر قطاع التربية والتعليم بهذه الموجة الجديدة، وعرف هو الآخر إصلاحات تربوية وتعليمية كبيرة، بدأها بتطوير إيديولوجية التعليم بالأهداف إلى إيديولوجية التعليم الموجه، وبدأها في مطلع الألفية الثالثة باعتماد وتطبيق منهج المقاربة بالكفاءات، بعد أن كانت قد عرفت وطبقت في أوروبا وأمريكا الشمالية. إن اختيار إيديولوجية التعليم بالكفاءات كان اختيارا مناسباً نظراً للثورة الإصلاحية التي كانت تعرفها المدرسة الجزائرية، حيث انتهى عهد السياسة الواحدة والنظام الموجه، وحلت الديمقراطية والاقتصاد الحر، ما خلق نوع من الديمقراطية التربوية المبنية على حرية الاختيار وحرية التعبير، إن التعليم بالكفاءات يناسب المجتمع الجزائري المتعدد الثقافة واللغة والغني بالعادات والتقاليد. فلما كانت إيديولوجية التعليم بالأهداف تعبر عن أحادية التوجه، جاءت إيديولوجية التعليم بالكفاءات تنادي لتنادي بمدرسة متعددة ومتنوعة، وبالديمقراطية في الممارسة التعليمية والقرار التربوي. إن هذا الاختيار البيداغوجي حتمه الوضع الوضع الجزائري التعددي والمتنوع. وقد ساعد الانفجار السكاني الضخم والنمو الديمغرافي الهائل الذي باتت تعيشه كثير من الدول، والتي تعتبر الجزائر واحدة منها في حوار الكفاءات وزيادة المعرفة، وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة عدد المتعلمين وزيادة الإقبال على التعلم وعلى البحث العلمي¹، كما تعددت مصادر المعرفة والتعلم وشرع في توظيف وسائط معرفية جديدة كالتلفاز والفيديو والكمبيوتر، والشبكة العنكبوتية التي أخذت في الانتشار بشكل كبير، ساهمت كل هذه الأمور في انتشار بيداغوجيا الكفاءات وتعميمها، فهل هي فعلا المقاربة المناسبة للعملية التعليمية وفي تحسين المستوى التعليمي وجودة المنتج التربوي؟ أم هي إيهام فقط بالإصلاح؟ أم خدعة أريد بها القضاء على شخصيتنا التربوية وعاداتنا في التعليم؟

¹ - ينظر: أحمد حسين اللقاني وفارعة حسن محمد، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، ص229.

إن مصدر الكفاءة مصدر ليبرالي/رأسمالي، ظهرت في أمريكا الدولة الصناعية الكبرى، التي جعلت من المعرفة رأسمالها الرئيسي، واتخذت من الاعلام وسيلة لنشر سياستها ومشروعها الثقافي "أمركة العالم" تحت مصطلح العولمة. فأدى هذا الوضع إلى قلب كثير من المفاهيم، وإحداث تغييرات جذرية في حياة الإنسان العالمي، وتصوراته وعاداته. فكانت كل محاولات الإصلاح التعليمي والتربوي في القرن الواحد والعشرين، دعوة صريحة لتكييف المدرسة مع الوضع العالمي الجديد، ليس لأن المدرسة مدعوة إلى تعليم نوعي يستجيب لشروط العصر، ويحافظ على استمراريتها كمؤسسة لإنتاج المعرفة وأدواتها، وإنما لتدخل المدرسة في شبكة المؤسسات المعولمة إيديولوجيا وثقافيا وفكريا وبالتالي تربويا، لذا فالخوف كل الخوف من تحويل التربية إلى سلعة تباع وتشترى فتفرغ من محتواها الإنساني الشخصي ومن تراثها وهويتها المحلية.

أثبتت التجربة في ضوء المقاربة بالكفاءات، أنه يصعب في الميدان المدرسي تعليم كل الكفاءات الحياتية والتربوية في مرحلة من المراحل التعليمية، وذلك لكثرتها وتعددتها وتناسقها وتكاملها، كما لا يمكن أن نتصور كفاءة بعيدة عن البعد الاجتماعي والثقافي، لذا يجب أن من قلب المجتمع، ويجب أن نظفي عليها طابع الحرية والتشاركية المبنية على التعددية الفعلية، والتي تضيف على الكفاءة بعدا إنسانيا واجتماعيا، ويمنحها وضعيات ملائمة لممارسة أعم وأشمل، وبذلك تحرر من القوانين الجامدة المرتبطة بالاستثمار الاقتصادي والمالي الضيق، والذي يعود بنا إلى بيداغوجيا الأهداف عن طريق المنافسة الاقتصادية.

إنه لا يمكن تصور معنى المدرسة الحقيقي، إلا وهي تعيد إنتاج قيم المجتمع وثقافته، ونقلها وتمريرها إلى الناشئة، لكن الكفاءة تتعارض مع كل أشكال ترسيخ القيم والأخلاق والوطنية والأفكار الخاصة بمجتمع من المجتمعات، كما أن الديمقراطية والحرية التي تمنحها إيديولوجيا الكفاءة، كانت سببا في خلق نوع من الفوضى والعنف المدرسي، سواء عنف المتعلمين ضد زملائهم في المدرسة، أو عنفهم ضد معلمهم وأوليائهم، وما نريد التركيز عليه أيضا أنه (ليس بالعلم وحده يحيا الإنسان حياة طيبة خالية من العلل والأمراض النفسية على وجه الخصوص، وذلك لأن المجتمع الذي يعيش عصره

بمنطق العلم التطبيقي "التكنولوجيا" فقط، دون الاهتمام بالقيم الروحية والأخلاقية التي طرحها الدين الحنيف، يتقدم في حياته ماديا، ويتخلف روحيا ومعنويا، وهذا هو حال الدول المتقدمة في ذلك العصر، ولا أدل على ذلك من ارتفاع نسب الأمراض النفسية فيها بشكل عام عن الدول غير المتقدمة في ذلك المضمار)¹. وهو نتيجة لإهمالها المرتكزات الدينية والحضارية للمجتمع، فلقد عادت فعلا إيديولوجية التعليم بالكفاءات إلى الاهتمام بالمتعلم والمعلم، لكن من منظور اقتصادي مادي وليس من منظور إنساني اجتماعي تعليمي. ما يجعل سياسات الدول النامية بعيدة على أن تكون في مستوى الكفاءة الحقيقة بمفهومها الشامل والعام، وبعيدة على أن تمنحها الممارسة الحرة والانتشار على أوسع نطاق، فسياسات الدول والحكومات النامية لازالت تتخبط بحثا عن استقرار لأنظمتها السياسية، وعن توازنات لمؤسساتها المالية والاقتصادية، فأين هي من سباق الدول نحو امتلاك المعرفة والتكنولوجيا؟ وبعد هذا، هل بقي من حديث عن الكفاءة في برامجنا التعليمية؟ (إن المهارات الحياتية متجددة على الدوام، ومن ثم فإن التطور الدائم لمناهج التعليم يعد أمرا أساسيا، كما أن ما تشمله المناهج من المهارات الحياتية لابد أن يتغير أو يتطور طبقا لتطور المعرفة وأساليب التكنولوجيا)².

(إذا كانت المقاربة بالكفاءات لا تشكل إطار مجدّد لإعادة النظر في التعليم على المواطنة، وإذا اعتبرنا تصرفات المواطن تعود إلى كفاءات وظيفية أو إلى كفاءات عابرة، فإن التوجيه البيداغوجي يكون هنا مخالف)³ للغايات البيداغوجية الوطنية المسطرة، وهنا يمكن توظيف الكفاءة في تمرير وتعريف الناشئة بالمبادئ والقيم والوطنية، وبالسلوكات الواجبة لحماية الوطن والدفاع عنه، وذلك بتحويل كل المعارف والأفكار الوطنية إلى كفاءات، يتعلم الطفل من خلالها كيف يحب وطنه ويغار عليه، كيف يحب مدرسته ومعلمه كحبه لبيته ووالديه، وتقديمها في وضعيات بيداغوجية وطنية مدروسة، يندمج من خلالها المتعلم ويتفاعل عبر ممارساته وردّة فعله تجاه الرموز الوطنية وانجازات الوطن وأبطاله، (فالتعلم ليس نتيجة للتطور بل التطور هو الذي يتطلب الإبداع والتنظيم الذاتي من جانب

¹ - جودت أحمد سعادة وعبد الله محمد إبراهيم، تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها، ص290.

² - المرجع نفسه، ص231.

³ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p4.

الدارس، وعلى المدرسين السماح للدارسين بطرح أسئلتهم الخاصة، وجعل فرضياتهم احتمالات، والقيام باختبارها لمعرفة حيويتها)¹.

5- مناهج التعليم المواطنة: إن (التربية على المواطنة هي مواطنة في حد

ذاتها، وهي تربية قائمة على الوطنية، وهي عملية شاقة ومتواصلة تسير فيها جميع الدول لمواجهة مايفرض عليها من تحديات على نظم التعليم عامة وتعليم المواطنة بشكل خاص)². والحديث عن المواطنة في التعليم وعن التربية على المواطنة، يقودنا حتما للحديث والبحث في مناهج تعليم المواطنة والتربية عليها. لقد كانت البنية تصورا جديدا، انتقل بالدراسات الإنسانية والعلمية من ضفة إلى ضفة أخرى، نظرا للمناهج والتصورات غير المألوفة التي حملتها هذه المقاربة، فالمناهج المواطنة مستمدة هي أيضا من المناهج البنوية، وبذلك نعني بمنهج التربية والتعليم على المواطنة هي مجموعة البنى الإنسانية والسياسية والإيديولوجية والأخلاقية والقيمية، وكل المعتقدات الدينية والارث التراثي والثقافي والتاريخي والمصالح الاقتصادية، وكل الكفاءات والأفكار الوطنية التي يجب تعليمها للنشء³. هذا التصور الجديد لمناهج المواطنة يدفعنا للتفتيش عن النصوص والمواضيع التعليمية ذات البعد الوطني في البرامج والمضامين المدرسية، والتساؤل هل فعلا قضية المواطنة تشكل غرضا وهدفا تربويا وتعليميا للمصممين والخبراء والدارسين والمسؤولين عن الشأن التعليمي والتربوي؟ فالتغير الكبير الذي يشهده العالم وغزو العولمة والتكتلات الكبيرة⁴، تدعونا لأن نعطي لمناهج تعليم المواطنة مكانتها في المدرسة، أو على الأقل إعطاء مفهوم المواطنة والوطنية مكانته وموقعه الحقيقي في كل المناهج التعليمية والبرامج البيداغوجية، ويجب التركيز (على الدور المهم للثقافة والتراث الديني والإطار الفلسفي والإيديولوجي في فهم أهداف التربية على المواطنة والوطنية... ويجب عدم اقتصار التربية على الوطنية والمواطنة على الجوانب السياسية فقط، بل يجب أن تمتد إلى الجوانب المدنية والاجتماعية والقانونية والأخلاقية)⁵. حتى نحمي أطفالنا ومجتمعنا من الأفكار المغرضة الواردة من بعض الدوائر العالمية، التي

¹- محمد سلمان فياض الخزاولة وآخرون، نظريات في التربية، ص 215.

²- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص81.

³- المرجع السابق، ص209.

⁴ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p14.

⁵- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص81.

هدفها زرع التفرقة والفتن بين الشعوب، وهو ما حصل لكثير من الدول العربية التي لا زالت إلى اليوم تبحث عن أمنها واستقرارها.

لنا الآن أن نتساءل ما هو تعريف هذه المناهج؟ وماهي أسسها ومبادئها؟ وهل هذه المناهج مستقلة بذاتها أم أنها مناهج مكملّة للمناهج الأساسية؟ أو هي مناهج خفية، تقوم على تقنيات ومبادئ خاصة لا يعرفها إلا المعلم الخاضع لتكوين خاص، والذي بالإضافة إلى دوره في تمرير المعارف والسلوكات المقررة في المناهج البيداغوجي، يقوم على هامش ذلك، بتمرير وتطعيم بعض الأفكار والمعارف والسلوكات الأخرى، ذات الطابع الوطني.

المناهج المواطنة هي سلية المناهج العامة، وهي الأخرى لها عمليات شاملة ومدرسة ومتناسقة ومتداخلة ومتكاملة بين المعلم والمتعلم، ولها وسائل وأدوات بيداغوجية وأفكار ومعارف ومضامين وطرق تعليمية خاصة، لتمرير المعارف وكل التعلمات والسلوكات الخاصة بها، ومساعدة المتعلم على حل مشكلاته التعليمية في المجال الوطني، والتغلب على الصعاب التي تواجهه في الحياة المدنية والوطنية، وإعانة المعلم أيضا على الوصول ببرنامجه التعليمي إلى ابعاد الأهداف والمرامي المسطرة من قبل، وهي غرس قيم ومبادئ المواطنة. المناهج المواطنة هي استثمار المناهج التعليمية العامة في تحويل المعرفة العلمية إلى معرفة وطنية، وإلى عادات اجتماعية مستمرة بين الأجيال، (يسعى البشر إلى التنظيم والتعميم عبر الخبرات بشكل تكتيكي، من خلال الأدوار والتمثيل في صيغ متعددة الرموز، أو بربط يقوم به من خلال الخبرة)¹، هكذا تتحول التعلمات إلى عادات اجتماعية متواصلة، وإلى سلوك اجتماعي وطني يبيده المتعلم، سلوك يترجم علاقة الحب والود والغيرة الموجودة بين المتعلم ووطنه، وتراعي هذه المناهج (تعريف الطلبة بعناصر التراث الثقافي في مجتمعهم، مساعدة الطلبة على فهم التراث الثقافي وتكوين الاتجاهات الإيجابية نحو ثقافة أمتهم)²، تعريف الطلبة بتاريخ بلدهم وبطولات أسلافهم.

¹ - محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص 216.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 138.

تعمل المناهج الوطنية على نشر ثقافة المواطنة التي تعتبر هي المسؤولية على تكوين متعلم وطني واعى بقيمة الوطن وبالرموز والمبادئ الوطنية، يحب وطنه ومجتمعه ومحيطه وبيئته، فخور بعاداته وتقاليده وممجدا لانجازات وبطولات أبناء وطنه وأمتة، معتر بتراته وبتاريخ بلاده وثورتها وأبطالها. ولتوفير هذا الوضع من التعليم يجب أن نراعي العلاقة الموجودة بين (الديمقراطية والتعليم والمدرسة، وفاعلية المبادئ والقيم الديمقراطية في العملية التربوية من أجل حياة أفضل، وأهمية استغلال غرفة الصف لإعداد مواطن المستقبل الديمقراطي، والذي يكون مواطنا فاعلا في المجتمع)¹. ويهتم المختصون في الشأن التعليمي والتربوي (بإعداد وتشكيل المواطن الصالح لأهميته في بناء المجتمع وتنميته، وتلعب المناهج دورا أساسيا في إعدادة وتشكيل شخصيته...حيث تقدم دروسا وموضوعات هادفة، من أهمها المشاركة الإيجابية الفاعلة الدالة على المسؤولية الوطنية وترسيخ وتنمية قيم المواطنة لتطوير الحياة ورفاهيتها والمحافظة على المكتسبات الحضارية)².

إن أسس ومبادئ مناهج التربية والتعليم على المواطنة هي أولا المواطنون ممثلين في المعلم والمتعلم وثانيا الوطن ممثلا في المضمون والمحتوى والنصوص، وفي كل المشاعر والمعارف المترجمة إلى تعلّات وطنية، من خلال البرامج البيداغوجية والمضامين الواردة في الكتاب المدرسي، ومن خلال نشاطات التربية داخل المدرسة وفصائها، والسلوكات العامة في المحيط وفي حدود المجتمع والأسرة، وطبعا لا يمكن الحديث عن هذه المناهج كمناهج أساسية واضحة ومحددة، لكنها توأمت المنهج التربوي البيداغوجي العام التي لا بد منها، لصناعة لحمة وطنية بعيدة عن كل المزايدات والفتن والأفكار المغرضة، الهادفة إلى التفرقة ونشر العنف والفوضى في المجتمع وداخل الوطن، إذن هي مضامين بيداغوجية لا بد منها ضمن المناهج الأساسية، والتي يجب بثها من خلال المواد المخصصة لذلك، ككتاب القراءة والتاريخ والتربية المدنية والوطنية، وهي تستند إلى النظريات نفسها التي تستند إليها المناهج المعروفة، وتستعمل الطرق نفسها.

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص85.

² - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص82.

سيطرة الاقتصاد ورؤوس الأموال على كل مناحي الحياة الإنسانية، ساهم في ظهور بعض المناهج التعليمية ذات الطابع الاقتصادي، والتي تهدف إلى جعل المدرسة مؤسسة اقتصادية إنتاجية قائمة بذاتها، أو هي مصنع له خصوصيته المحددة ونوعية إنتاجه، إنها محاولة (لنمذجة وإخضاع الأنظمة التربوية، للنموذج الاقتصادي المؤسستي، ولمؤشرات النوعية التعليمية، وهو ما يعكس تقارب فكرة المدرسة من المصنع أو المؤسسة الاقتصادية، فتخضع هنا عملية التربية والتعليم لمنطق اقتصاد السوق)¹. وتبتعد عن المعاني الإنسانية والاجتماعية التي وضعت لأجلها، فالتعليم والتربية من الظواهر اللصيقة بالإنسان، الذي يعتبر عنصرا هاما في تكوين المجتمع والحضارة الإنسانية في إطار الدولة أو الوطن الكبير، لهذا أصبح من الضروري التنسيق بين كل الأطراف التي لها يد في العمليات التعليمية التعليمية من بعيد أو من قريب.

وتركيز البحث في المناهج والأساليب التي يعرف بها المتعلم وطنه ويحبه ويدافع ويغار عليه ويعتز به، (ومن الأسس التي ظهرت حديثا، والتي ينبغي أخذها بعين الاعتبار في بناء المنهج، هي الاتجاه الديمقراطي الذي يؤكد على حرية الإنسان، وحقه في إبداء الرأي واختيار الأساليب والأنماط التي تلائمه، من دون المساس بحريات الآخرين، لقد اخذ هذا الاتجاه طريقه إلى التربية وصار على المنهج بوصفه وسيلة التربية أن يراعي في أهدافه ومحتواه وعملياته مبدأ الديمقراطية)². (وتؤكد الدراسات...في الديمقراطية على ضرورة تزويد المعلمين قبل الخدمة بالتربية المدنية والوعي السليم بالديمقراطية، ليساهموا في تعميق المفاهيم والممارسات الديمقراطية في نفوس الطلبة، وضرورة التغلب على التحديات والصعوبات التي تواجه المعلمين في المدارس وتعميق تطبيق وممارسة الديمقراطية)³. وكل هذا لا يتم إلا من خلال البرامج البيداغوجية والمناهج التعليمية التي تأخذ في الحسبان رموز الدولة ومبادئها وقيّمها وبطولاتها وإنجازاتها وأبطالها، دون أن ننسى تاريخها وتراثها وعاداتها وتقاليدها، ولا يمكن الحديث هنا عن مناهج تعليمية صرفة للمواطنة، ولكن نتحدث عن مناهج تمس بأشياء وطنية، وتجعل من التربية والتعليم ظاهرة تعليمية تربوية اجتماعية

¹ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p14.

² - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص142.

³ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص ص 84-85.

وطنية وتراثية جامعة وشاملة، تساهم في تكوين جيل من الناشئة متشبع بالمبادئ الوطنية والتراث والثقافة المحلية ومتفتح على كل الثقافات العالمية، محب لوطنه ومدافع وغيور عنه، ويعمل على تحضره وتطوره ورقيه.

6- إصلاح وتطوير المناهج التعليمية في الجزائر: تأتي أسباب الإصلاح

والتطوير في المناهج، لعجز وقصور المناهج المعتمدة على تقديم البديل التعليمي، أو نظرا للمشاكل والعراقيل المسجلة في المجتمع، أو نظرا لتطور العصر وتغير المفاهيم التعليمية ونقص الجودة التربوية. أو هي بسبب غزو ظاهرة العولمة والتطور الكبير تقنية المعلومات والاتصال¹. إنه من أهم خصائص العلم النسبية في كل شيء، فلا معارف مطلقة ولا نتائج نهائية، وكل شيء يجب أخذه بنوع من التحفظ، ويجب النظر إليها دائما بعين ناقدة شاككة، فحقائق اليوم ليست حقائق الغد، المعرفة ليست مطلقة ونهائية، فهي قضية مطاطية قابلة للتغيير وللتجديد، والمناهج التعليمية هي الأخرى خاضعة للتطور والتغيير والإصلاح وللحذف والإضافة من زمن لآخر. (تتأثر النظم التربوية والتعليمية في العالم بالظروف الاجتماعية والحضارية، وهي إما نتيجة التطور البطيء المتراكم على مر السنين، أو نتيجة لتغيرات جذرية وسريعة، أو نتيجة للرغبة في الإسراع بعملية التغير والتحول الاجتماعي، أو نتيجة قوى خارجية مفروضة على البلاد تتحكم بها بهدف السيطرة الاستعمارية)²، وهذه التغيرات والتعديلات تدخل دائما في باب الإصلاح والتجديد التربوي والتعليمي. (ومن أهم مداخل الإصلاح بشكل عام وبالأخص الإصلاح الثقافي هو "مدخل الإصلاح التعليمي والتربوي"... وهو إتاحة الفرصة كاملة لطاقات الإنسان المبدع على العمل والحركة دون قيود ثقافية أو إدارية أو مادية، واعتماد مدخل الإصلاح التربوي والتعليمي هو اعتماد في ذات الوقت لمدخل الإصلاح الثقافي كأحد مداخل الإصلاح)³ الوطني الشامل الذي ينشده جميع الفاعلين في العملية التعليمية.

أسباب كثيرة تدفع المسؤولين والمختصين والباحثين في الشأن التعليمي لتغيير المناهج التعليمية وإصلاحها وتكييفها بما يتماشى ومتطلبات العصر، وبما يحافظ على هوية

¹ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص ص 84-85.

² - المرجع السابق، ص 239.

³ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص 13.

وثقافة المجتمعات، وبما يرفع مردود وجودة مستوى التعليم، ويحمي الطبقة الناشئة من الانحراف والحيث، والانصياع إلى الخطابات الهدامة والأفكار الضيقة التي تنادي بالتفرقة والعنف والفوضى. وما يجب التأكيد عليه أن يعي القائمون على الإصلاحات المنهجية، خطورة تلك الإصلاحات إذا كانت تهدف إلى (إحداث قطيعة ابستمولوجية مع التاريخ والحضارة، في بنائها للأجيال اللاحقة، أو إلى إقامة جدار صيني بينها وبين المرجعية القاعدية للشخصية الوطنية... وإن كل الإصلاحات المبنية على هذا الأساس ستصطدم بمناعة حضارية أقوى، قوامها الأسرة والمجتمع والمدارس القرآنية والرواية الشعبية والمرجعية¹ الوطنية، وهي القيم والمبادئ المتأصلة في المجتمع والأمة الجزائرية. (فمن أهم مهام المؤسسة التربوية... إعداد برامج دراسية تعنى بدراسة الأثر السياسي على التربية وتفهمه بما ينسجم مع المصلحة العامة للوطن وللمواطن)².

إن ما شهده العالم العربي فوضى وعنف الثورات، أدخلها في دهاليز مظلمة من العنف والحروب الأهلية، التي مازال كثير من الدول تعيشها إلى اليوم، والتي قضت على كل بناها التحتية وانجازاتها ومكتسباتها، طرح مشكل الخلل في التربية على المواطنة في المناهج التربوية المعتمدة فيها، ويدعو إلى ضرورة المراجعة الدورية لهذه المناهج، فتلك الدول التي عرفت حالات اللااستقرار كانت تعاني من خلل في المواطنة وفي الفهم الجيد لمقومات الأمة، أو أنه كان هناك غياب لتقييم ومتابعة مناهج التربية والتعليم. وهو ما منح الفرصة وفتح المجال لذوي العقول الضيقة في السيطرة على فكر الشباب وتوجيهه لسبل الكره والضعينة (والرغبة في إيذاء الناس... ورغبة الاحتقار والخوف، لأننا بتعليم الضعينة نضفي على العنف شرعية وتبريرا، وعندما نعلم العنف فهو الوسيلة الوحيدة المجدية لتدمير أسس الديمقراطية)³، فالفتن والتعصب والتطرف هي إفساد للعقول وللترربية والتعليم على الوطنية والمواطنة. والجزائر لم تكن في معزل عن هذه التطورات، فقد عرفت هذه الظواهر في العشرية السوداء، لكنها تداركت الأمر وقامت بإصلاحات كبيرة في الجانب التربوي والتعليمي والسياسي والاجتماعي، وهو ما حفظها وأبعدها عن موجة الرياح والأعاصير

1 - أ. فضيل إبراهيم مزاري، الإصلاحات التربوية وإشكالية إعادة إنتاج الشخصية الوطنية، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، السنة: 26، مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد: 26 أوت 2016 الموافق لـ 23 ذي القعدة 1437، ص 4.

2 - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 244.

3 - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص 16.

الفوضوية والمدمرة التي عرفتھا بعض الدول العربية والتي مازال البعض يتخبط في نتائجھا إلى اليوم هذا بدون أمل في الأفق.

وقد لجأت الجزائر منذ الاستقلال إلى الإصلاح والتغيير في مناهجھا التعليمية، من التعليم الموجه التلقيني القديم الموروث، إلى المدرسة الأساسية والمقاربة بالأهداف ثم المقاربة بالكفاءات، وهي المقاربة المعتمدة إلى اليوم مع بعض التغييرات منذ سنة 2000، والتي مست تسميات بعض المواد أو حذفھا أو دمجھا في مواد أخرى، وتغيير في عدد سنوات التعليم في الأطوار المختلفة، كما مست التغييرات الأفكار والمعارف، وأساليب تقديمھا وطرق تمريرھا للمتعلّم. والسؤال المطروح هو: هل أخذت هذه التغييرات والإصلاحات التي عرفتھا المنظومة التربوية الجزائرية منذ 1962 قضية الوطنية والمواطنة بعين الاعتبار، وهل كانت هذه القضية مأخوذة مأخذ الجد بين الخبراء والباحثين؟ أم أن التغيير الذي كان يمسها كان يقتصر على تغيير الاسم فقط من مادة التربية الوطنية إلى مادة التربية المدنية والاجتماعية، أم أنه كان يتم تضمينھا في مواد أخرى من البرنامج.

(الإصلاح التعليمي والتربوي يشير عادة إلى عملية التغيير في النظام التعليمي، أو في جزء منه نحو الأحسن، وغالبا ما يتضمن هذا المصطلح معاني اجتماعية وإقتصادية وسياسية، بل أن بعض علماء اجتماع التربية يعرفون الإصلاح التعليمي والتربوي الحقيقي بذلك الإصلاح الذي يتضمن عمليات تغيير سياسية وإقتصادية واجتماعية)¹. (فمن المؤكد أن التربية تتأثر أهدافھا ونظمھا ومناهجھا باختلاف العوامل الاقتصادية والاجتماعية، وأهمھا السياسية باعتبارھا المسيطرة على مسيرة المجتمعات)²، إذن فالتغيير في المناهج التربوية والتعليمية يجب أن يمس كل الميادين، ويمس كل ما له صلة بالعملية التعليمية من قريب أو من بعيد، فهو أولا يمس إسم الوزارة الوصية والتشريعات الوطنية الخاصة بالتربية والتعليم، ويمس طبيعة ودور ووظيفة المعلم والمتعلم وتوضيح الحدود بينهما، ثم يمس البرامج والمضامين والمحتوى المعرفي والعلمي المقترح والمعروض للمتعلّم، ويمس الطرق والوسائل البيداغوجية، والكتب المدرسية، والأحجام الساعية لكل البرنامج التعليمي. فهو دائما يكون نتيجة الاهتمام الكبير بالعنصر البشري سواء كان المعلم أو المتعلم، فالكل فهم أن

¹ - المرجع نفسه، ص17.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص261.

الاستثمار الحقيقي هو الاستثمار في العنصر البشري، وهو الانسان الوطني الذي يحب وطنه ويشعر بالولاء والانتماء له ولأمتة ولمجتمعه، والعمل على خدمة الوطن والدفاع عنه، والحفاظ على انجازاته وصيانتها وحمايتها.

أما أسباب تغيير المناهج في الجزائر فهي كثيرة، أولها التقارير الدورية والسنوية التي يعدها المفتشون من خلال تقييماتهم ومتابعاتهم وزياراته للمؤسسات التربوية، ومن خلال النتائج السنوية لكل الأطوار التعليمية في الجزائر (الابتدائي، الإكمالي، الثانوي)، فيتم ربط كل ذلك بالمردود الفعلي على مستوى الفصول المدرسية، ومن خلال نتائج الامتحانات النهائية للأطوار التعليمية. وهناك أسباب أخرى منها السياسية والاقتصادية المالية، وأسباب ثقافية اجتماعية، يفرضها تطور ورقي حياة الإنسان، وتفرضها المفاهيم وأنماط الحضارة الجديدة، والهدف من هذه التغييرات دائما هو حماية المجتمع والفرد من الثقافات الغريبة عن المجتمع الجزائري والتي تهدف إلى نشر الفوضى والعنف داخل الوطن. لكن في الآونة الأخيرة أصبحت أسباب تغيير المناهج واحدة في جميع دول العالم، فكل الإصلاحات والتجديدات التربوية والتعليمية والثقافية، تمس دائما إحدى هذه المجالات (فلسفة التربية أو الأهداف أو الغايات أو الاستراتيجيات أو السياسات أو المعارف والقيم المراد بثها في عقول ووجدان الطلاب)¹. وهذا كله نتيجة للعولمة، ونتيجة لتطور وسائل الاتصال الالكترونية كالشبكة العنكبوتية، ووسائل التواصل الاجتماعي، وكل الوسائل الالكترونية الأخرى. بالإضافة إلى تأثير تلك الوسائل اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا وسياسيا وتربويا على الشعوب وعلى المجتمعات، ودور بعض المنظمات العالمية، كاليونسكو واليونسيف ومنظمة التربية العالمية، وتدخلها في السياسات التربوية والإصلاحية للدول ومراقبتها، لأن كثيرا من الدول ونتيجة لعجزها الاقتصادي والمالي، تلجأ إلى هذه المنظمات لتمويل مشاريعها التربوية والتعليمية، فتفرض عليها كثيرا من الشروط وتراقبها.

بالإضافة إلى العمل التطوعي والخيري الذي تقوم به تلك المنظمات وترعاه في كثير من دول العالم خاصة في إفريقيا وآسيا وفي أمريكا اللاتينية، العالم اليوم يسير نحو الإنسانية العالمية الواحدة والتي تشترك في كل شيء من الشرق إلى الغرب ومن القطب

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص ص 17-18.

الشمالي إلى القطب الجنوبي، وتسير نحو تحطيم الحدود التقليدية، والقضاء على الثقافة المحلية والاقليمية، وبهذا يصبح تراث وتاريخ كل الدول معرضاً لخطر الزوال، والذوبان في بوتقة العولمة، وهو ما يؤثر مباشرة على مقومات المواطنة وعلى المبادئ والرموز الوطنية لكل الدول والمجتمعات، فأكبر تحد تواجهه مناهج التربية والتعليم في كل الدول.

7- أهم معوقات تطوير المناهج التعليمية في الجزائر: من أهم ضروريات

المنهج التعليمي، وجود مشروع التخطيط التربوي لبنائه وتطبيقه، والذي يتم (فيه رسم وتحديد الخطط، التي يجب إتباعها في توجيه النشاط البشري، لتحقيق نتائج مرغوبة... ويستوجب إتباع أسلوب التخطيط المنظم المناسب للفلسفة الاجتماعية)¹ والتربوية، التي في حدودها يتم التغيير والإصلاح والتطبيق. لذا تسعى كثير من المنظومات التربوية في العالم إلى تحيين مناهجها التعليمية والتخطيط لإصلاحها وتطويرها، وتشجيع كل الدارسات الاجتماعية والانسانية الهادفة للإصلاح، وتجديد سياساتها المدرسية وإعادة النظر فيها ومراجعتها بشكل عام لا يستثني جانباً من العملية التعليمية، وفق المشاكل والاختلالات التي تعاني منها. وذلك كله من أجل تعزيز وتحقيق الأهداف المسطرة، والحرص على تعليم وتمرير (المعارف والقيم المحررة من كافة القيود وأشكال العنف والتمييز الثقافي والاجتماعي، وعدالة توزيعها على الجميع وارتباطها بالواقع المعيش)². فتسعى كثير من الدول المعروفة بالهجرة الكبيرة، والتي تعرف تنوعاً ثقافياً وتراثياً وتنوعاً في الأجناس والأعراق والأديان، مثل الولايات المتحدة وكندا وأستراليا، للقضاء على مشاكل الاندماج الاجتماعي لهذه الشعوب المختلفة التي تجمعها فقط هذه الأوطان، وذلك من خلال ضبط مناهج تربوية اندماجية خاصة بتلك الشعوب، لتعزيز تلاحم ووحدتها وتحقيق اندماجها وحبا للوطن الذي تعيش فيه، فتقوم من خلال المناهج التعليمية بضمان جميع حقوق الأقليات في المواطنة المدنية والاجتماعية والسياسية والعمل على تطويرها.

ترتبط المنظومة التربوية في أية دولة من الدول بالمنظومة السياسية وبالفكر الأيديولوجي السائد، فهو الذي يلقي بظلاله على كل عملية إصلاح، لذا يجب أن يكون هناك توافق وانسجام بين النظامين السياسي والتربوي، بل أن السياسي هو من يصنع التربوي فهو

¹ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص75.

² - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص18.

انعكاس لأفكاره وتوجهاته، (ولا شك أن المشاكل التربوية والتعليمية تكتسب بعدا سياسيا في المقام الأول، من هنا فإننا نعتقد أنه توجد صلة بين النظام السياسي للمجتمع وأنماط التربية التي يستخدمها أثناء تعليمه)¹، (وتلجأ أغلب الحكومات... إلى احتكار التأليف المدرسي ... فلا تقرر إلا الكتب التي تشرف على تأليفها وزارات التربية والتعليم، ولا تفسح -إلا نادرا- المجال للاستفادة من أعمال دور النشر الخاصة)²، وذلك (لحرص القوى السياسية على إبقاء نظم التعليم الرسمية تحت سيطرتها، فهي مازالت تريد لها سلاحا أيديولوجيات لإحكام قبضتها على جماهير مواطنيها وجعلهم أكثر انقيادا وإذعانا)³. وتتضح العلاقة الكبيرة بين التربوي والسياسي عندما يتعلق الأمر بالوطنية وبالمواطنة والقيم والمبادئ والرموز، فإن الحضور السياسي في هذه القضية مطلوب بقوة لتدعيم الإصلاحات ودفعها، وتقريب المؤسسات الوطنية وهيئات الدولة من المدرسة، لأجل بناء شخصية المتعلم اجتماعيا، ثقافيا وأخلاقيا وسياسيا ووطنيا، ولترسيخ القيم الوطنية، وتعزيز السلوك الوطني الذي يعبر على المواطنة الصحيحة، وتشجيع تعليم المبادئ التي تشجع على زيادة الولاء والانتماء للمجتمع وللوطن، وتحث على التضحية من أجل الوطن والدفاع عنه، والتمتع بروح المسؤولية واحترام القانون والعمل به، واحترام المؤسسات والسلطات، واحترام الثقافات المحلية وتنوعها، وزيادة الوعي بالمشكلات الوطنية والمساهمة في حلها، والمساعدة على تنمية الميول والرغبات والمبادئ والقيم للمتعلمين بما يتوافق مع القيم الوطنية والحضارية للمجتمع وللأمة وللوطن.

التربية على المواطنة هي إحدى أهم الأهداف التي تسعى المنظومة التربوية الجزائرية إلى تحقيقها، ودمج المفاهيم الوطنية وتلك المتعلقة بالمواطنة في السياسات التعليمية من خلال المدرسة، عن طريق وضع مواد ومقاييس خاصة بها، أو تضمينها في المحتوى الدراسي على شكل نصوص ومواضيع ومعارف وقيم ومبادئ وسلوكات لها علاقة بالوطنية والمواطنة في مواد ومقاييس أخرى، ليستفيد منها المتعلمون في جميع الأطوار. لقد كانت العملية التعليمية التعلمية حاضرة في صميم التفكير والاهتمام من الجهات الوصية، تتطور وتتغير وتتجدد وتتوسع وفق ما يفرضه تطور العصر، ووفق تطور حاجات المتعلمين

¹ - المرجع نفسه، ص 14.

² - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص 117.

³ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص 97.

واهتماماتهم، فمتعلم الأمس ليس كمتعلم اليوم. لكن معوقات كثيرة تواجه تطوير المناهج التعليمية في الجزائر، وعلى المنشغلين بالشأن التربوي والتعليمي والبيداغوجي أخذها بعين الاعتبار، ومن أهم هذه المعوقات ما يتصل بالمناهج التعليمية نفسها فهي مناهج متغيرة ومتجددة بطبيعتها لارتباطها بطبيعة الإنسان الذي يعرف تطورات وتغيرات كبرى في مسار فكره وتنظيم حياته وتطويرها، بالإضافة إلى تغير ظروف البيئة والمحيط المدرسي والأسري بصفاتها الميدان الذي تستثمر فيه كل المشاريع والسياسات التعليمية. مشكلة أخرى أيضا تعاني منها عملية تغيير المناهج وتقويمها في الجزائر وهي مركزية القرار، حيث تخضع كل المؤسسات التربوية للوزارة الوصية، فتراقب معلميهما وتتحكم في تمويلاتها، لكن تبقى سلطة الدولة مطلوبة، ومن الصائب أن تتدخل وأن تفرض مراقبتها، خاصة إذا تعلق الأمر بالدول السائرة في طريق النمو مثل الجزائر¹، لكن يجب أن يكون هذا بطريقة مرحلية حتى تتمكن المؤسسات التربوية من التحكم في أمورها وفرض سيطرتها، فرغم الجوانب الايجابية الكبيرة لهذه المركزية من خلال التحكم في العملية التعليمية التعلمية وهيكلتها ومراقبتها، إلا أنه من شأنها أن تساهم في تعطيل وتأخير عمليات التجديد والتغيير على المستوى اللامركزي.

بالإضافة إلى شساعة رقعة الدولة الجزائرية فهي تعد أكبر دولة في إفريقيا، وهذا أيضا من شأنه أن يعيق مشاريع النهوض والتغيير والمتابعة والمراقبة والتقييم والتعميم، ويعزز ذلك أيضا (تقليدية البنية المعرفية... يبدوا في سياقها وكأنها عملية تحصيل لمجموعة من المعارف والعلوم الجامدة في شكل قوالب جاهزة للتلقين لا تتطلب سوى عملية الحفظ)²، بالإضافة إلى تأخر عملية رقمنة المنظومة التربوية، وقدم شبكة الاتصال السلبي في الجزائر، والمشاريع المحتشمة والبطيئة في تجديدها، (وسطحية وبدائية وسائل وآليات الإيضاح والبرهنة المتبعة التي لم تستفد إلا نادرا من الإمكانيات الفسيحة التي وفرتها الثورة التقنية الجديدة، خصوصا الأدوات المعلوماتية والالكترونية التي غيرت جذريا "الوسائط المادية للكلام" وبلورت أطرا جديدة للمعرفة تتميز بالثراء والطرافة والقدرة على التجدد)³.

¹ - ينظر: شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص15.

² - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص122.

³ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص116.

دون أن ننسى مشكل انقطاع الصلة بين الواقع التعليمي والواقع الاجتماعي¹ وغياب الاتصال الأفقي والعمودي، وعدم تفعيله وتعزيزه بين المعلمين والمتعلمين، وبين الطبقة التعليمية المنفذة والطبقة التعليمية المخططة والمصممة على المستوى الأعلى، ونقص قنوات الاتصال بينها على مستوى الملتقيات والندوات والدورات التكوينية. فعلماء التربية يهتمون اليوم (بتطبيقات الاتصال في ميدان إدارة المؤسسات التعليمية على وجه أفضل، وتشكيل المواقف التعليمية التعليمية في بيئة تفاعلية تستطيع تحقيق أفضل المخرجات التي تسعى إليها المناهج الدراسية، بما يحقق بناء الإنسان من النواحي النفسية والعقلية والبدنية. بل إنهم يعدون انتقال الخبرات عبر الأجيال المتعاقبة وتراكمها، وتداول القيم والاتجاهات والمعارف عبر الزمان والمكان، باتجاه الارتقاء بالتربية ونواتجها، التي هي ثمرة التشابك بين النظرية والتطبيق، وبين علوم الاتصال وعلوم التربية)². ويجب إطلاع جميع المعلمين والأساتذة على جديد المناهج والطرق والتحكم في الوسائل التعليمية واستعمال التكنولوجيا والرقمنة في العملية التعليمية، ويجب إعادة رسكلتهم وتكوينهم وتحسين معارفهم الأولى وطرق ووسائل عملهم، حتى يقبلون على العملية التعليمية بحماس ودراية، وتشجيع وتنميين عمل المجددين والمبدعين في العملية التعليمية، عن طريق الجوائز والترقيات في سلم الترتيب، فالمعلم هو الآخر يحتاج إلى تشجيع فهو المتعلم الخفي في مجال المنهج والمعرفة المتواصلة، إنه لا يقوم بعملية التدريس فقط بل يقوم بإكساب المتعلمين المعرفة والسلوك وطريقة العيش، ورسم شخصياتهم وبنائها، ودفعهم للعمل والنجاح في الحياة.

من المعوقات الأخرى نقص الأظرف المالية الضرورية، فرغم أن ميزانية وزارة التربية في الجزائر هي الميزانية الضخمة بالمقارنة بالوزارات الأخرى، إلا أن كثير من المدارس لازالت تتخبط في مشاكل مالية، وتظهر هذه المشاكل في نقص الحافلات ووسائل النقل المدرسية، بالنسبة للمتعلمين الذين يقطنون في مناطق نائية، أو نقص الهياكل الداخلية وقدمها وتهللها لإيوائهم على مستوى المؤسسات التربوية، بالإضافة لمشكل الإطعام حيث تعاني كثير من المؤسسات من نقص الهياكل المطعمية، ومشاكل تمويلها

¹ - ينظر: المرجع السابق، ص121.
² - حارث عبود، الاتصال التربوي، ص29.

والموظفين المؤهلين للعمل بها، هذه هي المشاكل الأساسية التي تعيق تطبيق السياسات التربوية وتكوينها، دون أن نتكلم عن المتابعة الصحية المدرسية والرياضة المدرسية التي لها آثار إيجابية كبير على صحة المتعلم ومستقبله وتحسين الأداء والمردود، وخلق نوع من الترفيه والتسلية للمتعلم، وشحن قدراته نفسيا وفكريا في عملية التعلم.

من المعوقات الأخرى أيضا هو اعتماد المنظومة التربوية الجزائرية في كل عملية إصلاح على (أحادية المعرفة وعلى سلطة المعلم والكتاب المدرسي...لذا فكل تطوير وتعديل للمنهج لن يكون مجديًا إلا إذا تم ... في سياق سيادة الروح الديمقراطية، بدءا بترسيخ قيمة نسبية المعرفة، ومرورا بتنوع سلطة المعلم واعتباره موجها ومرشدا للعملية التعليمية، وانتهاء بسيادة روح الديمقراطية داخل وخارج جدران المدرسة، باعتبار المدرسة مجتمعا صغيرا، تنعكس فيه بشكل أو بآخر العلاقات الاجتماعية والسياسية التي تتم خارج جدران المدرسة)¹. بالإضافة إلى (غلبة التقليد وضعف روح الإبداع، واللجوء في الغالب للترجمات السهلة والاستنساخ الجاهز دون بذل جهد يذكر في الإعداد التوثيقي والتألفي الجاد...وهي العملية التي تتطلب جهدا كبيرا من المتابعة المنتظمة للاكتشافات والدراسات الجديدة)²، وخاصة إذا تعلق الأمر بإصلاح وبناء المناهج. يلي تلك المعوقات عدم الاستقرار على منهج واحد، (وضبابية وغموض الخلفيات النظرية والفكرية...بحيث لا تتجاوز هذه الخلفيات في العادة القيم السلوكية والأخلاقية العامة، من دون العمل على شروط ومعايير التنشئة الاجتماعية)³العصرية، وإهمال التنشئة الوطنية والسياسية والإيديولوجية الضرورية لبناء شخصية المتعلم.

تعاني المنظومة التربوية الجزائرية من تعدد الرؤى والاتجاهات والتيهان بين المناهج الغربية على تنوعها واختلافها، وهو ما يطرح مشاكل في الفهم وكثرة ظاهرة الإصلاحات وتواليها، ما يؤدي إلى عدم الاستقرار التربوي والتعليمي، فعملية الإصلاح يجب أن تكون على المدى الطويل، بعد دراسة عميقة ودقيقة، حتى نضمن مستقبل المتعلمين وحاضرهم التعليمي ولا نجعل منهم عينات تجارب تربوية. يلي ذلك عدم وعي القائمين على

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص16.

² - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، صص116-117.

³ - المرجع نفسه، ص116.

التطوير والتجديد أن المنهج نظام متشابك تتداخل وتتفاعل فيه كثير من العناصر كالمضامين والطرائق والوسائل والهداف والمرامي وكل النشاطات البيداغوجية، فلا يجب أن يقتصر التطوير على عنصر دون آخر، وإنما يجب أن يشمل كل عناصر المنهج. ويجب تدعيم كل تغيير وكل مشروع مدرسي ببرامج عمل ميدانية مصاحبة واستباقية مبنية على التوعية والتحسيس، بالإضافة لغياب رؤية متكاملة واضحة للعملية التعليمية التعليمية وأهدافها تأخذ في الحسبان علاقة النظام التعليمي بالظروف والمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية العامة¹.

إننا لا نستطيع القول، أن هناك (إصلاحا شاملا، أو حتى إصلاحا ثقافيا يمكن أن يتم في غيبة عن دور واعي ومستنير للمؤسسة التعليمية في مراحلها المختلفة، إن دور المدرسة دور مركزي في تلك القضية)². وتعد عملية التقويم والتقييم من أهم الإجراءات التي يجب القيام بها قبل أية عملية تغيير وتجديد للمناهج، وذلك من أجل ضبط المشاكل والعراقيل لتجاوزها والتغلب عليها والبحث لها عن الحلول والبدائل، وإزالة المعوقات التي تحول دون التطبيق الجيد لعملية الإصلاحات، وترشيد كل الموارد البشرية والمادية المرصودة لعملية التغيير. لأن معوقات تغيير المناهج وتطويرها كثيرة منها ما هو مرتبط بالمعلم وما هو مرتبط بالمتعلم، وما هو مرتبط بالبيئة الأسرية والاجتماعية والمدرسية، وما هو مرتبط بالسياسة التعليمية العليا في البلاد، ومنها ما هو عالمي تعاني منه جميع دول العالم. لكن يجب التأكيد على أن أي عملية إصلاح وبناء للمنهج يجب أن تأخذ في الحسبان (المسح الدقيق لحاجات المتعلمين وميولهم وما يرغبون في تحصيله من المؤسسة التعليمية... والمسح العام لحاجات المجتمع ومتطلبات سوق العمل... وأن يهتم المنهج بالتعليم النوعي لا الكمي، ويهتم بتحسين نوعية التعليم وبالمرونة والقدرة على مواكبة التغيير والتطوير المستمر، وأن يكرس ثقافة الجودة، ويوجه العملية التعليمية إلى الابتكار)³.

8- واقع ومرجعيات المواطنة في مناهج التعليم الجزائرية: بتتبع كل المناهج

التربوية التي تبنتها المنظومة التربوية في الجزائر منذ الاستقلال، لا يمكن أن نجد منهاجا

¹ - ينظر: عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص121.

² - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص19.

³ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، صص119-120.

مواطنيا بآتم معنى الكلمة، ولكن كان هناك المساس بأشياء وطنية في مضامين تلك المناهج، ولم يكن الغرض منها تلقين وترسيخ التربية على المواطنة في المجتمع، وإنما كان الهدف منها الافتخار بالاستقلال والحرية وتمجيد الشهداء، ومرد ذلك لمعاناة الشعب الجزائري من جبروت المستعمر ومعاملاته المشينة تجاه الأهالي، فلم يكونوا بحاجة إلى إعادة تلقين معاني الحرية والاستقلال والعدالة والمساواة والدفاع عن الوطن، فجيل الاستقلال الأول كان قد تشبع بهذه المبادئ والرموز في ظل سيطرة المستعمر، لهذا كانت الأولوية للبناء والتشييد والرقى والتقدم. لكن مع بداية قدم الاستقلال في وقتنا الحاضر، ومع ذهاب جيل الثورة التحريرية وكل الذين شهدوا الحقبة الاستعمارية، وزيادة النمو الديمغرافي في الجزائر، وظهور أجيال جديدة بأفكار عصرية، كان لابد من إعادة التفكير في الأمور الوطنية والتربية على المواطنة، خاصة مع عموم العولمة والتطور التكنولوجي والالكتروني والتواصل، وتقلص المسافات والحدود بين البشر، ظهرت قيم جديدة قادمة من وراء البحار ومن كل حذب وصوب بلا رقيب ولا رادع، تحمل رائحة المساس بالقيم والمبادئ والرموز والوحدة الوطنية، وباللحمة الاجتماعية المبنية على العادات والتقاليد المحلية المتوارثة جيلا بعد جيل، وهو ما بدأ يطرح خلا كبيرا في مجال التربية على المواطنة، فبدأت الدعوة لإعادة بناء المجتمع وفق المبادئ والقيم الوطنية ووقف التراث والثقافة المحلية للمجتمع الجزائري.

لا يمكن الاستغناء عن المدرسة في حالات الإصلاح الاجتماعي للأفكار والقيم، (فالممارسات اليومية للأنشطة المدرسية الصفية واللاصفية يجب أن تكون معبرة على غاياتها الكبرى، وخلق جيل يؤمن بالعلم والعقل ويستبعد الخرافة، ويؤمن بالقدرات اللامحدودة للإنسان وبطاقاته المبدعة طالما هيئت له الفرص والظروف المساعدة على النمو والتقدم)¹. لقد بدأت في الجزائر محاولات التغيير والإصلاح التربوية والتعليمية بشكل جذري وجاد بداية من الثمانينات في الفضاء المدرسي، وأخذت أوجها واتساعها مع بداية الألفية الثالثة لتشمل كل المجالات التعليمية البيداغوجية الموسعة، وذلك من خلال المناهج والمضامين المدرسية والبيداغوجية المسطرة والمختارة في المشهد التعليمي خاصة في الطورين الابتدائي والاكاديمي. وفي هذه الإصلاحات الأخيرة فقط، كان التركيز على أهمية

¹ - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، ص19.

المواطنة، وضرورة تربية الناشئة على السلوك الوطني الصالح. وذلك نظرا لمعانات الجزائر من العنف والفوضى والتطرف الديني والفكري والجهوية الثقافية، خلال فترة العشرية السوداء. فكان الدعوة ضرورية لإعادة بناء العقل والفكر الجزائري على أفكار التعايش والتآخي والانفتاح والمصالحة والمواطنة، وجعل التنوع الثقافي والديني في الجزائر عامل وحدة ولحمة، وليس عامل تفرقة وفوضى وعنف. وبهذا نتحد جميعا من أجل بناء هذا الوطن ورقيه وتقدمه.

في ظل التكتلات الكبيرة التي يعرفها العالم، أصبحت التربية على المواطنة ضرورية، للحفاظ على خصوصية الشخصية الوطنية، عاداتها وتقاليدها ومبادئها ورموزها، وحتى نضمن تربية وطنية ومدنية موازية لتعليمية العلوم والمعارف، ورغم أنه لا يمكن إقرار مناهج مواطنة صرفة، إلا أنه يمكن تطعيم المناهج التعليمية العادية وتضمينها أشياء وطنية مدنية وحضرية، وتهيئة الأجواء المناسبة لذلك في المدارس والأقسام، من خلال تجهيزها بالوسائل الضرورية، كالكتب المدرسية وزيادة تكوين المعلمين ورسكلتهم على المضامين الوطنية، والقيام بحملات التوعية والتحسيس بين الأسر وأولياء التلاميذ، (وتوفير الفرص المناسبة لمحيط المجموعة، لتنمية الفهم المشترك للموضوع الخاضع للدراسة، وإقامة بيئة تعلم مناسبة، وتشجيع الطالب على الاختيار والتغيير... وإفهامه أحيانا من خلال مهام تعليمية هادفة استعراضية ممتعة ذات صلة)¹، وهي كالمسرح والزيارات الميدانية والمحاضرات، والأيام الدراسية على مستوى المؤسسات التعليمية.

أما مصادر مضامين الكتب المدرسية ومرجعياتها في الجزائر فهي كثيرة أهمها الدينية، التاريخية، السياسية، والتراثية، نظرا للتراث الجزائري الغزير وللدين الإسلامي الذي يمارسه كل الجزائريين تقريبا منذ قرون عدة، بالإضافة لتاريخ الجزائر الطويل والحافل بالبطولات والانجازات والثورات، التي صنعها الأبطال والقادة الجزائريين سواء قبل الإسلام أو بعده أو في المقاومة الشعبية الجزائرية وحرب التحرير.

1-8/المرجعية الدينية: (الدين هو قمة المعرفة الإنسانية وله مصدران الوحي

والعقل المدرك للأشياء التي خلقها الله تعالى، والتي تقودنا إلى إدراك عظمة الخلاق سبحانه

¹ - محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص 218.

وتعالى والإيمان به)¹. والنصوص الدينية التي تحت على الوطنية والمواطنة كثيرة في القرآن والسنة، وهي تحت أيضا على الأخلاق الحضارية والاجتماعية سواء على مستوى الأسر أو المجتمع أو داخل الوطن أو حتى في العالم بأسره، والدين الإسلامي يفرض على الأولياء وأولوا الأمر تربية الأطفال ورعايتهم والعناية بهم، والسهر على توجيه شخصيتهم القاعدية الوجه الصحيحة منذ الصغر. فالحفاظ على الوطن وعلى المجتمع والأمة يبدأ بحسن تربية الأطفال ورعايتهم جسميا وعقليا وحمائيتهم من الانحراف، وهو ما أمرنا به القرآن الكريم والسنة النبوية من خلال النصوص الكثيرة قال الله تعالى بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾²، ويقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾³، ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما رأى جبل أحد: (عن أنس بن مالك، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلع له أحد، فقال: "هذا جبل يحبنا ونحبه، اللهم إن إبراهيم حرم مكة، وإني أحرم ما بين لبتيها")⁴، ويقول صلى الله عليه وسلم في مكة: (عن ابن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمكة: "ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك")⁵. وتهدف التعاليم الإسلامية والنبوية إلى تكوين متعلمين صالحين للوطن متمسكين بدينهم، ومتشبعين روحيا بتعاليمه ومحبيين من كل المزايدات الدينية أو الأفكار المتطرفة.

2-8/المرجعية التاريخية: التاريخ هو الذاكرة الإنسانية، يرتبط بحوادث أو

ظواهر معينة ومحددة، وظيفته هي نقل تلك الحوادث والحفاظ عليها وتحليلها وتفسيرها بمساعدة علوم أخرى، وتقديمها للأجيال التي لم تشهدها⁶. أما تاريخ الجزائر فهو حافل بالبطولات والانجازات والأحداث، ولم يشهد التاريخ أن الجزائر كانت في يوم ما بلد معتدي، أو أنها خاضت حروبا ضد جيرانها أو غيرهم من الدول الأخرى، لكنه يشهد أن الشعب الجزائري شعب حر ومسال، يحب الحرية والعيش في كرامة، ويعتمد مبدأ احترام الجوار

1 - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص102.

2- سورة البقرة، الآية 126.

3- سورة إبراهيم، الآية 35.

4- الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، المجلد السادس، ص206.

5- المرجع نفسه، ص208.

6- ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص102.

وحق تقرير مصير الشعوب في الحرية والاستقلال، واحترام المعاهدات والاتفاقات السياسية والتجارية المبرمة مع الدول. أما خلال التواجد الاستعماري الفرنسي بالجزائر، قد برهن الشعب على رفضه لكل أشكال التنكيل والتعذيب والاستبداد التي كان يمارسها المستعمر، وبقيت الثورة التحريرية الجزائرية مثالا يحتذى به لكل الشعوب في قضايا التحرر وتقرير المصير وفي تصفية الاستعمار، وهي نموذج للدارسات والبحوث في كثير من الجامعات والمعاهد، ناهيك عن العدد الكبير من الأبطال الشهداء والمجاهدين الذين لازالوا على قيد الحياة، دون أن ننسى علماء الدين والمفكرين الذين أنجبته الجزائر، والذين لم تستفد منهم الجزائر فقط بل استفاد منهم كل شعوب العالم، ان كل هؤلاء الأبطال يكفيهم فخرا أنهم أحبوا الجزائر، ودافعوا عنها بالنفس والنفيس، وضحوا لأجل أن تعيش حرة مستقلة بحريتهم وبحياتهم وبأهلهم وأموالهم. إنهم أمثلة حية ونصوص ناطقة لترسيخ المواطنة وتعليمها للناشئة من خلال البرامج والمضامين البيداغوجية.

8-3/المرجعية السياسية: هناك علاقة كبيرة بين القضايا السياسية وبين

القضايا التربوية، (فالتربية هي تنمية جميع جوانب شخصية الناشئ ليكون مواطنا سعيدا صالحا، وحيث أن لكل مواطن حقًا في أن يكون له دور في سياسة بلده، فلا بد أن يتم تنمية هذا البعد من شخصيته ليلعب دوره السياسي بوعي وخلق ومسؤولية. كما تؤثر السياسة بمبادئها وأهدافها وممارساتها في المجتمع بشكل مباشر على المواطن من كل جانب في حياته، فغذاء المواطن وتعليمه وصحته ورفاهيته مرتبطة بالسياسة... وهذا الأثر العميق للسياسة على المواطن وعلى حياته يتطلب أن يكون له دور في اتخاذ القرار السياسي، ولكي يؤدي هذا الدور السياسي، لا بد أن يكون على فهم ومعرفة بسياسة بلده وبالمبادئ التي تقوم عليها والأهداف التي تسعى لتحقيقها. فالتربية السياسية مهمة، لأنها الأداة التي تعد المواطن سياسيا ليلعب دوره بكفاية وفاعلية)¹ ويكون مواطنا صالحا لمجتمعه ولأمتة، ويكبر على حب الوطن والدفاع عليه. أما فيما يخص المجال السياسي الجزائري، فالنصوص التشريعية الصادرة عن مختلف المجالس الشعبية الوطنية التي عرفت الجزائر كثيرة فيما يخص الحث على الوطنية والمواطنة، دون أن ننسى الميثاق والدستور الوطنيين وكل القرارات والأوامر

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص233.

الصادرة عن السلطات التشريعية والقضائية والتنفيذية، والتي تهدف في مجملها للحفاظ على النظام العام وضمان أمن المواطنين وممتلكاتهم، وأمن الوطن من كل خطر أجنبي أو داخلي. هذه القوانين والتنظيمات والتشريعات لها وقع كبير في استفزاز مشاعر الانتماء والشعور لهذا الوطن ولهذه الأمة، ومن شأنها أن تعود بفائدة كبيرة في تذكير الناشئة ودفعهم لحب الوطن والدفاع عنه والسهر على تطويره ورقبه، وتطبيق كل التنظيمات والقوانين التي تنظم العلاقات الاجتماعية السياسية والاقتصادية بين المواطنين، وتضمن حقوقهم وتحدد واجباتهم ومسؤولياتهم، وتكرس مبدأ العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص بين الجميع.

4-8/المرجعية التراثية: وهي كل منتجات الثقافة الوطنية، والجزائر غنية

بتراثها وعاداتها وتقاليدها، وقد استفاد الشعب الجزائري كثيرا من هذا الأثر العظيم، واستثمره في الحفاظ على عناصر الهوية والشخصية الوطنية، وساعده تنوع التراث الوطني وتعدده في تعزيز المواطنة وتكريسها، و(الانفتاح على الثقافات الأخرى...والحفاظ على علاقات التضامن والتعاون...وتعزيز قيم التسامح والتآخي وقبول الآخر من موقع الاختلاف)¹، فحوّل عامل الاختلاف والتنوع الثقافي واللغوي إلى عنصر قوة وتلاحم بواسطة الالتقاء والإضافة، لا الاحتواء والإقصاء. فتم القضاء على ثقافة الخطابات الضيقة والجهوية والتعصب والفرقة والفوضى والعنف، وحلّت مكانها ثقافة الحوار والتعايش والتضامن والاتحاد وحرية التعبير واحترام الآخر. إن هذا التراث من العادات والتقاليد والتاريخ الشعبي والثقافات المحلية الرائعة، هو أيضا نصوص تعليمية ومضامين تربوية هامة للمواطنة والتعايش بين الجزائريين منذ القديم، وإن وجودها في المضامين والمحتويات والكتب المدرسية يعد سلطة إضافية للطفل (مستمدة من ثقافة المجتمع وقيمه ومعايير الاجتماعية)². وهذا من شأنه أن يؤسس لمناهج التربية على المواطنة والوطنية الهادفة لغرس روح الانتماء للثقافة والمجتمع وللأمة وللوطن، وفرصة لتبيان مبادئ المواطنة والرموز الوطنية، وتنشئة الأطفال/المتعلمين على العادات والتقاليد المحلية والوطنية، وعلى حب الوطن واحترام أنظمتهم وقوانينه، والاعتزاز به والعمل لأجل تقدمه وتطويره. والمساهمة في النقلة النوعية للمجتمع وللوطن.

¹ - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص 298.

² - منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص 18.

غير أن عملية إعادة بعث عناصر الثقافة المحلية والتراث الوطني لا تختص بها الانظمة التربوية فقط، وانما يجب أن تستكمل بعمل قاعدي أفقي يعتمد على تعبئة مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى كالأسرة والمسجد ومراكز التسلية والترفيه والثقافة الخاصة بالشباب، فيجب أن تكون كل هذه المؤسسات على دراية بواجبها تجاه المجتمع والوطن، وعليها أن تساهم في توضيح وشرح الحقوق والواجبات، وضرورة احترام القوانين والتنظيمات والتشريعات الوطنية، والسهر على تطبيقها، والتوعية والتحسيس بضرورة القيام بكل الواجبات الوطنية كواجب الانتخاب ودفع الضرائب والمساهمة في العمل الوطني ذو التعبئة الوطنية، كالحضور للمساعدة في حالات الكوارث الطبيعية مثل الزلازل والفيضانات والحرائق، ومد يد العون كل حسب استطاعته. فتساهم تلك المؤسسات في (تعزيز روح المبادرة لدى الشباب، وإطلاق الطاقات للمنافسة الشريفة في الإبداع والابتكار من خلال الحوافز المعنوية والمكافآت التشجيعية. وتطوير الطاقات الإبداعية والمواهب والملكات الكامنة لدى الشباب في مختلف الميادين العملية والعلمية والفنية وغيرها وتبنيها، وإعطائها فرصتها الكاملة لكي تعطي وتبدع وتطور)¹. والتاريخ يشهد (كيف انتقلت الكيبك الفرنكوفونية من مجتمع زراعي محلي إلى مجتمع علماني وحضاري)²، وذلك ما كان ليكون لو لم تتاح الفرصة لفئة الشباب، ولو لم يتم تحسين التربية والتعليم، والاستثمار في الثقافات المتنوعة للشعوب المهاجرة إلى كندا من بقاع العالم.

التربية على الوطنية والمواطنة عمل يبدأ منذ السنوات الأولى للطفل، ويجب أن يمس ويلمس الأشياء الوطنية في كل الأوساط التي يعرفها في حياته ابتداء من الأسرة إلى المحيط إلى الروضة إلى المساجد ومراكز التسلية والترفيه والثقافة بالمدرسة، الأسرة فهذه المؤسسات الاجتماعية هي الوحدات والخلايا الصغرى، في ترسيخ العادات والتقاليد والأخلاق والمبادئ والقيم في نفوس الأطفال، وتلقينهم آداب التعامل مع الناس، ومختلف السلوكات والتصرفات الاجتماعية والوطنية النافعة للمجتمع وللوطن³، هذه المؤسسات هي التي تحضر الأرضية اللازمة للمدرسة، وهي المسؤولة على طرح نشاطات

¹ - المرجع السابق، ص298.

² - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p153.

³ - ينظر: منى يونس بحري، ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، ص16.

وتدريبات ذات رائحة وطنية، وتحقيق نتائج جيدة فيما يخص التربية على المواطنة يجب أن تتكاتف جهود كل المؤسسات الاجتماعية السالفة الذكر، مع ضرورة التنسيق مع الجهات الوصية والرّاعية للعملية التعليمية سواء على المستوى المركزي أو اللامركزي، لتأكيد وتعزيز كل المعارف والتعلمات والسلوكات التي يتلقاها المتعلم في المدرسة.

أخيرا إذا ما عدنا إلى واقع المناهج الوطنية في المنظومة التربوية الجزائرية، فهي غائبة تماما، ولكن المنظومة التربوية الجزائرية بدأت في اخذ هذه القضية بعين الاعتبار من خلال تضمين المناهج المعتمدة أشياء من المواطنة والوطنية، كما أنها أخذت في تهيئة المدارس وكل المحيط المدرسي بشكل جديد، فأصبح حفظ النشيد الوطني إجباري على جميع المتعلمين والمعلمين، وحضور عملية رفع الألوان الوطنية إجباري هو الآخر على كل العاملين في المحيط المدرسي، بالإضافة إلى تعليق الراية الوطنية، في الفصل، وكذلك إصاق بيان أول نوفمبر والنشيد الوطني على جدران الفصول والمكاتب والإدارات المدرسية. أما الخطوة الجبارة التي قامت بها الدولة الجزائرية فهي إعادة بعث مدارس أشبال الأمة في أغلب ولايات الوطن، وهي خطوة هامة وطموحة في مجال التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، وبداية لتأسيس جيش وطني محترف، والتأسيس لناشئة متكوّنة على أساس الانضباط واحترام النظام العام. وهذا من شأنه أن يخلق نوعا من التنافس الحميد بين المدارس العادية ومدارس أشبال الأمة، وقد رأينا بداية تزايد الاهتمام بهذه المدارس وحرص المواطنين على تسجيل أبنائهم بها، وهي قد تعود بالفائدة على كل الشعب، وكلنا يتذكر تجنيد بريطانيا لكل شعبها في الحرب العالمية الثانية ضد الهجمات النازية، فكيف تصرف البريطانيون وأقبلوا عليها لو لم يكن لهم ثقافة وطنية، ولو لم يكونوا متربين على المواطنة وحب الوطن والدفاع عنه.

9- دور المناهج التعليمية في ترسيخ قيم المواطنة: أصبحت المواطنة نمط

حياة يعبر على الوضع السياسي والوطني العام وعلى التحضر الاجتماعي، كما أصبحت المواطنة في كل بلد أداة تمييز للثقافات والعادات والتقاليد، ووسيلة تواصل وحوار والتقاء بين الأديان والثقافات لكل شعوب العالم، في ظل التطور التكنولوجي والعلمي الذي تعرفه البشرية، وأصبحت تنظم وتعد من أجلها الملتقيات والندوات، وفي صميم عمل وبحث علماء

والدارسين، من أجل قياسها وتبيان المشاكل والعراقيل التي تحول دون ممارستها وتكريسها في المجتمع، والعمل على تمرير وترسيخ السلوك الوطني السوي في المجتمع، وصناعة مجتمع نموذجي يتميز أفراداه بالصالح وحب الوطن والدفاع عنه وعن تنظيماته وقوانينه ومؤسساته الاجتماعية والاقتصادية، والحفاظ على بيئة وحماية محيطه.

تبدي الدول والحكومات اهتماما متزايدا بالناشئة، وتركز بصفة خاصة على (غرس روح المواطنة في نفوس الشباب، والاهتمام بالأجيال وتعويد نفوسها وشحذ وجدانها على القيم والأخلاق الحميدة والمثل العليا، وبناء تطلعاتها نحو استشراف المستقبل وخدمة البلاد)¹، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق التربية والتعليم على المواطنة فهي (الأداة الأكثر فعالية وكفاءة في تشكيل الوعي وتسييد القيم والمفاهيم والأطر العامة من خلال العمليات التي تتم داخل المدرسة بشكل مقصود وهادف أو بشكل غير مقصود ومن خلال ما نسميه في الأدبيات التربوية "المنهج الخفي" وهو مجمل العلاقات الاجتماعية التفاعلية التي تتم داخل جدران المدرسة بصورة عفوية)²، وبات من الأكيد أن تنظيم مسار المتعلمين الدراسي مبني على مسار مؤلف من مجموعة من المناهج الحاملة لكم هائل من البرامج الدراسية³، والمصممة على أساس مجموعة من الأهداف البيداغوجية ذات الأبعاد الوطنية، والتي تراعي التربية على المعاني والمبادئ الوطنية كحب الوطن والانتماء إليه، من خلال تقريبها من مناحي الحياة اليومية للمتعلم، فيجب أن يكون هناك شبه تناسق وتناغم بين المعرفي النظري وبين التطبيقي الحياتي، وربط بين التربية على المواطنة وبيت المضمون البيداغوجي والمعرفي وبين الحياة والميدان والقضايا والمشكلات اليومية الاجتماعية للمتعلم. ثم تأخذ المناهج على عاتقها توفير كل الطرق والأساليب والوسائل التعليمية والأنشطة التربوية التي تحت على تحقيق الأهداف البيداغوجية المتمثلة في ترسيخ قيم ومبادئ المواطنة لدى المتعلمين.

دور آخر للمناهج التعليمية/التربوية يتمثل في الحفاظ على الهوية الوطنية، وحماية الشخصية الوطنية من الاضمحلال والزوال، عن طريق تحيين الثقافة الوطنية

¹ - المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، طارق عبر الرؤوف عامر، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2012، ص46.

² - شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة/مصر، ط1، 2009، ص12.

³ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p48.

والمحلية وفق التطور والرقي الذي تعرفه البشرية ، وهذا من خلال السماح بالانفتاح على الآخر وعلى الثقافات العالمية وتأسيس وتكريس حوار الثقافات وحرية الفكر والتعبير والتأسيس للديمقراطية الاجتماعية والسياسية، والقضاء على الفكر المتطرف وعلى الجهوية والعنصرية بين الأفراد من خلال تعايش الأديان وحرية المعتقد، (وحماية المجموعات الضعيفة، وحقوقها الخاصة المطبقة على أفرادها، وحماية الأقليات الثقافية وضمان حقوقهم المدنية والسياسية الأساسية، بغض النظر عن انتماءات أفرادها وتوجهاتهم السياسية)¹. إن القضاء على النهج المعاكس، وهذا الفكر المتطرف لا يتم إلا عبر المدرسة عن طريق عمل بيداغوجي وتربوي ومعرفي كبير، وهو لا يتأتى إلا من خلال حسن اختيار المنهج وحسن توظيفه وتطبيقه ومتابعته ومراقبته بانضباط كبير، (والاهتمام بتنمية المجتمع وتطويره بهدف تحقيق التنمية الوطنية الشاملة والتقدم في شتى مجالات الحياة الإنسانية وخصوصا في مجالات التنمية السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية والتقنية، وهذا يتطلب صياغة أو إعادة صياغة آليات وأساليب التنشئة الاجتماعية والتنشئة السياسية، بأخلاقياتها وقيمتها ومبادئها المطلوبة والمتوائمة مع احتياجات ومصالح الدولة من خلال التنشئة الوطنية)²، والوصول إلى تحقيق ما يسمى بمشروع مجتمع وطني حر ديمقراطي، مثقف ومتحضر يحب وطنه ويدافع عنه وتأخذ الغيرة عنه عند المساس برموزه أو مبادئه أو تاريخه.

إن شعور الوطنية وسلوك المواطنة (فطرة إنسانية فطر الله الإنسان عليها، ولا ضير أن يخلص الإنسان لوطنه ويحبه ويحرص على سلامته ورقبه ونهضته وتطوره وبلوغه المجد والفخر به، ويتمنى له القوة والعزة)³، ولتحقيق نتائج جيدة في التربية على الوطنية والمواطنة، يجب (تعميق مفهوم المواطنة، لأنه عامل مهم في تعميق الاتجاه الإيجابي لدى الناشئة وتبصيرهم بالواجبات والمسؤولية والتعريف بالوطن ومؤسساته وبيئته وأنظمتها ومكانته والدفاع عنه، فالتربية الوطنية بمعناها الواسع إخلاص وحب وعاطفة جياشة وسلوك وشعور وإحساس وانتماء ووفاء لهذا الوطن)⁴. ويجب الاختيار والتوظيف الجيد للمناهج البيداغوجية المتضمنة برامج التربية الوطنية ومضامين على صلة بمفاهيم

¹ - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p11.

² - أماني غازي جزار، المواطنة العالمية، ص478.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص45.

⁴ - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والوطنية والمواطنة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. كتعميم تدريس مادة التربية المدنية والوطنية لكل المستويات والأطوار، وشحنها بالمواضيع الوطنية كالبطولات والثورات والانجازات الوطنية، والعمل على نشر الوعي الأمني في صفوف المتعلمين للحفاظ على المنشآت والأماكن الوطنية، والتبليغ عن كل ما يمسها بسوء، وإدراج مواضيع خاصة بالتربية المرورية فحوادث المرور أصبحت تحصد ما لا تحصده الحروب في العالم، فنعلم صغارنا لتفادي تهور السواق الكبار ثم أن صغار اليوم هو سواق الغد، فمبدأ احترام القانون يبدأ من الصغر، إنه من الضروري أن يكون المتعلمون على ثقافة مرورية وقانونية، فهذا يساهم في تنمية وطنيتهم وترسيخ سلوكات المواطنة لديهم، ويزيد من تحضرهم وتمذنبهم وثقافتهم بشكل عام، هذا بشكل عام دور المناهج الذي هو في الوقت نفسه دور المدرسة، لكنها (تبقى مشلولة في عملية تعليم المواطنة، إذا اخذ المحيط الاجتماعي والسياسي منحى آخر في التأثير على الفرد ونشر الرداءة، فالمجتمع العام هو المطالب بغرس شعور معنى ولذة أن تكون مواطناً فعالاً)¹.

الأنشطة الاجتماعية والتربوية المختلفة هي الأخرى لها جانب كبير في ترسيخ المواطنة وممارستها، وهي تسمح بخلق نوع من التعايش بين المدرسة واللجان الجموعية الاجتماعية المحلية، بالإضافة لتشجيع الزيارات المدرسية إلى المتاحف والمؤسسات ذات الطابع الوطني، كالمدارس العسكرية ومراكز التكوين الأخرى، والتي عادة ما تسمح بشرح العلاقات التي تربط المؤسسات الوطنية ببعضها البعض، وشرح طبيعة العمل والتنسيق الموجود بينها. تشجيع المسرح المدرسي، وترتيب تمثيلات تمجد وتحاكي البطولات والثورات الوطنية، التي يتقمص فيها المتعلمون أدوار الأبطال والشهداء الجزائريين، تكثيف الرحلات إلى مواقع الآثار والمعارك الثورية والمتاحف الوطنية، عرض أفلام على مستوى المدارس لصالح المتعلمين في المناسبات الوطنية والدينية والتراثية، والتي تتناول أحدث الثورة التحريرية ومختلف العادات والتقاليد الجزائرية، تكثيف المحاضرات والملتقيات والأيام الدراسية ذات البعد الوطني، وجعل المتعلمين وجها لوجه مع من شهدوا الثورة كالمجاهدين والباحثين التاريخيين والحرص على إشراك فئة الأطفال فيها، تشجيع الرياضة

¹ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel ,p184.

المدرسية، وتنظيم دورات تنافسية رياضية والمشاركة فيها خاصة في المواعيد الوطنية، تشجيع المتعلمين على النشاطات التطوعية والمشاركة فيها، حملات التنظيف والتويزة، لتوعية الناشئة بضرورة صيانة المرافق العمومية والطرق والمنشآت وكل المؤسسات الوطنية والإدارية العمومية باعتبارها ملك لكل الجزائريين، وتعزيز التضامن والأخوة والاحترام بين المواطنين. أخيرا المنهج المناسب لترسيخ قيم المواطنة والتربية عليها هو (الذي يشتمل على جميع جوانب الخبرة باتجاهاتها المختلفة فلا يمكن الاكتفاء بالجوانب الايجابية من الخبرة دون الإشارة إلى الجوانب السلبية منها. فالمنهج الجيد هو الذي يسعى لتعزيز الجوانب الإيجابية ويعالج الجوانب السلبية، كما يعمل على التركيز على الجوانب الوقائية التي تكفل عدم الوقوع في الجوانب السلبية)¹.

وعليه لكي تساهم المناهج التعليمية بشكل جيد في التربية على المواطنة، فيجب أن تكون قيم ومبادئ المواطنة وعناصر الولاء للأمة والانتماء للوطن، حاضرة في المضامين والمحتويات البيداغوجية، وفي كل النشاطات ذات البعد التربوي والتعليمي سواء داخل الفصل أو خارجه، ويجب التأسيس لمحيط تربوي يبدأ من الأسرة إلى المدرسة، تلتقي فيه عين المتعلم بأشياء وطنية تدل على قيم ومبادئ المواطنة تثير انتباهه، فتدفعه للسؤال والبحث، فيتكون شعور وإحساس بينه وبينها، يترجم إلى سلوك يعبر به عن حبه لها وتمسكه بها، ويحس بمكانة الوطن في قلبه، ومدى ارتباطه وانتمائه لمجتمعه ومدى ولائه لأُمته وعاداته وتقاليده وتراثه.

10- قياس المواطنة في سلوكات المتعلمين: قياس المواطنة يعني تقويمها

من خلال سلوكات المتعلمين (والتقويم هو العملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة ما يتضمنه أي عمل من الأعمال من نقاط القوة والضعف، ومن عوامل النجاح أو الفشل في تحقيق غاياته المنشودة على أحسن وجه ممكن)²، يقوم التقويم على التشخيص والعلاج. فبعد الحملات التعليمية الكبيرة والمتواصلة التي قامت بها المدرسة الجزائرية منذ الاستقلال، وعمليات الإصلاح والتطوير التي شهدتها المنظومة التربوية الجزائرية، بغرض تحسين

¹ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص ص 47-48.

² - المرجع نفسه، ص 53.

السلوك وخلق جيل وطني يحب وطنه ويدافع عنه، فهل تحقق هذا المسعى في صفوف المتعلمين الجزائريين؟ وهل حققت المدرسة الجزائرية أهدافها المنشودة؟

سيطرت في الآونة الأخيرة مظاهر اللاوطنية أو ما يعرف بالمواطنة الموازية، على سلوكات الشباب في المجتمع، وأصبحت هذه المظاهر تغطي جانبا كبيرا من حياتنا اليومية، فلا نستيقظ إلا على سلوكات مستهجنة ومعادية للمواطن وللمجتمع وللوطن في كل مكان. تأخذ هذه السلوكات أشكالا متعددة ومختلفة من العنف والفوضى، حتى أصبحت مشكلا عويصا يصعب تشريحه وتشخيصه ومعالجته، وقد مست عدواه كل أجناس المجتمع المرأة والرجل، الصغير والكبير، فرادى وجماعات، (وكثيرا ما سجلنا تناحرات وصراعات بين أفراد الأقليات في المجتمع بسبب قضايا تتعلق بالحقوق اللغوية، الاستقلالية الجهوية، التمثيل السياسي، السياسة المدرسية والتعليمية، وأخرى تتعلق بالحدود الإقليمية، وبسياسة الهجرة، وبرموز ومبادئ وقيم الأمة أو بالسلام الوطني، وحتى بأيام الراحة المدفوعة الأجر)¹.

فهذه السلوكات المشينة القائمة على تخريب الملك العام والمسيئة لحياة الفرد والمجتمع والوطن، والبعيدة كل البعد عن هويتنا وعاداتنا وتقاليدينا وتاريخنا، والمبنية على ثقافة الانسلاخ والفتنة والتهديم والحقد، وعدم الاكتراث بالتشريعات والقوانين، وعدم الاعتراف بالقيم والأخلاق، وكثرة الظلم وانتشار الفساد والضعينة بين الأفراد. وقفت سدا منيعا أمام محاولات الإصلاح الاجتماعي، بهدف ترسيخ القيم والمبادئ الوطنية، وارساء سلوكات المواطنة في نفوس المتعلمين والمواطنين. إنها لتدل دلالة عميقة على أن هناك خلا ما في السيرورة الحياتية والتكوينية للفرد وللمجتمع ككل، وهنا تأخذ المواطنة الموازية طريقها في المجتمع وفي الوطن، إن هذا الوضع الجديد غير الحضاري وغير المدني لم يكن وليد الصدفة، بل كان نتيجة مجموعة من الأسباب والعوائق والعراقيل والتراكمات الاجتماعية، ذلك أن التربية والتعليم على المواطنة لها علاقة (بالهوية الثقافية والسياسية وبالطبقة الاجتماعية... لأن المواطنة توحى بمجموعة من المعاني والقيم والافتراضات حول

¹ - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p9.

الأمة والمجتمع السياسي¹ والوطن، وإن هذا الفشل في الحياة هو (نتيجة تراخي وكسل وفشل وتيه وضياح جيلين برمتهما، جيل المعلمين والمربين والمكونين من صناع الخطاب التربوي والتعليمي والقيمي، وجيل التلاميذ والطلبة والمتعلمين، ومن معهم من آباء وأمهات وأسر ومؤسسات اجتماعية متنوعة "مسجد، مركز ثقافي، إعلام.." ومنظومة القيم المتحكمة في المجتمع)².

يمكن قياس الموطنة من خلال المستوى المتدني في المعاملة بين صفوف المعلمين والمتعلمين، وانتشار ظاهرة العنف بعنف بينهم بجميع أشكاله الإداري واللفظي والجسدي والمعنوي، المؤدي إلى الجروح والعاهات المستدامة والوقوف أمام منابر المحاكم. بالإضافة إلى تنامي ظاهرة التسرب المدرسي بأعداد كبيرة في بداية ووسط وفي نهاية العام الدراسي، بفعل تراجع قيمة التعلم والتعليم، وتراجع دور مؤسسات المجتمع المدني القائم على التوعية والتحسيس، من خلال الحضور الدائم والتدخل المفيد لتصحيح الخطأ وجبره والنهي عن المنكر والأمر بالمعروف، فهذا الحضور الدائم والممارسة الفعالة لمؤسسات المجتمع المدني والتي تتمثل خاصة في الجمعيات ولجان الحي والمراكز الثقافية والأسرة والمسجد والإعلام، من شأنه أن يساهم في الحد من هذه الظواهر.

وإذا ما عدنا إلى مسألة قياس المواطنة أو مؤشر المواطنة في المجتمع وفي المدرسة وفي المحيط، فإننا سنعود للحديث عن الممارسة الاجتماعية وهي التي من خلالها تتضح معالم التحلي بالمواطنة، وتمظهراتها في المجتمع، (فالمواطنة هي شكل من أشكال الإنتاج الثقافي ويبغي أن نفهم تشكل المواطنة باعتبارها عملية أيديولوجية نعاين من خلالها أنفسنا، وكذلك علاقتنا بالآخرين وبالعالم في نظام معقد ومتضارب من المصالح والعلاقات)³. ومن خلال هذا التعريف نستطيع الحديث عن نتائج ومخرجات التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة في الميدان والحياة. إنه لا يمكن الحديث عن الفكر الوطني أو ثقافة المواطنة أو قيمة ومبادئ الوطنية، دون النظر في التصرفات والسلوكيات الفردية داخل المجتمع والمحيط العام، فالممارسة هي التي تضيف على المواطنة قيمتها التداولية الفعلية.

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص10.

² - أ.د. أحمد محمود عيسوي، جريدة الشروق اليومي، العدد 5096، بتاريخ: 11 ماي 2016، ص17.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص10.

يبحث الإنسان بالفطرة على شجرة انتمائه (فهي غريزة فطرية، وعادة ما ينسب الإنسان إلى أبيه وأسرته، ومن ثم لوطنه ولعقيدته، ونتيجة لذلك برز نوع من صراع الانتماءات بين هذه الدوائر، تعداه إلى نوع من التوترات والمخاطر على المستوى الأسري والوطني بل والعالمي... لذلك فإن هناك مجموعة من المفاهيم في الساحة الاجتماعية والثقافية غامضة وغير مضبوطة في وعي أفراد المجتمع ومؤسساته، مما يسبب خلافا في الممارسات السلوكية)¹ وهو ما يتجلى من خلال عملية قياس المواطنة، المبنية أساسا على ملاحظة وتحليل السلوكات والتصرفات الفردية للمتعلمين، ومن خلال كتاباتهم الحائطية في المدرسة والمحيط، وهي تعبر بشكل كبير عما يلوج في خواطرهم وفي أعماقهم وعقولهم، وعن المستوى الحقيقي للمواطنة لديهم. يمكن قياس المواطنة من كلامهم أيضا، وذلك بتتبع ظاهرة السب والشتم للوطن وللأمة، وتداول وتكرير الأغاني والشعارات التي تدعو إلى الانسلاخ من الملة، وإلى كره الوطن والاستهانة بالرموز الوطنية، دون أن ننسى ظاهرة تراجع الوازع الديني واعتناق مذاهب تدعو إلى التطرف والعنف والابتعاد عن المذهب الجزائري الموروث من جيل إلى جيل، وظاهرة اعتناق المسيحية التي أخذت تعرف انتشارا كبيرا في أوساط الشباب بكامل التراب الوطني.

تسمح ظاهرة الحرقاة أيضا بقياس المواطنة، فأصبح الكثير لا يعيرون أدنى اهتمام للحياة، فيركبون قوارب الموت عبر البحر المتوسط تجاه أوربا، التي تستقبلهم بالأسر والطرده إلى بلدانهم الأصلية، ورغم هذا يصرون ويكررون أعمالهم متمسكين بالهجرة ومغادرة الوطن. وإن كتب لهم وإن وصلوا أحياء، فإنهم يلجؤون إلى تمزيق وثائقهم وتتصلهم من هويتهم وبلدانهم الأصلية، وهذا كله يدل على خلل في المواطنة. إن ظاهرة الانسلاخ من الوطن ومن الأمة ظاهرة خطيرة، فتمزيق الوثائق الوطنية، يدل على خلل كبير في المواطنة. دون أن ننسى تفاقم وتزايد عمليات الانتحار بين صفوف المتعلمين، والتي تتم عادة عن طريق الشنق في البيوت والمنازل، أو شرب وتناول مواد سامة وقاتلة، أو عن طريق هذه الألعاب الالكترونية الفيسبوكية على شاكلة الحوت الأزرق. بالإضافة إلى تسجيل في بداية كل سنة تسربات كبيرة للمتعلمين الذين يفضلون الشارع على العودة إلى المدرسة، واللجوء

¹ - المرجع نفسه، ص18.

إلى التجارة في المحرمات كالمخدرات والمواد المهلوسة والانحراف بشكل عام، وتزايد عمليات العنف بين المتدربين كضرب المتعلمين لمعلميهم. وتفاقم ظاهرة التحرش الجنسي بالمعلمات والمتعلمات داخل الفضاءات المدرسية. وأخيرا الظاهرة التي ما فتئت تعرفها كل ثانويات الوطن مع اقتراب امتحان البكالوريا من كل سنة، وهي هذه المسيرات التي يقوم بها مترشحو البكالوريا البكالوريا لتحديد العتبة الدروس الدروس التي سيتمحنون فيها، وما يصاحب ذلك من عنف وتخريب وحرق للمدارس، ولكل ما هو مرتبط بالتربية والتعليم.

IV/الفصل الرابع: الخلفيات الوطنية للكتاب المدرسي

تمهيد: تواجه كل الشعوب الأمم اليوم تحدي التربية والتعليم، فمنذ أن أقرت الأمم المتحدة بأن التعليم هو أحد أهم حقوق الإنسان، بدأت الحكومات تسعى لتجديد وتحسين (نظمها التعليمية وتطويرها حتى تتمكن الأجيال المتتالية من مواجهة التحديات المستقبلية التي ستفرضها عليها المتغيرات العالمية والتطورات العلمية والتكنولوجية... ويتحقق ذلك من خلال رسم سياسة تعليمية تسير الواقع الاجتماعي المعاش، باعتبارها تشكل جزءا من عملية اجتماعية متصلة تضم جوانب ثلاثة هي: الفلسفة الاجتماعية، والفلسفة التربوية، والسياسة التعليمية)¹، وعيا منها أن المؤسسات التربوية ككل (والمدارس خاصة هي نموذج البيئات التي تعدها الجماعة للتأثير في ميول أفرادها العقلية والخلقية)²، وحتى تتمكن من بناء ورسم مناهج لتساعدها على تربية وتعليم النشء ليكونوا مواطنين صالحين، على دراية بحقوقهم وواجباتهم وحدود مسؤوليتهم، تجاه أنفسهم وأسرهم ومجتمعهم ووطنهم وأمتهم.

وتعتبر المدرسة هي المؤسسة الاجتماعية الوحيدة، التي يتم من خلالها تمرير كل الأهداف والقيم والمرامي وكل مشاريع المجتمع، التي تسعى الهيئات والدوائر السياسية والاجتماعية لتكريسها وترسيخها لدى الناشئة، فهي الجسر الآمن لتمرير كل التعلّات والمعارف والأفكار، وتحقيق الأهداف المسطرة، وبناء شخصية المتعلمين الفكرية والسلوكية والشعورية والجسمية، وبسط بعض السلوكات والتعلّات الهادفة، وترسيخ القيم والرموز الوطنية والدينية والثقافية للمجتمع والأمة³، ونقل مكونات وعناصر الثقافة الوطنية، وإرساء نمط حياة يعتمد على التعايش واحترام الآخر وحب الوطن. فالتعليم والتعلم الذي يمر عبر المدرسة له قوة كبيرة في التأثير (بحكم إمكاناته في تشكيل أخلاق الأفراد، وقيمهم، كما يؤثر في أنظمة المجتمع، وحركة القوى الاجتماعية فيه)⁴.

تشكل المدرسة (المؤسسة الثانية بعد الأسرة التي تتولى مسؤولية تأهيل الطفل اجتماعيا إلى جانب تأهيله علميا وعمليا، وقد أوجد المجتمع هذه المؤسسة لأن الأسرة غير

¹ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص5.

² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص20.

³ - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص190.

⁴ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص50.

قادرة بمفردها على حمل عبء التأهيل الاجتماعي والعلمي بعد أن يبلغ الطفل سن معينة¹. وهي المكان الأساسي لتعليم الأطفال الثقافة والممارسة الاجتماعية²، وتعد (وكيل المجتمع المعتمد في تربية وتنشئة الأجيال وإعدادهم للحياة بالتكيف معها اجتماعيا وعقليا ووجدانيا... أما في مجال التربية على المواطنة فهي تعد المعهد الأول الذي يتلقى فيه الطفل... الدروس والممارسات العملية، التي تصنع منه مواطنا صالحا مشاركا في صنع حاضر ومستقبل وطنه)³، كما تعمل المدرسة على تهيئة المحيط الداخلي والخارجي للمتعلم، وخلق مناخ تعليمي ملائم، يسهل من عملية تفاعل المتعلم وتجاوبه مع الأفكار والتعلمات المقدمة. ويساعده على التطوير والتحسين والتجديد في السلوك وفي الأداء. ويلاحظ كل ذلك على المتعلم في ردود أفعاله الفكرية والسلوكية داخل المجتمع والم المحيط.

وكذلك التربية والتعليم على قيم المواطنة والرموز الوطنية، فتعليمها وتمريضها يمر هو الآخر عبر المدرسة، من خلال البرامج والمضامين المسطرة في الكتاب المدرسي، هذا الأخير الذي يعتبر السند الذي يعتمد عليه المتعلم ويعود إليه في كل حاجاته المعرفية والتعليمية، وهنا تتحدد مهام المدرسة ووظائفها وأدوارها في تلقين قيم المواطنة التي لا تتعارض مع الأهداف التربوية العامة، التي يسعى القائمون على التربية والتعليم لتحقيقها، كالمنفعة والثقافة والمعرفة والإعداد للكفاية الاجتماعية والمدنية والسياسية⁴. وهذا يحدث كله عن طريق عملية الاتصال والتفاعل المباشر المبني على الأسلوب الديمقراطي الحر بين المعلمين والمتعلمين، (لقد كانت المدرسة وستظل هي المواطن وهي الأمة)⁵. فهي حقا تعتبر (أداة هامة من أدوات النقل، التي تكون ميول الناشئة، ولكنها أداة واحدة فقط، وهي بالقياس للأدوات الأخرى)⁶ يبقى دورها نسبياً، لكنه مكمل لدور الأسرة، فالمعلمين والمدرسين والآباء والأولياء والأمهات يجب أن يكونوا القدوة المثالية للأفكار والتعلمات والسلوكيات التي يحرصون على تلقينها وترسيخها لدى المتعلمين، حتى لا يعيش المتعلم أزمات التناقض واللامنطق بين القول والفعل وبين النظري والتطبيقي، ويجب أن يكون هناك

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص190.

² - Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, p114.

³ - المرجع السابق، ص ص189-190.

⁴ - ينظر: جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص241.

⁵ - Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p16.

⁶ - المرجع السابق ص4.

من الاتصال الأفقي والعمودي بين جميع الأطراف الفاعلة داخل المدرسة، والتي يكون نقطة الالتقاء فيها هو المتعلم، هكذا فقط يكون هناك جو من التوافق والانسجام الذي ينعكس بالإيجاب على أداء المتعلم وتصرفاته وسلوكاته وتفكيره.

إن أول التطبيقات التعليمية التعليمية (تبدأ داخل محيط الأسرة الضيق، الذي يمثل البيئة الصغيرة الأولى التي يتعايش معها الفرد، مبتدءا بالبحث عما يدور حوله ثم معرفة ما يدور خارج هذه البيئة الصغيرة. واذ يسمع الطفل أخبارا عما يجري خارج تلك البيئة، فإنه يبدأ بالتعرف إلى ملامحها الأولى، ثم يسمع من والديه وإخوته الكبار وصفا لما يدور خارج المكان، يطلع من خلاله على خصائص أخرى)¹، إذن (فالوسط الخاص الذي يعيش فيه الفرد هو الذي يؤدي به إلى أن يرى بعض الأشياء ويحس بها دون غيرها، وإلى أن يحتفظ لنفسه بالخطط التي تمده بأسباب النجاح في عمله مع الناس، وتقوي فيه طائفة من العقائد وتضعف أخرى شرطا لاكتساب مرضاة غيره. وبذلك يكون الوسط فيه بالتدريج نظاما خاصا معينا من السلوك معينا على العمل. فكلما البيئة والوسط يحملان معنى أوسع من مجرد الأشياء التي تحيط بالفرد، إذ يدلان على انسجام المحيط مع ميوله الفعالة بصورة معينة)². وهكذا ينمي نفسه شيئا فشيئا ويبني شخصيته لبنة لبنة، و تظهر معالم تربيته ويتوسع تعليمه.

المواطن الحقيقي ليس هو من يعرف حقوقه وواجباته فقط، بل هو يسعى إليها يدافع عنها ويحميها ويمارسها باستمرار لتصبح جزءا من حياته، في جو من الاحترام للآخرين وللقوانين والنظم، ولكي تكون هذه الممارسات الوطنية مؤسسة وفعالة في المجتمع، يجب أن تكون مهيكله ومقصودة من طرف المدرسة، التي (تمثل بيئة اجتماعية ووسطا ثقافيا له تقاليده وأهدافه وفلسفته وقوانينه التي وضعت لتتماشى وتتفق مع ثقافة وأهداف وفلسفة المجتمع الكبير التي هي جزء منه تتفاعل معه وفيه)³، فوظيفة المدرسة هي (أن تبعد مبلغ جهدها المظاهر الشائنة في بيئة التلاميذ الحاضرة، حتى لا تؤثر في تكوين عاداتهم العقلية، إنها تخلق لهم وسطا مصفى يعملون فيه. واختيار البيئة لا يتوخى تبسيطها فحسب بل

¹ - حارث عبود، الاتصال التربوي، ص151.

² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 12.

³ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص192.

استئصال كل ما هو مستكره فيها. فكل مجتمع تتقله ترهات الماضي ومحرجاته الصريحة، وواجب المدرسة أن تجتث هذه الأشياء من البيئة التي تخلقها، وتركز جهدها على معاكسة أثرها في البيئة الاجتماعية الاعتيادية)¹، وتأخذ على عاتقها مهمة تعريف المتعلم بكل الحقوق الوطنية والمدينة في إطار التراث الثقافي المحلي الوطني، وفي إطار التفتح على الحضارة الإنسانية العالمية، بطريقة سلسة يتمكن المتعلم فيها من معرفة قيم ومبادئ المواطنة ومفاهيمها وخصائصها.

وتقوم المؤسسات الاجتماعية مثل الأسرة والمسجد ودور الثقافة والشباب والكشافة بدور كبير في التربية والتعليم إلى جانب المدرسة، (وتضطلع بمهام متنوعة ومتشعبة تتصل...ببناء الإنسان روحيا ومعرفيا. وتسهم في تحديد اتجاهات الأفراد والجماعات بما يعزز البناء الاجتماعي، وتوثيق أواصر التفاهم والتآلف فيما بينهم)². وتستكمل المدرسة هذا الدور بمواصلة عملية التربية والتعليم العام، وبدورها الريادي في تنمية قيم المواطنة والرموز الوطنية وترسيخها لدى المتعلم، وتكوين شخصيته القاعدية، من خلال المضامين والمحتويات التعليمية التي تقدم له عن طريق الكتاب المدرسي في كل مراحل حياته التعليمية. ويأتي حرص المدرسة اليوم على ترسيخ قيم ومبادئ الوطنية والمواطنة، للحفاظ على التراث الوطني والعادات والتقاليد المحلية، نظرا لسيطرة العولمة ووسائل الاتصال التكنولوجية الحديثة، التي جعلت من العالم قرية صغيرة، وقضت على كل الحدود بين الشعوب والأمم. إذن فترسيخ قيم المواطنة والحث على ممارستها وتطبيقها في المجتمع وفي الوطن، هو حماية لعناصر ومكونات الشخصية والهوية الوطنية³، وهذا لا يكون إلا بالتربية والتعليم بواسطة المدرسة من جو من الديمقراطية والحرية والتفتح على الآخر، حتى يتمكن المتعلم من التزود، بكل ما يحتاجه من المعارف والأفكار والمبادئ والكفاءات والقيم والرموز، لاجداث التوازن العقلي والفكري والجسمي والاجتماعي، دون أن يؤثر ذلك على شخصيته وهويته وتراثه، ولتحقيق هذا المبتغى يجب أن يعي المتعلم منذ مراحل تعليمه الأولى أنه مرتبط بأسرة محدّدة، وأنه يعيش داخل مجتمع وينتمي إلى وطن،

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص ص 21-22.

² - حارث عيود، الاتصال التربوي، ص 151.

³ - ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص 193.

وعليه تحمل مسؤولياته تجاه أسرته ومجتمعه ووطنه والمشاركة في ترقيةهم وتقديمهم والدفاع عنهم والانتماء إليهم.

1- تعريف الكتاب المدرسي: يصعب على المرء تصديق هذه الثورة الإنسانية

عبر التاريخ (على هذا النحو من السرعة والاتساع والكمال، فيها تحول وجه الأرض، وأصاب هذا التحول حتى شكلها الطبيعي، والحدود السياسية كما لو كانت في الحقيقة خطوطا على خارطة من الورق. وحتى السكان أخذوا يتجمعون من أقاصي الأرض بسرعة لينشؤوا المدن. وكذلك تغيرت عادات المعيشة بصورة مذهلة من السرعة والجودة... وحتى آراؤنا في الأخلاق والدين وهي أشد ما فينا محافظة، لأنها مستقرة في أعماق طبيعتنا، أصابها هذا التأثير بصورة عميقة، لهذا فأن القول بأن هذه الثورة لا يلزم أن تمس التربية إلا مسا شكليا وسطحيا قول لا يمكن فهمه)¹ وتقبله. لأن الإنسان حاول منذ القديم تطوير حياته، بالتوازي مع تطوير وسائل تعلمه وتعليمه، ويعتبر الكتاب المدرسي من أهم الإبداعات الإنسانية الرائدة في مجالات التربية والتعليم، فهو وسيلة لا غنى عنها للمعلم والمتعلم، وعندما نتكلم عن الكتاب فإننا نعني المضامين التعليمية، وبصفة مباشرة النص والنصوص اللغوية الأدبية، فأي كتاب ما هو إلا مجموعة من هذه النصوص الإبداعية الرائعة، التي اختيرت كمضامين ومحتويات متنوعة ومختلفة، وأصبحت عصب الارتكاز في كل العملية التعليمية التعليمية، ووسيلة تطبيق المنهج وحتى حتى وسيلة إنجاحه.

يحمل الكتاب المدرسي بين دفتيه كل المعارف والمهارات والسلوكات والمواقف والمبادئ والقيم التي يجب تمريرها للمتعلم، لتكوين شخصيته القاعدية ومساعدته على التفكير الجيد، وفي حل مشاكل حياته والنجاح فيها. (وعلى الرغم من تباين الآراء حول دور الكتاب المدرسي في العملية التعليمية والتربوية وتعدد قديمها وحديثا، فإنه مازال يحظى باهتمام الكثير من الباحثين والمربين بوصفه الدعامة الأساسية التي يستند إليها المتعلم في التعلم والمعلم في التعليم، والمصدر الذي يسهم إلى حد كبير بتزويد المتعلم بالخبرات

¹ - جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، ص33.

والمهارات والقيم والاتجاهات، التي تسهم في إعداده إعدادا متكاملا للحياة، عن طريق تنمية مهاراته في التفكير، لمواجهة المشكلات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية المختلفة¹.

عندما نتكلم عن الكتاب المدرسي، فإننا نقصد الكتاب الورقي المطبوع والمنظم، والذي تسهر على إعدادهِ وتصميمهِ مجموعة من الباحثين والدارسين المختصين، وهم الذين توكل إليهم عملية إعداد هذه الكتب، بما يراعي الحاجات العلمية والمعرفية والبيداغوجية للمتعلمين، وما يتلاءم مع مبادئ وقيم وأخلاق وعادات وتقاليد الأمة والوطن، ويجب أن يكون هذا الكتاب عنصر جذب المتعلم لحب أمته ووطنه وتراثه وتاريخه. لأنه الكتاب الموجه خصيصا لغايات وأهداف تربوية بيداغوجية، فهو (يحتل موقعا أساسيا في أي نظام تربوي لأهميته، باعتباره يؤدي أدوارا تربوية لدى الناشئة معرفيا ووجدانيا واجتماعيا، إنه من الوسائل الأكثر استعمالا واقتصادا في النظام التربوي.. ودليل ديداكتيكي مرجعي ضروري خدمة لعمل المدرّس والتلميذ حسب طبيعة المراحل التعليمية المختلفة)². إنه المرجع والسند الأساسي للمتعلم والمرشد والدليل للمعلم والشيء المشترك بينهما.

لم تعرف الهيئات التربوية الكتاب المدرسي إلا مع بداية العصور المتأخرة، فقبلها كان المعلم هو من يقوم بجمع المضامين والمحتويات وكل المادة التعليمية التي يراها مناسبة، والتي كانت في أغلب الأحيان تستمد من الكتب الدينية، وهو ما عرف لدى الصينيين والهنود ولدى المصريين. لكن مع تحرر العمليات التعليمية وبداية استقلالها عن العلوم الأخرى، وازدياد حاجة الإنسان للتعلم، بدأت تتميز المضامين التربوية عن المضامين الدينية المسيطرة على الحياة، فكان من الضروري جمع هذه المضامين في وعاء خاص، وهو ما مهّد لظهور الكتاب المدرسي، ويعتبر Comenius né Jan Amos Komensky (1670-1592) أب البيداغوجيا المعاصرة نظرا لبحوثه الكبيرة في مجال التعليم والبيداغوجيا عامة وتعليمية اللغات خاصة، فهو أول من وضع كتابا مدرسياً موجها لكل من المعلم والمتعلم عنوانه: باب مفتوح على اللغات la porte ouverte sur les langues وكان ذلك سنة 1631 لتعليم اللغة اللاتينية، وقد ضمنه مجموعة من الصور، حيث ربط كل جملة أو كلمة بصورة معبرة عنها، حتى تسهل عملية الفهم، كما يعتبر وهو أول من أكد على

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص241.

² - د. عبد الرحمن عزوق، أي استراتيجية لتعليم ناجح، جريدة الخبر، ع: 7922، 26 سبتمبر 2015، ص21.

أهمية دور الصورة في تقريب المعنى والفهم، وبهذا يكون قد فتح أفقا جديدة في مجال التعليمات والبيداغوجيا¹، حيث ازدادت وتطورت بعد ذلك البحوث في مجالات الكتاب المدرسي بغرض تحسينه وتطويره، وفي مجالات كل الدعائم والمساعدات البيداغوجية، ازدادت كذلك اهتمامات المتعلمين والمعلمين والمصممين والمفتشين به، لما يوفره من ربح للوقت وللمكان، وتمير سهل وسلس للمعارف والمعلومات وكل التعلم، وقد خضع الكتاب المدرسي الذي نعرفه اليوم، إلى عمليات كبيرة من التغيرات والتجديدات والإصلاحات، التي مست الشكل والمضمون والصورة والورق والطباعة.

1-1/التعريف اللغوي: قبل الحديث عن الكتاب لغة نشير إلى أن هذه الكلمة

ذكرت في القرآن الكريم أكثر من 45 مرة بمعاني كثيرة ، جاء في التنزيل العزيز بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَقَالُوا أَأَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾²، والكتاب هو الدين قال أعز من قائل: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾³ وهنا الكتاب هو الحامل لكل النصوص الربانية التعليمية فهو كل الدين السماوي، وقال الله عز وجل: ﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁴ ، والكتاب هنا بمعنى القرآن الكريم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾⁵ هنا بمعنى الأجل والقدر ، لكن الكتاب في معناه العام فهو كل ما يكتب فيه أو هو كل مخطوط: (كتب يكتب كتبا وكتبا وكتابة فهو كاتب: 1 نسخ "كتب المخطوط"، 2 ألف "يكتب مقالا أسبوعيا"، "كتبت مسرحية" I كتب له/إليه: ارسل إليه رسالة، كتب الكتاب: عقد الزواج، كتب العقد ونحوه: سجله ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ قرآن... كُتِبَ يكتب تكتيبا: 1 — الشخص: علمه الكتابة "كُتِبَ المؤدب الطفل"... كتاب: 1 مص كتب، 2 ج كتب: صحف مؤلفة "كتاب البخلاء للجاحظ"، "كتب الفقه"، 3

¹ - ينظر الموقع الإلكتروني: <https://www.wikipedia.org> ، بتاريخ: 16 جوان 2017.

² - سورة الفرقان، الآية 5.

³ - سورة البقرة، الآية 101.

⁴ - سورة البقرة، الآية 1 و2.

⁵ - سورة الرعد، الآية 38.

رسالة "بعث إلى والده بكتاب"، 4الـ —: القرآن الكريم ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ قرآن، 5 كلام سماوي موحى ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ﴾ قرآن، 6الـ —: مؤلف سيبويه في النحو I أم الكتاب: سورة الفاتحة من القرآن الكريم، أهل الكتاب: اليهود والنصارى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ قرآن...كتاب: 1ج كتاب: مدرسة تقليدية صغيرة لتعليم الصبيان القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن¹، وكما رأينا فقد حملت كلمة كتاب كل المعاني ذات الصلة بالعملية التعليمية التلخيصية، كالقراءة، الكتابة، الفهم، التعلم، الإملاء والحفظ وحتى المدرسة، ونشير إلى أنه كانت للكتاب القديم فائدة هامة في الحضارات الشرقية القديمة فكتاب الفيدا لدى الهنود ذو فائدة كبيرة في حفظ اللغة السنسكريتية وتعليم الهنود القدامى، وأيضا الكتاب الديني المصري المقدس القديم الذي كتب باللغة الهيروغليفية كانت له فائدة كبيرة هو الآخر في حفظ اللغة الهيروغليفية وتعليم المصريين القدامى.

1-2/التعريف الاصطلاحي: فقد كانت كل الكتب السماوية والقرآن الكريم كتب

تعليمية بالدرجة الأولى، جاءت لتعلم الناس دينهم، وطرق عيشهم في الحياة، لأن الناس انحرفت عن الطريق الصحيح وتفشى فيها الجهل، فكان لابد من كتب لتعليمهم وتنويرهم. وهكذا كان القرآن الكريم، الكتاب التعليمي الأول، لذا عمد الصحابة الكرام رضوان الله عليهم إلى جمعه وحفظه وحمايته، رغم أنه محفوظ ومحمي مجموع ومصنف من فوق سبع سموات قال الله عز وجل بعد بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (17) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (18) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (19) صدق الله العظيم، (هذا تعليم من الله عز وجل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك، فإنه كان يبادر إلى أخذه، ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره، وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه، وأن يبينه له ويفسره ويوضحه، فالحالة الأولى جمعه في صدره، والثانية تلاوته،

¹ - جماعة من كبار اللغويين العرب بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ص ص 1027-1028.

² - سورة القيامة، الآيات 16-17-18 و19.

والثالثة تفسيره وإيضاح معناه¹. إن القرآن كان ولا يزال نصوص روحانية تعليمية للبشر في الدين والدنيا والآخرة.

أما المفهوم الاصطلاحي التعليمي للكتاب المدرسي فهو ذلك الكتاب الورقي المكتوب بألوان مختلفة الحامل لمجموعة من النصوص الكثيرة والصور المختلفة، وهو الموجه خصيصا لفئة المعلمين والمتعلمين، وهنا يجب التفريق بينه وبين كتب المطالعة الأخرى، فهو كتاب رسمي مدروس ومصمم خصيصا لفئة معينة، بعد دراسات وبحوث معمقة قام بها مجموعة من الخبراء والدارسين والباحثين المختصين في ميدان التربية والتعليم والبيداغوجيا، له مواصفات خاصة كالعلمية والعقلانية والواقعية والشمولية². وعليه فهو ذلك الكتاب الحامل لمجموعة من المواضيع والمضامين والمحتويات ذات الطابع التعليمي والبيداغوجي، الهادفة لتمرير كل المعارف والقيم والمبادئ والسلوكات التي يحتاجها المتعلم لبناء شخصيته ومواجهة صعوبات الحياة اليومية وترقية مجتمعه وأمته. (هو الذي يشتمل على مجموعة من المعلومات الأساسية الهادفة لتحقيق أغراض تربوية محددة سلفا "معرفية، وجدانية، نفس حركية"، وتقدم هذه المعلومات في شكل علمي منظم، لتدريس مادة معينة في مقرر دراسي معين وفترة زمنية محددة)³.

ويرى زكي نجيب محفوظ أن الكتاب هو سيارة الذاكرة التي تحمل وتحفظ كل ما مضى من الأحداث الإنسانية، وهو نقطة البداية لكل ما هو حاضر أو قد يحضر⁴، فهو الأساس والمادة الخام التي يعتمد عليها كل متعلم مبتدئ، والمتمثلة في مجموعة من الأفكار والمعارف والسلوكات التي تكون له بمثابة المفاتيح، لكل المسائل والقضايا التي تشكل له سؤالا أو غموضا. فبدون معارف مسبقة لا يمكن أن نتقدم في المعرفة أو أن نبني شخصيتنا ووجودنا، إن الطفل لا يولد متعلما، ورغم كثير من الدراسات التي تؤكد بأن أي إنسان يولد حاملا لأفكار وكفاءات كافية، إلا أنه يحتاج إلى مجموعة من الأدوات والوسائل التي تمكنه من التفاعل مع الطبيعة ومع ذاته، ولا يمكن أن تكون تلك الوسائل إلا الكتاب المدرسي.

1 - الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة/مصر، ط1، 1998، ص555.

2 - ينظر: د. عبد الرحمن عزوق، أي استراتيجية لتعليم ناجح، جريدة الخبر، العدد: 7922، بتاريخ: 26 سبتمبر 2015، ص21.

3 - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص102.

4 - ينظر: زكي نجيب محفوظ، في فلسفة النقد، دار الشروق، بيروت، ط2، 1983، ص151.

ما يمكن أن نلخصه مما سبق أن الكتاب المدرسي يعتبر (من أهم الوسائل التعليمية التي تعين المتعلم في اكتساب الخبرات والمهارات اللغوية، باعتباره مرجعا ومصدرا أساسيا يحتوي على المادية التعليمية، التي يعتمد عليها المعلم أثناء عملية التدريس حسب مقتضيات كل درس)¹، وهو (جوهر عملية التعليم، فهو الذي يحتوي على أساسيات المقرر الدراسي، ويعرّف الطالب بما ينبغي تعلّمه، والمدرّس بما ينبغي تعليمه، ويسهل عليهما عملية التعليم والتعلم، فالكتاب أداة تعليمية غنية بالمعلومات، والحقائق والمفاهيم، والمبادئ والرسوم والصور، والرموز والأشكال، والأنشطة التي تسهل عملية التعلم، وتساعد في إنجاحها خلال المراحل الدراسية المختلفة)². وهو أيضا أداة تدعيمية مهمة يستند إليها المعلم في مواجهة المتعلم (وهو الوعاء الذي يحوي المادة التعليمية التي يفترض فيها أنها الأداة أو إحدى الأدوات على الأقل التي تستطيع أن تجعل التلاميذ قادرين على بلوغ أهداف المناهج المحددة سلفا... وهو المرجع الأساسي الذي يستقي منه التلميذ معلوماته، فضلا عن كونه الأساس الذي يستند إليه المدرس في إعداد دروسه، قبل أن يواجه تلاميذه في حجرة الدراسة)³، وهو لا ينحصر فقط في الوسيلة أو المحتوى إنه دليل العمل للمعلم أيضا (فهو يفسر الخطوط العريضة للمادة الدراسية وطرق تدريسها، ويتضمن أيضا المعلومات والأفكار والمفاهيم الأساسية في مقرر معين، كما يتضمن أيضا القيم والمهارات والاتجاهات الهامة المراد توصيلها إلى جميع التلاميذ، وكل ذلك في صورة مرتبة منظمة)⁴، إن الكتاب المدرسي عنصر هام في المجال التعليمي، فهو المنهاج التربوي والفكر البيداغوجي العام، إنه (نظام كلي يتناول عنصر المحتوى في المنهاج ويشتمل على عدة عناصر: الأهداف والمحتوى والأنشطة والتقويم، ويهدف إلى مساعدة المعلمين للمتعلمين في صف ما وفي مادة دراسية ما على تحقيق الأهداف المتوخاة كما حددها المنهاج)⁵.

كما يعتبر الكتاب المدرسي زبدة المنهج التعليمي العام المسطر في أي منظومة تربوية، وهو صيغته التنفيذية والإجرائية في عملية التعليم والتعلم، إنه يولد أنواع

1- جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، ص 80-81.

2- محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 241.

3- عبد المومن يعقوبي، أسس بناء الفعل الديداكتيكي- من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا التقويم والدعم- ط2، مؤسسة الجزائر للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، أولاد أنهار، تلمسان، 2002، ص 150.

4- كاظم خيري أحمد وجابر عبد الحميد جابر، الوسائل التعليمية والمنهج، ط1، دار الفكر، عمان، 2007، ص 228.

5- توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة (مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها)، ط1، دار الميسرة، 2000، ص 251.

وطرق مختلفة من الموضوعات والصياغات والبناءات، ويهيئ الوضع الذي يساعد على تمرير الأهداف والغايات المنهجية وكل المعارف والتعلمات، إنه الوحيد الذي يستطيع أن يحمل ويعبر عن الفكر التربوي الوطني والاجتماعي الديني والتراثي والعصري العام للمجتمع وللأمة وللدولة، وهو من يستطيع التأثير على المتعلم ومساعدته في تنمية وتكوين وبناء معارفه وخبراته الشخصية، والتمسك بثقافة مجتمعه وأمته، والنهل من ثقافات الأمم الأخرى وعلومها ومعارفها. وذلك من خلال الحماية التي يكفلها الكتاب المدرسي للمتعلم حتى لا ينحرف وينسلخ عن أصله وتاريخ وتراثه وثقافته، في زمن التكالبات التي تفرضها العولمة والخطابات المغرضة والفتن، وبعيدا عن كل أشكال التعصب والتطرف¹. لكن في هذا الوقت الذي سيطر فيه الكتاب المدرسي الإلكتروني، فهل بقي لنا في الإمكان الحديث عن الكتاب الورقي؟ وهل آن لهذا الأخير أن يطبق دفتيه، ويحجز مكانه على رفوف متاحف المنظومات التربوية؟

02- تطور الكتاب المدرسي في الجزائر: الكتاب المدرسي هو أول شيء

يصطدم به المتعلم في الفصل المدرسي، وهو مجال السؤال ومدار الحوار بين المتعلمين والمعلمين والأولياء، فنقول لأول عهده بالمدرسة يوم الدخول: هل رأيت الكتاب؟ هل أعطوكم الكتاب؟ ثم ننتقل للحديث عن المعلم والمدرسة وكل الملحقات الأخرى بالعمل التعليمي، لذا يحتل الكتاب مكانة مرموقة في الميادين التعليمية، كونه هو الحامل لكل البرامج والمضامين التربوية المقررة، وكل المعارف والأفكار والسلوكات المراد تمريرها للمتعلم، إنه هو العمود الفقري والمركزي لكل عملية تعليمية تعليمية².

أما بخصوص الكتاب المدرسي الجزائري، فهذا لم يمكن الحديث عليه إلا بعد الاستقلال، لأن الجزائر ورثت بعد الاستقلال وضعا تربويا متدهورا، وذلك راجع إلى السياسة الاستعمارية القائمة على الفرنسة والتجهيل والتهجير، التي كان ينتهجها المستعمر تجاه الشعب الجزائري، لأجل طمس هويته وأصله وتاريخه وقتل وطنيته. رأى المستعمر أن اللغة هي أساس الوحدة الوطنية وأهم مقومات شخصيتها، (فقد كانت أولى توصيات قادة الاحتلال في باريس لجيشهم الزاحف على الجزائر في بداية الاحتلال سنة 1830 هي قولهم:

¹ - ينظر: محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف، أسسه وتطبيقه -، دار الهدى، الجزائر، 1999، ص 126 .

² - ينظر: ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص 107.

"علموا لغتنا، وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر، فقد حكمناها حقيقة"¹، وهذا ما حدث بالفعل، حيث بدؤوا في نشر اللغة الفرنسية لتحل محل العربية. بل وزادوا محاربتها والتضييق عليها بكل الأشكال، لتحقيق أهدافهم وتفكيك وحدة الأمة الجزائرية، وصوروا العربية على أنها لغة تخلف وممارسة دينية فقط، بعيدة عن العلم والمعرفة، وتابعوا سياستهم بمنع (تدريس جغرافية الجزائر لأبناء الجزائريين سواء في مدارس التعليم الفرنسية الحكومية أو في مدارس التعليم العربية الحرة الشعبية، وكان يدرس بدلاً عن ذلك، جغرافية فرنسا بتفصيل واف حتى يعرف الجزائريون كل شيء عن الوطن الفرنسي، ولا يعرفوا شيئاً عن وطنهم الجزائري. وكان ذلك بقصد استبدال عاطفة الولاء للوطن الجزائري وحبّه في نفوسهم بالولاء إلى الوطن الفرنسي وحبّه حتى تسهل عملية سلخهم من شخصيتهم الوطنية وإدماجهم في كيانها العام)². كما تم في المقابل المدارس الفرنسية ونشرها في القرى والمداشر عن طريق ما اصطلح عليه بالرجال البيض³، فكان يملأ هذه المدارس أطفال المعمرون والخونة وقليل من الجزائريين، لكن ورغم كل المحاولات التي انتهجها المستعمر كانت مقاومة الشعب الجزائري لسياسته عنيفة، حيث أنشأت الجمعيات والأحزاب، التي حملت على عاتقها مهمة التعليم والتربية كجمعية العلماء المسلمين، التي اهتمت بالكتاتيب والزوايا والمساجد في القرى والمداشر، وهي التي تولت مهمة التربية والتعليم فيما بعد، لكنها اقتصرت على تعليم اللغة العربية والقرآن فقط.

قضى الفرنسيون على كل شيء، ولم يجد الجزائريون أي نظام تربوي يخدم تاريخهم وتراثهم وعاداتهم وتقاليدهم، ويساهم في مواصلة التربية والتعليم بعد الاستقلال، ولم يجدوا حتى القاعدة الأساسية للانطلاقة. وكان عليهم البدء من جديد والتأسيس لنظام تربوي جزائري محض، يأخذ في الحسبان مقومات الهوية والشخصية الوطنية والعادات والتقاليد الجزائرية، وقادر على (مواجهة سمات الحياة المعاصرة التي تتسم بالسرعة والتنافس وتنمية مهارات البحث والتفكير)⁴، ويؤسس لنهضة تربوية كبيرة يكون

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص 51.

² - المرجع نفسه، ص 60.

³ - هم مجموعة من المبشرين المسيحيين جلبتهم فرنسا إلى الجزائر لنشر الدين المسيحي واللغة الفرنسية.

⁴ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص 18.

لها الفضل الكبير في خلق جيل يحب الوطن ويدافع عليه، ويعمل بكل ما أوتي من قوة وعزم ومال لبنائه وتشبيده، خاصة بعدما ضحى من أجله مليون ونصف المليون شهيد.

أما تطور الكتاب المدرسي في الجزائر فهو مرتبط بتطور منظومتها التربوية، فأول شيء قامت به الحكومة الجزائرية بعد الاستقلال، هو تنصيب لجنة إصلاح التربية والتعليم، كما لجأت إلى توظيف الجزائريين من بين ذوي الخبرة في التعليم والتكوين رغم محدودية تعليمهم، وعملت على بناء الهياكل التربوية وتوسيعها ونشرها على كامل القطر الوطني، والتعاقد في مجال الشراكة والتبادل المعرفي مع الدول الصديقة والشقيقة والتي كانت في مجملها دول عربية وإسلامية، والشروع في تأليف الكتب وكل الوثائق التربوية التعليمية اللازمة، وتوزيعها على مختلف المؤسسات التربوية، كما عملت على تشجيع الجزائريين لتسجيل أطفالهم مجانا في المدارس النظامية الجديدة، وقامت بجلب عدد كبير من المعلمين الأجانب من الدول الشقيقة.

تحرص الجزائر كغيرها من الدول النامية على تطوير منظومتها التربوية الوطنية وإصلاحها، فمنذ الاستقلال قامت بمجهودات جبارة في مجال الإصلاح والتجديد والتحيين لكل البرامج والمناهج والكتب المدرسية، وفق ما يفرضه العصر، ووفق ما يطلبه المتعلمون، ووفق ما يفرضه وجود الوطن واستمراره. من أجل الحفاظ على عناصر الهوية الوطنية والتاريخ الوطني الجزائري، كما قامت الدولة بحملة تحسيسية وتوعوية كبيرة لتوفير الوسائل التعليمية والبيداغوجية والتكنولوجية اللازمة، وتحفيز الجميع للالتحاق بمقاعد الدراسة والتعليم، وفي الوقت ذاته استكملت الدولة عملية بناء الهياكل التربوية والمدرسية وتوسيعها ونشرها عبر كامل ربوع الوطن، وخاصة المناطق الريفية. وعرفت المنظومة التربوية الوطنية بعد الاستقلال مجموعة كبيرة من الكتب المدرسية، بداية من الكتب الموروثة من عصر الاستعمار الفرنسي، ثم كتب الجيل الأول، وانتهاء بكتب الجيل الثاني، التي لا تزال قيد التجربة والتي لم تعمم بعد كل الأطوار المدرسية.

بعد الاستقلال وبمرور الوقت وبداية هيكلية المؤسسات الجزائرية، وبعد توفر الظروف الملائمة، بدأت الجزائر في بلورة أيديولوجيتها التربوية وبناء سياستها التعليمية، و(تطوير الإدارة المدرسية والتعليمية وذلك بعقد دورات تنشيطية للإداريين والتربويين...

لتحسين أدائهم وتبسيط الإجراءات الإدارية للعمل المدرسي والتعليمي¹. والنظر في تحسين محتوى التعليم ومضمونه وبدأت في إرساء الأسس الأولى للمنظومة التربوية الوطنية، بعد عودة كثير من الجزائريين سواء الذين كانوا مقيمين قصرا أو طوعا من أجل الدراسة في فرنسا، أو هؤلاء الذين كانوا لاجئين في بعض الدول الشقيقة الأخرى، فاستفادت المنظومة التربوية من خبراتهم ومعارفهم، كما قامت الدولة الجزائرية بتكوين دفعات كبيرة خارج الوطن سواء في مجال التعليم، أو في مجال التخطيط التربوي والتسيير المدرسي، لأن التكوين الحقيقي يبدأ بالأستاذ والمسؤول الإداري، وهو الشيء الذي من شأنه أن يعود بالخير على المدرسة، ويحقق تطورها وتحسينها، والوصول بها إلى مصاف المدارس القوية والمحترفة والنوعية. وهي المسؤولية التي تتطلب تضافر جميع الشركاء التربويين من أولياء ومعلمين ومسؤولين تربويين، وهؤلاء هم الذين حملوا لواء التغيير والتجديد في الميدان التربوي الجزائري.

لم تعرف الجزائر في السنوات الأولى للاستقلال، وضعية مدرسية تعليمية واضحة المعالم، ولا كتبا مدرسية جزائرية صرفة، بل واصلت العمل التربوي والتعليمي، في الهياكل والكتب والوثائق التعليمية الموروثة من الاستعمار الفرنسي، وهي مرحلة انتقالية كان لابد منها، بشيء من التغيير في المضامين والطرق التي تتنافى ومبادئ السيادة الوطنية، وكل ما يناهض قضايا الهوية والشخصية الوطنية، وكذا رموز الدولة والأمة الجزائرية وعاداتها وتقاليده. لقد كانت الجزائر آنذاك ورشة كبيرة مفتوحة في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، لكونها كانت في مرحلة البناء والتشييد والبحث عن الاستقرار، وكان طموح الجزائر في بناء منظومة تربوية متينة واضح، من خلال الاهتمام بالكتاب المدرسي وبالمضامين التربوية، حيث سعت السلطات التربوية لخلق كتاب يتماشى وتطورات العصر، والعلوم والمعارف الجديدة، ويخضع للمقاييس والمناهج المعتمدة في الدول المتطورة في مجال التربية، وكما قدّمنا فتطور الكتاب المدرسي الجزائري مرتبط

¹ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص17.

أولا بالسياسة التعليمية الوطنية، المرتبطة هي الأخرى بالسياسة العامة للبلاد¹، وبتطور المنظومة التربوية الجزائرية ويمكن تلخيص ذلك في ثلاثة مراحل:

1-2/المرحلة الأولى من 1962 إلى 1976 : بدأت هذه المرحلة من أول عام دراسي 62-1963، وهي (مرحلة طبقت فيها برامج موروثة عن المستعمر، مطعمة بتجارب عربية لإضفاء عليها طابع المحتوى الوطني الذي يخدم تربية وتكوين المواطن الجزائري بعد الاستقلال...وكان التعليم فيها قائم على المحتوى، أو كما يقول المهتمون في هذا الشأن القائم على منطق المادة الدراسية، وهو جيل موروث. خضع لإصلاحات جزئية هدفت إلى التكيف مع ظروف الاستقلال لإعداد المواطن الجزائري المنشود)². وعليه شهدت هذه المرحلة استمرارية العمل بالنظام التربوي الموروث من فرنسا، وبالكتب والوثائق المدرسية الموروثة، طبعا مع بعض التعديلات والحذف لما يتنافى مع السيادة والهوية الوطنية. ما يمكن تسجيله أنه خلال هذه المرحلة تتحدد معالم السياسة التعليمية الوطنية والمنظومة التربوية الجزائرية، وهي السياسية المبنية على (تأصيل الهوية الثقافية والحضارية للأمة، ومساعدتها في التكيف مع المتغيرات الاجتماعية والثقافية، بما يكفل تحقيق التماسك الاجتماعي)³. وعلى اختيار ديمقراطية التعليم ومجانيته وإلزاميته على الإناث والذكور، وتم في هذه المرحلة اعتماد أول كتاب مدرسي جزائري مهجن بين ما تركته فرنسا، وما أضافه الجزائريين سنة 1964، وشهدت هذه المرحلة تنصيب لجنة إرساء المنظومة التربوية، وتوسيع دائرة المؤسسات التعليمية، وتسجيل واسع للأطفال الجزائريين بالمدارس، والتوظيف المكثف للمعلمين والأساتذة الجزائريين أو هؤلاء الوافدين من الدول الشقيقة في إطار عقود الشراكة والتعاون، وبداية توفير وتأليف الكتب المدرسية وكل الوثائق التعليمية والتربوية، ففي سنة 1978 تم اعتماد أول كتاب مدرسي جزائري تأليفا وطباعة، وهو الكتاب الذي قدّم له الدكتور عبد القادر فوضيل، والذي قام بطبعه الديوان التربوي الوطني الجزائري، وكان عنوانه: "كتابي في القراءة" في جزئين.

¹ - ينظر: عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص14.

² - د. عبد الحق زواوي، مجابهة المناهج في النظام التربوي الجزائري، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، عدد: 31 أوت 2016، ص 20.

³ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2011، ص18.

2-2/المرحلة الثانية من 1976 إلى 2000: وهي مرحلة (التعليم الأساسي الذي كان القصد منه أولاً تحقيق الانسجام بين النظامين السياسي والتربوي. وثانياً التوجه العلمي والتكنولوجي... في إطار طموح مشروع عنوانه ترقية اللغة العربية لتصبح لغة التكنولوجيا... هذه الفترة تأريخها يبدأ من تاريخ صدور الأمر 35 المؤرخ في 16 افريل 1976 إلى غاية تنصيب لجنة الإصلاح في 09 ماي 2000)¹. وتميزت هذه المرحلة بمواصلة موجة الإصلاحات، والتي مست المضامين والمناهج التعليمية المعتمدة، وتوسيع المشاريع التعليمية، وتميزت بصدور قوانين وأوامر وزارية منظمة للعملية التعليمية التعليمية، بالإضافة لمواصلة بناء الهياكل والمدارس وتعميم التعليم على كامل أبناء الشعب الجزائري، كما قامت الدولة الجزائرية بتعميم المؤسسات التعليمية على مستوى جميع التجمعات السكانية المنتشرة عبر التراب الوطني، بهدف تقريب المدرسة من المواطن فانتشرت المدارس في الأرياف والقرى والمداشر، لتعليم الأجيال الصاعدة قيم ومبادئ جديدة، مستوحات من تاريخ الجزائر ومقاوماتها الشعبية وثورتها التحريرية، ومن عاداتها وتقاليدها وتراثها، ومن تفتحها على كل ثقافات العالم وعلى العلوم العصرية، كما تم في هذه المرحلة استحداث امتحان شهادة التعليم المتوسط لأول مرة.

ابتداء من الثمانينات بدأ في تعميم نموذج المدرسة الأساسية، وهو منهج جديد كان ذائع الصيت في أوروبا وخاصة في ألمانيا، يقوم على المقاربة بالأهداف البيداغوجية، المبنية على شرطي المثير والاستجابة، حيث يتم تحول كل التعلّمات والمعارف إلى سلوكات يتحكم فيها بواسطة مثيرات محددة. كما تواصل العمل لتحسين المناهج والمضامين والطرق التعليمية، وتحسين الكتاب المدرسي، وإعادة النظر في التعليم الثانوي وضبطه وإصلاحه. لم تتوقف الإصلاحات ففي نهاية الثمانينات وبداية التسعينات تم تطوير المقاربة بالأهداف البيداغوجية، إلى المقاربة بالأهداف الإجرائية المبنية على التعزيز والتحفيز، وتواصلت بالموازاة عملية اصلاح الكتاب المدرسي لكل الأطوار، فظهرت كتب مدرسية جديدة خاصة بالمدرسة الأساسية، وهي كتب مخالفة لتلك التي عرفناها في المرحلة الأولى. وباعتماد المدرسة الأساسية بدأت تتضح وتتجلى معالم السياسة التعليمية الجزائرية

¹ - عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، ص 20.

المستندة إلى (فلسفة التربية المنبثقة من فلسفة المجتمع والمعبرة عن موروثة الثقافي وتطلعاته المستقبلية)¹، وعرفت كتب المرحلة الأولى والثانية بكتب الجيل الأول.

2-3/المرحلة الثالثة من 2000 إلى اليوم: تميزت هذه المرحلة بإصلاحات

تربوية وثقافية كبيرة على مستوى المنظومة التربوية الجزائرية، فهي المرحلة التي ميزها التحول من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا الكفايات، وتم فيها اعتماد وتنصيب مناهج الجيل الثاني. (هذه الفترة يؤرخ لها من تاريخ تنصيب لجنة الاصلاح إلى يومنا. وقد عرفت اصدار وثيقة المناهج منذ 2002 إلى 2011، أين تمت إعادة كتابة هذه المناهج بعد صدور القانون التوجيهي للتربية الوطنية القانون 08/04 المؤرخ في 23 جانفي 2008، وكذلك صدور وثيقة المرجعية العامة للمناهج في مارس 2009. ونحن اليوم بصدد إعادة كتابة مناهج الجيل الثاني التي سنبداً في تطبيقها ابتداء من السنة الدراسية 2016-2017، وعملت اللجنة من خلالها على إبراز وتثمين ميدان القيم والمواقف، وتوحيد المصطلحات تسهيلا لقراءتها وتنفيذها، مع إبراز البعد الاجتماعي للمقاربة البنائية. وهي المقاربة المعتمدة في المناهج الحالية)².

مست الإصلاحات في هذه المرحلة كذلك الجانب التربوي الثقافي، حيث أعيد الاعتبار للغة الأمازيغية وتم إدراجها لأول مرة في المدرسة الجزائرية ابتداء من 2008، وكذا تنصيب المحافظة السامية للغة الأمازيغية التي تعلم على ترقيتها وتطويرها، وهذا لقطع الطريق على تجار الفتنة والتفرقة بين أفراد الشعب الجزائري، وتميزت هذه المرحلة بحراك كبير على مستوى القاعدة التربوية بحيث عرفت إضرابات عمالية كبيرة، تكللت بصدور القانون الخاص بالتربية وبموظفي التعليم، وتنصيب عدة لجان إصلاحية كالجنة الوطنية لإصلاح التعليم، ولجنة إصلاح المناهج التعليمية، ودخول الإصلاح حيز التنفيذ، وصدور قانون يحدد ضوابط وشروط فتح وإنشاء المدارس الخاصة، وتعميم تلقين أبجديات الإعلام الآلي في المدارس، وإدخال الرقمنة في طبيعة سير الامتحانات والمسابقات، وفي مجالات تسيير الإدارة المدرسية، والاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية، واستعمال تقنيات الإعلام والاتصال، لتعزيز ثقافة المتعلمين في المجال العلمي والتكنولوجي الحديث،

¹ - السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، ص15.

² - د. عبد الحق زواوي، مجابلة المناهج في النظام التربوي الجزائري، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، عدد: 31 أوت 2016، ص 20.

والاهتمام بتحسين شروط وظروف التعليم في المدارس على المستوى الوطني كالإيواء والنقل والإطعام، ودق ناقوس الخطر بخصوص ظاهرة التسرب المدرسي، ومحاربة الآفات الاجتماعية والجريمة، التي أخذت طريقها إلى صفوف المتدربين، أما كتب المرحلة الثالثة فعرفت بكتب الجيل الثاني، والتي أخذت في تطبيقها فعلياً وتدرجياً ابتداء من سنة 2015. وفي كل هذه المراحل كانت الجزائر تحاول أن تبني مدرسة عصرية تستجيب لمتطلبات وحاجات المتعلمين، والقضاء على ظاهرة الأمية في الجزائر. الملاحظة التي نسجلها من خلال مراحل تطور المنظومة التربوية في الجزائر، أنه خلال كل تلك المراحل والمناهج لم يعرف الكتاب المدرسي تغييرات كبيرة في الشكل والمضمون، وإنما كان يشهد بعض التغييرات الطفيفة، كإضافة نص وحذف آخر أو تغيير الألوان أو إضافة صور وحذف أخرى، أما حجم الكتاب فكان يتغير بين الكبير والمتوسط والصغير، واصطلح على كل كتب تلك المراحل بكتب الجيل الأول، وابتداء من سنة 2015 شرع في تطبيق كتب الجيل الثاني والتي لا زالت قيد التجربة.

3- أهمية الكتاب المدرسي في العملية التعليمية: رأينا أن الكتاب

المدرسي هو الأساس في العملية التعليمية، بالإضافة إلى أنه همزة الوصل بين المعلم والمتعلم، فلا يمكن لأحدهما أن يستغني عن الكتاب في الأداء والتحصيل، فهو يشكل بالنسبة للمعلم (الحد الأدنى من المواد المرجعية التي على المعلم أن يرجع إليها، كما يقدم له عدة تسهيلات كتحديد أهداف الوحدة الدراسية المتوخاة، وإبراز المفاهيم الأساسية، واقتراح الأنشطة والتدريبات والتمرينات)¹، وهو بالنسبة للمتعلم الأنيس والرفيق فهو لا يكاد يفارق المتعلمين، ويمثل بالنسبة لهم المرجع الأساسي للإجابة على حاجاتهم المعرفية والعلمية، (وعلى المعلم حث تلاميذه دوماً على القراءة والتحضير، فوظيفته تتجاوز تأسيس عادات القراءة والمطالعة، إلى إنماء الميل للثقيف الذاتي، فلغة التلميذ تكمن في المقام الأول في الكتاب المدرسي، ومن هنا وجب الاهتمام به لأداء وظيفته المتمثلة في تبليغ المعرفة ودعم المكتسبات وتقويمها، وأداة للثقيف وحصول الملكة اللغوية)²، ويعتبر الكتاب هو الحامل لكل البرامج والمضامين والمعارف والسلوكات، وكل الأنشطة التدريسية، التي ينبغي على

¹- توفيق أحمد مرعي، محمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة "مفاهيمها، عناصرها وأسسها وعملياتها"، ص 256.

²- بدر الدين بن تريدي، وسائل ترقية اللغة العربية في التعليم الأساسي، درط، الجامعة المركزية، 1997، ص 85.

المتعلم أن يعرفها، ويعمل بها حتى تساعده في تسيير حياته، وتجعل منه كفواً لتحمل نتائج أفعاله وسلوكاته تجاه نفسه وتجاه أسرته ومجتمعه ووطنه، الكتاب المدرسي مصدر مركزي للمعرفة والعلوم وتعليم السلوك في المدرسة.

إن الكتاب المدرسي شحنة كبيرة من العلوم والتعلمات والأفكار في كل الميادين العلمية المعرفية الاجتماعية والثقافية، وهي شبكة من المعارف والسلوكات التي تم اختيارها وتصميمها وتوجيهها للمتعلم عن قصد ودراسة، إن تلك المعارف هي الخميرة والأساس الذي يعتمد عليه المتعلم في بناء قاعدته المعرفية وتطويرها وتوسيعها، الكتاب يعطي الأشياء المعرفية الخام، وكلنا يتذكر كيف كنا نحفظ بشغف كل نصوص الابتدائي حفظاً أعمى، وهو ما ساعدنا على بناء ملكتنا اللغوية وتحسينها وتأسيس الأطر العامة لفكرنا والأبعاد والأفق المستقبلية لطموحاتنا وإبداعاتنا، وتوسيع ثقافتنا الشخصية والمحلية والعامة وكل مكتسباتنا العلمية والمعرفية والتربوية. يحمل الكتاب المدرسي كذلك مجموعة من البطولات والقصص والأحداث والحكايات، التي تعبر عن أنماط حياتية مختلفة، وهي مجموعة من السير والعبر والسلوكات الجميلة والخيرة، التي نحن بحاجة لنقلها وتميرها للمتعلم حتى يقتدي بها، إن هذا الأخير يجد لذة في تقليد ومحاكاة من يتعلق بقصصهم وبطولاتهم، وعن طريقهم نحبيب له الحق والخير والجمال¹ منذ الصغر، وهكذا يكون شخصية قوية مبنية على الخير لا على الشر، فحتى وإن انحرف فيما بعد سيكون سهل إصلاحه لأن الخير فيه أصيل²، وهذه هي شبكة السلوكات الصالحة للفرد وللوطن التي يمكن تعليمها للمتعلم عبر الكتاب المدرسي، ونكون قد أسسنا لبناء فرد صالح للمجتمع وللوطن.

الكتاب المدرسي وسيلة وغاية في آن واحد، فهو إحدى الوسائل البيداغوجية الهامة في المهام التعليمية، كما أنه الملجأ الآمن الذي لا غنى عنه سواء بالنسبة للمعلم أو المتعلم، وهو أيضاً وسيلة من وسائل الجذب التي يستخدمها المعلم لربط تفكير المتعلم، ويتيح له مجموعة من الطرق والوسائل التعليمية الناجحة. بواسطة الكتاب يزداد تركيز واهتمام المتعلم ويسهل الأمر على المعلم، فيحدث التفاعل والتقارب بينهما، الكتاب يتيح للمتعلمين فرص التدريب على مهارات القراءة ويساهم في حماية ونقل ثقافة المجتمع وتراثه من جيل

¹ - وهي القيم والأخلاق التي تناولها أفلاطون في كتابه الجمهورية.

² - معنى مأخوذ من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

إلى جيل¹. ثم أن تجربتنا في الطور الابتدائي علمتنا أن الدروس التي لا نلجأ فيها إلى الكتاب، نحس خلالها بالضجر والملل، وهنا تتجلى لذة تقليب صفحات الكتاب، ولذة النظر إلى الصور الواردة فيه، وهي اللذة التي لا تخلو من أبعاد وأهداف تعليمية وتدرسية من حيث لا يدري المتعلم. إن الكتاب مصدر للمتعة والتسلية بنوع من الجد والعلم والهزل، وهو وسيلة هامة لنقل المتعلم وربطه بالمحيط الخارجي، بطريقة سلسلة من علاقته بالأسرة إلى علاقة أكبر بالمجتمع المدرسي، حتى يجد نفسه في مواجهة الحياة ككل، من خلال دوره وتفاعله الايجابي في المجتمع وفي الأمة والوطن. وهذا هو الهدف الذي يتوخاه المعلم في نهاية العام، وهو تمرير تلك الأفكار والمعارف والسلوكات، عن طريق ترجمتها إلى أهداف بيداغوجية وتعليمية أو إلى وضعيات بيداغوجية حقيقة، تجعل من المتعلم بطلها فيعيش لحظاتها ويمارسها، وهو ما يسمح بترسيخها في ذهنه قولاً وعملاً. إن الكتاب المدرسي بمضمونه البيداغوجي ومحتواه التعليمي، هو الهدف والأسمى من وراء كل عملية تعليمية تعليمية.

إن ضرورة الكتاب المدرسي كبيرة في العملية التعليمية، لحمل القيم الوطنية وتعليم سلوكات حب الوطن والولاء إليه والدفاع عنه، وهي القيم والمبادئ التي لا يجب أن تغيب عن كل كتاب مدرسي، وهو ما يجب على المصممين والمخططين وواضعي الكتاب المدرسي الانتباه إليه، لما في تاريخنا من بطولات ومآثر، وكيفينا فخراً أحداث الثورة التحريرية، وبطولات الشهداء الجزائريين العظماء، ويكاد كل شبر من أرض الجزائر يحمل حدثاً بطولياً، فهذا التاريخ يجب أن ينقل بعناية للأجيال الصاعدة، ولا جسر آمن في الوصول إلى قلب المتعلم إلا الكتاب المدرسي، فنصنع بواسطة الكتاب المدرسي جيلاً محباً لوطنه مدافعاً عنه ومفتخراً بالانتماء إليه. وأقول يكاد يكون الكتاب المدرسي رمزا من رموز الوطن. وله أهمية كبيرة في صناعة المواطنة والتربية عليها، وممارستها في المجتمع بين الأفراد والمسؤولين.

لذا تستلزم علميات وضع الكتب المدرسية دراسة ميدانية اجتماعية دقيقة، حتى يتم ضبط ما يطلبه المتعلمون وما يحتاجون إليه من معارف وتعلّيمات، وضبط حاجات

¹ - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص 103-104.

المجتمع ككل في قضايا التعليم والتربية، وهنا تطرح مواضيع حب الوطن والشعور بالولاء للأمة، والدفاع عن الوطن والافتخار به، وحماية المنجزات والمنشآت الوطنية، وهي القضايا التي تساهم في التمسك بالتاريخ والهوية والشخصية الوطنية، وتثمين التراث الوطني والعادات والتقاليد المحلية، والتنوع الثقافي والعرقي والديني في الوطن الواحد، فعن طريق الكتاب نتوصل إلى تمتين الوحدة الوطنية، ونجعل من عناصر اختلافنا عوامل وحدتنا ووطنيتنا وهي المواطنة الحقّة.

4- أهمية النصوص الأدبية في ترسيخ قيم المواطنة: تمتاز العملية التعليمية

التعليمية بالتعقيد والتركيب، وتدخل في تشكيلها وتنفيذها أمور كثيرة، منها ما هو متعلق بالمعلم، ومنها ما هو متعلق بالمتعلم، ومنها ما هو متعلق بالمضامين والمناهج التعليمية، ولعملية اختيار المضمون التعليمي دور هام في تحديد الأهداف والمرامي، فمجموعة النصوص الأدبية التعليمية المصورة أو المكتوبة أو المسموعة والمشكلة للمضمون التعليمي، هي الحاملة لجملة المعارف والكفاءات والمهارات المراد تمريرها للمتعلمين، فالمحتوى الدراسي هو حسن (اختيار وتنظيم مادة معينة "حقائق ومعلومات ومفاهيم... الخ"، مهارات "تعلم مجموعة في خطوات متتابعة"، ظروف ومواقف معينة لموضوع دراسي معين)¹، وهو الركيزة الأساسية لنجاح كل مشروع تعليمي.

إن تناولنا لأهمية النصوص الأدبية يعني بالخصوص تركيزنا على النصوص الأدبية التعليمية، التي تعتبر همزة الوصل بين المعلم والمتعلم. ومما لا شك فيه (أن الجنس الروائي... تظل نصوصه من أهم الإبداعات الأدبية التي عرفها عصرنا الحديث والتي وجدت عناية خاصة، وتراكت حولها الأبحاث والدراسات، وتمت معالجتها من مختلف المنظورات والمناهج سواء منها ذات الطابع الأدبي الصرف، أو تلك التي تستمد أطروحاتها من العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع والتحليل النفسي)²، وهي تلك الشحنة المعرفية والمعنوية والقيمية والدراسية التي تفرض نفسها على المتعلم فيكون مجبرا على مجابقتها ومواجهتها، واتخاذ موقفا منها، إما الدخول معها في صراع قد ينتهي بحل أو بإثارة مسألة معقدة، أو

¹ - جيرولد كومب، تصميم البرامج التعليمية، ترجمة: د/أحمد خيرى كاظم، ص82.

² - برنار فاليت، الرواية "مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ترجمة د/عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، درط، 2002، ص4.

الإحالة إلى بحث عميق وطويل، أو الدفع به إلى الاصطدام بنصوص أدبية أخرى، إن هذه العلاقة الحميمة تارة والمتوترة تارة أخرى، بين المتلقي/المتعلم والنص الأدبي التعليمي، هي الأساس في العملية التعليمية، وهي الدافع نحو البحث والتعلم والاكتساب والإبداع. لن نخوض في تعريفات النص الأدبي، لأننا سنجد أنفسنا أمام كم هائل من التعريفات العامة والخاصة، فكل واحد يعرفه من زاوية معينة تحت طائلة إيديولوجية محددة، يقول فولفغونغ عيزر: (النص يقدم رؤية منظورية للعالم "أي رؤية المؤلف"، وهو أيضا في حد ذاته مكون من منظورات متنوعة ترسم رؤية المؤلف، وتسهل بلوغ ذلك الشيء الذي ينبغي على القارئ تصوره)¹، لكننا سنقتصر على التعريفات التي تخدم العملية التعليمية، وتهتم بالنص الأدبي التعليمي، الذي يثير المتعلم فكريا ومعرفيا وأخلاقيا وتعليميا، وليس النص الأدبي الذي يحيل إلى صراعات بعيدة عن اهتمامات المتعلم وقضاياها، ومعيقة للمشروع الاجتماعي التربوي والبيداغوجي، وهو النص الذي عرفه رولان بارت على أنه (القول اللغوي الأدبي المكتفي بذاته والمكتمل في دلالاته... ومعنى هذا أننا عندما نتحدث عن نص أدبي فإننا نحيل إلى أفق خاص له حدود معينة، وتتجلى في هذا الفضاء مجموعة من الدلالات التي يسمح بها النص، وهي دلالات يتعين على القراءات النقدية تحديد مكوناتها وكشفها وتفسيرها بمنظور أسلوبى أو بنيوي، أو سيميولوجي، حيث تمثل شبكة من التقنيات الفنية المحددة بالاستعارات والرموز وأشكال التكرار والتوازي والإيقاع والصور النحوية والشفرات السردية، مما يتميز به النص الأدبي عن النصوص اللغوية الأخرى، ويدفع قارئه إلى أن يتبين فيه دلالات مفتوحة غير أحادية منسجمة على شكل الخطاب ومرتبطة في الآن ذاته بطبيعته الشعرية)²، وهذا هو دور الناقد، ويقابله في العمل التعليمي "دور المعلم"، فهذا الأخير عليه تبينان تلك الدلالات الكامنة في النصوص، وتحويلها إلى مجموعة من المعارف والقيم والسلوكات والأخلاق. وخلق المناخات والأجواء -الوضعيات البيداغوجية- الملائمة لتمريرها، بمقاربة منهجية معينة.

أما النص الأدبي التعليمي، فهو سليل النص الأدبي العام، وهو الوعاء الأنسب لحمل المعارف والقيم والأخلاق والسلوكات، وأشياء أخرى واضحة وخفية، والوسيلة الناجحة للتعبير عنها وتمثيلها، وتمريرها لأذهان المتعلمين وملكاتهم والتأثير عليهم

¹ - فولفغونغ عيزر، فعل القراءة، ترجمة: د/حميد لحداني ود/الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، المغرب، درط، دس ط، ص31.

² - صلاح فضل، في النقد الأدبي، ص 90.

في سلوكياتهم وتصرفاتهم. إنه نقطة انطلاق كل مشروع تعليمي، وهو (يقدم لنا مجموعة من البيانات، فأول ما تدرسه من النص هو: ما هي العناصر ذات الدلالة فيه؟ وما مدى دلالتها؟ وإلى أي مدى تمثل بنية متماسكة؟ وبالتالي ما هي العناصر الأخرى التي يمكن رفضها لتناقضها أو سطحياتها؟ ولا شك أنه ينبغي أن يكون النص الذي نخضعه لهذه الدراسة من الوضوح والسعة)¹، فحسب التعريف يشكل النص الأدبي الواحد مجموعة تعليمية محدّدة، ومشروع تعليمي أخلاقي متنوع، ومختلف المعارف والسلوكات والقيم والأخلاق ومؤسس (على نظام معين للقيم، واستراتيجيات ثقافية معينة، وأيديولوجيا معينة، توجه القراء وتجدد لهم مراجعهم الخاصة وتمنحهم افتراضاتهم المسبقة)²، وهذا ما يستدعي حسن اختيار النصوص الأدبية التعليمية وتصميمها وتنسيقها، قبل عرضها وطرحها في العملية التعليمية التعليمية، وتكييفها بما يخدم خير الفرد والأمة والوطن، وبما يتماشى مع تاريخ الوطن وإيديولوجيته وثقافته وتراثه وعاداته وتقاليده. ويجب الاحتراس من التعامل مع بعض النصوص الأدبية، وتوخي الحذر من تناولها في عمليات إعداد المضامين الدراسية، واختيار النصوص الأدبية التي تتناول الوطنية والمواطنة أثناء تصميم مضمون الكتاب المدرسي، فبعض المضامين تهدف إلى نشر البلبلة والفوضى، والتشويش على عقول المتعلمين، إن (التعامل مع أي نص شفهي كان أم مكتوبا، بكرا في قراءته أم متعدد التلقي، لا يشبه إلا التعامل مع ألغام زرعت في أراضٍ صحراوية كلما حاولت رياح شمالية أن تكشفها نسجتها رياح أخرى جنوبية)³.

ولا يمكن الحديث عن أهمية النصوص الأدبية في ترسيخ القيم الوطنية والتربية على المواطنة، دونما الكلام على علاقة النصوص الأدبية التعليمية بالمتعلم، وهنا يتم التركيز على الحيوية والتفاعلية الحاصلة من جراء تأثير النص وتجاوب المتعلم/القارئ، وهو ما يؤهله لاكتساب المهارة والمعرفة والسلوك والقيم، فيكون للنص أداء فعال ووظيفي ينعكس إيجابا على سلوك المتعلم، وهذا الأخير مدعو لتوظيف مخزونه المعرفي السابق، ليحصل هذا التزاوج والتفاعل مع النص الأدبي، الذي يجب أن يحمل أمورا وأشياء من ثقافة

¹ - صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1995، ص183.

² - عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات التلقي "دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة"، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص 242.

³ - عبد الجليل مرتاض، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، درط، 2007، ص5.

المتعلم، تجذبه وتغريه وتشجعه على الاستمرار في القراءة والتفاعل، وهو ما يقوي علاقته بالنص، لأن (النصوص الأدبية تأخذ حقيقتها من كونها تقرأ، وهذا بدوره يعني أن النصوص يجب أن تحتوى مسبقا على بعض شروط التحيين التي ستسمح لمعناها أن يتجمع في ذهن المتجاوب للمتلقي)¹، لذا يجب أن تكون معاني النص الأدبي ومعاني المتعلم/القارئ متقاربة. ويصنع هذه الحركة التفاعلية والمتبادلة بين النص والمتعلم (فعلين أساسيين: فعل إقناعي "المرسل" وفعل تأويلي "الذات"، فإن القبول كترجمة ثانية للتأويل، يُعد نقطة إرساء لقواعد اللعبة الآتية، والإعلان عن انخراط الذات فيها، على أن هذا القبول لا يعني سوى الانتقال من الاحتمال إلى التحيين، فلكي تحقق الذات انجازها، عليها أن تمتلك بشكل سابق الأهلية الضرورية لذلك. وبهذا يمكن النظر إلى الأهلية باعتبارها الشروط الضرورية السابقة عن الفعل المؤدي إلى امتلاك موضوع ما، وبناء عليه، لا يمكن الحديث عن الأهلية إلا من خلال ربطها بالإنجاز)²، والإنجاز هو قياس الأداء فهو عملية فهم وإدراك النص الأدبي من طرف المتعلم، هذا الإنجاز الذي يساعده على بناء معارفه وتوظيف ملكاته، والإيمان بالمعارف والأفكار والقيم التي يغرفها من النص، وتطبيقها والعمل بها في المجتمع. النص الأدبي المختار في العملية التعليمية، يجب أن يستفز القارئ/ المتعلم من خلال الأفكار والمعارف والقيم والمبادئ والرموز التي يحملها، (وبحكم أن النص الأدبي لا يمكن أن يقرأ دفعة واحدة، فإن القارئ مرغم على القراءة التدريجية، حتى يندمج في بنيات النص، ويعدل في كل لحظة مخزون ذاكرته، في ضوء المعطيات الجديدة، لكل لحظة من لحظات القراءة)³، لأن النص (لا يكتفي بتصوير الواقع أو الدلالة عليه. فحيثما يكون النص دالاً... فإنه يشارك في تحريك وتحويل الواقع الذي يمسك به في لحظة انغلاقه. بعبارة مغايرة، لا يجمع النص شتات واقع ثابت أو يوهم به دائماً، وإنما يبني المسرح المتنقل لحركته التي يساهم هو فيها ويكون محمولا وصفة لها)⁴، وهذا هو التعبير الحقيقي عن أهمية النص الأدبي التعليمي، إنه المادة الحية لمشهد حياتي حقيقي، أبطاله المتعلمون والمعلمون، وكل أطراف العملية التعليمية التعليمية.

¹ - فولفغونغ عيزر، فعل القراءة، ترجمة: د/حميد لحداني ود/الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، المغرب، درط، دس ط، ص30.

² - سعيد بن كراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003، ص ص69-60.

³ - المرجع نفسه، ص5.

⁴ - جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 1997، ص 09.

وأهمية النصوص الأدبية كبيرة في عملية تعليم المواطنة وترسيخها لدى المتعلمين، فتمرير المعارف والأفكار والسلوكات والقيم والأخلاق وكل التعلمات الأخرى لا يمر إلا عبر النصوص الأدبية، سواء كانت مصورة أو مسموعة أو مقروءة، فالنصوص الأدبية شحنة معرفية كبيرة ومتنوعة في كل مجالات حياة الإنسان، وهي شبكة كبيرة ومتناسقة من القيم والمبادئ الاجتماعية والأخلاقية والوطنية التي يكون المتعلم في حاجة إليها لبناء شخصيته ورسم خارطة طريق صحيحة، النص بشكل عام وعاء من القيم والمبادئ، وعلى المعلم تبيانها وتوضيحها ومساعدة المتعلم على استخلاصها خاصة تلك المتعلقة بالتاريخ الوطني وبأهم الانجازات والبطولات الوطنية، وتراث الوطن وثقافته، وباللغات الوطنية وبدين الدولة، فيكون النص الأدبي وسيلة لتقوية الوحدة الوطنية وإثبات خصوصية الشخصية الوطنية، وحماية التراث الوطني وكل عناصر الهوية الوطنية، بالإضافة إلى إكساب المتعلمين كل المعارف والعلوم والمستجدات في مجال البحث والتكنولوجيا، حتى يتم تحضيرهم وتدريبهم للعمل الصالح في الحياة، وتنشأتهم على حب الوطن والدفاع عليه، وعلى كل المبادئ والرموز الوطنية، وعلى حماية الانجازات الوطنية، ومواصلة العمل لتطوير الوطن¹.

ويمكن تلخيص أهمية النص الأدبي التعليمي في شيئين هما الإمتاع والفائدة، فالنص هو ملجأ المتعلم عندما يحس بالضجر والضييق، من خلال فقرات الفكاهة والتسلية التي يحتويها الكتاب، أو تلك اللحظات الجميلة الممتعة التي يصنعها المعلم أثناء شرحه وتفاعله مع المتعلمين، والتي يربطها في غالب الأحيان بالنص، دون أن ننسى تأثير عامل الصور فهو أيضا له أهميته في الإمتاع والترفيه، الصورة تأخذ المتعلم إلى عالم الخيال والحرية الفكرية. فهو قد يعجب بصورة شخص أو منظر طبيعي أو أي صورة أخرى، فيتأثر بها وينفعل، وهنا تمر الفكرة أو القيمة التي تحملها الصورة أو الشخصية أو المضمون إلى ذهن المتعلم في جو من الرغبة والمرح والسعادة. النص له أهمية كبيرة أيضا إذا تعلق الأمر بالفائدة والمنفعة العلمية، فهو يجيب على حاجات المتعلم العلمية والمعرفية، باعتباره مجموعة من المعارف والأفكار والقيم الاجتماعية والوطنية والثقافية والتجارب الحياتية،

¹ - Voir: Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, p1.

وهذا ما يولد أيضا سعادة ورضا واطمئنان لدى المتعلم. إنه يستأنس بالنص ويحبه، وينجذب إليه من خلال آليات النص العجيبة، التي تستفز شعور المتعلم وفضوله، فالنص جهاز معرفي عجيب، لا يلبث أن يصبح كاللعبة في يد المتعلم، فيضع الطرق المناسبة لمداعبتها وتحريكها انطلاقا من وضعياته ومخزونه السابق، وانطلاقا من عمل المعلم، لذا فللنصوص أهمية كبيرة في تمرير المعارف والقيم للمتعلمين، وفي التأثير عليهم، وبالتالي ترسيخ القيم والمبادئ الوطنية في نفوسهم، إن النص مشروع مجتمع حقيقي لإعداد المتعلمين، إذا أحسن اختياره وتصميمه، لذا فعملية اختيار النصوص ليست من فعل الصدفة أو العبث بل هو فعل مدروس مخطط له، الهدف من وراءه هو ترسيخ الأخلاق والقيم الفنية والوطنية، التي تخدم السياسة العامة للبلاد ولا تتنافى مع تاريخها وتراثها وانجازاتها وبطولاتها، دون أن ننسى تشكيل وبناء فكر ووعي وشخصية المتعلم الهادفة كلها لتنشئة مواطن الصالح.

5- المواطنة كسلوكات في ظل مقاربة التدريس بالأهداف: قبل الحديث عن

تعليم القيم الوطنية والمواطنة كملكات وكفاءات، في ظل المقاربة المعتمدة حاليا في المدرسة الجزائرية، سنتعرض لكيفية تعليم هذه القيم والسلوكات الوطنية في ظل المقاربة بالأهداف التي كانت معتمدة سابقا، والتي تعبر عن (نموذج التدريس الهادف المكون من المعلم والمتعلم والمادة الدراسية والأهداف التربوية)¹. أما المواطنة فكما انتهينا إليها في الفصل الأول فهي الممارسة والأفعال والتصرفات التي تعبر عن احترام القوانين والأنظمة ومعرفة الحقوق والواجبات وحب الوطن والغيرة عليه، وحب رموزه ومبادئه وتراثه وعاداته وتقاليده. هي كل السلوكات والتصرفات والأفعال الملاحظة على المتعلمين، هذه السلوكات التي لم تكن من وحي الصدفة، بل كان التحضير لها والتخطيط الكبير لترجمتها إلى ما هي عليه، فكانت عبارة عن أهداف وغايات مبرمجة سلفا. (فالهدف معناه وجود عمل مرتب منظم، عمل يقوم فيه النظام على الإكمال التدريجي لعملية من العمليات. فإذا كان هنالك عمل مرهون بمدة من الزمن يزداد مع تعاقب الأيام نموه، كان معنى الهدف تدبر الغاية أو النهاية المحتملة)². أما في ظل المقاربة بالأهداف فنقوم بحصر كل التصرفات والسلوكات والممارسات التي تعبر عن المواطنة الحقّة في شكل أهداف وغايات يمكن تمريرها إلى المتعلمين، فيتعرف المتعلم

¹ - رضا جوامع، استثمار تعليمية اللغات في تدريس البلاغة العربية، رهنات وآفاق، مجلة العربية، العدد 02، 2005، ص 149.

² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 105.

على المواطنة ويقتنع بها سلوكيا، بواسطة مجموعة من المثيرات، يتفاعل معها ويستجيب لها، ويستلذ تعزيزاتها الختامية. ومن أمثلة تلك السلوكات في التربية على المواطنة: حفظ وتكرار الأناشيد الوطنية الموجودة في الكتاب المدرسي، وعملية الاستعداد للعلم. والمحافظة على المدرسة ونظافتها وأثاثها بصفة خاصة والممتلكات العمومية بصفة عامة.

اعتمدت الجزائر التدريس بالأهداف في ظل التعليم الأساسي القائم على خلفية النظرية السلوكية المنبثقة من الإيديولوجية البنيوية، التي تعتمد على المثير والاستجابة والتعزيز، تصب النظرية السلوكية كل اهتمامها على السلوك، فحصرت كل التعلّمات العلمية والمعرفية والاجتماعية والأخلاقية والوطنية في السلوك، لأن العلم يعتمد المنهج التجريبي ويدرس من الظواهر ما هو محسوس، وقابل للقياس وللتجريب عليه، تعرّف المدرسة السلوكية التعلم بأنه ذلك التغير الملاحظ على السلوك إيجابا أو سلبا بصفة نسبية أو تامة، والذي تنطلق دراسته من الملاحظة، وترى هذه المدرسة أن أي فعل أو سلوك أو أي تصرف لا يفهم إلا من خلال السلوكات الخاضعة للمثير والاستجابة، وأن (المعرفة لم تكتشف وإنما بنيت من طرف الأفراد... المعرفة لا يتم تلقاها بصورة سلبية من العالم الخارجي أو من المصادر السلطوية، ولكن يتم بنائها من قبل الأفراد أو المجموعات بحيث تجعل من خبراتهم في العالم أمرا معقولا)¹. وإنما نتلقى (التربية من مصادر ثلاثة: الطبيعة، والناس والأشياء. فنمو أعضائنا واستعدادنا نموا ذاتيا يؤلف تربية الطبيعة، وما نعلمه من وجوه استغلال هذا النمو يؤلف التربية التي نتلقاها من الناس، وما نكتسبه من خبرة شخصية من الأشياء المحيطة يؤلف تربية الأشياء)². والشئ المؤكد من هذا أن التعليم محسوس، أي مرتبط بمثير واستجابة، وأهم أعلام هذه النظرية هم بافلوف، واطسن، ثوراندايك، سكينر وبلومفيلد.

ترى هذه النظرية أن العملية التعليمية ذاتية البناء فيما يخص اكتساب المعارف والحقائق الواقعية، يتم فيها صنع المعاني بأدوات ورموز تفاعلية من خلال نشاط اجتماعي تعاوني³، وتدرس عملية التعليم والتعلم، انطلاقا من تطور السلوك والفعل الخاضع لأتوماتيكية المثير والاستجابة، ودور التعزيز والتحفيز في العملية، فحصرت كل التعلّمات

¹ - محمد سلمان فياض الخزاعة وآخرون، نظريات في التربية، ص 207-208.
² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 117.
³ - ينظر: المرجع السابق، ص 211-212.

والمعارف في مجموعة أهداف وغايات محددة عامة وجزئية. ويقوم المعلم سواء من خلال نشاطاته أو من خلال النشاطات المبرمجة في الكتاب المدرسي، بتوفير وتفعيل المثيرات اللازمة والمفيدة لتحقيق المتعلم الاستجابة المرغوبة والتفاعل مع المعلم، كما يقوم المعلم بحقق وتفعيل التعزيزات والمحفزات المناسبة لاستمرار عملية التفاعل والتنافس والتطور في تحسين السلوك بين المتعلمين حتى يصلوا إلى الهدف أو الغاية المرجوة، فيبدي المتعلم سلوكيات ملاحظة في صورة تكرار، أو تقليد أفعال يراها في معلمه، أو يطلع عليها في الكتاب المدرسي، أو يحاكيها عن زملائه وعن كل الأشخاص المحيطين به في الأسرة أو المدرسة أو المجتمع، وتكون استجابة الآخرين له نوعاً آخر أيضاً من التعزيز بالشكر والاستحسان فيستمر في تطوير سلوكه وتحسينه للأفضل، أو الذم والنهي فيتوقف عنه. ولتحقيق الهدف البيداغوجي هناك ثلاثة خطوات وهي (أولاً: أنه يتضمن الملاحظة الدقيقة للظروف القائمة لمعرفة الوسائل الميسورة لبلوغ الغاية واكتشاف ما يعترض الطريق من عقبات. وثانياً: أنه يوعز بالتسلسل أو الترتيب الصحيح في استخدام الوسائل فيسهل اختيارها وتنظيمها باقتصاد. وثالثاً: أنه يمكن من تخير طريق دون آخر من الطرق المحتملة)¹، وهذه الخطوات هي الأهداف الإجرائية أو المساعدة للوصول إلى تحقيق الهدف الأساسي.

تعتمد هذه النظرية على تكرار² العلاقة بين المثير والاستجابة عدة مرات لمدة محددة من الزمن، حتى يكتسب المتعلم عادة في سلوك ذلك التصرف أو الفعل، تكمل بمحفزات وتعزيزات³ لاستمرارها ومواصلتها، والتعزيز أو التحفيز هو المكافأة بالثواب أو العقاب في آخر العملية، أي بالجزاء الإيجابي المولد للذة أو السلبي المولد للألم. إذن فكل التعلمات والمعارف والمكتسبات التي يتعلمها الطفل تتم عن طريق خبرته السابقة وتجربة الآنية القائمة على المحاولة والخطأ والتكرار والعادة والمنتية بالتحفيز والتعزيز. وإذا كانت عملية التعلم والتعليم على هذا الشكل القائم على ضبط السلوك الظاهر والملاحظ مباشرة، المتولد من المثير والاستجابة⁴، فإن كل سلوكيات الإنسان وتصرفاته، لا تعدوا أن

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص 106.

² - صاحب مصطلح التكرار والمحاولة والخطأ هو الأمريكي إدوارد لي ثورندايك Edward Lee Thorndike 1874-1949.

³ - صاحب مصطلح التعزيز هو الأمريكي بيرهوس فريديريك سكينر Burrhus Frederic Skinner 1904-1990.

⁴ - صاحب مصطلح المثير والاستجابة هو الروسي إيفان بيتروفيتش بافلوف Ivan Petrovitch Pavlov 1849-1936.

تكون ردود أفعال واستجابة لمثيرات مختلفة يمكن ملاحظتها وقياسها، ومن خلالها يمكن التحكم والسيطرة على السلوك وضبطه. فنوجه سلوك المتعلم الوجهة التي نريد، ونستطيع حتى التنبؤ به وتغييره وتحسينه في الوقت الذي نريد. هكذا توصلت المدرسة السلوكية إلى السيطرة على السلوك، وذلك عن طريق ربطه بمجموعة من المثيرات المختلفة المنفردة أو المتتابعة، والتي تترتب عنها استجابات متنوعة تعبر على التفاعل والارتباط الذي يديه المتعلم بالمثير، ولواطسن قوله المشهور في هذا: (أعطوني عشرة أطفال أصحاء سليمي التكوين، وسأختار أيا منهم أو أحدهم عشوائيا ثم أعلمه فأصنع منه ما أريد طبيبا أو مهندسا أو محاميا أو فنانا أو تاجرا أو مسؤولا أو لصا، وذلك بغض النظر عن مواهبه وميوله واتجاهاته وقدراته أو سلالة أسلافه)¹.

كل التعلّمات والمعارف الخاصة بالمواطنة في ظل المقاربة بالأهداف، ضبطت وحددت في شكل مثيرات خاصة يستفز المتعلم بها ويثار، للوصول به إلى غاية أو هدف المواطنة، أي السلوك والممارسة الفعلية للمواطنة، (وهي ما يجعل الفرد لطيف المعشر... وقادرا على أن ينتقد الأشخاص والخطط نقدا حكيما، وعلى أن يشترك بصورة فعالة في سن القوانين والخضوع لها)²، وهذا ما يتم عبر المدرسة فقط، التي يكون فيها المعلم هو المسؤول على توفير البيئة الخاصة للتعليم، وهو المستفز والمحدد والموظف للمثيرات، وهو المسؤول عن توجيه سلوكات المتعلم وتعديلها والقيام بالتعزيزات والتحفيزات الملائمة، أما المتعلم فيكون مجرد منفعل أو مستجيب لها، فتقدم القيم والمبادئ المرتبطة بالوطنية والمواطنة في شكل مثيرات خاصة تستوجب استجابة معينة من المتعلم، بطريقة مرحلية مترابطة ومتسلسلة ومستمرة، تتخللها عدة تكرارات لبعض المثيرات.

أهملت هذه المقاربة كل العمليات العقلية والاستبطانية للمتعلّم، والتي تحدث أثناء عمليات التفاعل بين المثير والاستجابة، وجعلت من المتعلم مجرد آلة متحكم فيها عن بعد، وطرف سلبي في العملية التعليمية التعليمية، كما أقصت كل الأطراف الأخرى القائمة على العقل والاستبطان والإدراك، والتي أثبتت نجاحتها في التربية والتعليم منذ القديم، ما

¹ - ينظر: الموقع الإلكتروني لمكتب التربية العربي لدول الخليج، <https://www.abegs.org>، بتاريخ: 18 نوفمبر 2016.

² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص125.

يعاب على هذه النظرية أيضا أن الاستجابة تزول بمجرد زوال المثير أو غياب التعزيز والتحفيز، وبالتالي ذهاب كل مجهودات التعليم أدراج الرياح، ثم إن المواطنة ليست مجرد ممارسات وسلوكات خاضعة للعادة والتكرار، ولكنها اعتقاد وإيمان قبلي يحيا ويتجدد ويتوالد باستمرار في عقل المتعلم، حتى يكون من أحد مبادئ ورموز ومقومات شخصيته القاعدية، أما أن يكون مجرد هدف فسرعان ما يتركه ويتخلى عنه بمجرد بلوغه، وبالتالي ينساه وينقلب إلى ما كان عليه، وإلى ما هو متجذر في شخصيته، وفي فكره وعقله.

يستلزم هذا النوع من المقاربة وجود وتوفير مجموعة كبيرة من الظروف والمواقف والوضعيات وحتى بعض الوسائل وهي (العوامل التي تجري في ضوئها صياغة الأهداف. ونقصد بها بقية عناصر العملية الاتصالية، كطبيعة الرسالة ومحتواها، وطبيعة الوسيلة المستخدمة في إيصالها، ومواصفات الجمهور المتلقي، وبيئة الإرسال والتلقي، والعوامل المساعدة والمعيقة لعملية الاتصال. وهذه العوامل أو ما يقابلها في تصميم التدريس، هي نفسها التي تتحكم في صياغة أهداف الموقف التعليمي التعلّمي)¹. لهذا يصلح وينجح هذا النوع من المقاربة في عملية تعلم واكتساب بعض العادات والمهارات الحركية مثل السباحة أو السياقة ومختلف الألعاب والرياضات البدنية التي تعتمد على التدريب بشكل مستمر، لكنه غير مجدي في تعليم المهارات والسلوكات والأفكار التي تقوم على العمليات الإدراكية والعقلية. وهي الأفكار والمعارف والسلوكات الخاصة بالتعليم والتربية على الوطنية والمواطنة، التي هي قيم ومبادئ عقلية، كقيم الإحساس والشعور بالانتماء للوطن وحبه والدفاع عليه، وتقدير مصلحته وحمايته والغيرة عليه، ومعرفة الواجبات والحقوق واحترام القوانين والأنظمة، والعناية بالمنجزات والمنشآت الوطنية العامة، والتربية على الديمقراطية، واحترام الرأي المخالف والتعايش في ظل التنوع الثقافي الكبير، وتقريبه من سياسات الحوار والتشاور والاستماع والنقد البناء.

هكذا يتم تعزيز الوطنية والمواطنة لدى المتعلمين وتقويتها، وتأهيلهم لتحمل مسؤولية أعمالهم، وأداء دورهم في الأسرة والمجتمع والأمة، من خلال معرفتهم وممارستهم

¹ - حارث عيود، الاتصال التربوي، ص76.

الحقيقية للحقوق والواجبات وفق النظم والقوانين المعمول بها، والحفاظ على بيئة الوطن ومحيطه وحمايتهما. فالمواطنة ليست قيما ومبادئ ومعارفًا وتعلمات سلوكية تمرر من خلال مختلف النشاطات التربوية والمضامين والمحتويات الدراسية، المدرسة وفق مجموعة من المثيرات والدوافع، كما لا يمكن حصرها في مجموعة من الأهداف يتم بلوغها في نهاية المطاف، ولكن المواطنة أخلاق قيمية أساسها العقل والتاريخ والتراث والعادات والتقاليد التي تحتاج في تعليمها وتمريرها إلى وعي تام من المتعلم وحضور بالروح والجسد والعقل، حتى يعتقدها ويؤمن بها ويتربى ويتكون عليها.

6- المواطنة كتصورات في ظل مقاربة التدريس بالكفاءات: نظرا للفشل

الذريع الذي عرفته المقاربة بالأهداف في مجال التربية والتعليم، ونظرا للتحول الكبير الذي عرفه العالم في مجال التعليمات والديداكتيك، اعتمدت الجزائر مقاربة الكفاءات منذ بداية الألفية الثالثة، كانت هذه المقاربة نتيجة للتحوّل الكبير في الفكر البنوي الذي ظهر في أفكار العالم دي سوسير، والذي عزل كل القوى العقلية والفكرية والاستبطانية للإنسان، وعزل دورها في التكيف وفي تحقيق التوازن النفسي وممارسة الحياة والتغلب على مشاكلها. هذه القوى الداخلية الكبيرة التي تلعب دورا كبيرا في التفاعل والتنسيق والربط بين الظواهر، ولها أهمية كذلك في الإبداع والابتكار، هذه القوى الداخلية هي ما يعرف بالملكة أو الكفاءة أو القوة الفطرية التي يتمتع بها كل إنسان منذ ولادته، فما هي الكفاءة؟ وما هي هذه المقاربة الجديدة؟ وما هي أهميتها ودورها في التربية والتعليم على المواطنة؟

تعود الجذور الفلسفية للمقاربة بالكفاءات إلى العالم والفيلسوف واللساني الأمريكي أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky، الذي عرف بالشخصية الثقافية البارزة¹، وقد أشتقت الخطوط العريضة للمقاربة بالكفاءات، من آراءه وأفكاره اللسانية ذات البعد الفلسفي، فأعماله الفلسفية أعادت إلى اللغة إنسانيتها، بعد أن عزلتها أفكار دي سوسير وتلامذته، لقد أنسن تشومسكي اللسانيات، وأعاد اللغة إلى مهدها الأول وهو الإنسان، فرأى أن اللغة هي أعظم خاصية ونشاط ذهني يقوم به الكائن البشري، والوصول إلى معرفة اللغة لا يعني دراسة الكلام المسموع والمنطوق، ولكن هو البحث في تلك القدرات

¹ - ينظر موقع: <https://www.ar.wikipedia.org>، بتاريخ: 06 أكتوبر 2017.

الكامنة التي تمكّن الإنسان من الكلام، وفي قوانين عملها وظروف تشكلها ونشأتها، ومن ثم انصب الاهتمام على دراسة الكفاءة أو الفطرة اللغوية الأولى ¹Compétence، ونظرا لأن تعلم اللغة أساس كل التعلّمات، فإن لكل إنسان القدرة على تعلم اللغة وتعلم كل الأفكار والمعارف والتعلّمات الأخرى. بشرط حسن توظيف الملكة والقدرة، وتوفير الأجواء والظروف الملائمة أو ما يعرف بالوضعيّات البيداغوجية.

أما الكفاءة فهي القدرة الفطرية التي تولد مع كل إنسان، (قيمتها تقاس بما تؤدي إليه من إدراك العلاقات أو اللواحق، وهي تنطوي على الإدراك بمقدار ما تتجمع بعضها فوق بعض أو تتعاضد أو بمقدار ما فيها من المعنى)²، وهي واحدة لدى جميع الناس لكنها تختلف من حيث درجة الأداء بينهم، إذن الكفاءة هي القدرة على الإنتاج والإبداع والتكيف، والقدرة على التقييم والتحليل والتصحيح، من خلال التواجد داخل المجموعة أو داخل المجتمع والتفاعل معه، فيستكمل التوجيه والارشاد بالتواجد داخل تلك المجموعات³، وهذا التكيف والتفاعل يتم كله بقوى وعمليات فطرية وعقلية وإدراكية، من خلال توظيف الأفكار والمعارف التي يكتسبها المتعلم من التفاعل ضمن تلك المجموعات، والتي يعبر عليها بسلوكات وأخلاق ذات صلة بالوطنية والمواطنة، وهي الجانب الظاهر والمترجم لتلك التصورات الذهنية التي اكتسبها المتعلم بخصوص التربية على الوطنية والمواطنة، كفاءة المواطنة أو أي كفاءة أخرى تستلزم (إيجاد جو يستطيع به الطلاب السعي للمعرفة بحيث يصبحوا منتجين للمعرفة وليس مستهلكين أو متلقين لها، ومن هنا ينتقلون إلى مرحلة التطبيق لمهارات الكفاءة، وتطوير أدائها الإنتاجي)⁴، فيبدون حبهم للمبادئ والرموز الوطنية، ويمارسون مواظنتهم، ويكونوا نموذج المواطن الصالح الذي يحب وطنه ويدافع ويغير عليه، ويعمل على تطويره ورفقيّه، والمطلوب من المتعلم ليس ممارسة المواطنة وفهمها فقط، وإنما تطويرها والحفاظ عليها والاستمرار في ممارستها.

¹ - هذا مصطلح خاص باللساني الأمريكي نعوم تشومسكي، وهو عالم وفيلسوف ولساني وناقد وناشط سياسي ومؤرخ أمريكي، ولد بفيلا ديلفيا 1928، كتب في الأدب واللسانيات والحروب والسياسة والاعلام.

² - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص146.

³ - ينظر: المرجع نفسه، ص42.

⁴ - د. محمد سلمان فياض الخزاعلة وآخرون، نظريات في التربية، ص125.

الكفاءة طاقة كامنة لدى كل متعلم، تبرز في قدرته على التعبير والتساؤل والربط بين الظواهر، وتشخيص المشكلات وطرح الأسئلة واقتراح الأجوبة، تختلف باختلاف المتعلمين حسب درجات الأداء الذي يتحسن بمدى تجاوب المتعلم وتفاعله داخل الوضعية، لذا نجد أن لكل متعلم وضعيته الخاصة التي تستفزه، والتي تؤدي به إلى إبراز طاقته الكامنة وقدرته العجيبة في التعبير/الأفكار، وفي التمثيل/السلوك، وفي الإبداع/الحلول، والشيء نفسه إذا تعلق الأمر بتعليم المواطنة والتربية عليها، فما على المعلم إلا توفير الظروف والوضيعات الملائمة لمعيشة المناسبات الوطنية، وترك المتعلم يتفاعل ويتكيف معها لفهمها ووعيتها، فيتيح له الفرصة لإبراز طاقاته وقدراته على التعبير والتفاعل والفهم والإدراك المتعلق بكل القيم والمبادئ الوطنية سلوكات المواطنة، فيقوم بتوظيف الألفاظ والأساليب والعبارات ويسلك كل السلوكات والتصرفات التي تنم عن فهمه العميق للوطنية والمواطنة، ويمكن تمرير ذلك أيضا من خلال الأعمال والنشاطات التربوية، وفي النصوص والقصص والصور التي لها علاقة بالوطنية والمواطنة مباشرة، والمبثوثة في ثنايا البرنامج الدراسي وفي الكتاب المدرسي المسطر في كل الأطوار.

يرى أصحاب هذه المقاربة أن كل سلوك أو تصرف أو أي فعل، ينم عن فكرة وعلم قبلي بقوانين وقواعد معينة، تتحكم في كل تلك الأفعال والسلوكات والتصرفات. فبمعرفة تلك القوانين والقواعد القبلية والتحكم فيها، يستطيع المتعلم تطوير سلوكاته وتصرفاته وطريقته في الحياة، عن طريق تفعيله للعمليات العقلية الفطرية التي يتمتع بها، وعن طريق مقارنة نمط حياته بنمط حياة المحيطين به، فهم الذين يصنعون وجوده وقيمه. ذلك أن (بني البشر يولدون قليلي النضج إلى درجة أنهم لو تركوا وأنفسهم بدون توجيه الآخرين وعونهم، ما تمكنوا من الحصول حتى على أيسر الكفايات اللازمة لحياتهم المادية)¹. أما فيما يخص التربية والتعليم على المواطنة فيقتضي تفعيل تلك القوانين والقواعد الفطرية عن طريق الوضيعات والمشكلات الملائمة لها، ليتمكن المتعلم من معرفتها، ويستطيع التفاعل معها، وتطوير مواطنته وممارستها وتحسينها والعمل على جعلها النموذج والمثال في المجتمع، وهو ما سيخلق نوعا من المنافسة والتقليد بين المتعلمين. إذن تنطلق

¹ - جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر:متى عقراوي وزكريا ميخائيل، ص4.

هذه المقاربة من الاعتقاد أن كل المتعلمين ذوا كفاءات فطرية معينة، تمكنهم من تطوير معارفهم وسلوكاتهم وإنتاج أخرى، انطلاقاً من المادة الخام الفطرية التي يعمل المعلم على الاستثمار فيها على طريقة: (كيف ندفع ببلاغة القول المخاطبين إلى القيام بأفعال وتصرفات معينة)¹، وذلك طبعاً بتوفير الأجواء والمناخات المناسبة، لتفجير إبداعاتهم في الاكتساب والمعرفة والربط والتنسيق والتطوير والتحسين والتصحيح بين الظواهر والسلوكات، ومن خلال اللقاءات المختلفة مع الآخر في الصف أو في الأسرة أو في المجتمع، وذلك كله يتم بعمليات عقلية داخلية أولها التصور والتحقق والتنظيم والتتابع والترابط والاستمرار والاستدعاء والاختيار حتى تنتهي إلى الانجاز والتقييم فتتحول الفكرة إلى سلوك عن قناعة واعتقاد.

تحاول مقاربة تشومسكي في التعليم تجاوز التطبيق الآلي للمعارف الذي يرهنها بجملة من المثيرات الروتينية الضرورية لكل استجابة تعليمية، ويحاول الاستثمار في الكفاءة التي تعتبر محركاً داخلياً لكل متعلم، وهو ما يساعد على تعليم المعارف المبادئ والرموز الوطنية والسلوكات والتصرفات الخاصة بالمواطنة، فهي أفعال قابلة للتطور والتحسين والتطوير والتصحيح، موازاة مع تطور المفاهيم والمجتمعات. الكفاءة هي الوحيدة التي تمنح هذه الميزة للمتعلم، وتساهم في غرس المواطنة في ذهنه، كتصورات وكفاءات قابلة للتطور والتغيير الحميد، وهذا كله يجب أن يكون في بيئة تعليمية تهتم بمتغيرات العصر والعولمة، وهي البيئة المحفزة للتفكير السليم والمحمي من الخطابات المغرضة والهدامة التي كثرت في عصرنا هذا. هكذا تكون الغايات والأهداف من وراء تدريس الأدب الوطني ونصوص المواطنة، هو تنمية الوعي الوطني لدى المتعلمين، ومساعدتهم على صياغة الأفكار الوطنية الصحيحة وتنمية شعورهم بالانتماء الوطني، وزرع مختلف القيم والمبادئ والرموز الوطنية في أذهانهم وفي شخصياتهم.

تعليم المواطنة مؤسس على العمل الميداني، ويبنى بالممارسة وتحسين السلوك، وهذا ما يجعل من التربية عليها وتعليمها عملية تداولية، وهو ما يتوافق مع النظرة

¹ - محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، درط، بيروت/لبنان، 2008، ص16.

الجديدة للمقاربة بالكفاءات المبنية على الحجاج والممارسة والمنافسة في الإيضاح والإبلاغ، وهي كلها عمليات تطبيقية ميدانية ملاحظة وملموسة. وعليه نؤكد رأينا الذي أشرنا إليه في الفصل الأول وهو أن المواطنة هي التعبير الميداني والتطبيقي عن الوطنية، وأهم الكفاءات الخاصة بالمواطنة والتي تتيح للمتعلم تطوير سلوكه الوطني، هي قبول الآخر والتفكير الناقد البناء، وقبول ثقافة الاختلاف والقدرة على حل المشكلات بالطرق العقلية وبالحوار، فالمتعلم الذي تتاح له هذه الكفاءات يكون على قدرة بالتفاعل والمعايشة والمواطنة، ويكون مواطناً صالحاً نافعاً مدافعاً عن وطنه وأمته وعاداته وتقاليده وتراثه وثقافته.

أما الوضعيات الخاصة والمناسبة لتعليم أفكار وقيم المواطنة وغرسها في نفوس المتعلمين، فهي خلق محيط خاص بالمواطنة في المجتمع والمدرسة، حتى يكون المتعلم على علاقة مباشرة بأمور وطنية، ومدفوع للتذكر والسؤال والبحث عن الحلول للمشكلات ذات الطابع الوطني التي تعترض حياته اليومية، هكذا نستطيع تقريب الوعي الوطني من المتعلم، ومثل ذلك رفع الرايات الوطنية في الشوارع، ونشر بيان أول نوفمبر في كل الإدارات والمؤسسات، وأن لا تخلو كل الحياة اليومية للمتعلم من الأسرة إلى المدرسة إلى الحديقة إلى السينما إلى المسرح إلى الإدارة من أشياء وطنية. بالإضافة إلى تقريب المتعلمين من المؤسسات والإدارات الوطنية والمدنية، وتعريفهم بكل الانجازات والبطولات الوطنية، وذلك من خلال تنظيم زيارات مبرمجة ومنسقة لتلك المؤسسات، وتنظيم زيارات أخرى لمواقع معارك الثورة التحريرية الكبرى، وآثار الشهداء كمؤتمر الصومام، والمتاحف الوطنية، وترتيب لقاءات ومحاضرات مع المجاهدين الذين مازالوا على قيد الحياة، وذلك مواعيد المناسبات الوطنية الكبرى التي تزخر بها الثورة التحريرية، إن هذه النشاطات تقرب الرؤى من أذهان المتعلمين، وتجعلهم يعيشون الحدث بعينه، وكأنه وقع أمامهم أو وكأنهم عايشوه وحضروه، فيعتقدونه ويؤمنوا به، وبالتالي يترسخ لديهم عن قاعة وحب وشعور وانتماء وليس كههدف يبحثون على بلوغه وكفى.

هذه هي الوضعيات العامة لتسهيل التربية على المواطنة، ويبقى على المعلم تعزيز الانتماء الوطني والمشاركة الاجتماعية المفيدة والفعالة، ومساعدة المتعلم على تحويل الفكرة الوطنية، إلى سلوك نافع وسوي في المجتمع، يترجم التربية الحقيقية على

المواطنة ويعزز روحها في نفوس المتعلمين. فمن خلال الكفاءات يمكن بث القيم والمبادئ التي لها علاقة بالمواطنة والوطنية، في النصوص الأدبية المختلفة المكونة للبرامج التعليمية العامة، خاصة تلك القيم التي أسلفنا ذكرها كتنمية الشعور بالانتماء الوطني والإخلاص في حب الوطن والدفاع عنه وحمايته وخدمته وتطويره، والمحافظة على إنجازاته ومكتسباته، وتعزيز الوحدة الوطنية والعمل الجماعي، وحقوق الاختلاف واحترام الآخر، الإيمان والثقة بالنفس والاستعداد لتحمل المسؤولية، احترام القوانين والأنظمة، هكذا نضع الأرضية المناسبة للمتعلم لتنمية كفاءاته وقدراته، ليكون مواطناً صالحاً يؤمن بالديمقراطية والحريات والحقوق والواجبات، ويحافظ على سلامة البيئة والمحيط.

7- واقع تأليف الكتاب المدرسي في الجزائر: سمات كثيرة يجب مراعاتها

أثناء عمليات تصميم ووضع وتشكيل مضمون الكتاب المدرسي، أهمها اختيار لجنة وضع النصوص والمضامين والتي يجب أن تكون ممن لهم تمرس وخبرة ودراية كبيرة في مجال التعليم والبيداغوجيا والتربية، ويكون مشهود لهم بأعمال كبيرة ومجهودات طويلة في مجال الإصلاح والتحسين التربوي والتعليمي، أما الشرط الهام فيجب أن يكونوا من أبناء الوطن المطلعين أو المشاركين أو صنّاع التاريخ الوطني، كالمجاهدين والأطباء والمؤرخين الذين عايشوا الثورة الحريرية الجزائرية، حتى يسهل عليهم نقل هذا الجانب الحي من تاريخ الوطن وبطولاته وإنجازاته، (وان يحرص مصممو الكتاب المدرسي، ومنظموه على الدقة العلمية عند اختيار محتواه وأنشطته، ووسائله، ومراعاة ميول الطلبة، واهتماماتهم، وإثارة التفكير لديهم، وتنمية قدراتهم على الإبداع والابتكار)¹. أما السمات الأخرى فمنها ما يرتبط بالمضمون أي المصادر ونوع النصوص المقررة، وما يرتبط بالشكل العام للكتاب المدرسي، وهنا نعني الحجم والألوان والصور والخطوط المشكلة للكتاب المدرسي.

7-1/المضمون: (يعد المحتوى من أهم مكونات الكتاب المدرسي، فيه تنظم

مجموعة المعارف والمهارات على نحو معين يساعد في تحقيق الأهداف)² التربوية والبيداغوجية المخطط لها، وإذا تكلمنا عن المضمون فإننا نخص مجموعة المعارف والمعلومات والكفاءات والسلوكات التي يتضمنها الكتاب المدرسي، والتي تترجم في

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 241.

² - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص 106.

مجموعة من النصوص الأدبية التعليمية المختارة، التي تعود بالفائدة العلمية والمعرفية والأخلاقية والسلوكية النفسية على المتعلم، وكل الأشياء التي تساهم في صناعة وبناء شخصيته، وتعتبر عن تاريخ الأمة وتراثها وعاداتها وتقاليدها، وتوجهات الوطن وأيديولوجياته ومبادئه ورموزه، والغرض منها بناء وتكوين مواطن صالح لمجتمعه ولوطنه ولأمته، وإذا عدنا إلى سمات تشكيل هذه المضامين واختيار هذه النصوص، فإننا سنتكلم على المصادر التي يعود إليها القائمون في اختيار النصوص الأدبية التعليمية، وتأليف الكتاب المدرسي.

المصادر التي يعود إليها مصممو الكتاب المدرسي الجزائري كثيرة، فموقع الجزائر الجغرافي، وتاريخها الغني بالحضارات، وتنوع ثقافتها وعاداتها وتقاليدها وتراثها، جعلها تنام على بنك معرفي كبير، أهلها لامتلاك موسوعة مكتبية مختلفة في كل الميادين، وأهلها للاستحواذ على مصادر متعددة لمشاريعها التنموية والثقافية والتربوية والتعليمية. وهو ما انعكس في مضامين الكتاب المدرسي الجزائري، الذي تراوحت مرجعيات ومصادر نصوصه بين ما هو مأخوذ من التراث والأدب الجزائري والعربي والإسلامي والعالمي، وما هو مأخوذ من المؤلفات العلمية والتكنولوجية والتربوية الأخلاقية والنفسية والاجتماعية العصرية، وبين ما هو مستوحى من كل المؤلفات الأخرى كالموسوعات والمجلات والجرائد والسير والتراجم، ويمكن أن نقسم مصادر نصوص الكتاب المدرسي في الجزائر في ثلاثة أقسام رئيسية وهي :

7-1-1/المصادر الدينية: يعتبر (الدين الإسلامي في الجزائر مقوما من مقومات

الشخصية الجزائرية...ولقد أصبح الإسلام في الجزائر بفضل القرآن الكريم العربي "اللغة والبيان"، وبفضل عوامل تاريخية واجتماعية لا مجال لتفصيلها هنا مقوما من مقومات الشخصية)¹ الوطنية والقومية للجزائريين، وبفضل الوحدة الدينية والمذهبية في الجزائر، لهذا كان الدين الإسلامي المصدر الأول للمشروع التربوي الجزائري. وتعتبر مصادر الدين والتراث والثقافة، من المصادر الأساسية لبناء محتوى الكتاب المدرسي واختيار نصوصه التعليمية، فالدين مناهج حياة قبل أن يكون مناهج تعليم، فهو لم يترك مجالا في الحياة لم

¹- تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص56.

يتطرق إليه بالشرح وبالتحليل، (لقد جاء الإسلام ليغير واقع العقيدة السائد، وواقع الحياة السائد، وواقع منهج التفكير السائد)¹، كما أنه يحث على طلب العلم والمعرفة في كل مكان وزمان، كيف لا وأولى كلمات القرآن الكريم تدعو للقراءة والتعليم.

منذ ظهور بوادر الدولة الجزائرية مع الأمير عبد القادر، ومرورا بالحقبة الاستعمارية القمعية، لم يجد الجزائريون بدا من المصادر الدينية في التعليم، (فالمساجد ودور العبادة والمؤسسات الدينية، تسعى من خلال ما يتاح لها من وسائل مباشرة وغير مباشرة، إلى نشر تعاليم الأديان والتعريف بها، ودعم ما تريد نشره، بما يمكنها من حجج وبراهين، مستعينة بالنصوص والوقائع وسير الأولين وما إلى ذلك، وربطها بحياة الناس وممارساتهم اليومية)². لجأ الجزائريون للمشروع القرآني، نظرا لجاهزيته، ولتقبله السريع من طرف الشعب الجزائري، فجعلوا من الزوايا والمساجد منابر ومدارسا لتعليم قيم التسامح والتكافل والمشاركة المجتمعية والسياسية والتضحية، والدفاع عن الوطن والعدالة الاجتماعية وتمير كل أنواع العلوم والمعرفة، وقبول مبدأ الاختلاف المعرفي واحترام الآخر³، وكل ذلك لصناعة الانسان المواطن الصالح.

تتميز التربية الدينية الإسلامية بالشمولية في سعيها لتنمية جميع جوانب الحياة البشرية وتحقيق إنسانية الإنسان، من حيث هو كائن بشري مسؤول، ثم تحسين نمط حياته ضمن مجموعة من الأفراد، كما تعمل على تنمية علاقاته وتفاعله مع الآخرين لترسيخ مبدأ التعاون والمشاركة، وتطوير قيمه الروحية والعقلية والأخلاقية والنفسية والجمالية والفنية والاجتماعية والوطنية، وقد كان الدين الإسلامي أول منهل في اختيار النصوص الأدبية التعليمية، لكونه (نظاما من الحقائق والمعايير والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف والخبرات والمهارات الإنسانية المتغيرة، ينبع من التصور الإسلامي للكون وللإنسان وللحياة، ويهدف إلى تربية الإنسان أو إيصاله إلى درجة كماله، التي تمكنه من القيام بواجبات الخلافة في الأرض عن طريق اعتمارها)⁴.

1- علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، دار الفكرة العربي للطباعة و النشر، ط1، مصر، 1997، ص27.

2- حارث عيود، الاتصال التربوي، ص151.

3- علي أحمد مدكور، الشجرة التعليمية، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، درط، 2000، ص22.

4- علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، ص33.

7-1-2/المصادر التراثية والثقافية: تحدّد العادات والتقاليد والثقافة المحلية كثير

من القيم والاتجاهات، التي يختارها الفرد في بداية تشكيل شخصيته، كما كانت الثقافة والتراث (وسيلة لتحرير الشعوب من الخرافات والوثنيات والعصبية والمظالم، وطريقا إلى إيقاظ الوعي في هذه الشعوب وتغذيتها بمثل أخلاقية جديدة، وفلسفة في الحياة)¹، وتعتبر عناصر الثقافة والتراث (المعايير التي يتم في ضوءها الحكم على المواقف والسلوكات... وميولات الإنسان نحو الأشياء أو الأشخاص أو المواقف، فيؤثر ذلك في سلوكه ويعمل على توجيهه في كل المواقف)² التي تواجهه في الحياة. وقد شهدت الجزائر حضارات مختلفة، ابتداءً بالسكان الأصليين، ومرورا بالحملات الاستعمارية المختلفة، ووصولاً إلى الفتح الإسلامي والانتساب العربي. إن هذا الوضع التاريخي جعل من الجزائر نقطة التقاء لكثير من الثقافات، ويشهد التاريخ أن كثير من الولايات الجزائرية كانت منابر علم ومعرفة وملتقى لحلقات ومناظرات، وهو ما أكسبها أرشيفا علميا وثقافيا كبيرا، كان الجميل الباقي من التراث ومن العادات ومن التقاليد ومن الفنون، إن كثيرا من المرامي والأهداف والمحتويات الدراسية والخبرات المراد تبليغها، مبنوثة في هذا الإرث التراثي والثقافي والاجتماعي المتغير والمتجدد، فعل تعرض المجتمع (لظاهرة التغير المستمر في الغالب والتي تعود إلى أسباب عديدة أهمها التحدي البيئي، والحروب، والتقدم العلمي والتكنولوجي، والاستعمار العسكري والاقتصادي والثقافي. وقد يكون هذا التغير سريعا أو بطيئا تبعا لطبيعة الظروف والحوادث التي يمر بها كل مجتمع)³، وكذلك تبعا لتراثه الثقافي من عادات وتقاليد، وقيم دينية وأخلاقية، وتفاعله مع الحضارات المعاصرة والمجاورة له ومع الأحداث الجديدة.

من خلال التراث والثقافة الشعبية والاجتماعية ينقل الأدباء تجاربهم، ومعارفهم ومعاناتهم في ظل الصراع الاجتماعي في نصوص أدبية مختلفة، تساعد هذه النصوص التعليمية الثقافية والتراثية المتعلمين على استخلاص الطرق والدروس واكتساب الخبرات ومعرفة التجارب السابقة، كما تساعد المعلمين من معرفة حاجة المتعلمين وإفادتهم، وتساعد على تصحيح الطرق والمناهج والمضامين. لأن المحتوى الدراسي التعليمي يعكس فلسفة

¹ - تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، ص 59.

² - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص 108.

³ - جودت أحمد سعادة، صياغة الأهداف التربوية والتعليمية، ص 33.

المجتمع في المعرفة والممارسة والسلوك، لا يكفي أن يقدم المحتوى للتلاميذ ما كان في المجتمع قيم ومبادئ ومعارف وأفكار، بل هو مطالب بترجمتها إلى مواقف سلوكية يمرّ بها التلاميذ ويعيشونها ويتأثرون بها على نحو يدعم تلك المفاهيم والقيم والأفكار في تكوينهم الوجداني، وهو ما يكون في المستقبل بمثابة قاعدة راسخة، ورصيда قويا يحكم الفرد حكما ذاتيا قولا وفعلًا¹.

3-1-7/المصادر المعرفية، العلمية والتكنولوجية: وهي (الحقائق والأفكار

والبيانات والظواهر التي ثبتت صحتها وكل التعميمات التي تربط أو توضح العلاقة بين مفهومين)² أو بين ظاهرتين، وتتصل هذه الحقائق والأفكار بما وصلت إليه البشرية من تطور في حقول معرفية متنوعة، يتميز بها العصر الذي هو عصر الثورة التكنولوجية، وعصر التغير المتسارع، والانفتاح الإعلامي والحضاري العالمي الكبير، سمة القرن الذي نعيشه، وهي (ثورة تعتمد على المعرفة العلمية المتقدمة، والاستخدام الأمثل للمعلومات المتدفقة بوتيرة سريعة)³. للمعرفة العلمية دور هام (هذه الأيام في تطور الشعوب وتقدمها، وبما أنها دائمة التدفق، في عصر اتسم بالانفجار المعرفي، لذا لا بد من الرجوع إليها، واعتبارها مصدرا مهما آخر... لأنها تمثل خبرة الإنسان الواسعة، وتسهم في حل مشكلاته العامة والخاصة)⁴، ولم تكن المناهج التعليمية والمحتويات التربوية بعيدة عن هذا التطور العلمي، بل مسها في جميع جوانبها، لأن (المناهج ليست أشياء ثابتة، ولكنها في تغير مستمر مع تطور العلم وتجدد مطالبه وحاجاته... وهي قابلة للتعديل والتطوير، بل من الطبيعي أن ترفض أحيانا، إذا ما ثبت أنها لم تعد صالحة أو ملائمة. ولا يمكن للعلم أن يتقدم أو يتطور أو يتجدد في ظل مناهج متجمدة متحجرة. ويجب أن تظل المناهج في حركة دائمة لتساير حركة العلم المستمرة دائما)⁵، إن المناهج والمعارف والعلوم التي لا تتكيف مع الجديد يكون مآلها الزوال والاندثار، ويكون محكوم على أصحابها بالجمود والركود الفكري، ولا يجب (اعتبار فكرة تقبل ثقافة، بفعل التفاعل والانفتاح على الآخر من أجل الاثراء والغنى الثقافي، عامل

1 - ينظر: أحمد حسين الليقاني، المنهج: الأسس، المكونات، التنظيمات، عالم الكتب، القاهرة/مصر، درط، دس ط، ص73.

2 - ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص107-108.

3 - محمد جواد رضا، السياسات التعليمية في دول الخليج العربية، منتدى الفكر العربي، عمان/الأردن، ط2، 1990، ص11.

4 - جودت أحمد سعادة، صياغة الأهداف التربوية والتعليمية، ص39.

5 - يوسف خليل، مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص27.

تهديد وخطر على صفاء ونقاوة الثقافة المحلية، ولكن يجب العمل لصنع ثقافة اجتماعية غنية ومتنوعة، تتغذى وتنمو بفعل التنوع¹ والحوار الثقافي وقبول الآخر واحترامه.

يعرف العصر الذي نعيشه تقدماً مذهلاً في المعرفة، تميزه المهارات والقيم والمفاهيم الجديدة، وصراع كبير تعود فيه الغلبة لإيديولوجية الثقافة المسيطرة، عن طريق (وسائل الاتصال السريعة، بل والآنية، التي تعبر الحدود بلا قيود برسائلها ومضامينها، من أي مجتمع إلى أي مجتمع آخر، فالإرسال والاستقبال عبر الأقمار الصناعية، يجعل من الحدود السياسية للدول ومن وسائل الرقابة التقليدية، أدوات بدائية عديمة الكفاءة وقليلة الفاعلية في منع أو تحصين الفرد ضد استقبال محتويات الرسائل الاعلامية والثقافية الوافدة من مجتمعات وثقافات أخرى)². لذا يجب عدم نسيان هذا الجانب، ويجب اختيار النصوص الملائمة للانفتاح والحفاظ على عناصر الهوية والشخصية الوطنية، ولأجل الاستغلال الأمثل لهذه المعارف والعلوم. ويجب التأسيس لنوع من الحوار بين الثقافات وتعايش الأديان، وبين الأفكار، في زمن أصبحت محاكاة المعرفة العلمية وتقليدها، هي الميزة السائدة في كل عمليات إعداد البرامج والمضامين التربوية والتخطيط لها، وبهذا (ستجد الدراسات الأدبية موقعها بين الإنسانيات، إلى جانب تاريخ الأحداث والأفكار، وجميع هذه المواد الدراسية ستجعل الفكر يتقدم لتزودها من الأعمال الأدبية كما من النظريات، من الأفعال السياسية كما من التحولات الاجتماعية، من حياة الشعوب، كما من حياة الأفراد)³، فالمضامين أو النصوص الأدبية المتداولة والمتبادلة (تعطي انطلاقة انجازات المعنى عوض أن تصوغ - بالفعل - المعاني نفسها. وتكمن الصفة الجمالية لتلك النصوص في هذه البنية المنجزة، التي لا يمكن أن تكون بوضوح متطابقة مع النتيجة النهائية، لأنه بدون مشاركة القارئ الفردي لا يمكن أن يكون هناك أي انجاز)⁴ أو أي تقدم في مجال تطوير التعليم والارتقاء بمستواه.

هذه أهم المصادر التي يستقي منها المصمم النصوص التعليمية، التي تسمح باستنباط كل الخبرات والمعارف والتعلمات اللازمة للتعلم لتكوين شخصيته ودائرته المعرفية والفكرية، وتحديد أهم السلوكيات التي تجعل منه إنساناً ناجحاً في الحياة ومواطناً

¹ - will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, p150.

² - محمد جواد رضا، السياسات التعليمية في دول الخليج العربية، ص 12-13.

³ - تزيفتان تودوروف، الأدب في خطر، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، دار توبقال، ط1، 2007، ص55.

⁴ - فولغونغ عيزر، فعل القراءة: نظرية جمالية التجاوب، (في الأدب)، تر: د/حميد لحداني ود/الجلالي الكدية، ص 19.

صالحا في البلاد، وكل المصادر السابقة غنية بالنصوص الحاملة لرموز ومبادئ الوطنية والمواطنة، ومناسبة لتوظيف عدد معتبر من مصطلحات الوطنية والمواطنة. ونحن هنا إذ نؤكد على أهمية هذه النصوص، فإننا لا ندعو إلى حشو كل البرنامج والمقررات الدراسية بالنصوص الوطنية وبالمواطنة، ولا بتخصيص محور خاص بالمواطنة فقط، ولكن على المصممون أن يسهروا على بث في كل محور أو وحدة أو موضوع شيئا من المواطنة سواء عن طريق نص أو قصة أو حادثة تاريخية أو صورة، أو نشاط. والإنتاج الأدبي الجزائري الملتزم غني بهذه النصوص، وبهذه المحطات والشواهد الهامة في مسيرة تطور الجزائر، عوضا عن كثرة النصوص وتنوعها، وبعدها وخلوها من كل ما يرمز إلى عناصر الهوية والشخصية الوطنية، وتاريخ الأمة ومسيرة الوطن.

على العموم يجب أن يعكس الكتاب المدرسي: خصائص المتعلمين ومستوى نموهم وقدراتهم وميولاتهم، ويستند إلى خصائص المجتمع وعاداته وتقاليده، ولا يتعارض مع رموزه ومبادئه وقيمه، وأن يتماشى مع مستوى الحداثة والصدق العلمي في المعلومات التي يقدمها للطلبة، ويحرص فيه على تشجيع وإثارة دافعية المتعلمين نحو التعلم والتعبير عن اهتماماتهم من خلال المعارف والخبرات والأنشطة التي يحملها¹، فالكتاب المدرسي (ينبغي) يعكس أسس المنهج المتمثلة في فلسفة المجتمع، وحاجاته وثقافته، ويعكس طبيعة المتعلمين، وخصائصهم، وعناصر المنهج الأخرى: كالأهداف والمحتوى المتمثل بالمعلومات المختارة من المعرفة المنظمة وغير المنظمة التي يستعملها المتعلمون، والأنشطة المرتبطة بالأهداف التي تثري المعارف والخبرات التي يمارسها المتعلمون².

7-2/الشكل: أما الشكل فهو الحالة التي يكون عليها الكتاب المدرسي

والإطار العام الذي يأخذه، أو هو الصورة النهائية التي يقدم فيها الكتاب المدرسي للمتعلم، فالشكل العام للكتاب، انطباع خاص على ذهنية المتعلم، فهو ما يجعله ينجذب أو ينفر من الكتاب، بالإضافة إلى أن شكل الكتاب من شأنه أن يربط المتعلم بقضايا مجتمعه وبيئته ومحيطه ويجعله يتفاعل معه، من خلال المشاهد والصور الحية التي يحملها من بيئة المتعلم ومجتمعه، وهو إن أحب بيئته فقد أحب الأرض التي يعيش عليها، وبالتالي سيحب وطنه

¹ - ينظر: محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 243.

² - المرجع نفسه، ص 242.

ويدافع عليه وعلى حدوده. شكل الكتاب يجب يراعي أيضا معايير التنظيم والعرض اللازمة في حمل وتقديم المضامين والمعارف، وأن يحرص في تصميمه على الاهتمام بعامل الجذب والإثارة في تنسيق وتصميم غلافه وفي طباعته، والتنوع فيه من الصور والألوان¹، ويجب أن يحضر عملية التصميم والتأليف والطباعة، إلى جانب لجنة اختيار النصوص المشار إليها في المضمون أعلاه، خبراء في أدب الطفل وعلماء النفس والاجتماع، وخبراء في الصورة واللون. يشمل الشكل جوانب هامة منها:

7-2-1/حجم الكتاب: ونعني به وزنه وحجمه وعدد الصفحات، فيجب أن يكون

الحجم ملائما لقيمة وأهمية المادة التعليمية ووزنها في البرنامج التدريسي ككل، كحصة القراءة التي لها أهمية كبيرة في الطور الابتدائي، لذا نرى أن كتب القراءة للطور الابتدائي يجب أن تكون الأكبر حجما، لأن المتعلمين في هذه المرحلة يرون في كتاب القراءة كل العملية التعليمية التعليمية، وعندما يحسون بهذا التفوق لكتاب القراءة يزداد تعلقهم به وانجذابهم إليه، كما يجب أن لا تكون الكتب ثقيلة لدرجة كبيرة فترهق كاهل المتعلمين، فيلجؤون إلى سبل للتحرر منها، ويواجهون الأستاذ بأعذار واهية كنسيته في البيت، وهو ما لاحظناه من خلال تجربتنا كمتعلمين وكمعلمين، أما في الاكمامي فمن الأحسن أن يكون حجم الكتاب المدرسي متوسط، لأن في هذه المرحلة تكبر اهتمامات المتعلم، وتتسع دائرة معارفه ولا يعد كتاب القراءة إلا مكملًا، أو مثله مثل كل كتب المواد الأخرى، من حيث درجة الأهمية، ويجب أن تكون كل أوراق الكتاب من الورق المقوى السميك وخاصة دفتي الكتاب، حتى لا يتآكل وتمزق، ويجب أن يحتوي على رموز وأشكال وصور كثيرة وبألوان مختلفة وتعتبر على محتوى النصوص التي يحملها.

أما بالنسبة لأهمية ودور شكل الكتاب المدرسي في تعزيز المواطنة لدى المتعلمين، فهو تمكينهم بأسلوب مادي محسوس من الوعي بالرموز الوطنية ومبادئ الأمة كالعلم والنشيد الوطنيين، والأحداث والأعياد الوطنية الهامة في الجزائر، ووعي آثار الثورة الجزائرية كوثيقة مؤتمر الصمام وبيان أول نوفمبر، وآثار معارك جيش التحرير المنتشرة في مختلف ربوع الوطن، وكل هذا لا يمكن أن يعيه المتعلم إلا بطريقة محسوسة من خلال

¹- ينظر: محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 243.

الاعتناء بشكل وصورة الكتاب المدرسي، وتوشيقه بالنصوص والصور التي تتناول تلك الأحداث والآثار والأعياد والقيم والرموز والمبادئ الوطنية، فيستطيع المتعلم ربط الماضي بالحاضر، ويتمكن من رسم معالم المستقبل الزاهر له ولوطنه.

2-2-7/الخطوط: هناك آلاف الأنواع من الخطوط في كل اللغات، ونعني

بها نوعية الخط وحجمه ولونه، وحجم الحروف وطريقة طباعتها¹، فالمتعلم ينجذب لبعض الخطوط دون أخرى، لذا يجب الابتعاد عن الخطوط الفنية، وغير المألوفة وغير المفهومة والبعيدة عن الهوية والتراث الوطني، وتوظيف الخط البسيط والواضح والمقروء بسهولة. أما بالنسبة للون فكل المتعلمين يحبون اللون الأسود ويميلون إليه وينجذبون لقراءة الخطوط المكتوبة به. فيلعب لون الخط دوره في تعزيز بعض القيم والمعارف والأفكار وذلك من خلال كتابة نصوص الكتاب بالخط الأسود مثلاً وبحجم مدرّس، ولا يكون تدخل الألوان الأخرى إلا للتركيز أو جذب الاهتمام لفكرة أو قيمة معينة، هذا من شأنه أن يثير اهتمام المتعلم ويجعله يركز حول تلك القيم والأفكار الواردة في نصوص الكتاب. إذن فعملية اختيار الخطوط هي الأخرى تخضع لمجموعة من الضوابط والقوانين الهامة، فهي ليست من وحي الصدفة أو التجميل، وإنما لها أبعاد كبيرة في عملية التلقين والاستيعاب، ويجب إيلاء أهمية كبيرة لألوان الراية الوطنية وتوظيفها كتابة نصوص ورسم صور المواضيع التي تتعلق بالوطنية والمواطنة، مثل الألوان البيضاء والحمراء والخضراء وشرح معانيها وتبسيطها للمتعلمين، فهذا من شأنه تحفيز المتعلم على حب ألوان الراية الوطنية واحترامها والغيرة عليها.

2-2-3/الألوان: تدخل الألوان في تشكيل أهم أجزاء الكتاب، فهي تمس

بالورق والغلاف والصور والحروف، وتعتبر الألوان من الأشياء الأولى التي يدركها الطفل أثناء وعيه بالمحيط الخارجي، وهي تشكل في الطبيعة فسيفساء كاملة وحقيقية. تتميز الألوان بكثرتها ولا محدوديتها، تنطلق من الألوان الأساسية كالأبيض والأسود والأصفر والأحمر والأزرق، وما يتفرع وينتج عن مزج بعضها ببعض. ورغم أن الكتاب المدرسية الأولى لم تعرف الألوان، وإنما كان بالأبيض والأسود فقط، لكنها استطاعت أن يحمل كثير من القيم

¹ - ينظر: محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص ص 249-250.

والمعارف والتعلّيمات ولو بالأبيض والأسود، وساهمت إلى حد كبير في تحسين وتطوير العملية التعليمية التعليمية، وبعد أن عرف الكتاب المدرسي التعدد اللوني عرفت العملية التعليمية التعليمية زلزالا معرفيا كبيرا، وذلك بعد إدراك القائمون على الكتاب المدرسي، مدى أهمية الألوان ودورها الكبير في تمرير المعارف والمساعدة على التعليم، وإعطاء دفعة نوعية للعملية التعليمية التعليمية، وإخراج الكتاب المدرسي في أحلى صورته للمتعلم، وهو ما عزز تمسكه به وانجذابه إليه وحبّه، فأصبح الكتاب المدرسي ركنا مهما لا يمكن الاستغناء عليه بالنسبة للمتعلم والمعلم على السواء.

الألوان على اختلافها وتنوعها ضرورية في الكتاب المدرسي، ولا يمكن لنا تفضيل لون على آخر، ولا بأية حال من الأحوال تغليب لون على لون في الكتاب المدرسي، فلكل لون غرضه ومعناه، لكن مسألة اختيار الألوان مهما كانت عملية موضوعية في اختيارها، فإنها تخضع دائما لذاتية صاحبها، التي تملئها أخلاقه وقيمه وعاداته وتقاليده وتاريخ بلاده. ولما كنّا في الكتاب المدرسي أمام مهمة تمرير معارف وتعلّيمات وقيم ومبادئ، فقيّمنا الوطنية تلزمنا اختيار ألوان الراية الوطنية وهي اللون الأحمر والأخضر والأبيض، ويجب تغليب هذه الألوان في الكتاب المدرسي، حتى نخلق للمتعلم محيطا ذا ألوان وطنية، يتأقلم معها ويألفها ويحبها وبالتالي يحب الراية الوطنية، وبالتالي تترسخ في ذهنه الرموز والقيم والمبادئ الوطنية. وكما يرمز اللون الأخضر أيضا لقيمنا الدينية والوطنية، ويرمز اللون الأصفر لعادات وتقاليده أسلافنا، فلا ضير إذا تم تضمين بعض الألوان الأخرى في الكتاب المدرسي. إننا لا نهدف هنا إلى إقصاء الألوان الأخرى، وإنما تغليب نسبة الألوان الوطنية في الكتاب المدرسي.

7-2-4/الصور: يقول المثل: صورة خير من ألف كلمة، الصورة مرتبطة

بالعين، وهي كل ما يقع في دائرة مشاهدتها، دون أن ننسى الصور المدركة عن طريق الخيال والتصور، والتي كانت في الأساس صور واقعية. الصورة هي كل الأشكال الملونة وغير الملونة والمنحوتة أو المرسومة أو الموجودة في الطبيعة، والتي يمكن إدراكها بحاسة العين وبالعقل عن طريق الخيال والتصور، وقد أصبحت في الوقت الحاضر وسيلة هامة من وسائل الاتصال والتقارب بين البشر، ومن ذلك أيضا كل الرموز العالمية التي نشاهدها في

قوانين المرور، وتلك الدالة على بعض المرافق كالفنادق والمستشفيات وغيرها، فالصورة أصبحت لغة عالمية خاصة ومشاركة بين جميع البشر.

أما في المجال التعليمي وعلى مستوى الكتاب المدرسي فهي تشغل فيه حيزاً معتبراً إلى جانب الكتابة، ويشترط فيها على المستوى التعليمي أن تكون ذات صلة بالمحتوى وبالأهداف البيداغوجية للمنهج، وأن تساهم في تسهيل عملية التعلم والتعليم¹. ولقد أصبحت الصورة دعامة تعليمية لا يمكن الاستغناء عنها سواء في تعليم الأفكار والمعارف والتعلم، أو في تحسين الكلام والحديث واللغة ككل، فعملية إدراكها لا تحتاج إلى شرح أو تبسيط أو حتى جهد معرفي تعليمي كبير من طرف المعلم والمتعلم على السواء، فهي تعبر بصورة سهلة وسلسة إلى ذهن المتعلم، وهي في الوقت نفسه مشحونة بالمعاني، إنها تحمل عدداً لا متناهي من الأفكار والمعارف والقيم والمبادئ والرموز. تستفز الصورة عقل المتعلم وتحفزه وتدفعه إلى البحث، من خلال عملية إدراكها وفهمها وتحليلها، فينتقل بتفكيره من ما هو محسوس إلى ما هو مجرد، لذا أصبحت من الوسائل التعليمية الهامة التي (يشترط فيها أن تكون واضحة جذابة هادفة، تتصل بموضوع المادة التعليمية، وتيسر عملية تعلم المادة، وتجذب انتباه الطالب وتشده إلى تعلم المادة)².

أما بالنسبة لدور الصورة في التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، فقد أسلفنا أنها تحمل كثير من القيم والأفكار والرموز الوطنية، لذا يجب التركيز أثناء اختيار صور الكتاب المدرسي على الصور الوطنية الكثيرة والحاملة للألوان الوطنية، التي تحمل بطولات الشعب الجزائري وإنجازاته ومآثره، وصور الثورة التحريرية، وصور حضارة وعادات وتقاليد الأمة الجزائرية. وبما أننا أمام عملية تعليمية تعليمية فإننا لا نأدي لأن يقتصر الكتاب المدرسية على الصور الوطنية فقط، لكنه يجب أن يحمل أيضاً الصور العلمية والمعرفية، فهذه لها مكانتها ودورها أيضاً، ولكن يجب مطابقة الحال والوضع، فعندما نتناول نص وطني يجب أن ندعمه بصورة أو صورتين من الموسوعة الوطنية الكبيرة.

نختم هذا الفصل (بإن الكتاب المدرسي يمثل أهم مصدر تعليمي في المؤسسات التعليمية، لأنه يحتوي على أكبر قدر ممكن من المنهاج المقرر، ويوفر مستويات

¹ - ينظر: محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص 255.

² - المناهج الحديثة وطرائق التدريس، محسن علي عطية، دار الناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2013، ص 251.

عالية من الخبرات التعليمية الموجهة لتحقيق الأهداف التعليمية التي يراد تحقيقها، وبذلك فإنه يمثل مكانة كبيرة في المنهج التعليمي والنظام التعليمي بشكل عام¹، أما ما يقال عن عمليات إخراج وتأليف الكتاب المدرسي، فهي مرتبطة بعمليات الإصلاح المستمرة، لتحسين المعارف وتكييف الجديد منها، وهذا يعني أننا لا يجب أن نتوقف عند مستوى معين، فطلب الجودة مرتبط بالعمل الإصلاحي الدؤوب والمستمر، ويجب البحث باستمرار عن أسباب فشل كل محاولات المدرسة في تحسين المردود وتحقيق الجودة، وفي صناعة مواطنين صالحين يحبون وطنهم ويدافعون عنه ويحمونه ويحافظون على انجازاته؟ وعن أسباب إخفاق وعجز كل (الممارسات التربوية الحالية؟... عن بلوغ الأهداف المسطرة في اكتساب المعارف والمهارات المتنوعة)²، وتحسين المردود المعرفي وإصلاح السلوك الفردي للمتعلمين، لكن الحقيقة تفرض أنه للقيام بالإصلاحات المناسبة وتحقيق (الطفرات في المجال المدرسي لا بد من توظيف العقل والحكمة، والهدوء والرزانة في العمل، ولا بد من الوقت الطويل والكافي)³، فالعمل الجيد يتطلب وقت طويل.

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار الناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، 2013، ص 242.

² - رابح طبجون، نحو تقويم فعال في الإستراتيجية التربوية الهادفة، مجلة العربية، العدد 01، 2003، ص 12.

³ - Claudine Boulanger, Eric Janin et autres, L'Education à la citoyenneté, ellipses, paris, France, p126

V/الفصل الخامس: العمل التطبيقي

تمهيد: تتميز مرجعيات اختيار نصوص الكتاب المدرسي ومحتواه في الجزائر بالكثرة والتعدد، نظرا لتاريخها العريق وتراثها وعاداتها وتقاليدها، وبطولات رجالها وانجازاتهم، ونظرا للموقع الجغرافي الهام الذي تحتله، والذي جعل منها ملتقى كثير من الثقافات، ومهدالكثير من الحضارات بدءا بالحضارة الأمازيغية، الرومانيةوالحضارة الإسلامية العربية، دون أن نغفل المخلفات الإيجابية للثقافية الاستعمارية الفرنسية، هذا الإرث الكبير والتاريخ الحافل بالبطولات والانجازات كان موضوع الكتابة والتأليف، وكان عنوانا لرفض كل السياسات الاستعمارية، التي تهدف إلى طمس رموز الهوية الوطنية ومقومات الأمة الجزائرية المسلمة، وهو العمل الذي ترجم من خلال نصوص كبيرة وكثيرة ومتنوعةالمصادر والمرجعيات، تملأ صفحات الكتاب المدرسي، وتتعلق بتربية النشءعلى روح الوطنية ومبادئالمواطنة، أما مصادر الكتاب المدرسي فأهمها:

أولا: المرجعية التاريخية التراثية الدينية والثقافية الجزائرية، فهي مرجعية تزوج بين الإرث الأمازيغي القديم،وبين الموروث الإسلامي العربي الحاصل فيما بعد، وتحمل قيما كثيرة ومختلفة منها (القيمة الدينية للمادة التعليمية، القيمة التدريبية للمادة التعليمية، القيمة التنقيفية للمادة التعليمية، القيمة المهنية للمادة التعليمية، والقيمة الترابطية للمادة التعليمية، إلى غير ذلك من القيم والأسس الهامة)¹، وهي أيضا كل (المرجعية التاريخية للشخصية الجزائرية، تلك المرجعية التي عجننتها جملة الحضارات السابقة، خاصة مع الفتح العربي الإسلامي، والتي هدمها الاستعمار الفرنسي، وعملت القيادة الثورية بعد الاستقلال على ترميمها وإعادة بعثها انطلاقا من بعدين حضاريين هما: "البعد الحضاري العربي الإسلامي" المستمد من المدرسة المحمدية، و"المرجعية الكفاحية التحررية المستمدة من التاريخ العتيق لشمال إفريقيا، من ماسينيسا إلى الأمير عبد القادر إلى الثورة التحريرية الكبرى)². ما يهمنا هنا هو التركيز على القيم الوطنية والمواطنة الموجودة في هذا الإرث الكبير. ذلك أن الوضع الذي ورثته الجزائر بعد الاستقلال، دفعها للتفكير في نظام تربوي تعليمي قائم على حب الوطن،

1- محمد هاشم فالوقي، بناء المناهج التربوية: سياسة التخطيط وإستراتيجية التنفيذ، ص34.

2- أ. فضيل إبراهيم مزاري، الإصلاحات التربوية وإشكالية إعادة إنتاج الشخصية الوطنية، جريدة الخبر اليومي، عدد: 26 أوت 2016، ص4.

والسعي للنهوض ببنائه وتشبيده وتطويره، وهي السياسة التي تتضح من خلال حسن اختيار النصوص الأدبية التي تنبع من روح الثورة، ومن بطولات وانجازات الشعب الجزائري على مر التاريخ، ومن خلال جمع التراث الجزائري وتيسير نقله في نصوص أدبية تعليمية وطنية هادفة¹.

وإذا ما عدنا إلى قضية اختيار النصوص الوطنية، وتلك التي تذكى روح المواطنة لدى المتعلمين، فهي كثيرة في تراثنا الوطني، وفي تاريخنا وحضارتنا الممتدة على مر العصور، وهي كلها نماذج حية تضع المتعلم في محك حقيقي مع انجازات وبطولات أسلافه، فيعرف مكانة وطنه تاريخيا، وهذا ما يدفعه للإحساس بالفخر والاعتزاز والانتماء لهذا الوطن المفدى، لذا فما على القائمين على تصميم الكتاب المدرسي إلا العودة إلى مخلفات النخبة الأدبية الوطنية قديما وحديثا، لاختيار النصوص الأدبية المناسبة لموضوع الوطنية والمواطنة.

ثانيا: المرجعية العلمية والمعرفية العصرية: لا يمكن أن نغلق المجال التعليمي على المتعلم، ونحصره في الأشياء الوطنية فقط، بل يجب أن نفتح له نافذة على النهضة العلمية والانجازات الإنسانية ككل، التي يعتبر الجزائري واحدا منها ومساهما أساسيا فيها، ونختار من النصوص العالمية التي تتناول مصير الإنسان وسعادته، وتتناول حماية الأرض والحفاظ عليها، فهذه النصوص تعود بالخير على البشرية جمعاء، وهي تلك النصوص التي تتناول هي الأخرى قيم التسامح والتعاون والتآخي بين الشعوب، ومجابهة كل الأخطار التي تحدث بالبشرية جمعاء، كبرامج ونصوص محاربة المجاعة في العالم، والحروب التي يكون ضحاياها دائما الأطفال، بالإضافة إلى برامج ونصوص محاربة الأمية والتشجيع على التعلم والتعليم. وقد سجلت الحياة العلمية والمعرفية في العالم (نهضة رائعة في العلوم الطبيعية والتجريبية، وأخذت مناهج هذه العلوم تفرض سلطانها على عقول الناس، وتسيطر على تفكيرهم، وراحت تجتذب إليها طائفة من مؤرخي الأدب)²، ومنها النخبة الوطنية التي كانت في قلب الحدث، ومن ذلك أفكار ونصوص مالك بن نبي ومحمد أركون وغيرهم، واستمرت

¹ - ينظر د/عليش لعموري، دور المنهج أو الطريقة في تعليم اللغة بين النظرية والتطبيق، مجلة العربية، العدد 2، السنة 2005، ص 115.

² - يوسف خليل، مناهج البحث الأدبي، ص 25.

مظاهر هذه النهضة المعرفية، العلمية والإيديولوجية، شاملة كل جوانب الحياة اليومية، صانعة الحدث الثقافي الخاص والعام، فانتشرت العديد من النصوص الأدبية التي تتناول أمور الحرية والديمقراطية، ومحاربة الأمية والمجاعة والحفاظ على المحيط والبيئة، ومظاهر السلم والسلام والتعايش والحوار في العالم، وبدأت الدعوة إلى ضرورة (إدراج الأعمال الأدبية في الحوار العظيم بين البشر، الذي بدأ في غياهب العصور ولا يزال كل واحد منا، مهما صغر قدره يشترك فيه)¹.

هذا مدخل لأهم المرجعيات التي يمكن أن يعود إليها المصمم المدرسي في اختيار مضامين الكتاب المدرسي، عند إدراج النصوص التي تتناول موضوع الوطنية والمواطنة، أما الآن فسنقوم بتحليل مضمون الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكاديمي، وسنقوم بتحليل ورصد كل النصوص الأدبية الواردة في الكتاب المدرسي ذات البعد الوطني، أو تلك التي تتناول موضوع الوطنية والمواطنة بصفة مباشرة أو غير مباشرة، بمعنى كل النصوص التي لها علاقة قريبة أو بعيدة بموضوع الوطنية والمواطنة، فنتناول بالدراسة والتحليل كل الألوان والصور والكلمات والنصوص الواردة في الكتاب المدرسي، وقد اخترنا كأنموذج الدراسة في الطور الابتدائي: كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي، واخترنا كتاب السنة الثانية متوسط في الطور الاكاديمي، وهذا لن يمنعنا من التطرق إلى الوطنية والمواطنة في الكتب الأخرى لكلا الطورين إن تطلب الأمر ذلك.

01- تحليل نصوص المواطنة في مرحلة الابتدائية: تلعب القراءة دورا كبيرا في تمرير الأفكار والتعلّيمات والمعارف المختلفة، وأحسن سبيل لذلك هو كتاب القراءة الحامل لمجموعة من النصوص الأدبية المختلفة والمختارة للقراءة، حيث تساعد هذه النصوص المتعلم على استنباط الأفكار والتفريق بينها، واستثمارها في حياته اليومية وفي سلوكاته وتصرفاته وفي طريقة تفكيره وفي حلّه للمشكلات العارضة، وهي أيضا تأهله لبناء شخصيته على قواعد وأسس سليمة، تجعل منه مواطنا صالحا لمجتمعه ولوطنه ولأمتة، وما يلاحظ في كل كتب القراءة للطور الابتدائي أنه لا توجد محاور كثيرة أو مواضيع عدّة باسم

¹ - تزيفتان تودوروف، الأدب في خطر، ترجمة: عبد الكبير الشرقاوي، ص55.

المواطنة والوطنية، أو حتى أي اسم آخر له علاقة كبيرة بالوطنية والمواطنة، وإن كانت هذه النصوص موجودة، فإنها لا تتعدى عدد أصابع اليد، فكان يجب تنبيه الجميع إلى مثل كذا مواضيع، ليكونوا على علم بأهميتها، ويركزوا جيدا على حسن استثمارها وتوظيفها بطريقة سليمة وفعالة، لكن يجب الإشارة إلى أنه كانت هناك نصوص وصور وقصص منتشرة بصورة محتشمة في ثنايا الكتب المدرسية الابتدائية وتتعلق بقضايا الوطنية والمواطنة. وبعد الاطلاع على كتب القراءة للطور الابتدائي وجدنا أن الوحدة المسؤولة على نصوص المواطنة جاءت باسم "التضامن والمواطنة" بالنسبة للصفوف الأولى والثانية والثالثة، أما بالنسبة للصفوف الرابعة والخامسة فتغير اسم الوحدة إلى "الهوية الوطنية".

01-01 تقديم كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي: الكتاب معنون بـ: "رياض النصوص" كتابي في اللغة العربية، وهو كتاب القراءة الموجه لمتعلمي السنة الرابعة ابتدائي، وفق المقاربة بالكفاءات اعتمادا على منهج "المقاربة النصية"، فتدور كل النشاطات اللغوية التعليمية حول النص المختار، والذي يعتبر نقطة الانطلاق لتمرير كل المعارف والتعلّيمات والمهارات إلى المتعلم، في جو من الحرية والمبادرة والانفتاح.

(يتوزع هذا الكتاب إلى عشرة محاور، تتوزع بدورها إلى ثلاثين وحدة تعلّميّة وكل وحدة تحتوي على مجموعة من النشاطات التي تمتد على أربع صفحات: صفحتين للقراءة والتعبير وصفحتين لتوظيف اللغة)¹، وكل وحدة مدعمة بعدد من النصوص، وبمجموعة من الصور التي تحوي ألوان كثيرة، صورة الغلاف الأولى غلب عليها اللون الأزرق، وكتب في وسطها باللون الأصفر رياض النصوص وكتابي في اللغة العربية، وعلى اليسار خمس صور واحدة منها للمحاربة البطلة الأمازيغية لالة فاطمة نسومر والصورة الأخرى تعبر عن مشهد للعب الأطفال، كتب في أعلى صفحة الغلاف: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية وتحتها مباشرة وزارة التربية الوطنية، وفي أسفل الصفحة كتب: السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، أما على اليمين فنجد ثلاثة كريات صفراء وتحتها ثلاثة كريات زرقاء تتوسط قاعدته، ويمتد نصفها إلى صفحة الغلاف الأخيرة، لم نتمكن من معرفة أبعاد وجودها والهدف منها، أما فيما

¹ - شريفة غطاس وآخرون، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2011-2012، ص3.

يتعلق بالصفحة الأخيرة فهي الأخرى ملونة باللون الأزرق تتوسطها دائرة زرقاء كبيرة شرح فيها: ما معنى كتاب التلميذ؟ وما معنى دليل المعلم؟ وفي آخرها مربع كتب فيه جهة الطبع وسنة الطبع.

كتاب السنة الرابعة ابتدائي من الحجم الكبير، يتكون من 190 صفحة، يزن حوالي 45 غ تقريباً، تجليده ليس من النوع الجيد والمتين، فمن كثرة استعماله وتصفحه ينفق بريقه وإشراقه ويتمزق بسرعة ويتآكل على أطراف الأوراق، مستطيل الشكل طوله: 28 سم وعرضه: 20 سم أما سمكه فهو: 1 سم، الكتاب صادر عن وزارة التربية الوطنية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، من إشراف وتأليف: شريفة غطاس ومفتاح بن عروس وعائشة بوسلامة، من تصميم وتركيب: فوزية مليك، ورسومات: زهية يونس، خالد بلعيد، فضيلة محاجي وكريم حموم، أما مقدمة الكتاب فتخاطب كل من المعلم والمتعلم وتبين أهمية الكتاب وتعرف به من حيث عدد محاوره العشرة ووحداته الثلاثين، تليها صفحتين متجاورتين توضحان كيفية استعمال الكتاب والتوزيع السنوي لمحتوى الكتاب.

01-02 نصوص المواطنة في كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي: سنتطرق

في هذا العنصر للألوان والصور والكلمات ونختتمها بالنصوص الأدبية ذات العلاقة بالوطنية والمواطنة، فنرصد تكرار قيم ومعاني الوطنية والمواطنة فيها ونسبتها بالموازاة مع القيم والمعاني الأخرى الواردة في الكتاب المدرسي، وسنوضح ذلك من خلال جداول تكون متبوعة بتحليل للنتائج والنسب.

01-02-01 الألوان: تلعب الألوان بصفة عامة دوراً هاماً في عملية التعليم والتعلم، من خلال توظيفها في الكتاب المدرسي، أو من خلال تلوينها لصور مشاهد المحادثة، أو أثناء اللجوء إليها من طرف المعلم أثناء سير عملية شرح النص وتقديمه، ويلعب المعلم دوراً كبيراً في التأثير على المتعلم وجعله يختار ويفضل ويحب لونا دون آخر، وهو -والحال هنا بالمدرسة الجزائرية- مطالب بتغليب الألوان الوطنية أي الألوان الحمراء والخضراء والبيضاء، وهو أيضاً مطالب باتخاذ موقفاً متحفظاً من ألوان المستعمر والإشارة إليها، وسنتناول من خلال دراستنا وتحليلنا للألوان في كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي، مدى ورود وتكرار الألوان

الوطنية في الكتاب ونسبتها بالنسبة للألوان الأخرى، وأهم الألوان التي سنرصدها بالإضافة إلى الأبيض والأحمر والأخضر هي الأسود، الأصفر، البرتقالي، البنفسجي، الأزرق والرمادي.

وإذا ما عدنا إلى تحليل الألوان في كتاب السنة الرابعة ابتدائي، فبخصوص الغلاف الخارجي الذي يعتبر الواجهة الأولى التي يصطدم بها المتعلم، لم تظهر الألوان الوطنية بصورة جلية، فعلاوة على اللون الأحمر الذي لم يظهر بتاتا في هذه الصفحة الهامة، ظهر بصورة محتشمة اللونان الأبيض والأخضر، وظهرت ألوان أخرى مثل الأصفر، البرتقالي والرمادي وبغلبة اللون الأزرق، فالألوان التي كان يجب التركيز عليها في صفحة الغلاف وفي كل متن الكتاب هي ألوان الراية الوطنية المعروفة، أما تحليل النسب والمقارنة بينها فيكون كالآتي:

الألوان	عدد التكرارات	النسبة
الأبيض	159 مرة	14,29%
الأخضر	156 مرة	14,02%
الأحمر	129 مرة	11,60%
الأسود	114 مرة	10,25%
الأصفر	117 مرة	10,52%
الرمادي	94 مرة	8,45%
البرتقالي	115 مرة	10,34%
الأزرق	140 مرة	12,58%
البنفسجي	88 مرة	7,91%
مجموع الألوان الوطنية	444 مرة	39,92%
مجموع الألوان الأخرى	668 مرة	60,07%
مجموع كل الألوان	1112 مرة	100%

إذا قارنا نسبة الألوان الوطنية الحمراء والخضراء والبيضاء مجتمعة فقد كانت نسبتها 39,92%، أما كل الألوان الأخرى فشكلت نسبة 60,07%، وتعتبر هذه الأرقام والنسب معقولة، فنسبة انتشار الألوان الوطنية تشكل أكثر من نصف النسبة الاجمالية، بالمقارنة مع نسبة انتشار كل الألوان الأخرى مجتمعة، لكن اذا ما أخذنا كل لون على حدى فقد شكل اللون الأبيض والأخضر أعلى نسبة 14,29% و 14,02% على التوالي، يليهما اللون الأزرق بنسبة 12,58%، أما اللون الأحمر فلم يشكل إلا نسبة 11,60%، وتراوحت نسب الألوان الأصفر والرمادي والأسود والبرتقالي بين 8,45% و 11,60%، وبتحليل بسيط نعتبر اللون الأحمر هو اللون الأساسي والرئيسي بين الألوان الوطنية، لذا كان لابد أن يكون هو أعلى نسبة، خاصة وأنه يرمز لدم الشهداء، ولماذا هذه النسبة العالية للون الأزرق الذي يتميز به المستعمر، وخاصة اذا ما عرفنا أن النسبة العالية للونين الأبيض والأخضر ليس مرددا لأنها من الألوان الوطنية، ولكن لأن أغلب الصور تحمل مساحات خضراء فمن الطبيعي ان يغلب عليها اللون الأخضر، وأغلب الصور بها أيضا فراغات كثيرة يعبر عليها باللون الأبيض، فما يجب التأكيد عليه أن المتعلم يجب أن يألف الألوان الوطنية ويحبها، ولا يجب أن يتعود على ألوان غير الوطنية، وهذا لا يكون إلى من خلال تغليب كفة الألوان الوطنية في المقرر الدراسي، وطبعا التقليل من ألوان الخاصة بالمستعمر.

01-02-02 الصور: يقول المثل الصيني: "الصورة تغني عن ألف كلمة"¹، وجرت العادة في التعليمات باكتفاء المعلمون (بتقديم بعض الصور للصف باعتبارها أساسا للمعرفة. على أن يرفق المعلم الصور والأشياء المعروضة بتعليقات)² ملائمة، وهذا لما للصورة من وقع خاص على ذهنية المتلقي عامة والمتعلم خاصة، خاصة في الأطوار الابتدائية الأولى، وهي الأطوار التي ينجذب فيها الأطفال بصورة كبيرة للصورة، على حساب الأشياء التعليمية الأخرى، ويعتبر كومنيوس الديداكتيكي من الأوائل الذين دعوا لاستعمال الصورة في البرامج التعليمية، وهو ما جعل منه أحد أعمدة البيداغوجيا العصرية، بالإضافة لإسهاماته في تحسين طرق التدريس، وأفكاره التي تهتم بمصلحة تحصيل الطالب وتحسين أدائه، ويتميز كتابه

¹ - يقال أن هذا الكلام للفيلسوف الصيني كونفوشيوس.
² - غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص35.

لتعليم اللغة اللاتينية سنة 1631: "la porte ouverte -Orbis sensualium Pictus" باب مفتوح على اللغات"، يربط كل كلمة بصورة¹. وتعرف مسألة قراءة الصورة (بمهارة القراءة الصامتة مهارة مهمة من مهارات التواصل اللغوي، ولا بد من التدريب عليها وإتقانها في حقل التربية والتعليم، وبخاصة قراءة الصور... لأن الصورة هي كاللفظة بالنسبة إلى الفكرة، لذا يمكن تأليف نص إنشائي متسلسل ومترابط من خلال صورة معبرة أو مجموعة من الصور)². وهذا ما يدل على دور الصور وأهميتها في في العلمية التعليمية التعليمية. ولتوضيح ذلك سنقوم في تحليلنا للكتاب برصد كل الصور الواردة في الكتاب، ونتناول نسبة الصور الوطنية فيها مقارنة بكل الصور الأخرى، ثم نقوم بتحليل الصور الوطنية الواردة، ونرى مدى مطابقتها للمضامين الوطنية المصاحبة لها، أما ما سميناهنا صورة وطنية، فهي تلك الصور التي تحمل صور لشهداء ومجاهدي الثورة التحريرية أو أي مشهد من مشاهد الثورة، أو تلك التي تعبر عن المدن والمشاهد الثقافية والأثرية الجزائرية، والطبيعة الجزائرية من بحار وجبال وسهول وصحاري، أو تلك التي تتناول الانجازات والبطولات الجزائرية بعد الثورة، كالمصانع والطرق والجسور وكل المرافق العمومية ذات الاستعمال العمومي الكبير، وكذلك انجازات الرياضة في مختلف المحافل الرياضية الدولية والإقليمية.

غالبا ما تأتي الصور داخل الكتاب مرافقة لمجموعة النصوص التعليمية المختارة، فنادرا ما نجد صورة بدون نص، وتكون هذه الصور سواء باللونين الأبيض والأسود أو بألوان مختلفة ومتنوعة، وذلك لمساعدة المتعلم على الفهم والاستيعاب بسهولة، ولتقريب وتسهيل عملية تمرير الحوادث والمعارف والأفكار والتعلمات والقيم، في جو حيوي ومرح، نبدأ أولا بالصور الواردة في صفحة الغلاف الأولى، والتي لم تحمل صورا كبيرة ولا كثيرة، وإنما حملت فقط خمس صور صغيرة، موضوعة بشكل عمودي من الأعلى إلى الأسفل على جهة اليسار، الأولى لأطفال يلعبون ويمرحون، الثانية للمحاربة البطلة الأمازيغية لالة فاطمة نسومر، الثالثة لفلاح والأخيرة لفيل يحمل مطرية ضد أشعة الشمس، ما يهمنا هنا هو: أين

¹ - ينظر: للموقع الإلكتروني <https://www.wikipedia.org> بتاريخ: 26 ماي 2017.

² - جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، ص 60.

الصور التي تعبر عن الوطن؟ وعن الانتماء إليه؟ فباستثناء صورة البطلة لآلة فاطمة نسومر تبقى الصور الأخرى بعيدة عن تفعيل عملية التعليم والتربية على المواطنة، وحتى صورة البطلة لآلة فاطمة نسومر تبقى بعيدة الاستيعاب عن أذهان متعلمي الطور الابتدائي في تلك السن، والآن سنكمل تناول ورصد كل الصور ذات العلاقة بموضوع الوطنية والمواطنة الواردة في كتاب السنة الرابعة ابتدائي، ونتطرق لنسبتها مقارنة بنسبة الصور الأخرى الواردة في الكتاب.

في الصفحة 45 من كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي صورة كبيرة لعمارة من حي القصبة العتيقة تحتوي كخلفية ست صور أخرى لشهداء الثورة، وعلى جانبها ثلاث صور عمودية لكل من مقام الشهيد، علم الجزائر وخريطة الجزائر، انها صفحة وطنية بامتياز لكن الغريب أنها لم تصحب بأي كتابة تشير إليها أو تشرحها أو تسميها، وهذا ما رافقها من كتابة (في هذا المحور: - تكتب نصا وصفيا "وصف شخص" - تتعرف على الجملة الاسمية وأركانها - توظف الصفة في النص الوصفي - تكتب الهمزة المتوسطة على الألف)¹، فهو لا يمد بأي صلة لمعنى الصور، فكيف يعرف المتعلم أن الصور لشهداء الثورة التحريرية؟ ويجب أن يعرف كذلك علاقة تلك الرموز كحي القصبة العتيق ورياض الفتح وخريطة الجزائر والراية الوطنية المصاحبة بالشهداء رحمة الله عليهم، هذا ما لم يكن في الصفحة بتاتا، ثم إن المتعلم مطالب أيضا بأن يصف مثلما تملي عليه مخيلته فقد تحيل تلك الرموز إلى أشياء أخرى غير الثورة التحريرية وغير الشهداء الأبرار. صورة أخرى للبطلة لآلة فاطمة نسومر في الصفحة 50، وهي صورة جميلة بلباس الحرب، معبرة تبعث الحماس والاعتزاز والافتخار في نفسية المتعلم، وهذه الصورة مصاحبة لنص يتعلق بهذه البطلة. صورة أيضا في الصفحة 54 لمجاهدين في الجبل تقومان بتركيب سلاح ناري، وهي صورة معبرة، وداعمة للمعنى ولل فكرة بشكل كبير. صورتان في الصفحة 60 واحدة لمقام الشهيد والثانية لفتاتين تحملان الراية الوطنية، وهما صورتان مرافقتان لنص احتفال الجزائريين بذكرى أول نوفمبر، فكانتا مناسبتين للنص ومعبرتين عن المعنى، ويعتبر حمل الراية الوطنية رمز وشعار للاحتفال بالفرح كما يعتبر مقام الشهيد رمزا مخلصا لانجازات ومآثر الثورة التحريرية.

¹ شريفة غطاس وآخرون، رياض النصوص كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص 45.

ما يثير الانتباه هو وجود صفحات تحمل مجموعة من الصور الصغيرة، يتراوح عددها بين 7 و9 صور، لكن علاقتها بالنصوص أو بالأسئلة المصاحبة غير واضحة، فمن المنطقي أن تكون هناك علاقة الصور المعروضة والمضامين المصاحبة لها، وهذا الغموض من شأنه أن يدخل التلميذ في لحظات من الفوضى الفكرية التي تحيله إلى نوع من المتعة والمرح وتخرجه عن المعنى العام للمحور، وهو ما نجده ونسجله في بداية كل محور، لكن المصمم يكون قد أراد من ذلك تقديم فكرة مسبقة عن كل موضوع من مواضيع المحور، لكنه أمر غير واضح ويصعب على المتعلم التنبؤ بتلك المعارف، نجد هذه الصور في الصفحات: 9، 27، 45، 63، 81، 99، 121، 157 وفي الصفحة 175. عكس هذا نجد ست صور وطنية في الصفحة 184 مصحوبة بأسئلة تطالب التلميذ بانجاز مطوية للتعريف بالجزائر، وهذا نشاط هام فهو مصحوب بالصور الوطنية، ومن شأنه أن يذكي الإحساس بالانتماء للوطن وحبها، أما الصور فتحمل خريطة الجزائر صحراءها جبالها وتلوجها صور لقصر البارود وللزريبة الجزائرية، هذه الصور متنوعة بصور أخرى في الصفحة 186 لشواطئ الجزائر ولهقارها وصحرائها وواحاتها، وهي مرافقة لنصين الأول "الجزائر بلد الجمال"، والثاني شعري بعنوان "الواحة".

أما إذ عدنا لتحليل النسب فهي كالآتي:

النسبة	العدد	
14,93%	33 صورة	صور الكتاب الوطنية
85,06%	188 صورة	صور الكتاب الأخرى
100%	221 صورة	مجموع كل الصور

شكلت الصور في كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي 221 صورة منها 33 صورة وطنية أي بنسبة 14,93%، أما نسبة الصور الأخرى فكانت 85,06%، وتبقى نسبة الصور الوطنية ضئيلة وبعيدة عن الحجم المطلوب، فهي لا تقارب حتى من نصف نسبة اجمالي الصور الواردة، خاصة تلك الصور التي يحاول المستعمر طمسها وتغييبها وهي صور

التعذيب والاضطهاد التي كان يعاني منها الشعب الجزائري، والتي التقطت من طرف مصورين مساندين للثورة الجزائرية، فالكتاب المدرسي الوطني هو الطريق الوحيد لبعث هذه الصور، وتنوير الناشئة بها وتعريفهم بتاريخ الجزائر البطولي وبثورتها المجيدة، وكذلك بانجازات الشعب الجزائري بعد الاستقلال في بناء الدولة الجزائرية الحرة والمستقلة والمتقدمة، كما أن النصوص الوطنية القليلة الواردة تبقى ناقصة ما لم تدعم بصور وطنية حية من وحي الثورة وتاريخ الجزائر، وقد تكون أسباب نقص الصور الوطنية في كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي بسبب انشغال المسؤولين على تصميم وتأليف الكتاب المدرسي بعملية تحسين الأداء والاستيعاب، فأهمل الجانب التربوي القيمي والأخلاقي الذي يعنى بالقيم الوطنية وبالمواطنة.

01-02-03 الكلمات: أما فيما يخص الكلمات فقد اقتصرنا على رصد الأسماء والأفعال فقط، سواء تلك التي لها علاقة مباشرة بمعاني الوطنية والمواطنة، أو تلك التي فيها شيئا أو تمس بمعنى من معاني الوطنية والمواطنة، والمعاني التي نقصدها هنا هي تلك التي تترجم إلمبادئ الوطنية وقيم المواطنة.

من البديهي تسجيل صعوبة كبيرة في عملية اختيار كلمات المحتوى الدراسي أو مضمون الكتاب المدرسي التعليمي، وذلك لكونها محددة مسبقا في النصوص من طرف مؤلفيها، لكن يجب الحرص على اختيار النصوص التي تحمل قدرا كافيا من الكلمات المشحونة وتلك التي تخدم موضوع الوطنية والمواطنة، ويجب أن يحرص المعلم على التركيز في المعنى أثناء تناول تلك الكلمات، والحرص أيضا على توظيفها من طرف المتعلمين في جمل مفيدة، أو في فقرات من خلال حصص التعبير الشفهي والكتابي.

والآن سنقوم برصد كل الكلمات ذات العلاقة بموضوع الوطنية والمواطنة في الكتاب المدرسي للسنة الرابعة ابتدائي، وتحليل نسبة ورودها مقارنة بالعدد الإجمالي للكلمات الأخرى الواردة في الكتاب ككل.

النسبة	العدد

كلمات الكتاب الوطنية	3145 كلمة	17,87%
كلمات الكتاب غير الوطنية	14452 كلمة	82,12%
مجموع كلمات الكتاب	17597 كلمة	100%

العدد الإجمالي للكلمات الواردة في كتاب القراءة للسنة الرابعة متوسط أكثر من 17597 كلمة، عدد الكلمات الوطنية الواردة أكثر من 3145 أي بنسبة 17,87% من العدد الإجمالي، أما عدد الكلمات الأخرى فأكثر من 14452 بنسبة 82,12% من النسبة العامة، كثرة الكلمات الوطنية تساعد المتعلم على تنمية ثقافته الوطنية وتحيينها وتحسينها، فعددتها في الكتاب قليل جداً، يكفي أن ذكر كلمة الجزائر أقل من عدد أصابع اليد الواحدة، وأما كلمة الثورة التحريرية فلا تتجاوز الثلاث مرات، وقد يكون مرد هذا النقص لارتباط الكلمات بالنصوص والتي يخرج اختيارها عن ارادة المصمم التربوي وانما هي مرتبطة بالمؤلف، لكن لدينا الكثير من الكلمات الوطنية في نصوص من الأدب الجزائري، والتي كتبها جزائريون من قلب الثورة، وهناك ما هو مكتوب من طرف بعض مجاهدين من أمثال مفدي زكريا وعبد الحميد بن هذوقة والطاهر وطار ومحمد ديب ومحمد العيد آل خليفة.

01-02-04 النصوص الأدبية: عندما نتكلم عن النصوص فإننا نركز على القراءة والمطالعة وأهميتهما في التعليم والتعلم، النصوص حاملة لمجموعة من المعارف والمبادئ والأخلاق والقيم التربوية والدينية والثقافية والوطنية، لذا فعلى المعلمين التركيز على القراءة السليمة والفهم الجيد حتى يتمكن المتعلم من استخلاص المعارف والسلوكات والقيم الواردة في كل نص، والتأثر بها واتخاذ موقفا منها سواء بتقبلها أو بمناقشتها وإبداء الرأي منها.

أول شيء يسجل هو غياب نص البسملة في بداية الكتاب، ما يلاحظ أيضا أن كل وحدة في مضمون الكتاب، متكونة من مجموعة من النصوص المزوجة بين النثري والشعري، بالإضافة لاحتواء كل وحدة على نص توثيقي. أما أول نص يصادفنا يحمل معاني وطنية وسلوكات تدل على قيم المواطنة، فهو النص المعنون بـ "حقوق الطفل" في الصفحة 24، وهو نص مناسب إذ يعرف الطفل بكل حقوقه حسب التشريع الجزائري، وتصاحبه صورة

لطفلة تكتب على السبّورة عبارة: للطفل حق في أن يتعلّم، وهذا جميل لأنهم ركزوا على أهم حق من حقوق الطفل ألا وهو التعلم، ومما جاء في النص: (من حق كل طفل أن يكون له اسم.. وفي قدر كاف من الغذاء والسكن.. حق في اللعب واللهو.. للطفل حق في أن يتعلم)¹، أما النص الثاني فشعري بعنوان "أبي وأمي" في الصفحة 25، وهو مصحوب بصورتين معبرتين أيضا لأب وأم يحتضنان أولادهما، النص يعرف التلميذ بفضائل الوالدين وخيرهما على الأبناء، وبضرورة طاعتها واحترامهما وخدمتهما، ومما جاء فيه: (أمي وأبي *** أصلي نسبي... فهناؤهما *** أغلى حلمي)²، تتوالى بعدها بعض النصوص كنص "التضامن من الخصال الحميدة" في الصفحة 42، والذي يبدأ (حل علينا شهر رمضان الكريم... وتضم مختلف المواد الغذائية الأساسية)³، وهو مصحوب بصورة تعبر عن معاني التضامن والأخوة بين الناس في هذا الشهر الفضيل. نص آخر نجده في الصفحة 46 وهو نص وطني بامتياز عنوانه "رحلة عصفورين" لكن العنوان غير مناسب للنص، فهذا يجب أن نقدم الحقائق الواقعية والتاريخية، ونبتعد عن المجاز، ومما جاء في هذا النص (آه. كانت فرنسا تعتبر الجزائر جزءا منها، ولكن الشعب الجزائري البطل كافح حتى حصل على استقلاله سنة 1962 ورحلت فرنسا عن وطنه بعدما بقيت فيه ثلاثين ومائة عام. وما اسم عاصمة هذه الدولة؟ اسمها الجزائر أيضا، ومن مدنها الكبرى: وهران وقسنطينة وباتنة وتلمسان وعنابة وبجاية وغرداية والمدية... وكما ترين فإن مساحة الجزائر كبيرة جدا. فهي تمتد من الشرق إلى الغرب بمسافة تتجاوز ألف كيلومتر)⁴، النص يتوسع لصفحة ونصف وهو يتناول أيضا التعريف بالزراعة والصناعة الجزائرية، وكما وقفنا عليه فإنه يقدم شرح دقيق بأسلوب مشوق وجميل ومحبيب للجزائر، الشيء الوحيد المسجل على هذا النص، والذي لا يتجاوب مع مضمونه هو العنوان، فنحن هنا لسنا على شاكلة كليلة ودمنة حتى يتمكن الطفل من استنباط المعاني، فلماذا لم يكن العنوان مباشرة "الجزائر" فلماذا اللف والدوران، وما يلاحظ أيضا أن النص مرفوق بصورة لقصة الجزائر. نصان تمرينيان وتدريبان نجدهما في الصفحة 49 ومما جاء فيهما (1- اختر من بين الكلمات الآتية ما يناسب هويتك.

¹ - شريفة غطاس وآخرون، رياض النصوص كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص 24.

² - المرجع نفسه، ص 25.

³ - المرجع نفسه، ص 42.

⁴ - المرجع نفسه، ص 46.

آسيوي - مسيحي - مسلم - جزائري - صيني - فرنسي - أوروبي - عربي - يهودي - عراقي - فلسطيني - أريكي - تونسي - موريطاني . 2- أكتب الكلمات الآتية في كراسك ولون بالأخضر ما ينتمي منها إلى الجزائر.

البحار	المدن	اللغات	الجبال
البحر الأحمر	المدينة	العربية	الهقار
البحر الميت	القاهرة	الإنجليزية	الشريعة
البحر الأبيض المتوسط	سطيف	الأمازيغية	لالة خديجة
	بغداد	الفرنسية	الأوراس
	شرشال	الألمانية	الطاسيلي
			الهيما لايا

(1.

التمرينان ذوا معنى وطني بعيد المدى، فهما يعرفان المتعلم بالجزائر وطبيعتها ومدنها ولغاتها وتراثها ودينها، ضف إلى ذلك أن المقرر يقول في السؤال: لَوْن باللون الأخضر الذي هو لون من ألوان الراية الوطنية، لكن ما يلاحظ في نص السؤالين هو غياب الأصل الأمازيغي للهوية الجزائرية في التمرين الأول، وإدراج اللغة الفرنسية في التمرين الثاني، فهل نعتبرها لغة تنتمي للجزائر أم لا؟ يبقى مجرد سؤال، وما الغرض الذي كان يهدف إليه المقرر من وراء ذلك؟ هل ينتظر إن يدرجها التلميذ ضمن اللغات التي تنتمي إلى الجزائر أم ينتظر من المتعلم أن يعزلها؟ فإذا اعتبرناها ارث من المستعمر فهي لغة جزائرية وهي مستعملة على نطاق واسع في الجزائر، لكن إذا نظرنا إلى أنها لغة العدو فهذا كلام آخر، ولكل رأي فيها وفي ذلك، شخصيا أرى أنه كان بالإمكان حذفها كلية من الجدول، أو تغيير السؤال من ما ينتمي إلى الجزائر من لغات، إلى ما هو مستعمل في الجزائر من لغات. هاتان الملاحظتان المتعلقةتان باللغة الفرنسية، قمنا بطرحهما في الاستبيانات الخاصة بالفصل الميداني، والذي سنحلله في أوانه. نستقبل نصا وطنيا آخر في الصفحة 50 عنوانه "البطلة لالة فاطمة

1- شريفة غطاس وآخرون، رياض النصوص كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص 49.

نسومر" النص يمتد عبر صفحة ونصف ومرفوق بصورة للبطل، وهي الصورة نفسها الموجودة في صفحة الغلاف الخارجية رفقة صور أخرى، النص يعرف شخصية جزائرية وبطلة وطنية تاريخية تنحدر من ولاية تيزي وزو، كان لها دورها الكبير في رفض المستعمر ومحاربتة، كما يعرف النص بالمقاوم بوبغلة، فيقدم للتلميذ صورة حية لمرحلة مهمة من تاريخ الجزائر، ومما جاء فيه (وهاهي ذي ترفع راية المقاومة وتلتحق بالجيش التي كان يقودها بوبغلة في نواحي الصومام. بدأت المعارك وكانت فاطمة تتقدم الصفوف بشجاعة وأصبحت قائدة للمقاومة الشعبية في جرجرة)¹. أما في الصفحة 53 فنجد تمرينين يحملان كثيرا من قيم المواطنة جاء فيهما (1- اختر من مجموعة الكلمات الآتية ما يناسب البطولة. الشجاعة - الإقبال - الإدبار - الجبن - الإرادة - البسالة - الخوف - العزيمة - الصرامة - المقاومة - الصمود - الضعف - القوة. 2- كون جملا بالمفردات الآتية: كافح - انتصر - انهزم - قادم - تغلب - صمد)²، فهذه الكلمات كلها تحمل معاني الوطنية وقيم المواطنة في حب الوطن والدفاع عليه والافتخار بإنجازاته وبطولاته وأبطاله وتاريخه. وعلى شاكلة نص لالة فاطمة نسومر، يطالعنا في الصفحة 54 نص الشهيدة مليكة قايد، وهو نص وطني بطولي يعرف أيضا ببطلة الثورة التحريرية وشهيدة الوطن، إنها البطلة مليكة حداد النص يمتد لصفحة ونصف ومما جاء فيه: (كانت مليكة تكبر ويكبر معها حب الوطن ويدفعها إلى الاجتهاد في دراستها. ولقد نجحت وأصبحت ممرضة، فانتقلت إلى قريتها وبدأت عملها هناك. فكانت تداوي السكان وترعاهم وتقدم لهم النصائح. واحتاجها إخوانها المجاهدون لمعالجة الجرحى فانتقلت إلى الجبل وبدأت في رعايتهم، ولكنها كانت تنزل إلى القرية لترعى سكانها أيضا)³، هذا نص وطني بامتياز وهو يعرف ببطلة من بطلات الجزائر الكبيرة، مليء بالقيم والمآثر والأحداث التاريخية للثورة التحريرية الجزائرية، وما يثير في هذا النص هو ورود عبارة كان يستعملها المستعمر للتفريق بين الجزائريين وزرع الفتن والأحقاد بينهم وهي عبارة "القبائل الصغرى"، فلا يوجد قبائل صغرى وأخرى كبرى وإنما هذه من تسميات المستعمر العنصرية للتفريق بين الجزائريين، والنص مرفوق أيضا بصورة

1- شريفة غطاس وآخرون، رياض النصوص كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص 50.

2- المرجع نفسه، ص 53.

3- المرجع نفسه، ص 54.

لمجاهدين في الجبل وهما تقومان بتركيب سلاح ناري، وهي صورة معبرة، وداعمة للمعنى والفكرة بشكل كبير. أما النص الذي نجده في الصفحة 60 فهو "الشعب الجزائري يحتفل بذكرى أول نوفمبر" مما جاء فيه: (كيف لا يفرح الشعب الجزائري بهذا اليوم، ولا يحتفل بهذا العيد؟ وهو اليوم الذي أطلق فيه أولى رصاصات الحرية والاستقلال. كان ذلك في الفاتح نوفمبر 1954، يوم اندلعت الثورة الوطنية لتحرير الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الوطني، فأقبل عليها الشعب الجزائري رجالا ونساء، وخاض غمارها طيلة سبع سنوات ونصف من الجهاد والتضحية والكفاح، واستشهد أثناءها أكثر من مليون شهيد، من خيرة أبناء هذا الشعب الأبى)¹، النص يتناول مظاهر الاحتفال بعيد الثورة الجزائرية، وهو يعطي نبذة قصيرة لكنها جامعة عن الثورة التحريرية، ومرفوق بصورتين معبرتين لمقام الشهيد في حلة الاحتفال، وصورة لفتاتين فرحتان محتفلتان تحملان الراية الوطنية.

أما في الصفحة 61 المقابلة لصفحة النص السابق، فنجد نصًا شعريًا وطنيًا أيضًا للشاعر حليم الدموس بعنوان: "عليك مني السلام"، النص يحتوي على 14 بيتا شعريا تبدأ بالبيت: (عليك مني السلام *** يا أرض أجدادي ... يا ما أحلى السكن *** في أرض أجداد)²، النشيد للشاعر اللبناني حليم الدموس، وهو شاعر متحرر مغترب، وعاش بين البرازيل وسوريا ولبنان، عاصر الشعراء شوقي ومطران وحافظ، النشيد يتناول حنينه إلى الوطن، وحياته في الغربة بعيدا عن الوطن الأم لبنان، وهو هنا يخاطب بصفة كبيرة المغتربين ويحثهم على عدم نسيان الوطن وعدم الغرور بحياة الغربة، النص مهم لكن هناك نصوصا أخرى لأدباء جزائريين أحسن وأنسب وأدق في التعامل مع الغربة والوطنية، والنص مكتوب على خلفية تحمل صورة تشكيلية تتداخل فيها كثير من الألوان دون التركيز على شكل معين، يظهر أنه اختير كخلفية جميلة فقط للنشيد، لكن ليست له أبعاد وطنية أو فكرية أخرى. في الصفحة 78 يطالعنا نص التلقيح، وهو إن لم يحمل بصورة مباشرة معنى من معاني الوطنية، فإنه يعبر عن قيمة من قيم المواطنة، فيتناول حق من الحقوق المكفولة دستوريا وهو حق الرعاية الصحية، وهذا مهم لثقافة المتعلم وتحضره، حتى يكون على

1- كتابي في اللغة العربية، شريفة غطاس، مفتاح بن عروس وآخرون، السنة الرابعة ابتدائي، ص 60.

2- المرجع نفسه، ص 61.

معرفة بأهم حقوقه المشروعة في هذه السن، ومما جاء في النص: (إن التلقيح في عصرنا هذا يعتبر من أسهل الأمور، ولكنه هام جدا فهو ينقذ الملايين من البشر سنويا. ففي الماضي، وقبل أن يكتشف اللقاح، كانت الملايين من البشر تموت سنويا. كانت توجد أمراض خطيرة تنتقل بالعدوى. ومن هذه الأمراض الجدري والطاعون والمalaria والسل)¹. في الصفحة 86 يطالعنا نصا يحمل نوعا آخر من المواطنة وهي مظاهر التعاون والتضامن بين الجزائريين في المحن، وهو مشهدا من مشاهد الفيضانات التي ضربت باب الواد في سنة 2001، فينقل النص صورة حية عن تلاحم قوات الجيش الشعبي الوطني ورجال الحماية المدنية وكل الأسلاك الأمنية الأخرى مع المواطنين والسكان وكل أفراد الشعب الجزائري، ووقوفهم وقفة رجل واحد للتصدي لهذه الكارثة الطبيعية، عنوان النص: "وتعود الحياة إلى باب الوادي"، ومما جاء فيه: (توقفت الحياة في باب الواد بعد أن كان سوقا مزدهرة وتحول في لحظات إلى مقبرة. وضربت مياه غزيرة بكل قوة وعنف أحياء العاصمة وأغرقت الشوارع في أنقاض وأتربة... كان الجزائري على موعد مع امتحان كبير، يبين فيه أنه الرجل الشجاع الذي يواجه الصعاب ويتغلب عليها. لقد تجند المواطنون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من أرواح بشرية... انضمت إلى المواطنين وحدات الجيش الوطني الشعبي بآلاتها الثقيلة شرعت في فتح الطرق وتسهيل المواصلات)²، النص مصاحب لصورة من باب الواد آنذاك، تصور كيف سيطرت المياه على كل شيء، وكيف دهمت وغمرت المنازل والدكاكين وحملت السيارات وكل ما كان في طريقها، وهي صورة معبرة ومناسبة للنص، النص يحمل قيم حب الوطن والتضامن والتعاون والأخوة واللحمة بين كل أطياف المجتمع الجزائري ومؤسساته المدنية والعسكرية في أوقات المحن والكوارث يليه مباشرة في الصفحة 90 نص مشابه بعنوان "وتهتز الأرض"، يتناول هو الآخر كارثة الزلزال التي ضربت مدينة بومرداس في سنة 2003، يتعرض هذا النص أيضا لقيم التضامن والأخوة بين الجزائريين في وقت الشدة، بالإضافة لقيم أخرجت الاستعداد والتهيؤ لمواجهة مثل هذه الكوارث الطبيعية، وتعلم قيم التنبؤ بها والاحتراس والحذر منها، خاصة بلادنا التي تعرف نشاطا زلزاليا كبيرا، ومعرضة لكثير من الكوارث الطبيعية الأخرى كالحرائق والفيضانات والتصحر، ومما جاء في هذا

1- شريفة غطاس، مفتاح بن عروس وآخرون، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص78.

2- المرجع نفسه، ص86.

النص: (وفجأة علا صوت بكاء ينبعث من تحت الأنقاض. كانت الساعة تشير إلى الحادية عشر ليلاً. أسرع أحد المواطنين إلى سيارته وأشعل الأضواء وراحت المجموعة تزيج الركاب بسرعة حتى وصلوا إلى البنت فأخرجوها حية، ولكنها أصيبت بجروح خطيرة)¹، الصفحة 96 تحمل نصاً آخرًا بعنوان "البراكين"، والصفحة 97 بها نص "اعصفي يا رياح"، ويتناولان نفس المغزى ويحملان القيم والمهارات نفسها السابقة الذكر.

في الصفحة 172 يوجد نصان أولهما عن الموسيقار العالمي موزار، وثانيهما عن الرسامة الجزائرية باية محي الدين، وهما نصان يهدفان لتعريف التلميذ بالتراثين العالمي والوطني في مجال الرسم خاصة والفن عامة، لكن كان من الأحسن إدراج أولاً النص الذي يتناول الرسامة الجزائرية باية، ومما جاء فيه: (باية محي الدين رسامة جزائرية كبيرة... رسمت باية لوحات كثيرة جميلة للطبيعة ولكل الحيوانات... عرضت لوحاتها لأول مرة في باريس سنة 1947 والتقت مع الرسام بيكاسو وأعجب كثيراً بلوحاتها)². يطالعنا نص آخر في الصفحة 176 بعنوان "رحلة إلى الجزائر" نص يعرف بصحراء الجزائر الجميلة وبساحلها الخلاب ومما جاء فيه: (سندهب إلى الجزائر... أنها بلد واسع وبه صحراء جميلة ودافئة في الشتاء... بدأت الباخرة رحلتها وحينما اقتربت من السواحل الجزائرية بدأت تتذر بأبواقها رفع نيلز رأسه وقال إنها مدينة وهران... وبعد مدة صاح نيلز بفرح شديد هانحن نقتررب من الواحة)³، في الصفحتين 186 و187 نصّان أحدهما نثري بعنوان "الجزائر بلد الجمال" والثاني شعري للشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي بعنوان "الواحة"، وكلاهما يتغنّى بجمال الجزائر وتنوعها واتساعها وبصحرائها وجبالها، وهما مصحوبان بصور من شمال وجنوب الجزائر، مما جاء في الأول: (الذين يحبون الشواطئ يمكنهم أن يجدوا شواطئ خلاصة كشاطئ بجاية وشاطئ عنابة وشاطئ سكيكدة في الشرق... وزرالد في الوسط... وهران في الغرب... أما الذين يحبون الصحراء فيجدون في الجزائر أروع اللوحات

¹ شريفة غطاس، مفتاح بن عروس وآخرون، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص 90.

² المرجع نفسه، ص 172.

³ المرجع نفسه، ص 176.

التي ترسمها الطبيعة)¹، ومما جاء في النص الثاني(كالجنة الفيحاء **** في وسط الصحراء... ما أنت إلا راحة *** حين دعوك واحة)².

سنأخذ في الدراسة كل النصوص ذات الصلة بموضوع الوطنية والمواطنة الواردة في كتاب السنة الرابعة ابتدائي ومقارنة نسبة ورودها بنسبة ورود إجمالي النصوص الأخرى في الكتاب.

النسبة	العدد	
28,35%	19 نصا	النصوص الوطنية
71,64%	48 نصا	كل النصوص غير الوطنية
100%	67 نصا	مجموع كل النصوص

مجموع النصوص الواردة في كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي 67 نص نثري وشعري مع غلبة النصوص النثرية، أول ملاحظة هي عدم توافق النصوص النثرية مع النصوص الشعرية، فكان من المنطقي أن يشكل مجموع النصوص الشعرية ثلث عدد النصوص الأخرى، ليألف التلميذ النص الشعري ويتذوقه، بالإضافة إلى أن أغلبية النصوص الوطنية الجزائرية وأجودها موجودة في الشعر وليس في النثر الذي يغلب عليه الأدب الروائي، أما عدد النصوص الوطنية من شعر ونثر فهو 19 نصا بنسبة 28,35%، في مقابل باقي النصوص الأخرى 48 نص نثري وشعري مجتمعة بنسبة 71,64%، نسبة النصوص الوطنية تقارب النصف، وكلها مرفقة بصور معبرة، لكن ينقصها سوء التوزيع عبر البرنامج السنوي، فهي مكثفة في وحدة واحدة، وخالية من بعض الوحدات الأخرى، وكان جيدا أن تقسم هذه النصوص شيئا فشيئا عبر الوحدات كلها، هكذا يكون التلميذ على اتصال دائم بالوطنية، وبقيم المواطنة، وعلى علاقة بتاريخه في الماضي بفخر واعتزاز، يعيش حياته في الحاضر بتحضر وسعادة، ويتطوق إلى مستقبله الواعد بتفاؤل كبير.

¹ - شريفة غطاس، مفتاح بن عروس وآخرون، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، ص186.

² - المرجع نفسه، ص187.

01-03 نصوص المواطنة في الكتب الأخرى للمرحلة الابتدائية: -/ كتاب القراءة للسنة الأولى ابتدائي به مجموعة نصوص كثيرة في وحدة التضامن والمواطنة منها المقطع الأول من النشيد الوطني قسما في الصفحة 149 وهو غير مرفق بصورة، وكل النصوص الأخرى نثرية تدور حول قيم الاحترام والتسامح والتضامن وحب المحيط، لكن لا واحد منها يتكلم بصراحة عن الوطنية والمواطنة، أما في كتاب السنة الأولى ابتدائي للتربية المدنية فبدأ في الصفحة 53 بمحور "الحقوق والواجبات"، حيث يعرف التلميذ في مواضيع متعددة بخصوص احترام الوالدين والأستاذ واحترام الوقت والغير وعدم تبذير المياه، ومما جاء فيه (في نهاية هذا المجال تكون قادرا على: معرفة حقوقك في القسم والمدرسة وممارستها تأدياً واجباتك: "واجب الطاعة واجب النظافة واجب الاجتهاد")¹، بالإضافة لتعريفه بحقه في الراحة والصحة والتعليم والغذاء، واجب احترام الوالدين والمعلمين وكبار السن، واحترام الغير في البيت وفي الشارع وفي المدرسة، واحترام الوقت وتنظيمه وعدم تبذير المياه. حمل المحور الأخير عنوان: الرموز والأعياد الوطنية، والذي يبدأ في الصفحة 70 بالتعريف بالعلم الوطني، والأشكال والألوان المكونة له، ثم الأماكن التي يرفع فيها، وأتبع هذا بتمرينين الأول، تسمية الأشكال المكونة للعلم الوطني من بين مجموعة من الأشكال والآخر مطالبة التلاميذ بتلوين الراية الوطنية وذلك في الصفحة 71. ثم ينتقل الكتاب للتعريف بالنشيد الوطني "قسما" وبشاعر الثورة مفدي زكريا في الصفحة 72:

(قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا)².

وكتب تحته مباشرة في الصفحة 73: (لكل بلد نشيد وطني، حفظ النشيد الوطني واجب مقدس)³، ثم موضوع الأعياد الدينية وفيه تم تعريف التلميذ بعيدي الفطر والأضحى والمولد

¹ - زعتوت عبد الرحمان وأبركان صالح، كمال جيجقة، آيت مبارك دليلة، عمارة بلقاسم، عزوز نواردة، عترو سامية وعشيش جميلة، كتابي في التربية المدنية، السنة أولى ابتدائي، الديوان الوطني للطباعة والمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2012-2013، ص53.

² - زعتوت عبد الرحمان وأبركان صالح وآخرون، كتابي في التربية المدنية، السنة أولى ابتدائي، ص72.

³ - المرجع نفسه، ص73.

النبوي الشريف، وذلك في الصفحة 74، أما الصفحة 76 فخصصت لتعريف التلاميذ بالأعياد الوطنية، ومما جاء فيها: (أحتفل في 1 نوفمبر بعيد الثورة وفي 5 جويلية بعيد الاستقلال، تخليدا لشهداء ثورتنا المجيدة)¹، وقد تبع هذا الموضوع في الصفحة 78، بتدريبين هامين الأول ملأ الفراغات لتكوين نشيد قسما، والثاني مطالبة التلاميذ بكتابة ألوان الراية الوطنية والأشكال المكون لها. من هذا يظهر المنحى الوطني لكتاب السنة الأولى ابتدائي في التربية المدنية، الهادف إلى تنمية الحس المدني لدى المتعلمين، وتحسيسهم بضرورة التواصل الاجتماعي، والحفاظ على البيئة، ومعرفة وممارسة حقوقهم وواجباتهم، والتعرف على المبادئ والرموز الوطنية، وكيفية التفريق بين الأعياد الوطنية والدينية، وهي أمور من شأنها أن تنمي علاقة المتعلم بوطنه، وتبعث على حبه والاعتزاز به والغيرة عليه، ومن هذا القول تظهر الغاية جلية وهي غاية وطنية بامتياز، وهدف سلوكي كبير في التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، ووضع المتعلم في موضع المسؤولية من خلال معرفة حقوقه وواجباته، ومكانته في المجتمع وفي الأمة والوطن ككل.

-/ كتاب السنة الثانية ابتدائي أهم نصوص المواطنة الواردة فيه هي "في متحف المجاهد"، مرفوق هذا النص بصور للشهداء سي الحواس العربي بن مهيدي العقيد لطفي والشهيدة وريدة مداد، ولمجموعة من التلاميذ داخل القسم، النص الثاني هو نص "الجزائر تتحدث"، وهذا معبر وهادف يشرح وطن الجزائر بلسان الجزائري، ومصحوب بصورة لخريطة الجزائر وجيرانها، نص آخر هو نص "يوم العيد" لكنه يتناول قيم الفرح والمحبة والإيحاء والتضامن بين الجزائريين، وهو مصحوب بصورة لمدينة من مدن الجزائر، جاء فيه أربعة عشر نشيدا، ضمن وحدة التضامن والمواطنة نشيد وطني واحد في الصفحة 54 وهو نشيد "من جبالنا"، مرفق بصورة ملونة، كما نسجل في كتاب السنة الثانية ابتدائي للتربية المدنية وجود محور بعنوان "القيم والمواقف" ويتضمن هذا المحور عناصر: الهوية الوطنية، الضمير الوطني، المواطنة والتفتح على العالم، والهدف منها معرفة المتعلم لهويته الشخصية، واحترامه لألوان العلم والرموز الوطنية، وتأدية واجباته تجاه الآخرين ونحو نفسه وأخيرا اكتشاف محيطه تدريجيا.

¹ - المرجع نفسه، ص 77.

-/ كتاب السنة الخامسة ابتدائي: ورد فيه نص وطني واحد هو: نشيد وطني واحد هو "لوطني" للشاعر الجزائري محمد الأخضر السائحي.

02- تحليل نصوص المواطنة في المرحلة الاكاديمية: بالنسبة للطور الاكاديمي فالأمر يختلف عن الطور الابتدائي، فقد ادرجت المواطنة كمحور بهذا الاسم في السنة الأولى متوسط وفي السنة الرابعة متوسط ولم تدرج في السنتين الثانية والثالثة، ولم نستطع معرفة السر وراء هذا الاستثناء، أو الهدف البيداغوجي الذي يسعى إليه المبرمج والمصمم التربوي الجزائري، لكن التحسيس بقيم المواطنة وتمريضها إلى النشء يستلزم الإحاطة بالفكرة، وبكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والثقافية، وهذا ما يجعل ورودها في كل السنوات أمر ضروري، حتى لا يفقد المتعلم الصلة بالمواطنة، فيجب أن يكون تحيين للأفكار الوطنية وسلوكات المواطنة في كل سنوات الاكاديمي، ولا يجب أن نسجل أي انقطاع، من شأنه أن يجعل المتعلم يعيش فراغات وطنية، أو أن تنقطع صلته بوطنه فيفتقر حبه لهذا الوطن ويتراجع.

01-02 تقديم كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط: كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط معنون بـ: " اللغة العربية" كتب فوق هذا العنوان من جهة اليمين: السنة الثانية من التعليم المتوسط، وكتب أعلاه يسارا كلمة "استكشاف"، هذه الكلمة تطرح أكثر من سؤال عن مغزاها، لكنها عرفت في آخر صفحة الكتاب بأنها: (طريقة جديدة لتعليم العربية في مرحلة التعليم المتوسط)¹، وهذا أيضا يبقى تعريفا غامضا، أما ما يفسر علاقة هذه الكلمة بكتاب القراءة للسنة الثانية متوسط. فهي عبارة: كتاب القراءة الموجه للتلاميذ السنة الثانية من التعليم المتوسط، وفق طريقة استكشاف على أساس المقاربة بالكفاءات واعتمادا على النصوص الأدبية أو "المقاربة النصية"، فتدور كل الأفكار والمعارف والنشاطات التعليمية والتعلمية حول النص موضوع الدراسة.

(يشتمل الكتاب على أربع وعشرين وحدة، موزعة على ثلاثة فصول متفاوتة في الطول تأخذ في الحسبان تقسيم السنة الدراسية... وكل ثلاث وحدات متنوعة بنشاطات الإدماج والتقييم التكويني، وكل فصل متبوع بتمارين للتقييم التحصيلي، زيادة عن عدد من المشاريع التي

¹- بدر الدين بن تريدي وآخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2016-2017، الصفحة الأخيرة.

تدفع المتعلمين إلى التبادل والتعاون، وإنجاز أعمال ذات معنى ودلالة¹، (وهو من جهة أخرى يأخذ بالمقاربة النصية، حيث يتناول نشاطات اللغة على أساس أنها كل، ويتجسد ذلك من خلال الانطلاق من نص محوري تدور حوله كل النشاطات من قواعد وإملاء وتعبير شفوي وتعبير كتابي، فضلا عن الوقفات المتكررة عند مسائل تتصل بأسرار اللغة)²، صورة الغلاف الأولى تحمل رسم تشكيلي غلب عليه لون ممزوج بين الأزرق والأخضر، كتب في وسطها باللون الأصفر اللغة العربية، وعلى اليمين في الأعلى داخل إطار أصفر: السنة الثانية من التعليم المتوسط وعلى اليسار في الأعلى كلمة: اكتشاف داخل إطار احمر، أما في أعلى الصفحة في الوسط فكتب: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، وتحتها مباشرة وزارة التربية الوطنية، أما بالنسبة للرسم فهو تشكيلي مقسوم على اثنين الشق الأيمن الصغير يحمل مجموعة زخرفية لنجوم خماسية والشق الأيسر رسم لمجموعة من ورقات الأشجار، في أسفل الصفحة لم يكتب شيء فقط شريط صغير باللون الأحمر يمتد لقاعدة الكتاب التي لم يكتب فيها أي شيء أيضا، الورقة الثانية بعد الغلاف بيضاء، أما الصفحة الثانية فأضيف فيها كتابة أسماء المؤلفين الذين عاد إليهم الإشراف والتصميم والتأليف والمراجعة والتنقيح، وإلى صفحة الغلاف الأخيرة التي جاء فيها في الأعلى إلى اليمين نصف قرص أسود بجانبه مباشرة كتب اللغة العربية وتحتها مباشرة أعيد كتابة كلمة: استكشاف، وتحتها مباشرة أيضا كتب: سلسلة العربية في مرحلة التعليم المتوسط، ثم جاء تعريف لكلمة استكشاف مكون من تسعة سطور، يليها مباشرة في الأسفل مستطيل أبيض جاء فيه ذكر جهة الطبع وسنة الطبع والسعر والرقم.

كتاب السنة الثانية متوسط من الحجم الكبير، يتكون من 287 صفحة، يزن حوالي 67 غ تقريبا، تجليده ليس من النوع الجيد والمتين، فمن كثرة استعماله وتصفحه يفقد بريقه وإشراقه ويتمزق بسرعة ويتآكل على أطراف الأوراق، مستطيل الشكل طوله: 27.5 سم وعرضه: 20 سم أما سمكه فهو: 1.5 سم، الكتاب صادر عن وزارة التربية الوطنية للجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، من إشراف وتصميم للطريقة: بدر الدين بن

¹ - بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص5.

² - المرجع نفسه، ص5.

تريدي، وتأليف: بدر الدين بن تريدي ور. آيت عبد السلام، ومراجعة وتنقيح: ساعد العلوي. أما مقدمة الكتاب فتخاطب كل من المعلم والمتعلم وتبين أهمية الكتاب وتعرف به، والمنهاج المستعمل فيه والطريقة الجديدة التي يعتمد عليها والهدف منه. تليها صفحتين متتاليتين توضحان كيفية استعمال الكتاب وقراءته، ثم صفحتان تحملان محتوى الكتاب والتوزيع السنوي لكل المقرر الدراسي.

02-02 نصوص المواطنة في كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط: مثلما تطرقنا إليه في كتاب القراءة للطور الابتدائي سنتناوله أيضا في كتاب القراءة للطور الاكمامي، فندرس ونحلل الصور والألوان من جهة والكلمات والنصوص الأدبية من جهة أخرى لكتاب القراءة للسنة الثانية متوسط، فنرصد نسبة ورود وتكرار معاني الوطنية وقيم المواطنة في نصوص الكتاب المختلفة، ومقارنة نسبتها بالنصوص الأخرى غير الحاملة لمعاني الوطنية في الكتاب، وسنوضح ذلك من خلال جدول يكون متبوع بتحليل للنتائج والنسب.

الصور والألوان: رغم الدور الذي تحافظ عليه الألوان في تمرير وتقريب المعاني، إلا أن المتعلم في المرحلة الاكمامية يتجاوز هذه الطريقة، إلى الأفكار والمشكلات المعرفية الجديدة، فهو يكون قد تخطى عتبة إدراك معاني ومدلولات الألوان، والتي لم يعد لها وقع كبير على مخيلته بحكم تزايد اهتماماته وتشعب أفكاره واتساع مجال معرفته، لكنها تحافظ على قيمتها كوسيلة من وسائل الجذب والترفيه والإمتاع والتشويق والفائدة المعرفية والتعليمية، لهذا سنركز في الطور الاكمامي على دراسة وتحليل الصور فقط في هذه المرحلة دون الألوان، لكن ما ننوه إليه - تكملة إلى تحليل الصور في الطور الابتدائي - أن استعمال الصور في الكتاب يجب أن يبتعد عن العبثية والصدفة، وإنما هناك شروط لاستخدام الصورة والتي تخضع لتخطيط تربوي مرتبط بمحور الدرس وبمضمون النص التعليمي، ويجب أن تكون الصورة مأخوذة من البيئة المحلية، وأن تكون حاملة لفكرة أو مجموعة من الأفكار، وواضحة وجيدة الإخراج وبعيدة عن الغموض، وعادة ما تستخدم الصورة في: نسج قصة،

تخيل نهاية أو بداية موضوع، اجراء مقارنة بين فكرتين، تفعيل حورا بين شخصين أو شخصيات، التعبير عن انفعالات ومشاعر ومواقف أو تقريب حدث تاريخي أو بطولي¹.

الصورة الوطنية الأولى هي مشهد من آثار الزلزال الذي ضرب ولاية بومرداس سنة 2003 في الصفحة 65، وتليها في الصفحة 60 صورة لخريطة شمال الجزائر تبين نقاط النشاط الزلزالي فيها، وهي كلها صور معبرة تثير مشاعر الأخوة والتضامن بين المواطنين، كما يكتسب المتعلمين من خلالها معارف كثيرة عن الزلازل، وسبل الاحتياط منها وتفاديها والتنبيه بها، لأن معرفة الكوارث الطبيعية عامة وطرق التعامل معها والوقاية منها، أصبحت مواد هامة تدرس للمتعلمين في المدارس، حتى يكونوا على وعي تام بكيفية التصرف أثناء وقوعها. صورة أخرى نجدها في الصفحة 77 لحوادث المرور، وهي صورة من الواقع الجزائري، وتظهر مجموعة كبيرة من السيارات في إحدى الطرق الجزائرية، وأمامها رجال الشرطة الجزائرية، وهي صورة مناسبة لتقريب سلك الشرطة من المتعلمين، والمساهمة في الحد من حوادث المرور لأن هؤلاء المتعلمون هم سائقوا المستقبل.

تطالعنا في الصفحة 111 صورة بالأبيض والأسود لبعض المجاهدين في جبل من الجبال الجزائرية بين الأشجار حاملين السلاح، وهي صورة معبرة وحماسية، تليها صورة للبطل الشهيد زيغود يوسف في الصفحة الموالية 112، مرفقة بقصة حياة البطل في الثورة التحريرية، أما الصورة المعبرة فعلا، والتي تصنع قيما وطنية كبيرة، فهي تلك التي نجدها في الصفحة 189 وهي صورة كبيرة لرجل يحمل الراية الوطنية، وكتب أمامها "شاب يحمل علم الجزائر عاليا"، فأكد أن كل متعلم يرى هذه الصورة يتمنى لو يكون هو من يحمل هذه الراية العزيزة على كل جزائري. صورة أخرى نجدها في الصفحة 204، وهي صورة لمحارب صليبي، أريد بها التعبير عن شخصية خالد بن الوليد، وهي صورة متناقضة مع محتوى النص فيجب أن تكون صورة تحمل رموز الجندي الإسلامي المعروفة. بالنسبة للصورة الموجودة في الصفحة 228 فهي لصندوق الاقتراع، والتي كانت كمدخل لمحور

¹ - ينظر: جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، ص ص 60-61.

الديمقراطية، إنها صورة تضع المتعلم في المحك الحقيقي، فهو الذي لم يبق له إلا سنوات عن ممارسة حقه الانتخابي لاختيار ممثليه فيكل المؤسسات المحلية والوطنية.

في الصفحة 155 تواجهنا صفحة تحمل معاني الوقاية من المخدرات حيث جاء فيها أن من يتعاطى هذه السموم، وكأنه يرسم طريقه إلى المقبرة، وهي صورة معبرة للتصدي لهذه الآفة التي أخذت تنتشر في صفوف المتعلمين والشباب بصورة رهيبية، وهي متبوعة بنص "الموت البطيء". صور أخرى للتعريف ببعض الحضارات العالمية الخالدة كالحضارة الفرعونية، فنجد في الصفحة 208 صورة لتابوت توت عنخ آمون وأخرى للأهرامات، ونجد صورة أخرى في الصفحة 245 للتعريف بالسياحة الجزائرية وهي صورة للآثار الرومانية بالجزائر. صور أخرى تهدف للحماية المحيط والحفاظ عنه مثل تلك التي نجدها في الصفحة 196 للقفلة الذرية، ومتبوعة بنص: أسلحة تهدد أمن البشرية، ومن القيم العالمية التي تحملها مثل هذه الصور، حماية الأرض وتفاذي استخدام العلم فيما يساهم في تدمير البشرية، مثل أسلحة الدمار الشامل التي تجعل حياة البشر جميعا في خطر.

أما إذا عدنا لعدد ونسب الصور في كتاب السنة الثانية للتعليم المتوسط فكانت حسب الجدول كالاتي :

النسبة	العدد	
13,68%	13 صورة	عدد صور الكتاب الوطنية
86,31%	82 صورة	عدد صور الكتاب الأخرى
100%	95 صورة	مجموع كل الصور

مجموعة الصور الواردة في الكتاب 95 صورة، منها 13 صورة وطنية بنسبة 13,68%، و82 عدد الصور الأخرى أي بنسبة 86,31%، وتبقى نسبة الصور الوطنية بعيدة عن النسبة المطلوب فهي لا تقارب الثلث، وهذا النقص مرده لتراجع عدد الصور بشكل عام المدرجة في كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط، فهي غير كثيرة، ويمكن تفسير هذا بأن

الطفل يكون قد تجاوز مرحلة الصور، وانتقل إلى مرحلة التفكير والتحليل والاستنتاج، وهذا ما توفره النصوص الأدبية، حيث نسجل تزايداً كبيراً في نسبتها، ورغم هذا لا يمكن نفي دور الصورة في تقريب المعنى وتسهيل الفهم، وفي العملية التعليمية ككل، فهي جسور مهمة لبلوغ المرامي والأهداف البيداغوجية، والتربية على المبادئ الوطنية وقيم المواطنة السليمة.

النصوص والكلمات: الشيء نفسه يتكرر مع النصوص والكلمات، ففي الأكاديمي يتجاوز المتعلم مرحلة الانبهار بالكلمات إلى اكتشاف وتذوق النصوص الأدبية وبداية تحليل النصوص والغوص فيها، وهذا نظراً للرصيد اللغوي الهام الذي يكون قد اكتسبه من خلال مساره الدراسي، لهذا سنركز في تحليلنا لكتاب القراءة للسنة الثانية متوسط على النصوص فقط، مع الوقوف طبعاً عند بعض الكلمات التي تحمل معاني كبيرة.

النسبة	العدد	
20,98%	17 نصاً	النصوص الوطنية
79,01%	64 نصاً	النصوص غير الوطنية
91,35%	74 نصاً	النصوص الثثرية
8,64%	07 نصاً	النصوص الشعرية
100%	81 نصاً	مجموع كل النصوص

أول نصنشم فيه رائحة الوطنية والمواطنة، هو النص الشعري الموجود بالصفحة 16 للشاعر أحمد شوقي بعنوان "الحاكم بأعوانه"، والنص يعالج طريقة الحكم وعلاقة الحاكم بالرعية وعلاقة الرعية فيما بينهم، بأسلوب هزلي جميل وهادف على لسان الحيوانات ومما جاء فيه: (الليث ملك القفار// وما تضم الصحاري. سعت إليها الرعايا // يوماً بكل البدار.... يا عالي الجاه فينا// كن عالي الأنظار. رأي الرعية فيكم// من رأيكم في الحمار)¹، والنص صاحبه صورة لأسد يقف في كرسيه كالملك وبحوله الكلب والقط والقرد، ولا يمكن أن نقول أنه صورة

¹ - بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص 16-17.

وطنية، لكنها تحمل معاني وقيم وطنية، خاصة عندما تتكلم عن علاقة الحاكم بالمحكوم. نص آخر من التراث الإسلامي يتكلم عن حياة الصحابي الجليل القعقاع بن عمرو التميمي بطل موقعة القادسية في الصفحة 26/27، وهو نص ينقل مشهداً من مشاهد حياة النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقته بالصحابة، وكيفية تسييره لشؤون الناس وحياتهم، التي كانت مبنية على الشورى والاحترام والتضامن والإخلاص في خدمة الأمة والمجتمع، وهو نص دقيق يحمل كثيراً من القيم الوطنية كحب الوطن والدفاع عنه وشعور الولاء للأمة وللوطن، ويعرّف أيضاً بحياة صحابي جليل وبطل وشاعر كبير القعقاع بن عمرو التميمي، ليكون المتعلمون على صلة بتاريخ الأمة الإسلامية وبتراثها الثقافي الكبير، ومما جاء في النص: (إنه الصحابي الجليل ذو الباع الطويل في القتال والنضال، فارس اللسان، وفارس السنان، وبطل الميدان: القعقاع بن عمرو التميمي أحد فرسان العرب وأبطالهم في الجاهلية والإسلام.... وقد عرف أبوبكر أثر هذه الصيحة في توجيه المعركة، فقال: "صوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل...سكن القعقاع مدينة الكوفة وتوفي رضوان الله عليه سنة أربعين للهجرة)¹، ويتبع هذا النص نصوص مماثلة لعبد الرحمن بن عوف في الصفحة 32، ولعمر بن الخطاب عندما أسلم في الصفحة 33، ونص أبو موسى الأشعري في الصفحة 34، ونص خالد بن الوليد في الصفحة 203، وهي كلها نصوص تحمل قيماً دينية تمهد لقيم وطنية وتؤسس لها.

نص آخر في الصفحة 38 عن الحضارة اليونانية بعنوان "عودة أوديسيوس"، يحكي مشهداً أثينا بعد حرب طروادة، وهو نص مهم للتعريف بالميثولوجيا العالمية والحضارة اليونانية الكبيرة، ومما جاء فيه: (بعد معركة طروادة ركب القادة والجنود البحر للعودة إلى أوطانهم في الجزر، وكان أوديسيوس من بين القادة المحاربين....ولما أقبلت بيتلوبي إلى القاعة ورأت أوديسيوس وتعرفت عليه لم تصدق عينيها من فرط الفرح)². يليه نص آخر من الأسطورة العربية يتناول "النعمان بن المنذر" في الصفحة 45، وهو نص للتعريف بالأسطورة العربية القديمة، والغاية منه جعل المتعلم على صلة بتاريخ الأمة العربية الإسلامية التي ينتمي إليها. في الصفحة 66 نجد نص "الزلال"، وهو نص يحكي لحظات زلزال زموري ببومرداس

¹- المرجع نفسه، ص ص 26-27.

²- بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص ص 38-39.

في 21 ماي 2003، نص يعيد مظاهر الالتحام والتضامن بين أفراد الشعب الجزائري في المحن والأزمات، وكيف هب كل الشعب الجزائري من الشرق إلى الغرب ومن الشمال على الجنوب لإغاثة إخوانهم في بومرداس، حيث سارعوا باللباس والأغطية والأطعمة وحتى بالأموال والوسائل كالشاحنات والسيارات، وهي كلها قيم نبيلة معروفة في الشعب الجزائري، تعبّر عن وطنية الجزائري وتضامنه واتّحاده في كلّ أزمة تحلّ ببقعة من أرضنا الواسعة، فيسارع الكل مدنيا كان أو عسكريا موظفا أو بطالا إلى مكان الأزمة، ومما جاء في النص: (هب الناس كهولا وشباناً، وقتينا إلى البحث في الردوم عن الناجين من الهلاك، حيث انهارت العمارات وتهدمت الدور، وتصدعت البنايات، ولم تمض إلا دقائق حتى نفر رجال الحماية المدنية ورجال الدرك الوطني، وجنود الجيش الوطني الشعبي إلى الأماكن القريبة من مركز الزلزال... كان ذلك اليوم يوما حزينا في تاريخ الجزائريين والجزائريّات... فقد فقدوا الآباء والأمهات، والأبناء والبنات، والإخوة والأخوات، والأصدقاء والصديقات)¹، والنص مرفق بصورتين الأولى لآثار الزلزال في بومرداس والثانية لخريطة شمال الجزائر تبين المناطق ذات النشاط الزلزالي. نص شعري آخر كتبه شاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، في السنة التي (اندلعت فيها الثورة التحريرية الجزائرية، حيث ضرب زلزال عنيف منطقة الشلف "الأصنام سابقا"، وتلت ذلك الزلزال أمطار غزيرة، فأنشأ مفدي زكريا قصيدة منها هذه الأبيات: أمانا ألا يا سماء أقلعي/// فقد صبت الأرض أنكالها. ويا أرض رحماك لاتبلعي/// صبايا البلاد وأطفالها... جرى ما كفى هل كفى ما جرى/// كفى بالجزائر ما نالها)²، وهو نص آخر يعبر عن وطنية مفدي زكريا وحبّه للجزائر حتى أمام الكوارث الطبيعية، وبهذا النص قيّم كبيرة في حب الوطن والدفاع عنه وحمايته من كل أذى سواء كان مصدره إنسانيا أو طبيعيا.

تطالعنا الصفحة 112 بنص وطني آخر، هو ذلك الذي يتناول حياة الشهيد العقيد زيغود يوسف، النص مرفق بصورة للشهيد، ويعرف بميلاده وحياته وتعلمه، وعمله إلى غاية التحاقه بصفوف الحركة الوطنية، وانضمامه إلى خطوط المواجهة والثورة في

¹ - المرجع نفسه ، ص 66-67.

² - بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط ، ص 70.

السنوات الأولى لانطلاقها، كما يعرف النص بالثورة التحريرية وبالعلاقات التفاهم والاتحاد والتضامن بين المجاهدين، وهو مأخوذ من نشره لوزارة الإعلام والثقافة بالاشتراك مع المحافظة السياسية للجيش الوطني الشعبي في أكتوبر 1974، ومما جاء في النص: (إثر اندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 بدأ يوسف مع مراد ديدوش في تنظيم المقاومة في الشمال القسنطيني، وقد أظهر قدراته الإستراتيجية والتكتيكية في حرب العصابات.... وظل يعمل بلا هوادة مع رجاله إلى أن استشهد استشهد الأبطال بعد وقوعه في كمين في الخامس والعشرين من سبتمبر 1956)¹. أما النص الثاني الذي يليه في الصفحة 118 فمتعلق بالبطلة الأمازيغية لالة فاطمة نسومر، وهو نص آخر ينقل مشهدا حيا من مشاهد نضال الشعب الجزائري، وينقل قيم الحضارة التي كانت عليها الأمة الجزائرية والمكانة المرموقة التي حُضيت بها المرأة آنذاك، فهذه فاطمة المتدينة والمحافظة تصبح القائدة والزعيمة في حرب لا تعرف إلا الرجال، وهي قيم بطولية وطنية كبيرة، تعبر عن تضامن الشعب الجزائري من كل جهة ضد الاستعمار الفرنسي ووقوفه ضده جنبا إلى جنب رجل وامرأة، للتعبير بكل الوسائل عن الرفض لمصادرة حريته وأملائه وانتهاك حرمة بلاده، ومما جاء في النص: (ما إن اندلعت ثورة بوبغلة سنة 1850، حتى سارعت لالة فاطمة إلى مساندتها، فشاركت في المعارك التي جرت سنة 1854، وواجهت القوات الفرنسية، وأفشلت تقدمها... بكل ما تملكه من قوة إلى أن قبض عليها، فسجنّت في بني سليمان، وضلت في السجن إلى أن توفيت عام 1863 عن عمر لا يتجاوز 33 سنة. لالة فاطمة نسومر واحدة من بطلات الجزائر اللاتي سجلن بنضالهن أن الجهاد ليس وقفا على الرجال، وأن الزعامة ليست حكرا عليهم)²، النص ينقل حقائق تاريخية أخرى عن المقاومة الجزائرية، ومنها ثورة الشيخ بوبغلة التي سبقت ثورة الشيخ المقراني والشيخ الحداد، ويحكي أيضا ويصف شراسة وعنف المقاومة ضد توسع الاستعمار الفرنسي في الجبال والتلال والصحاري الجزائرية. في الصفحة 190 يواجهنا نصا غاية في الأهمية بعنوان "معركة الجزائر الكبرى" وهو نص ينقل حقائق هجوم شارل الخامس على مدينة الجزائر 1541، والذي مني بهزيمة كبيرة وعادا أدراجه منسحبا صوب البحار، ومما جاء في النص: (في السادس عشر من أكتوبر عام واحد وأربعين

¹- المرجع نفسه ، ص113.

²- بدر الدين بن تريبوآخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط ، ص118.

وخمسمائة وألف ألقع الأسطول الصليبي في اتجاه مدينة الجزائر للاستلاء عليها... ولما حل اليوم الثالث والعشرون بدأ الصليبيون ينزلون بالحامة فتقدم الجزائريون لمنعهم ... واليوم الرابع من القتال تيقن العدو أنه لن يستطيع دخول المدينة ولا إخضاعها، وفقد كل أمل، وأدرك أن الغنيمة أن ينجو... فأمر الإمبراطور بالانسحاب)¹، وهو نص آخر ينقل قيمة وطنية وحقائق تاريخية بطولية للشعب الجزائري، في رفضه لكل أنواع الاستعمار أو الخضوع، والنص مصحوب بصورة للجيش الجزائري آنذاك. ومن النصوص الوطنية الهامة ذلك الذي نجده في الصفحة 194 بعنوان "لمن أعيش"، فهو سؤال يجاب عليه مباشرة: أعيش للإسلام وللجزائر، وهو نص يعبر عن أصالة الدين الإسلامي في الجزائر، وحب الجزائر التي قبلت بالاسلام ديناً، والجزائريين الذين اقتنعوا وعانقوا هذا الدين ودافعوا عنه وخدموه، من خلال العلماء الجزائريين الكبار والأجلاء في الأمور الشرعية والدينية الإسلامية، والذين يعتبرون مرجعاً هاماً في أمور الدين والفقه والفتوى، أما القيم التي يحملها النص فهي وطنية، دينية كبيرة، ومما جاء في النص: (نحن لما نظرنا إلى الإسلام وجدناه الدين الذي يقرر التساوي بين جميع أجناس البشرية... أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص)²، يليه مباشرة نص آخر بعنوان: "فاطمات الجزائر" في الصفحة 194، وهو نسبة لتسمية كل شهيدة ومجاهدة بلالة فاطمة نسومر، نص يحكي مكانة المرأة في الجزائر واحترامها ودورها الكبير في الثورة التحريرية، التي أبلت فيها البلاء الحسن، فلبت النداء وأعطت المثل الكبير للعدو وللصديق، وهي التي واصلت دورها حتى بعد الاستقلال في البناء والتشييد الوطني، وتبوأت مناصب المسؤولية الكبرى إلى يومنا هذا، ومما جاء في النص: (كانت ثورة نوفمبر ينبوعاً استمدت منه المرأة قوتها ووجودها، الذي كان ملقى من قبل، الثورة طهرت القلب واللسان، وسمت بالعقل والتفكير والسلوك، ورفعت إلى حين ما كان سائداً من أفكار وذهنيات مريضة، متزمتة، اتجاه المرأة ودورها ككائن إنساني)³، النص يتناول وقع الثورة وأثر نوفمبر في حياة المرأة الجزائرية، وهو الذي ارتقى بها إلى مصف الأبطال، وأعاد لها مكانتها ودورها

¹- المرجع نفسه، ص 190.

²- المرجع نفسه، ص 194.

³- بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص 195.

في المجتمع وفي الوطن ككل، لكن الغريب أن هذا النص متبوع بنص لخالد بن الوليد في الصفحة 203، فلماذا لم يتم إدراج نص خالد بن الوليد مع نصوص عمر والقعقاع السابقة؟ ولماذا تم تركه ليتمج مع أبطال الثورة التحريرية؟ بالإضافة إلى أن نص خالد مرفق بصورة لمحارب صليبي وليس إسلامي، وهي صورة متناقضة من الحضارة الإسلامية. يطالعنا في الصفحة 225 نص لمولود قاسم نايت بلقاسم حول أثر الإسلام الكبير على الثورة التحريرية وفي استقلال الجزائر، ومكانته بين كامل أطراف الشعب الجزائري أبا عن جد، يقدم مولود قاسم نظرة علمية معاصرة عن دور الإسلام في شحن المجاهدين وفي إنكاء حماسهم، ومما جاء فيه: (وعندما استطاعت فرنسا أن تخدم المقاومة المسلحة قامت الحركة الوطنية السياسية والاصلاحية باستيحاء أفكار جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، وشكيب أرسلان على أساس إسلامي بالدرجة الأولى. وهي التي أدت في النهاية إلى استئناف الكفاح المسلح عام 1954)¹، نص آخر بعنوان: "سبق العرب إلى مبادئ الديمقراطية" في الصفحة 228، وهو نص يحكي ممارسة العرب للديمقراطية من خلال الشورى، وذلك قرون قبل أن تعرفها أوروبا الحديثة وجاء فيه: (إن شعار الحرية والمساواة والإيحاء الذي رفعته الثورة الفرنسية في نهاية القرن الثامن عشر كان شعارا جديدا لأوروبا، ولكنه لم يكن جديدا بالنسبة للعرب. فلقد كان العرب البدو يعتزون بهذا الشعار وعلى وجه الدقة بهذه المبادئ والصفات في القرنين السادس والسابع الميلاديين، أي قبل الثورة الفرنسية بعشرة قرون، وواصلوا مراعاة هذه المبادئ بعد ظهور الاسلام)²، يليه نص مهم عن الديمقراطية بعنوان "معنى الديمقراطية" في الصفحة 231، وهو نص مهم يشرح حدود الديمقراطية ومفهومها والقيم التي ارتبطت بها، ومعنى السلوك الديمقراطي والمسؤولية الاجتماعية، نجد نصا آخر بعنوان "ديمقراطية عمر" في الصفحة 232، وهو يشرح طريقة عمر في الحكم، التي كانت مبنية على الشورى وسماع الرأي الآخر وقبوله، وهو ما يمثل الديمقراطية الحقيقية في يومنا هذا، وهو ما يدل أيضا على أن المسلمين عرفوا الديمقراطية ومارسوها قبل الغرب، تطالعنا في الصفحة 244 قصيدة عبد الحميد بن باديس التي مطلعها: (شعب الجزائر مسلم/// وإلى العربة ينتسب. من قال حاد عن أصله /// أو قال مات فقد كذب.... فإذا هلك فصيحتي /// تحيا

1- المرجع نفسه، ص 224.

2- بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص 228.

الجزائر والعرب)¹، النص لم تكن له علاقة بمحور معين، ولكن كان للمطالعة فقط، وهو مهم جدا لكونه يحمل كثيرا من القيم الوطنية الجزائرية، ويتناول أهم المبادئ والرموز الوطنية.

ومن النصوص التي تعالج القيم الاجتماعية والأخلاقية في مكافحة الآفات الاجتماعية وكل أنواع بصفة عامة، نجد نص "الموت البطيء" في الصفحة 156، وهو نص يعالج آفة المخدرات، هذا الوباء التي تفشى في صفوف المتعلمين والشباب وانتشر بينهم بصفة رهيبية، فهو الذي يجب توعيتهم وتحسيسهم بمخاطره ونتائجه الوخيمة على حياة الفرد والمجتمع ككل، ومما جاء في النص: (المخدرات مادة سامة تؤثر على الجهاز العصبي، وتجعل متعاطيها يشعر أول الأمر بالراحة والسعادة، التي قد تصل إلى حد الهيجان، لكن سرعان ما يختفي ذلك الأثر ويحل محله الشعور بسوء الحال والانقباض والوحدة... والإدمان على المخدرات لا يدفع الشبان إلى الموت البطيء... بل يدفعهم أيضا إلى الجنوح، فيتعودون السرقة والاعتداءات على الآخرين، وحمل أسلحة محضرة... ويلجأ المروجون إلى إغراء القصر.... فعلى المراهقين والشبان أن يكونوا أكثر يقظة وأعظم حذرا)²، النص مصحوب بصورة تعبر عن الهلاك المحتوم لمتعاطي المخدرات، وينقل قيما اجتماعية كبيرة تساهم في الحفاظ على المجتمع وحمايته، وهو يصف الداء ويقدم الدواء ويوضح الفئة المستهدفة، ويحث على الحذر واليقظة من هؤلاء المجرمون الذين يقومون بترويج سمومهم الفتاكة في صفوف الشباب، النص متبوع بنصوص أخرى مثل: نص "ماهي أسباب تعاطي المخدرات" في الصفحة 160، ونص "أنواع المخدرات" في الصفحة 161، وهي كلها نصوص تقدم قيما اجتماعية وأخلاقية هامة، تعرّف بالمخدرات وأضرارها ونتائجها وأنواعها، وتؤكد على الاحتراس منها وتفاديها واجتنابها.

أما فيما يخص النصوص المتعلقة بالقيم الخاصة بحماية المحيط والحفاظ على الطبيعة فنجد نص "النبات" في الصفحة 58، ونص "القمر" في الصفحة 60، ونص "القشرة الأرضية" في الصفحة 71، "تحرك الصفائح القارية" في الصفحة 73، نص "البراكين" في الصفحة 74، نص "الشجرة" في الصفحة 92، ونص "الغابة" في الصفحة 93. أما نص "الغابة

¹ - المرجع نفسه، ص 244.

² - المرجع نفسه، ص 156.

الجزائرية" الموجود في الصفحة 97 فهو نص يعرف بالغطاء النباتي الجزائري، وكل الغابات الجزائرية، يساهم هذا النص في تعريف التلميذ ببلده وما يزخر به من غابات وجمال الطبيعة، وكيفية الحفاظ عليها وحماية بعض الأنواع النباتية من الانقراض، ومما جاء في النص: (تمثل الغابة في الجزائر ثروة طبيعية لا يستهان بها، إذ بإمكانها أن تساهم في التطور الاقتصادي للبلاد.... وثمة أنواع نباتية مهددة بالانقراض)¹. نص آخر يحمل قيما علمية فلكية بعنوان: "قدم الإنسان تطاً سطح القمر" في الصفحة 102، وقيم تتناول البحث والاستكشاف العلمي مثل نص "أعمار القمر أهو ممكن؟" في الصفحة 106، ونص المريخ في الصفحة 107. قيم ذات الصلة بحماية الأرض وطبقة الأوزون، وحماية البشرية من أسلحة الدمار الشامل، وهي ما نجدها في نص: "أسلحة تهدد حياة البشرية" في الصفحة 170، متبوع أيضا بنص: "قنبلة وشعاع" في الصفحة 174 ويتكلم عن مخاطر القنابل الإشعاعية على حياة البشر. أما فيما يخص القيم الخاصة بالمحافظة على الطبيعة الجزائرية وعلى النسيج النباتي والحيواني في الحدائق الوطنية الجزائرية فنجد نص: اللبونات المهددة بالانقراض في الجزائر بالصفحة 178، النص يحذر من عمليات الصيد العشوائية وحرائق الغابات التي تؤدي إلى موت وهجرة الكثير من الحيوانات، وللقضاء على الغطاء النباتي، نص آخر يعرف بالفنك الجزائري في الصفحة 181، وبالفهد في الصفحة 183، ونص: التكيف مع البيئة الصحراوية لكون الجزائر أكبر مساحتها صحراء، فيجب معرفة هذا المناخ ومعرفة كيفية التأقلم معه، لتعمير صحرائنا وتطويرها وجعلها قطبا سياحيا كبيرا، تليها كذلك نصوص: "أسرع اللبونات"، و"الفهدة" في الصفحة 154، و"الفيل" في الصفحة 185، نصوص أخرى من مثل: "الصحراء كانت ذات أنهار" في الصفحة 211، و"آثار الصحراء" في الصفحة 212، وهي كلها نصوص تعرف بطريقة تكوّن الصحاري وتشكلها، والتعريف بمختلف آثار الإنسان القديم الذي عاش بها، وهي هنا تعرفنا بصحراء الطاسيلي في الجنوب الجزائري، نسجل نص آخر للتعريف بمدينة مليانة الجزائرية بعنوان: "مليانة" في الصفحة 214، لكن في مضمونه جاء ذكر مدينة بجاية والكلام عليها، وهو خطأ مطبعي على ما يبدو، أما بالنسبة لمدينة بجاية ففي الصفحة 246 نص كامل للتعريف بها، وبما تزخر

¹ - بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص 97.

به من جمال الطبيعة، بعنوان: "بجاية لؤلؤة الجزائر"، النص مصحوب بصورة لسد خراطة. ونجد في الصفحة 249 نصًا آخرًا للتعريف بالأوراس، ومما جاء فيه: (ينتصب الأوراس وكأنه حصن منيع، يشرف على المنخفضات الصحراوية من جهة، والسهول العليا من جهة أخرى. إنه امتداد لسلسلة الأطلس الصحراوي، فيه تنتصب أعلى قممتين في شمال الجزائر، قمة جبل الشلية التي يبلغ ارتفاعها 2328 مترًا، تليها قمة جبل محمل التي يصل علوها 2321 مترًا)¹.

من القيم العلمية والمعرفية التي تتناول البحث العلمي والاكتشاف المعرفي نجد نصوص: "إنتاج الطعام" الصفحة 126، "العضويات المعدلة وراثيًا" الصفحة 130، و"ما المراد بالأمن الغذائي" الصفحة 131، "الأطعمة والهضم" الصفحة 187، "الوباء" الصفحة 142، نص "نيزك الهلال هل يقترب" في الصفحة 216، نص آخر يتناول سبق العرب والمسلمين في المجال العلمي بعنوان: "تأثير العرب" في الصفحة 220، متبوع بنص "غلبة السيدا" في الصفحة 221، هذا المرض الذي يعتبر داء العصر والذي لم يتوصل العالم إلى كشف أو اختراع مصل للقضاء عليه، وهذه النصوص تحمل كلها قيم علمية معرفية صحية اقتصادية وتكنولوجية، وهي من شأنها أن تساعد في التربية على الوطنية والمواطنة وتحسين أدائها وممارستها.

ومن القيم الفنية الجمالية تلك التي نجدها في النص الشعري المسرحي الموجود في الصفحة 80 للشاعر الكبير أحمد شوقي "الحيوانات المرضى بالطاعون"، وهي نصوص من شأنها أن تزود المتعلم بكثير من القيم الفنية والجمالية والإبداعية، حتى حتى يتربى على بح الفن والجمال، ويكون ذو حس فني ونقدي أيضا، ونص نثري مسرحي آخر بعنوان "البخيل" لمليير في الصفحة 85، نصوص أخرى تعرّف بجمالية التراث العالمي والحضارة الإنسانية، كالنص الذي نجده في الصفحة 208 بعنوان "مصر القديمة" وهو مصحوب بصورتين واحدة لعنخ أمون والأخرى للأهرامات.

¹ - بدر الدين بن تريديو آخرون، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، ص 249.

كما رأينا لم تكن بداية الكتاب بأحد النصوص الوطنية المباشرة التي تتحدث عن الثورة الجزائرية أو تتناول كفاح الشعب الجزائري، أو التعريف بأحد أبطال الثورة التحريرية، وإنما كانت بداية الكتاب بنصوص من التراث العربي والعالمي. وكثير من تلك النصوص غير مرفقة بصور، وهذا مرده لتراجع عدد الصور في هذا الطور. وما يشد الانتباه أيضا في كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط هو كثرة النصوص الأدبية، فبالإضافة إلى النصوص المقررة للقراءة والمطالعة، كل التمارين تقريبا تنطلق من نصوص مكونة من فقرة أو فقرتين وأغلبها يفتقد لصور مصاحبة، وهي نصوص معرفية ومفيدة، تحمل كثير من المعلومات والمعارف، بالإضافة للنشاطات اللغوية المتوخاة من ورائها، وهذا يساهم بشكل كبير في أولفة المتعلم مع النص، وتعويد على القراءة والمطالعة، وحب الكتاب والبحث في نصوصه وتحليلها، والانطلاق منها للإبداع والكتابة.

02-03 نصوص المواطنة في الكتب الأخرى للمرحلة الإكمالية: بالنسبة لكتاب القراءة للسنة

الأولى متوسط فاحتوى محور المواطنة فيه النصوص الآتية: - الحنين إلى الوطن لمحمد تيمور- الرجوع إلى الوطن مأخوذ من الدروب الوعرة لمولود فرعون-فداء الوطن مأخوذ من كتاب القراءة والنصوص للسنة الرابعة متوسط سابقا - شجاعة فدائي لحنفي بن عيسى- ذكرى أول نوفمبر من كتاب التربية الإسلامية للنسبة السابعة أساسي سابقا-قصيدة نوفمبر لشاعر الثورة مفدي زكريا- وتم حذف نص هام لعبد الحميد بن باديس بعنوان الوطنية كان موجود في الكتاب السابق. النسان الأولان يخاطبان الجزائريين المغتربين، ويبرزان صعوبة الغربة والعيش بعيدا عن الوطن، وهما هامان للتصدي لظاهرة الحرق أو الهجرة غير الشرعية التي أخذت أبعادا خطيرة في صفوف المتعلمين، أما النصوص الباقية، فهي تحمل آثارا وصورا ومشاهدا من الثورة التحريرية المجيدة وهي مناسبة جدا، لكن مع الإصلاحات الجديدة كان يجب الإبقاء على نص عبد الحميد بن باديس الوطنية نظرا لأهمية ووقعه على أذهان التلاميذ خاصة برمجته بمناسبة يوم العلم الموافق ل 16 أفريل من كل سنة. كتاب التربية المدنية للسنة الأولى متوسط حمل أشياء كثيرة حول الوطنية والمواطنة ومنها تعريف التلميذ ببلده وانتمائه وعاداته وتقاليده، تعريفه بواجباته وحقوقه وكل الحقوق التي يضمنها له الدستور والاعلان العالمي لحقوق الانسان كالحق في الحرية والمساواة

والعدل ومبدأ تكافؤ الفرص، بالإضافة لتعريف المواطنة وكيفية ممارستها، والحث على حب الطبيعة وحماية المحيط.

أما محور المواطنة في السنة الرابعة متوسط فاحتوى النصوص التالية: -في سبيل الوطن لمعروف الرصافي - الوطنية لأحمد أمين، وورد في محور الانسان والحرية نص بطاقة هوية لمحمود درويش ، وهو تعريف بالقضية الفلسطينية المغتصبة وأهمية الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وبناء دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف، ثم نص آخر حول شهيد من شهداء الثورة التحريرية بعنوان يوسف، وهو اسم الشهيد زيغود يوسف البطل القسنطيني، حيث تناول النص حياته ومهنته وكيف التحق بالثورة التحريرية إلى غاية استشهاده، وهو نص مأخوذ من نشرة من جيش التحرير الوطني إلى الجيش الوطني الشعبي، وسواء كانت نصوص نثرية أو شعرية هي كلها نصوص قصيرة ومحددة، النثرية منها لا تتعدى الصفحة الواحدة والشعرية لا تتعدى العشرة أبيات، وتحمل عاطفة فاترة بعيدة عن لغة الحماس والاندفاع، ما يجعلها تنسى بمجرد الخروج من القسم.

أما بالنسبة للمواطنة في كتاب التربية المدنية للسنة الرابعة متوسط فكل المحتوى كان تقريبا على صلة مباشرة أو غير مباشرة بالوطنية والمواطنة، لكن تنقص عملية التنظيم وتحديد الكفاءات المستهدفة بدقة، كتيان أهم الرموز والقيم الوطنية، وانتماءات الشعب الجزائري الحضارية والثقافية والدينية، ومعرفة عناصر الشخصية الوطنية وخصائص الدولة الجزائرية، تبسيط الدستور وشرحه والحث على احترامه باعتباره القانون الأول في البلاد، توضيح حدود العلاقة بين المواطن والادارة، بالإضافة لمعرفة مجالات حقوق الانسان، وأهمية السلم والامن العالميين، والابتعاد عن العنف وتغليب الحوار في كل شيء، معرفة علاقة الاحزاب والجمعيات السياسية والاجتماعية بالادارة والدولة، ونهيا التلميد لتحمل مسؤولياته خاصة أنه يكون في سن حرجة في هذا الوقت وهي تحضيره لممارسة حقه في الانتخاب وتوعيته بالمسؤولية المنتظرة منه في المجتمع وفي الوطن. أما في كتاب التربية الاسلامية للسنة الرابعة متوسط فمست كذلك النصوص المدرجة قضية التربية على الوطنية والمواطنة وذلك من خلال النصوص الشرعية الواردة فيه من القرآن الكريم ومن السنة

النبوية الشريفة، وهي كلها تحت على ربط أواصر المجتمع وتقوية العلاقات بين الافراد، من خلال الحث على تبيان وتحديد الحقوق وأداء الواجبات تجاه الأسرة والمجتمع والوطن، والحث على التحلي بالأخلاق الحسنة واحترام القوانين والتنظيمات المعمول بها في البلاد، وأهم سور القرآن الواردة في كتاب التربية الاسلامية للسنة الرابعة متوسط:- سورة الحجرات في تبيان حقوق وواجبات المسلم والحث على الاخوة بين المسلمين - سورة الاسراء في الحث على بر الوالدين - سورة الروم وسورة النساء في تبيان قيمة المرأة وحقوقها وقيمة الأسرة ككل - حديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم "أتري ما حق الجار....ولده" في الحث على احترام الجار وتحسين العلاقة بين السكان. بالاضافة إلى أحاديث أخرى تحت كلها على المسؤولية والشورى والتعاون وكف الأذى وصلة الرحم والخير والسلم والجمال، ودورنا في الدنيا، وهي كلها نصوص تهدف إلى تكوين مواطن ذو شخصية قوية قائمة على الاحترام المتبادل والحوار وعلى الأخلاق والأعمال السلمية ونشر السلم ومحاربة الفتن والافتداء بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم والقيام بالواجبات تجاه الاسرة والمجتمع والوطن.

أما كتاب التاريخ للسنة الرابعة متوسط فوردت فيه بعض النصوص التاريخية كسندات ووثائق حية لتقريب مشاهد الثورة التحريرية الجزائرية لذهن المتعلم، ولفهم أطماع وأبعاد المستعمر الاستعمارية الآنية والبعيدة، ومن المفارقات العجيبة التي اطلعت عليها في هذا الكتاب الهام في بناء تاريخ الوطن لدى مخيلات المتعلمين وأذهانهم، نص لفرحات عباس: (إن الوطنية عاطفة تدفع شعبا من الشعوب إلى العيش معا داخل حدود معينة، وهي التي أدت إلى قيام سلسلة الأمم الحاضرة، ولو أنني اكتشفت وجود أمة جزائرية لكننت وطنيا.. لكنني غير مستعد أن أموت من أجل وطن جزائري لأن الوطن لا وجود له ولم استطع أن أكتشفه وقد سألت الأحياء، والأموات وزرت المقابر ولم يحدثني أحد عن هذا الوطن..)¹ فرحات عباس 23 فبراير 1936، وهناك نص ثاني في نفس الاتجاه لمحمد الصالح بن جلول يقول فيه: (ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين الوطنيتين والجامعة الاسلامية في الجزائر المتناقضتين، وإذا

¹ - يوسف مناصرية وفاطمة بومعروف ورزورور سرغيني، كتاب التاريخ ، السنة الرابعة متوسط، الديوان الوطني للطباعة المدرسية، الجزائر ، 2006، ص 68.

كانت لدينا وطنية أفليست فرنسية لحما ودمنا)¹، بعد النصين مباشرة هناك نص آخر لعبد الحميد بن باديس: (..إنكم لا تمثلوننا أبدا ولا تتكلمون باسمنا ولا تعبرون عن إحساسنا وأفكارنا.. لقد بحثنا في صفحات تاريخ الجزائر ماضيها وحاضرها فوجدنا الأمة الجزائرية الإسلامية متكونة وموجودة كما كانت متكونة وموجودة الأمم الأخرى في العالم، إن لهذا المجتمع تاريخه المليء بالأحداث وله وحجته الدينية واللغوية وله ثقافته الخاصة وعاداته وأخلاقه سواء أكانت حسنة أو سيئة... إن هذه الأمة الجزائرية مسلمة وليست هي فرنسا ولا تستطيع أن تكون فرنسا ولو جنسوها)². عبد الحميد ابن باديس/الشهاب/ج1 المجلة. الهدف من إيراد مثل هذه النصوص هو تزويد المتعلم بأهم الاتجاهات والمواقف التي عرفتتها الحركة الوطنية الجزائرية خلال الحرب العالمية الثانية، لكن السؤال المطروح هل تساعد مثل هذه النصوص غرس قيم المواطنة في نفوس المتعلمين، وهل هم في حاجة إلى معرفة مثل هذا الصراع أو معرفة نقاط الخلاف بين رموز الحركة الوطنية، وهل الوقت يناسب سنهم لكشف بعض الحقائق التاريخية، كنصي فرحات عباس وابن باديس، إن نصوصا مثل هذه بعيدة عن فهم المتعلم وتناوله، ومن شأنها أن تدخل الشك إلى نفسية المتعلم، فيشك في كل عناصر ورموز الحركة والشخصية الوطنية، وينحى مناحي أخرى في الحياة، فحتى فرحات عباس رجل ثوري ووطني ولا يستطيع أحد أن يطعن في وطنيته، لذا فأقواله لها تأثير على المتعلمين وعلى أفكارهم وسلوكاتهم، وكان بالإمكان الاستغناء عن مثل هذه النصوص في مثل هذه المراحل من التعليم.

نجد أيضا نص من الميثاق الوطني 1986 في الصفحة 161 من كتاب التاريخ، يتناول مقومات الشخصية الوطنية، وأيضا نداء الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين مأخوذ من مجلة المجاهد العدد الأول في الصفحة 170. ونصوص أخرى بمثابة رسائل تاريخية يوجهها أبطال الثورة لإخوانهم في الكفاح ومن ذلك نص الشهيد (مصطفى بن بولعيد مخاطبا حسين لحول: "لقد تعلمنا منكم الوطنية فلا تخيبروا رجائنا ولا تحطموا الآمال التي عقدناها عليكم بتقسيم الحركة"، ومصطفى بن بولعيد مخاطبا مصالي الحاج: لقد اتخذناك رمزا للوطنية

¹ - المرجع نفسه، ص 69.

² - المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والثورة، ولما كنت رائدا للوطنية وزعيما، فواصل جهادك بثورة تنزعها فإننا حولك¹. هذه نصوص حماسية تعبر عن علاقات الوحدة والتضامن والتحفيز بين أبطال ورموز الثورة التحريرية فما أحوجنا إليها ولمتعلمينا لتشجيعهم على الوثوق بوطنهم وبإنجازات أبطاله، وبثورة التحرير وبالشهداء والمجاهدين، فهي تقوي الحماس لدى تلك الفئة وتزيدها اعتزازا وفخرا بالوطن، وتمسكا بعادات وتقاليد وتراث الوطن، وبكل الرموز والقيم الوطنية، وهذه المواطنة الحقّة التي يستوجب علينا تعليمها وتربية النشء عليها.

3/الاستنتاج:في الأخير نسجل أن أغلب النصوص الواردة في كتب القراءة المختلفة سواء للطور الابتدائي أو الاكمامي تعالج قضية الوطنية والمواطنة بروية شرقية، بعيدة عن التكوين التاريخي للمجتمع الجزائري وخصوصيات الإنسان الجزائري، لأن جل أصحاب النصوص الواردة ليسوا جزائريين، فأين حظ الجزائريين في كتاب وطني رسمي يسعى إلى ترسيخ القيم وتعزيز الارتباط بالثوابت والقيم الوطنية، وما أكثر أسماءهم في سماء الأدب الجزائري. نحن لسنا بحاجة لتلقين مواطنة على النمط الشرقي، وإنما نحتاج لتلك الخصوصية الجزائرية الأصيلة، المبنية على الأخلاق والعادات الجزائرية المحضة ليعتصم بها أطفالنا اعتصاما وثيقا. أما مضامين النصوص فمعظمها وإن كان يدعم مكتسبات المتعلم لغويا، ويربطه بأبناء أمتة العربية الإسلامية، إلا أنها غير معاصرة وغير محيئة وبعيدة عن خبرة المتعلم وتجربته في الحياة، ولا تعبر عن الواقع المعيش ومحيطه، بالرغم من اتساع رقعة الوطن وتنوعه الثقافي وعراقة تاريخه وحضارته. وهي نصوص لا تستجيب لمقتضيات الحداثة مع سوء الطباعة والإخراج، وعدم التحكم الجيد في الألوان والصور الخالية من التشويق، إن غربة النص الأدبي تؤدي إلى غربة المتعلم وجدانيا ومعرفيا وعلميا، وبالتالي غريبته عن وطنه وأمته وتراثه، لذا يجب الاعتماد على النصوص الأدبية الجزائرية، حتى تكون أداة أساسية وفعالة تساهم بصورة جيدة في تكوين المتعلمين وتفاعلهم مع الحياة الوطنية والعالمية، دون أن ننسى التفتح على العالم بدون عقد ولا تعصب ولا تطرف.

¹ - يوسف مناصرية وفاطمة بومعروف ورزور سرغيني، كتاب التاريخ ، السنة الرابعة متوسط، ص 79

حملت النصوص كثير من القيم، ومست كثير من المجالات الوطنية، السياسية، المدنية، الاجتماعية، الأخلاقية، الإنسانية، العالمية، العلمية، المعرفية، الاقتصادية، الجمالية، الفنية والبيئية، لكنها كانت بنسب متفاوتة، إذ غلبت عليها القيم الاجتماعية والأخلاقية، تليها القيم العلمية والمعرفية، ولم تأخذ القيم الأخرى النسب اللازمة، خاصة القيم الوطنية والسياسية والمدنية، التي تحدد علاقة الحاكم بالمحكوم ودور المواطن وعلاقته بوطنه، وواجباته وحقوقه.

VI/الفصل السادس: العمل الميداني

تمهيد: يشكل المحيط كل الفضاء الطبيعي الذي يحتك به المتعلم ويشغله من البيت إلى المدرسة، والذي يلعب دورا كبيرا في تحسن أداء ومردود العملية التعليمية التعليمية، ولها انعكاسات هامة على سيرة المتعلم وسلوكاته وتصرفاته، ابتداء من خروجه من البيت العائلي إلى أن يدخل الفصل الدراسي. لهذا يجب على الوالدين أن يوفر له وضعيات تعليمية ملائمة، ويهيئونه لوضعيات أخرى في الطريق وفي المحيط، وذلك من خلال تحفيزه وتوصيته وحثه على ضرورة الحفاظ على الطبيعة وعلى المحيط، وعلى الانجازات الوطنية المنتشرة عبر الشوارع المؤدية إلى المدرسة وبجانبها، بالإضافة لتوعية الأطفال على القيام بدور إيجابي في كل المحطات التي تصادفهم أثناء الذهاب إلى المدرسة، إن الجو المحيط بالمتعلم من شأنه أن يؤثر على تعليمه وتعلمه، لذا يجب أن نحرص على تقديم هذا المحيط في شكل وضعيات تعليمية حقيقية، قادرة على المساهمة في الذهاب بالمتعلم وفق الطريق الصحيح، وتوجيه تصرفاته وسلوكاته وجهة إيجابية تعود بالفائدة عليه وعلى المجتمع وعلى المحيط والمدرسة، وتصنع منه مواطنا صالحا لوطنه ومجتمعه وأمته.

إن ما نراه اليوم من وجود كثير من المدارس، وسط المقاهي والمتاجر وفضاءات التسلية لشيء معيق للعملية التعليمية التعليمية، إن المدرسة يجب أن تكون في مكان بعيد عن كل النشاطات التجارية والاقتصادية، ويجب أن تكون في محيط تعليمي، يلفه الملاعب الرياضية، والحدائق والمساحات الخضراء، لقد كنت من المستفيدين من منحة دراسية بكيبيك بكندا، وقد رأيت كيف أن جل المدارس بعيدة عن المراكز التجارية والصناعية والاقتصادية، وبعيدة كذلك حتى عن الزحام المروري، وهي وسط المساحات الخضراء وفي أماكن هادئة تسمح بالتفكير والطمأنينة، وهناك حافلات خاصة تنتظرهم لنقلهم من المدرسة إلى البيت والعكس، وهو الجو الذي يسمح ببقاء المتعلم في الدائرة المدرسية حتى يعود إلى الأسرة، وبهذا نعزل المتعلم عن العالم الخارجي ونشكل القوة المعاكسة أو المدرسة الموازية، فنحميه من القوى الاجتماعية المضادة والهدامة.

المحيط عامل أساسي من عوامل العملية التعليمية، فالطفل يجب أن يبقى دائما على اتصال بالمدرسة، حتى وان انتهى الفصل المدرسي فيجب أن تبقى له امتدادات خارجية إلى المحيط الاجتماعي، الذي يجب أن يكون قوة مساعدة لا قوة معاكسة لما تقوم به المدرسة والمعلم، وهذا ما يدعو إلى ضرورة مراجعة محيط المدرسة، بالتنسيق بين الادارة المحلية والمدرسة والاسرة ممثلة في الأولياء واللجان المحلية، ويتضمن ذلك تحسين اللافتات وتنظيم المحيط، وحسن اختيار أماكن تعليق وتثبيت الراية الوطنية، وتجميل واجهات الادارات العمومية والوطنية وكل المرافق العامة ذات الاستعمال الواسع كالمستشفيات ودور الحضانة والمدارس، إن إهمال كل هذه الأمور من شأنه أن يثبط عزيمة المتعلم ويجعله يحس بالشك تجاه المبادئ والرموز الوطنية، فكيف يدرس حب الراية الوطنية في المدرسة، وخارجها فوق المستشفى يرى أخرى ممزقة ومتسخة، هذا في ما يخص الراية الوطنية فقط دون الكلام على الطلاب وحالة المساحات الخضراء، غياب اللافتات والأخطاء اللغوية فيها إن وجدت، إن المتعلم داخل المحيط مثله مثل داخل الفصل، المحيط هو الفصل الكبير، الذي تنعكس على جدرانه كل التعلّمات والمعارف التي يكتسبها داخل المدرسة، فإن وجد القيم والأخلاق التي أخذها في المدرسة اكتمل العمل، وإن لم يجد انقلب الأمر إلى ضده، فيسقط كل ما أخذه في المدرسة في بحر المحيط الاجتماعي المترامي.

إيماننا بتأثير المحيط الطبيعي والمدني والثقافي على العملية التعليمية، دفعنا لاختيار ثلاث مناطق مختلفة المناخ والطبيعة والثقافة المحلية في جزائرنّا الكبيرة: فاخترنا ولاية بجاية عن الشمال والساحل، واخترنا ولاية المدية عن الوسط والداخل، وثالثا اخترنا ولاية الأغواط عن الجنوب والصحراء، وهذا للقيام بالدراسة الميدانية التي تتلخص في مجموعة من الاستبيانات التي وزعت على الأساتذة والطلبة في ابتدائيات واكمالياتالولايات والجهات السابقة الذكر.

وجاء اختيار الأساتذة والتلاميذ للاستبيان دون غيرهم من الشركاء في العملية التعليمية التعليمية كالمدرّاء والمفتشين والاداريين، لكون الأساتذة على إطلاع مباشر وعلى تجربة واقعية فيما يخص اعتماد المقاربة الجديدة في التدريس (المقاربة بالكفاءات) - كبيداغوجيا

جديدة معتمدة في المدارس الجزائرية- بكل خلفياتها وحيثياتها ومرتكزاتها الفكرية، إضافة إلى تكوينهم وخبرتهم واكتسابهم معارف متنوعة خلال مسارهم الدراسي، وهو ما يمكنهم من مواصلة مهمتهم وتمرير معارفهم بكل أريحية وتبصر. وهم مطلعون كذلك على المناهج البيداغوجية الحديثة الأخرى، ولهم خبرة في معرفة الخصائص النفسية الانفعالية والاجتماعية لفئة المتعلمين (مرحلة الطفولة والمراهقة)، وهو ما يسهل لهم عملية التعامل و التواصل معها، وهو ما يؤهلهم أيضا لتقييم وتقويم عملية التربية والتعليم على المواطنة، والحكم بنجاح أو فشل المناهج التعليمية المختلفة في التربية والتعليم عليها. أما اختيار التلاميذ فذلك لكونهم المرآة الحقيقية التي تظهر وتتمظهر عليها آثار التعليم والتعلم، فهم المشهد الحقيقي والواقعي لحس نبض التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، فالقيم والأخلاق والمبادئ لا يمكن ملاحظتها إلا من خلال تصرفات المتعلمين وسلوكياتهم في الواقع، وفي طريقة تفكيرهم ونمط عيشهم في المجتمع وفي الحياة ككل.

قمت خلال الفترة الممتدة بين فيفري 2017 وأفريل 2017، بتوزيع هذه الاستبيانات على المؤسسات التربوية المتكونة من "الابتدائيات والاكماليات" الآتي ذكرها بالترتيب:

الشمال/الساحل: -/ ابتدائية بن سعيد الجديدة تيشي بجاية.

-/ اكمالية الشهداء شعلال الناصرية بجاية.

الوسط/الداخـل: -/ ابتدائية مرواني عبد الرحمن قصر البخاري المدية.

-/ اكمالية المجاهد محمد مرزوقي قصر البخاري المدية.

الجنوب/الصحراء: -/ ابتدائية مولود فرعون آفلو الأغواط.

-/ اكمالية درتيل الطيب آفلو الأغواط.الداخل/التـل:

1- دراسة وتحليل الاستبيانات الخاصة بالأساتذة: بـخصوص عدد الاستبيانات الخاصة بأساتذة الطورين الابتدائي والاكمالي، فهي بعدد أساتذة اللغة العربية العاملين في كل ابتدائية وفي كل اكمالية من المؤسسات المختارة، وتم توزيعها بعد شرحها وتبسيطها وشرح الغرض منها، وشرح المشكلات التعليمية التي تعالجها، والمتعلقة بالتربية على الوطنية والمواطنة، والبحث عن تفسيرات وحلول لها، ويتعلق الاستبيان الموجه للأساتذة سواء في الابتدائي أو الاكمالي، بكيفية فهم نصوص القراءة الخاصة بالوطنية والمواطنة من طرف التلاميذ، وكيفية تمرير أفكارها، وكيفية إيصال دلالاتها ومعانيها للمتعلمين، ثم كيفية تحويلها إلى سلوكيات في حياة المتعلمين اليومية. وقد أكدنا للأساتذة على إيلاء هذا الاستبيان الأهمية الكبرى، والاجابة بكل شفافية وموضوعية وحرية، وبما تمليه تجربتهم وخبرتهم في مجال التربية والتعليم. ونشير إلى أن الاستبيانين الموجهين لأساتذة الابتدائي والاكمالي يشتركان في الأسئلة رقم 9، 10 و11، لذا تحليل ودراسة أجوبتهما ستكون مشتركة أيضا.

1-1/ تحليل نتائج الاستبيان الخاص بأساتذة المرحلة الابتدائية: وجه الاستبيان إلى كل أساتذة اللغة العربية الذين يدرّسون في الابتدائيات الثلاثة المذكورة سابقا. ويحمل كل استبيان مجموعة من الأسئلة، يتضمن كل سؤال منها إجابات/نتائج. تتحول هذه الأخيرة إلى نسب مئوية، تترجم في جداول ، وكل جدول يتبع بتحليل وتفسير للنتائج.

1- هل ترى أن الكتاب المدرسي يستجيب لحاجات التلميذ في مجال التربية الوطنية؟

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	07	06	01	00	%14.28/%85.71
الوسط	06	03	03	00	%50/%50
الجنوب	10	06	04	00	%40/%60

المراد معرفته من هذا السؤال هو قياس ما يبحث الأساتذة تبليغه للتلاميذ في مجال التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، مقارنة بما هو موجود في الكتاب. أو بسؤال آخر: هل يحمل الكتاب المدرسي القيم والمبادئ الوطنية الكافي تمريرها للتلاميذ؟ فالكتاب

المدرسي يعتبر (من أهم الوسائل التعليمية التي تعين المتعلم على اكتساب الخبرات و المهارات اللغوية باعتباره مرجعاً ومصدراً أساسياً يحتوى على المادة التعليمية التي يعتمد عليها المعلم أثناء عملية التدريس حسب مقتضيات كل درس)¹، وهو الدّعمة الرئيسية في تنفيذ وتجسيد المنهاج التربوي، ووسيلة يستخدمها الأستاذ والتلاميذ معا في قراءة و فهم النصوص وإدراك معانيها و معرفة أنماطها و تحليلها لمعرفة بنيتها الصغرى و الكبرى، فهو ما يحمل كل الحاجات المتعرفية والعلمية والفكرية والوجدانية والأخلاقية والوطنية التي يطلبها المتعلم.

أما فيما يخص تحليل الجدول فكل الأساتذة أجابوا على السؤال، فأغلبيتهم يرى أن الكتاب المدرسي يستجيب لحاجات التلميذ الوطنية وجاءت النتائج والنسب كالآتي: بالنسبة للشمال: الأغلبية أجابت بنعم/نسبة 85.71%. أما بالنسبة للوسط والجنوب: فنسبهما متقاربة، فكانت قريبة من المتساوية في الجنوب بين من أجاب بنعم ومن أجاب بلا، وهي متساوية بين الإجابتيْن في الوسط، وتحليلنا للنسب تتحكم فيه وضعية الأساتذة في العمل، فمنهم المرسوم ومنهم المستخلف ومنهم الجديد، لهذا سجلت هذه الاختلافات في النسب فيما يخص تقييم نصوص الكتاب. وبناء على إجابات الأساتذة فإن الكتاب يحمل نسبة -ولو ضئيلة بالمقارنة بالقيم الأخرى- فيما يخص التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة.

2- هل يمكنك القول أن طرائق التدريس المعتمدة تخدم الأهداف الوطنية والمواطنة؟

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	07	05	02	00	%28.57/%71.42
الوسط	06	04	02	00	%33.33/%66.66
الجنوب	10	08	02	00	%20/%80

الطريقة هي نمط الأداء والأسلوب والوسيلة الناقلة للعلم والمعرفة يراعى فيها مستوى المتعلمين، ومدى تحكم المعلمين بها، (هي الأداء والوسيلة الناقلة للعلم والمعرفة والمهارة،

¹ - جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، ص ص 80-81.

وهي كلما كانت ملائمة للموقف التعليمي ومنسجمة مع عمر المتعلم وذكاؤه وقابلياته وميوله كانت الأهداف التعليمية المتحققة عبرها أوسع عمقا وأكثر فائدة¹، وهي من عناصر العملية التعليمية التعليمية، لهذا اهتم بها البيداغوجيون والخبراء التربويون.

الغرض من الإجابة على هذا السؤال، هل تشكل التربية على قيم الوطنية والمواطنة هدفا من الأهداف التعليمية المسطرة؟ وهل الطرائق التدريسية المعتمدة تساعد على بلوغ أهداف التربية والتعليم على قيم ومبادئ الوطنية والمواطنة؟ ومعرفة الخلفيات النظرية لأساتذة اللغة العربية. و الإطلاع على جملة من تطبيقاتها العملية وطرقها الميدانية.

يظهر من خلال الجدول أن أغلب الأساتذة في الشمال والوسط والجنوب، يرون أن الطرق المعتمدة في المدارس تساعد على بلوغ الأهداف الخاصة بالتربية والتعليم على مبادئ الوطنية وقيم المواطنة، وجاءت النسب على الترتيب كالآتي: 71.42%، 66.66% و 80%، والطرق الأكثر استعمالا هي الطريقة الحوارية التشاركية، التي تتماشى وبيداغوجيا المقاربة بالكفاءات، وهي الطرق التي تجعل من المتعلم محور العملية التعليمية التعليمية، والمعلم ما هو الا ذلك المرافق والموجه، وهنا يكون المعلم والمتعلم على خط أفقي واحد يسمح بتمرير القيم والمبادئ الضرورية والمقصودة في مجال التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة. أما هؤلاء الذين يرون أن الطرق المعتمدة لا تساعد على بلوغ الأهداف الوطنية والمواطنة، فأرى من خلال التحليل أنه تنقصهم الخبرة والتكوين للتحكم في الطريقة وتطويعها حسب الأهداف والمرامي البيداغوجية المسطرة.

3- هل ترى أن النصوص المقررة في الكتاب المدرسي تحمل قيما وطنية كافية لزرع روح الوطنية والمواطنة في نفسية التلميذ، وتجعل منه مواطنا صالحا؟:

العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
07	04	03	00	%42.85/%57.14

¹ - طه علي حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي، اللغة العربية مناهجها و طرائق تدريسها ، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2005م، ص88.

الوسط	06	03	1	02	%50/%16.66
الجنوب	10	07	03	00	%70/%30

نقصد بالنصوص المحتوى التعليمي، فهو: (جملة الحقائق والمعلومات والمفاهيم و المبادئ والتصميمات والمهارات الأدائية والعقلية والاتجاهات والقيم التي تتضمنها المادة التعليمية في الكتاب المدرسي)¹. فنجد في كل كتب القراءة مجموعة من النصوص المتنوعة المواضيع والاهداف البيداغوجية، وتكون في غالب الأحيان عبارة عن قصص وحكايات أدبية وتاريخية، ومواضيع علمية وثقافية واجتماعية، مقترحة من خبراء وتربويين وعلماء نفس معينين من الهيئات المسؤولة عن الشأن التعليمي والتربوي في البلاد، وتراعي الخصائص النفسية الانفعالية والعقلية واللغوية والاجتماعية للمتعلم، وتهدف لتحقيق مجموعة من المهارات والكفايات القصدية. وتعتبر الكفاية القاعدية من وراء قراءة النصوص هي: قراءتها بأداء جيد، وفهم ما تشمل عليه من أفكار ومعارف ومبادئ وأخلاق وقيم والاقتناع بها والعمل بها في الحياة اليومية²، هكذا تترجم القيم والمبادئ المستنبطة من قراءة النصوص وفهمها إلى أسلوب حياة وعلامة تحضر ورقي وسلوك مواطنة في المجتمع.

والهدف المراد الوصول إليه من وراء الإجابة على هذا السؤال، هو معرفة مدى حمل النصوص المختارة في كتب القراءة للطور الابتدائي للمباني الوطنية وقيم المواطنة، ونصف الأساتذة في الشمال والوسط أجابوا بنعم، بنسبتي 57.14%-50%، في حين امتنع 2 عن الاجابة في الوسط، أما الجنوب فالأغلبية تعتبر أن نصوص الكتاب المدرسي تحمل قيما عن الوطنية والمواطنة. الاثنان اللذان امتنعا عن الاجابة في الوسط ممكن أنهم جدد ولم يطلعوا بعد عن كتب القراءة للطور الابتدائي، أما إجابة لا، فكانت ثلاثة بالشمال وواحد بالوسط وثلاثة بالجنوب بنسب: 42.85%/16.66%/30%، أما أصحاب هذه النسب الأخيرة، فربما أنهم يريدون نصوصا صريحة فيما يخص التربية والتعليم على

¹ - سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل ، دار الشروق، القاهرة/مصر، ط1، 2006م، ص285.
² - ينظر: منهاج اللغة العربية (السنة الأولى متوسط)، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2013م، ص9.

مبادئ الوطنية وقيم المواطنة، وهذه النصوص الوطنية الصريحة ناقصة في كتب القراءة، وهو ما أكدناه سابقا في دراستنا الفصل التطبيقي.

4- ما نسبة انسجام الصور مع المضامين الواردة في النصوص الوطنية للكتاب المدرسي؟

	العدد	%20	%40	%60	%90	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	07	00	04	03	00	00	%50
الوسط	06	00	02	04	00	00	%50
الجنوب	10	00	04	04	02	00	%50

نتناول من خلال إجابة الأساتذة على هذا السؤال: مدى انسجام معنى الصورة مع مضمون النص للاشتراك والتكامل في تأدية معنى القيمة الوطنية، أو للتعبير عنها. عملية انسجام الصورة والنص مهمة في تأدية وتمرير المعرفة القيمية الوطنية، فالصورة إن أحسن اختيارها وأحسن اختيار مضمون النص الذي ترافقه، تكون وسيلة تشويقية هامة للتعلم، ودعامة بيداغوجية لتسهيل وتمرير وتعلم وتعليم قيم المواطنة ومبادئ الوطنية، وقد عرفت الوثيقة المرفقة لمناهج التعليم المتوسط الوسائل التعليمية بأنها (مجموعة المواقف والمواد والأجهزة التعليمية والأشخاص الذين يتم توظيفهم ضمن إجراءات إستراتيجية التعليم بغية تسهيل عملية التعليم والتعلم مما يضمن ويسهم في تحقيق الكفاءات المرجوة في نهاية المطاف)¹، وتعتبر الصور من أهم هذه الوسائل التعليمية، لأنها تنقل مبادئ وقيم الوطنية والمواطنة عن طريق مشاهد حية لمظاهر اجتماعية وطبيعية، ولأماكن وأشخاص، ولصور حروب وآثار.

أما بخصوص تحليل إجابة الأساتذة على السؤال، فإن جل الأساتذة في الشمال والوسط والجنوب ترى أن الصور منسجمة مع المضامين الواردة في النصوص الوطنية للكتاب المدرسي بنسب 40% إلى 60% أي بمعدل 50% فقط بكل المناطق، وهو ما يطرح خلا في الانسجام الفكري والمعنوي بين الصورة والنص، والذي من شأنه أن يخلق فوضى فكرية في

¹ - الوثيقة المرافقة لمناهج التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2013-2014، ص50.

ذهن المتعلم، فتصعب عملية تمرير معاني القيم وأهميتها، في حين يرى أستاذان في الجنوب أن نسبة الانسجام تبلغ 90%، لكنها تبقى إجابة بعيدة وغير مركزة، كوننا تناولنا وأشرنا سابقا في الدراسة التطبيقية، لعدم انسجام الصور مع النصوص التعليمية الوطنية، ووجود صور وطنية بدون عناوين أو تعليقات أو حتى مضامين، صور وطنية تائهة بين نصوص الكتاب المدرسي.

5- حدّد نسبة التعلّّات والقيم التي تمسّها النصوص في الكتاب المدرسي: بين علمية/معرفية أو ثقافية/اجتماعية أو وطنية/مواطنة.

	العدد	علمية/معرفية	ثقافية/اجتماعية	وطنية/مواطنة	لم يجب
الشمال	07	55%	45%	42.5%	03
الوسط	06	42%	38%	38%	01
الجنوب	10	45%	37.5%	60%	06

الغرض من الإجابة على هذا السؤال، هو معرفة نسبة وحجم قيم المواطنة في النصوص، ومقارنتها بنسبة وحجم القيم الأخرى كالقيم العلمية والثقافية، وجاءت نسب المناطق بالترتيب كالآتي:

أولا: الشمال: امتنع ثلاثة أساتذة عن الإجابة وأجاب أربعة:

بالنسبة للقيم العلمية المعرفية كانت : 60%، 70%، 60% و 30% أي بمعدل: 55%.

بالنسبة للقيم الثقافية الاجتماعية كانت: 60%، 10%، 40% و 70% أي بمعدل: 45%.

بالنسبة للقيم الوطنية المواطنة كانت: 60%، 20%، 60% و 30% أي بمعدل: 42.5%.

ثانيا الوسط: امتنع أستاذ واحد وأجاب خمسة:

بالنسبة للقيم العلمية المعرفية: 40%، 50%، 30%، 60% و 20% أي بمعدل: 40%.

بالنسبة للقيم الثقافية الاجتماعية: 40%، 30%، 30%، 60% و 30% أي بمعدل: 38%.

بالنسبة للقيم الوطنية المواطنة: 20%، 20%، 40%، 60% و 50% أي بمعدل: 38%.

ثالثا الجنوب: امتنع ستة أساتذة وأجاب أربعة فقط:

بالنسبة للقيم العلمية المعرفية كانت: 80%، 70%، 10% و 20% أي بمعدل: 45%.

بالنسبة للقيم الثقافية الاجتماعية كانت: 40%، 50%، 30% و 30% أي بمعدل: 37.5%.

بالنسبة للقيم الوطنية المواطنة كانت: 70%، 60%، 60% و 50% أي بمعدل: 60%.

نسجل أنه من مجموع 23 أستاذ أجاب 13 و امتنع 10 وهو مايشكل النصف تقريبا، وهذا يطرح مشكلا في السير الموضوعي للدراسة، والسبب في رأينا مرده لعدم جدية بعض الأساتذة وأخذ الأمر بسطحية رغم تأكيدنا على أهمية الدراسة-. لكننا سنعتمد على نتائج من أجاب منهم ونواصل تحليلنا، فكانت النتائج كالاتي: ما يهمننا في هذا الجدول هي نسبة وحجم قيم الوطنية والمواطنة، والتي تراوحت نسبها بين الشمال والوسط والجنوب بين 42.5% ف 38% إلى 60%. وهي نسب مقبولة ومنطقية، فالهدف الأساسي من التعليم هو القيم العلمية والمعرفية، فاذا قاربت نسبة قيم الوطنية والمواطنة الـ 50%، بالنظر لكل القيم في الكتاب المدرسي، فهذا مقبول، لكننا نسجل نقص في الأداء السلوكي وتصرفات المتعلم، قد يكون وراء هذا النقص المعلم أو الأستاذ، فهو من لا يحسن اذن استغلال وتوظيف هذه القيم والمبادئ واستثمار النصوص الوطنية، أو أنه لا يحوز على الطريقة المثلى لتمريرها. وهذا ما يطرح السؤال حول ظروف توظيف وتكوين ورسكلة الأساتذة، خاصة في خضم التوظيفات الكبيرة والمكثفة والمتقاربة التي تعرفها منظومتنا التربوية الوطنية، وهو الشيء الذي من شأنه أن يعيق مرافقة الأستاذ عند توظيفه.

6- هل النصوص الوطنية المختارة في الكتاب المدرسي تثير المتعلم وتستهوئيه؟:

العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
07	05	02	00	%28.57/%71.42

الوسط	06	05	01	00	%83.33/%16.66
الجنوب	10	08	02	00	%80/%20

نبحث من وراء الإجابة على هذا السؤال عن حالة العلاقة التي تربط المتعلم بالنصوص الوطنية الواردة في كتاب القراءة، فالأستاذ هو الوحيد الذي من خلال اشتغاله بالنصوص والمتعلمين الذي يستطيع أن يقيّم هذه العلاقة، هل هي تستفز المتعلم معرفياً وتثير فضوله العلمي وتثير اهتمامه، أم أنها نصوص تبعث فيه نوع من الفتور والبرودة المعرفية التي تنتهي به إلى النفور من النص كلية؟

كلنا يعرف أن المتعلم يميل إلى مواضع ونصوص معينة دون أخرى، فيتفاعل معها ويرغب في قراءتها والخوض في مناقشتها ويجد متعة البحث فيها. ويناقش ويسأل ويستفسر أستاذه ويتفاعل معه في معالجتها، هذا البحث والاهتمام يكسبه علاقة عاطفية أو كفاءة وجدانية تجاه النصوص التي تحدث أثراً في نفسيته، وهذه العلاقة تعود أسبابها إلى شيئين أساسيين أولهما هو الأستاذ من خلال طريقته وأسلوبه في التعليم مع المتعلم، وثانيهما هي أدوات النص الخفية عن المتعلم في مثل هذه السن، والمعروفة لدى المصمّم والمخطط التربوي الذي تعود إليه عملية اختيار النصوص. فأي نص يجب أن يحتوى على عناصر المتعة والفائدة والتشويق، ويتعد عن الغموض والتعقيد.

أما نتائج الجدول بخصوص علاقة المتعلم بالنص التعليمي الوطني، فقد أجاب كل الأساتذة، ورأى أغلبية أساتذة الشمال، الوسط والجنوب أن النصوص الوطنية الموجودة في الكتاب المدرسي تثير المتعلم وتستهوّه وهي على الترتيب: 71.42%، 83.33% و 80%، ولم تشكل النسب التي ترى عكس ذلك الشيء الكبير: 28.57%، 16.66% و 20%، وهذا ما يؤكد أن للأستاذ الدور الكبير في تحبيب المتعلم للنصوص الوطنية، ودفعه لاكتساب قيم المواطنة والعمل بها وتمثيلها في حياته، وهذا من شأنه أن يصنع مواطناً صالحاً يحب وطنه، ويدافع عنه ويسعى لخدمته وبناءه.

7- هل ترى أن حجم الكلمات ذات البعد الوطني الواردة في الكتاب المدرسي مناسب لتحريك الشعور الوطني لدى المتعلم؟:

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	07	03	04	00	%57.14/%42.85
الوسط	06	03	03	00	%50/%50
الجنوب	10	07	03	00	%30/%70

الهدف المراد من وراء الإجابة على هذا السؤال، هو معرفة حجم الكلمات الوطنية المنتشرة بين نصوص الكتاب المدرسي، ومعرفة وقعها وأثرها على نفسية المتعلم في زيادة ولائه وحسه الوطني، وطبعا الأستاذ هو الوحيد الذي يستطيع تقييم هذا الأمر من خلال تجاربه وممارساته التدريسية في الميدان، ومعاملاته مع المتعلمين.

لللمة وقع خاص في الذهن، فكلمة هي القالب الفكري والتصور الذهني للمعرفة والقيمة والخلق، وللسياق اللغوي أثر كبير في مساعدة السامع عامة والمتعلم خاصة في إدراك معاني الكلمات البعيدة والقريبة، الحقيقية والمجازية، الظرف اللغوي هو الآخر له أهميته في غرس معاني القيم وتثبيتها في روح المتعلم، والظرف قد يكون الوضعية البيداغوجية المهيأة من طرف الأستاذ، أو المحيط اللغوي المتواصل الذي يكسب المتعلم آليات إدراك العلاقات بين الكلمات صرفيا، تركيبيا ومعنويا. أما اذا عدنا إلى أثر ووقع الكلمات على النفوس، فكلنا يتذكر القشعريرة التي كانت تنتابنا في الطور الابتدائي عندما نؤدي الأناشيد الوطنية جماعة بصوت مرتفع، الكلمات الوطنية إذا وظفت بالحجم الكافي يكون لها دور كبير في إذكاء شعور المتعلم الوطني وزيادة ولائه للوطن.

أما تحليل نتائج الجدول فقد تشابهت إجابات الشمال والوسط، فجاءت نسبة من يرى أن حجم الكلمات الوطنية كاف ومناسب لتحريك شعور المتعلم الوطني ضئيلة في الشمال والوسط على التوالي: %42.85 و %50، في حين يرى الآخرون عكس ذلك بنسب: %57.14 و %50، وهذه النسب الأخيرة هي الأقرب للصحة، كوننا تناولنا نقص الكلمات الوطنية في

الدراسة التطبيقية، حيث شكلت ما نسبته 17.87% فقط مقابل 82.12% للكلمات الأخرى. أما في الجنوب فجاءت الاجابة على العكس من ذلك فنسبة من قالوا نعم: 70%، في حين جاءت نسبة من قالوا لا: 30%، وهذا قد يكون مرده للتكوين القرآني الذي يعرفه تلاميذ الجنوب، قبل الالتحاق بالمدارس، فيأتون مشحونين بكثير من الكلمات الوطنية، وهذا ما يساعدهم في استدعاء كثير من الكلمات الوطنية التي تكمل النقص المسجل في الكتاب.

8- ما هي في رأيك أحسن الوسائل لتمرير المعرفة الوطنية؟: الصورة/المحادثة والتعبير أو القصة/المطالعة والتاريخ أو المكتوب/القراءة والتفاعل.

العدد	الصورة/المحادثة والتعبير	القصة/المطالعة والتاريخ	المكتوب/القراءة والتفاعل	لم يجب
07	02	02	03	00
06	03	01	02	00
10	03	01	06	00

المبحوث عنه في هذا السؤال هو: الوصول من خلال اجابات الأساتذة إلى معرفة أحسن الطرق التعليمية والوسائل التدريسية لتمرير الأفكار والمعارف والقيم الوطنية، فهل هي الصور والتعبير أو القصص التاريخية أو القراءة والمطالعة؟

تعتبر نشاطات:ملاحظة الصورة والتعبير عنها، مطالعة القصة التاريخية وقراءة النصوص والتفاعل معها. هي مفاتيح العملية التعليمية التعليمية، وهي كلها طرق ووسائل هامة في تمرير معارف الوطنية والسلوكات التي تعبر عن المواطنة، لكن لكل منها آلياته وخصوصياته وظروفه، ولكل أستاذ طريقته الخاصة في التعامل وفي الاشتغال على هذه الوسائل. الصورة بذاتها فقط تحمل معاني وأفكار كبيرة، أما اذا اقترنت بنص فالأمر أكبر من حيث شحنة المعاني والأفكار والتأثير. التاريخ هو مجموعة حوادث وبطولات وانجازات وطنية، وسير ومذكرات وتحقيقات وطنية. أما القراءة والتفاعل فهي ما يساهم في توسع

واثراء ثقافة المتعلم الوطنية، وكل هذه الدعامات لها وقعها في تربية المتعلم على قيم المواطنة وفي تحسين سلوكه داخل المجتمع، وفي تهيئته ليكون المواطن الصالح.

بحثنا عن أحسن وسيلة أو دعامة لتمرير القيم والمعارف الوطنية، دفعنا في دراسة وتحليل هذا الجدول، إلى جمع كل الأرقام الممثلة لكل الجهات والولايات في نسب واحدة، فكنا أمام استبيان لما مجموعه 23 أستاذ ممثلين للابتدائيات الثلاث، وجاءت النسب كالآتي على الترتيب:

الصورة/المحادثة التعبير: 8 أساتذة بنسبة : 34.78%.

القصة/المطالعة والتاريخ: 4 اساتذة بنسبة : 17.39%.

المكتوب/القراءة والتفاعل: 11 أستاذ بنسبة : 47.82%.

أجاب كل الأساتذة على هذا السؤال، النسبة الكبيرة 47.82%، ترى أن قراءة النصوص المكتوبة هي الوسيلة الناجحة لتمرير المعارف والقيم الوطنية، في حين ترى مجموعة أخرى بنسبة أقل 34.78%، أن الصورة هي الأنجح في التربية والتعليم على المواطنة، المجموعة الثالثة وهي النسبة الضئيلة 17.39%، ترى أن القصة التاريخية هي الطريقة المثلى لتعليم المبادئ والقيم الوطنية. وهي كلها نسب منطقية وترتيب كذلك، فالنص المكتوب هو أحسن وسيلة لتمرير المعارف والقيم الوطنية، لأن المعلم يتعامل بصفة كبيرة مع النصوص سواء بالقراءة أو بالكتابة، تلبي الصورة في المرتبة الثانية، وكلنا يعرف علاقة المتعلم الحميمية مع الصورة وشوقه لها وفضوله في معرفتها، أما القصص التاريخية فجاءت الوسيلة الأقل تفضيلاً من طرف الأساتذة، لأن المتعلم في الابتدائي يصعب عليه اكتساب وهضم المعلومات والوقائع التاريخية، بالإضافة إلى الملل الذي يصيبه أثناء متابعة قصة تاريخية لجمودها، وخلوها من عنصري المتعة والتشويق.

2-1 تحليل نتائج الاستبيان الخاص بأساتذة المرحلة الأكاديمية: فيما تعلق بعدد الاستبيانات الخاصة بأساتذة الطور الأكاديمي، فكانت بعدد أساتذة اللغة العربية العاملين في كل أكاديمية من الأكاديميات المذكورة سابقاً، ويحمل استبيان مجموعة من الأسئلة كل سؤال يتضمن

إجابات/نتائج واضحة، تتحول هذه الأخيرة إلى نسب مئوية، تترجم في جداول، كل جدول متبوع بتحليل وتفسيرات لنتائجه.

1- هل تتضمن النصوص المقررة قيماً وطنية في رأيك ؟:

العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
08	08	00	00	%00/%100
06	05	01	00	%16.66/%83.33
10	10	00	00	%00/%100
الجنوب				
الوسط				
الشمال				

السؤال الموجه لأساتذة الاكمالي في هذا الاستبيان الغرض منه، تقييم الاساتذة للكتاب المدرسي من حيث اشتماله على القيم الوطنية إلى جانب القيم الاخرى المنتشرة في الكتاب. أما القيم فهي أفكار مجردة، فلا يمكننا تصور نص بدون قيم، لكننا بصدد البحث عن الأفكار والمعاني التي تتضمن مبادئ الوطنية وقيم المواطنة.

وهذا لا يمكن ساتخلاصه إلا من خلال السياق اللغوي والمنهجي، الذي يلعب الأستاذ الدور الكبير في تحضيره من خلال الوضعيات البيداغوجية المناسبة، فالمتعلم من خلال تعامله مع نصوص مختلفة الأنماط والأشكال بصفة مستمرة، وفق وضعيات منهجية مناسبة، يكتسب كفاية منهجية تسهل عليه تحليل النصوص الأدبية، واستخلاص المعارف والأفكار والمبادئ والأخلاق والسلوكات والقيم.

وإذا ما عدنا إلى تحليل نتائج الجدول من خلال اجابات الأساتذة، فقد أجاب كل الأساتذة بأن النصوص الأدبية في الكتاب المدرسي تحتوي على القيم الوطنية، إلا أستاذ واحد في منطقة الوسط فأجاب بلا، ونظن أنها زلة قلم لا أكثر. وجاءت نسب كل المناطق في الشمال والوسط والجنوب على النحو التالي: 100%، 83.33% و 100%، وهذا شيء لا يمكن نفيه فكما أسلفنا لا يمكن تصور نص بدون قيم، ويعود للأستاذ الدور الكبير في تحليلها وتقديمها

واستخلاص القيم التي تحتويها وتصنيفها وطنية وغير وطنية، وتوجيه المتعلمين لإدراكها، وحثهم على العمل بها.

2- اذا كان نعم ما هي نسبتها بالنسبة للقيم الأخرى في النصوص؟

	العدد	%05	%10	%20	%30	أكثر	لم يجب
الشمال	08	00	03	04	00	1	00
الوسط	06	00	00	03	02	01	00
الجنوب	10	01	02	04	00	00	03

المطلوب من وراء الإجابة على السؤال الثاني، هو معرفة نسبة القيم الوطنية المنتشرة في الكتاب المدرسي، ورأينا في تحليل اجابة الأساتذة على السؤال الأول أن كلهم تقريباً، يقر بوجود مبادئ الوطنية وقيم المواطنة في الكتاب المدرسي.

إن التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة ضرورية في المدرسة، لتفعيل الحس الوطني لدى المتعلمين، وتربيتهم على حب الوطن والولاء له والدفاع عنه، وحمايتهم من خطابات الفتنة والحروب، ومن التعصب، وسيطرة الفكر الهدام. التربية على قيم المواطنة تساهم بدور كبير في خلق جيل ديمقراطي حر ومتفتح على الآخر، يجعل من الاختلاف عامل قوة واتحاد وليس عامل فرقة وتناحر، وعليه يكون من الواجب أن تكون القيم الوطنية واردة في الكتاب المدرسي بنسب كافية لزرع الحس الوطني وتربية التلاميذ على حب وطنهم والولاء له وللأمة والمجتمع. أما فيما يخص تحليل نتائج الجدول، فقد قمنا بالدراسة والتحليل عن طريق جمع نتائج كل المناطق في أرقام واحدة، فتوصلنا إلى استبيان ما مجموعه 24 أستاذ ممثلين لكل الاكاديميات الثلاثة وجاءت النتائج على النحو التالي:

أستاذ واحد يرى أن نسبة القيم الوطنية في النصوص هي: 5%، وخسمة أساتذة يرون أنها بنسبة: 10%. في حين يرى إحدى عشر أستاذ نسبة القيم الوطنية في النصوص هي: 20%،

ويرى أستاذان آخران أن نسبة القيم في النصوص 30%، وأستاذان آخران يريان أنها أكثر، في حين لم يجب ثلاثة أساتذة على هذا السؤال.

تبقى الاجابات الأقرب إلى المنطق هي تلك التي أجاب اصحابها بنسب: 20%، 30% وأكثر، وهو ما مجموعه 15 أستاذ من بين 24، وأعتبرنا هذه النسب منطقية استنادا إلى الدراسة التطبيقية لكتاب القراءة في الطور الاكمامي، حيث كانت نسبة النصوص الوطنية 20,98%، وهي نسبة متقاربة مع النسب التي حددها الـ15 استاذ، أما الأساتذة الثلاث الذين لم يجيبوا، فيمكن أنهم لم ينتبهوا فقط للسؤال. أما الأستاذ الذي رأى أن النسبة هي 5%، والخمسة الذين رأوا أنها 10%، فهذا يمكن تفسيره لنقصهم للتجربة، وافتقارهم للخبرة في الميدان التربوي والتعليمي.

3- ما هي أهم القيم الوطنية التي تراها واردة من خلال النصوص المقررة؟ حب الوطن، حب واحترام الراية الوطنية، حماية المنشآت والانجازات الوطنية، حب الدين أو حب اللغة.

	العدد	الوطن	الراية	المنشآت	الدين	اللغة	لم يجب
الشمال	08	8	1	1	4	00	00
الوسط	06	05	02	00	02	02	00
الجنوب	10	08	02	00	00	02	03

المراد من تحليل اجابات الاساتذة على هذا السؤال هو معرفة مختلف القيم الوطنية الأساسية الواردة في الكتاب المدرسي، بعدما أكدت نتائج تحليل اجابات السؤال الثاني أن نسبة القيم الوطنية في الكتاب تتراوح بين 20% و 30%، سنحاول أن نرى ماهي القيمة الوطنية المنتشرة كثيرا في النصوص الوطنية للكتاب المدرسي.

فمن مجموعة القيم الوطنية الموجودة في نصوص الكتاب المدرسي، يجب أن يكون توزيع عادل لتلك القيم في نصوص الكتاب، فهناك ما يستدعي حصة كبيرة وهناك ما يكون منها على الهامش وهناك منها ما يجب أن يفترن بقيمة أخرى. على الأساتذة ادراك هذه القضية،

ليقوم باحداث التوازن أثناء سيران العملية التعليمية التليمية، فيزيد من القيم الوطنية التي يرى أنها ناقصة، وينقص من القيم التي يرى أنها بصفة مكثفة في غير موضعها، وهذا يتطلب منه براعة لغوية واتصالية وخبرة في تسيير الفصل، خلال نقله وتمريضه لتلك القيم وخلال شرحها للمتعلمين. وجاءت نتائج تحليل الجدول - الذي حللناه على شاكلة الجدول السابق - على النحو التالي:

حب الوطن: 21 أستاذ ترى أن قيمة حب الوطن واردة في النصوص أي بنسبة: 87.5%.

حب الراية الوطنية: 5 أساتذة ترى أن هذه القيمة منتشرة أي بنسبة: 23.80%.

حماية المنشآت والانجازات الوطنية: أستاذ واحد يرى وجود هذه القيمة بنسبة: 4.16%.

حب الدين: 6 أساتذة يرون أن هذه القيمة واردة في النصوص بنسبة: 25%.

حب اللغة: 4 أساتذة فقط يرون أن قيمة حب اللغة موجودة أي بنسبة: 16.66%.

لم يجب ثلاثة أساتذة على هذا السؤال.

بالنظر إلى النسب نجد أن قيمة حب الوطن هي الغالبة في النصوص بنسبة 87.5%، تليها قيمة حب الدين بنسبة 25%. وجاءت ثلاثة قيمة حب الراية الوطنية بنسبة 23.80%، ورابعة قيمة حب اللغة بنسبة 16.66%، أما قيمة حب المنشآت والانجازات الوطنية فلم تشكل إلا نسبة 4.16%. وكما رأينا كل نسب القيم المذكورة منطقية، حتى ولو احببنا أن تكون قيمة حب الراية الوطنية هي الثانية، لكنها مرتبة مريحة لهذه القيمة. القيمة التي تبعث على الدهشة هي حب المنشآت والانجازات الوطنية، وحمايتها، وهذا ما يفسر السلوكات المشينة للمتعلمين خارج المدرسة، وهذا يطرح مشكلة المدنية والتحضر، هذا القيم التي يجب مراجعتها في البرامج الوطنية والتربوية. لم يجب ثلاثة أساتذة وهذا مرده ممكن إلى عدم الانتباه لهذا السؤال.

4- هل تساعدك المقاربة المعتمدة (المنهاج) في ضبط وتمريض هذه القيم للمتعلمين؟

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	08	07	01	00	%12.5/%87.5
الوسط	06	02	04	00	%66.66/%33.33
الجنوب	10	04	04	02	%40/%40

الهدف المراد من الاجابة على هذا سؤال هو معرفة مدى تحكم الأستاذ في ممارسة المنهاج وتطبيقه، وفق المقاربة الجديدة "الكفاءات"، ومعرفة خلفيات الأستاذ النظرية والمرجعية في هذه المقاربة المنهجية، واستخلاص المشاكل والعراقيل التي تحول دون مساعدة الاستاذ على تحقيقها وانجاحها، والاستفادة منها في العملية التعليمية التعليمية.

المقاربة بالكفاءات هي البيداغوجيا المعتمدة في المنظومة التربوية الوطنية، وهي تعتمد أساسا على الطريقة الحوارية والتشاركية في العملية التعليمية التعليمية، ففيها يبنّي نشاط قراءة النصوص على مشاركة المتعلم في القراءة، والاجابة على الاسئلة المقترحة، والمشاركة في شرح المفاهيم و المصطلحات الواردة في النص. بالإضافة إلى مساهمته الكبيرة في استخراج الأفكار والقيم الوطنية الواردة في النص، وذلك كله بتوجيه وارشاد من الأستاذ، وهذا هو التطبيق الصحيح للمقاربة الكفاءات، فعلى الاستاذ أن يساير هذه البيداغوجيا، ويكون على دراية تامة بخطوات وطرق هذه المقاربة الجديدة ومركزاتها في التعامل مع المتعلمين.

أما فيما يخص تحليل نتائج الجدول، فبالنسبة للشمال ترى الأغلبية أن المقاربة المعتمدة تساعد الاستاذ على ضبط وتمريرها للمتعلمين بنسبة 87.5%، أما من يرى أنها لا تساعد فكانوا بنسبة 12.5% وهي ضئيلة، ومردّه لأن هؤلاء جدد في التعليم ولم يكتسبوا الخبرة اللازمة لتطبيق والعمل بالمقاربة الجديدة. بالنسبة للوسط والجنوب ففي كليهما انقسم الأساتذة إلى قسمين متساويين تقريبا فنسبة ممن أجاب بنعم كانت على الترتيب: 33.33% و 40%، أما من أجاب بلا فشكّلوا على الترتيب نسبة: 66.66% و 40%، وهذا ممكن مردّه إلى نقص

عمليات التكوين والرسكلة للأساتذة خاصة في المناطق الداخلية والصحراوية. وقد امتنع أستاذان عن الإجابة بالنسبة لمنطقة الجنوب، وهو ممكن بسبب عدم الانتباه للسؤال.

5- في رأيك إن معرفة القيم الوطنية وفهمها مهمة:

*/ لأنها تدخل في باب الاكتساب والمعرفة

**/ لأن لها انعكاسات إيجابية على السلوك في الحياة (المواطنة)

العدد	*الاكتساب	**المواطنة	لم يجب	النسبة المئوية
08	02	06	00	%75/%25
06	00	06	00	%100/%00
10	00	09	01	%90/%00

الغرض من هذا السؤال هو معرفة الهدف من وراء التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، فهل هي مهمة لأنها تدخل في دائرة العلم والمعرفة أم لأنها ذات انعكاسات إيجابية على السلوك في المجتمع وفي الحياة ككل "ممارسة المواطنة"؟

إن معرفة وفهم المبادئ الوطنية وقيم المواطنة من قبل التلاميذ، وحثهم على العمل بها، مهم جدا في حياة الفرد والمجتمع، فبالإضافة لكونها معارف وعلوم لا بد منها في خضم الشبكة العلمية والمعرفية الكبيرة، فهي تربية وتنشئة أيضا على الاخلاق والوطنية والتحضر والتفتح على العالم، إنها نمط سلوكي وحياتي شامل. فتلك النصوص التي يقرأها التلميذ ويتفاعل معها من خلال ارادة ومحاولة فهمها، تحمل في ثناياها سلوكيات وأخلاق وثقافات ومبادئ وقيم، سرعان ما يستقبلها ويكتسبها ويتقبلها التلميذ، ويجعلها جزءا من حياته، ومرجع السلوكيات وتصرفاته¹، بعدها يكتسب الخلفية الفكرية لصاحب النص، وعن

¹ - ينظر، محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2006 م، ص165.

طريق الممارسة المستمرة والتدريب المتواصل، يكتسب المتعلم كفاية تواصلية، اجتماعية، ثقافية، وإبداعية ووطنية¹.

بخصوص تحليل نتائج الجدول فإن جل الأساتذة للشمال والوسط والجنوب، أجابوا بأن معرفة القيم الوطنية وفهمها مهم لأنه ذو انعكاسات إيجابية في الحياة اليومية، وفي المجتمع ككل، وجاءت النتائج بالترتيب كالآتي: 75%، 100% و 90%، أما هؤلاء الذين يرون أنها تدخل في دائرة التعلّيمات والمعارف فجاءت نسبهم كالآتي: 25%، 00% و 00%. إن كون القيم من العلوم والمعارف فهذا مفروغ منه، لكن الأهم هو تحويل هذه الأفكار والمبادئ والقيم الوطنية إلى سلوكات وتصرفات سوية في الحياة، فما الفائدة من العلم بلا أخلاق وأدب.

6- اذا كان الجواب ب(**) هل ترى هذا الانعكاس واضحا على تلاميذك خارج المدرسة؟:

العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
06	00	05	01	83.33%/00%
06	01	05	00	83.33%/16.66%
09	03	06	00	66.66%/33.33%

تحليل الجدول السادس مرتبط بالجدول الخامس، لذا سنأخذ فقط بالتحليل إجابات الأساتذة الذين أجابوا أن معرفة القيم وفهمها مهمة لأن لها انعكاسات إيجابية على السلوك في الحياة (المواطنة)، والهدف من هذا السؤال هو معرفة سلوك التلاميذ خارج المدرسة بعين الأستاذ، لأنه من يسهر على تطبيق المعارف المجردة التي يقوم بتمريرها وتعليمها للتلاميذ في الميدان وفي المجتمع.

إن الفائدة الأساسية من التعليم والتعلم، هو الوصول إلى تغيير سلوكاتنا وتصرفاتنا، وفق الأفكار والأخلاق والمبادئ والقيم التي نتعلمها وننقلها في المدرسة، إن الحياة هي مخبر

¹ - ينظر، محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ص165.

كبير لتجريب كل التعلّيمات والمعارف التي نتلقاها في المدارس، فما الفائدة إذا كان التلميذ يخرج من المدرسة فيلتزم سلوكات وتصرفات منافية لما تعلمه واخذه في الفصل، إن المجتمع هو المحك الحقيقي لتقييم تربيّتنا وتعليمنا فيما يخص اكتساب المعارف والعلوم عامة، والتربية على سلوكات الحضارة والمدنية والوطنية والمواطنة خاصة.

أغلبية هؤلاء الذين رأوا أن معرفة وفهم القيم مهم لأن له انعكاسات ايجابية على سلوك وتصرف المتعلم في الحياة، وفي ممارسته للمواطنة، لا يرون هذه الانعكاسات الايجابية في سلوكات تلاميذهم خارج المدرسة، وكانت نسب الذين أجابوا بلا على الترتيب: 83.33%، 83.33% و 66.66%، أما اجابات من يرى أنه يلاحظ هذا الانعكاس الايجابي فكانت نسبهم ضئيلة جدا على الترتيب: 00%، 16.66% و 33.33%، وهذا الاختلال بين ما يتعلمه التلميذ في المدرسة وما يمارسه في المجتمع، فمرده لفقدان المدرسة لدورها الريادي في التربية، وتجاوز الأمر للأسرة التي فقدت السيطرة الكلية على الطفل، ودخول وسيط ثالث وهو تطور شبكة الاتصالات، وهو ما يعرف بالشبكة العنكبوتية وانتشار وسائط التواصل الاجتماعي بصفة رهيبة في أوساط الشباب.

7- هل ترى أن هناك تناقضا بين القيم الوطنية المدرّسة والسلوكات الأخرى المنتشرة في المحيط المدرسي وفي المجتمع؟:

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	08	08	00	00	00%/100%
الوسط	06	06	00	00	00%/100%
الجنوب	10	08	02	00	20%/80%

المراد من الإجابة على هذا السؤال لا يبتعد كثير عن سابقه، فإذا كان الأساتذة لا يرون انعكاس التربية والتعليم على مبادئ الوطنية وقيم المواطنة في حياة المتعلم خارج المدرسة

وفي المجتمع، فأكد هذا هو التناقض الحقيقي بين المبادئ الوطنية وقيم المواطنة المكتسبة في المدرسة وبين السلوكات الأخرى المنتشرة في المجتمع.

إن هذا التناقض الموجود بين المعارف والتعلمات والأخلاق والمبادئ والقيم التي نتلقاها في المؤسسات التعليمية وبين كل السلوكات والتصرفات المنتشرة في المجتمع أو في الشارع بين بيت الأسرة والمدرسة، تتدخل فيه عدة أسباب أهمها هو فقدان الأسرة لجبروتها وقوتها التي عهدناها عليها قديما، فهي انسحبت بشكل شبه كلي من الميدان التربوي والتعليمي، وفسحت المجال لعوامل أخرى كمواقع التواصل الاجتماعي والشبكة العنكبوتية، بالإضافة أيضا لتقلص دور المدرسة في الخارج، أما السبب المباشر فهو دخول المتعلم في هذه المرحلة في سن حرجية وصعبة وهي مرحلة المراهقة التي يعيش فيها الطفل تغيرات جسمانية وعقلية وفكرية كبيرة، ويشعر بنوع من الولاء والوفاء لأقرانه الذين يعيشون التغيرات نفسها، فتتراجع علاقاته بأفراد الأسرة والمدرسة، وهو الشيء الذي يدفع هاتين الأخيرتين لمحاولة استدراك الوضع ومراقبة سلوكاته ومحاولة تصويبها خوفا من الوقوع في الانحراف والضياغ¹. إن مراقبة سلوكات الطفل في مرحلة المراهقة ضرورية من طرق الأسرة والمدرسة ويجب تفعيل قنوات الحوار والتواصل العمودي والأفقي معه، حتى يتمكن من تجاوز هذه المرحلة الحرجة، ويكتسب خلفية فكرية حرة وديمقراطية ويكون ذو كفاءة حوارية تواصلية².

أما بخصوص تحليل نتائج الجدول، فكما أكدناه في تحليل الجدول السابق، فأغلبية الأساتذة في الشمال والوسط والجنوب ترى الشرخ كبيرة جدا بين ما نتلقاه من معارف وقيم وأخلاق في المدرسة، وبين ما هو منتشر في الشارع والمجتمع، وجاءت النتائج على النحو التالي بالترتيب: 100%، 100% و 80%. نسجل فقط أنه في الجنوب 20% لا ترى هذا التناقض موجود، وهذا ممكن لأن التجمعات الحضرية في الجنوب صغيرة، والطفل لا يبتعد كثيرا عن البيت فالمدرسة موجودة بجانب مقر سكناه، لهذا لا يمكن أن نرى هذا لتناقض.

¹ - ينظر، إبراهيم وجيه محمود، المراهقة خصائصها ومشكلاتها، دار المعارف، القاهرة/مصر، درط، 1981، ص 60.
² - ينظر، منهاج اللغة العربية، السنة الثانية متوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، 2003م، ص 08.

8- هل ترى أن حجم النصوص الوطنية في المقرر كاف للتأثير على ممارسة المواطنة لدى التلاميذ وسلوكهم في الخارج؟

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	08	03	05	00	%62.5/%37.5
الوسط	06	03	03	00	%50/%50
الجنوب	10	01	09	00	%90/%10

حاولنا من خلال طرح هذا التساؤل معرفة أسباب التناقض الموجودة بين ما نتلقاه في المدارس وبين ما هو موجود في الشارع، وهل حجم النصوص الوطنية الواردة في الكتاب المدرسي كاف للتأثير على سلوكيات وتصرفات المتعلم، ولتصويب الأمر وإصلاح الاعوجاج والقضاء على التناقض؟

يكون النص الأدبي التعليمي ذو تأثير على سلوك التلميذ في الواقع، إذا كان نابعا من المجتمع ويعالج قضايا الحقيقة، وهو ما يفسره ارتباط النصوص بالواقع الاجتماعي والأخلاقي والثقافي والفني والعلمي والصحي والاقتصادي والسياسي والوطني للتلميذ، وبالتالي تكون مضامين النصوص مواضيع غير غريبة على المتعلم، يفهم مدلولاتها ويتفاعل معها، ويعمل بها ويحاول التزام الاخلاق والمبادئ والقيم التي تحملها. إن نص القراءة كوضعية بيداغوجية تعليمية لا يمكن أن يفهم ويدرك منعزلا عن بقية النصوص. بل أنّ النصوص التي تعالج قضايا متشابهة لا بد أن تدرج ضمن مجال مفاهيمي واحد، أو ما يعبر عنه بالمحور في منهاج السنة الثانية متوسط، فيجب أن تكون هناك نصوص وطنية صريحة وأخرى تمس بأشياء الوطنية والمواطنة.

تحليل نتائج الجدول أفادت نتائج مختلفة في الشمال والوسط والجنوب، فشكلت نسبة الذين يرون أنّ حجم النصوص الوطنية في الكتاب المدرسي غير كاف للتربية والتعليم على الوطنية والمواطنة نسبة 62.5%، في حين رأى الباقي العكس أي أن حجم النصوص كاف

بنسبة 37.5%. أما الوسط فقد تساوت النسب بين من قال بنعم وبين من قال بلا بنسبة 50% للطرفين، اساتذة الجنوب كانت لهم كلمة أخرى فقد رأى 90% أن حجم النصوص ليس بالعدد الكبير للتربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، ورأت نسبة 10% في المنطقة نفسها أنه مقبول للتربية على قيم الوطنية والمواطنة. اذن النسبة الكبيرة من الأساتذة في كل المناطق ترى أن حجم النصوص الوارد في الكتاب المدرسي غير مرضي للتأثير على سلوكات وتصرفات التلميذ في المجتمع وفي الحياة، ما نشير إليه أن خبرة الأستاذ وتمرسه تلعب دورا كبيرا في تقييم هذا الشأن، لكننا يمكننا أن نستخلص من اجاباتهم على السؤال، بأن نصوص الكتاب المدرسي بعيدة عن الواقع المعيش للتلميذ، وقد أشرنا لهذا في الفصل التطبيقي، وقلنا بأنها نصوص ليست نصوص نابعة من الواقع والعمق الجزائري، رغم غزارة النصوص الوطنية الجزائرية، التي تتناول التربية والتعليم ومبادئ وقيم الوطنية والمواطنة.

3-1/ تحليل نتائج أجوبة الأسئلة المشتركة بين أساتذة الطورين: كما أسلفنا فالأسئلة رقم: 9، 10 و 11 مشتركة في استبانات أساتذة الابتدائي والأكمالي، وهذا لكونها تحمل نشاطات تربوية تعليمية مشتركة بين الطورين، وتقيس مدى احتكاك الأسرة التربوية بالشركاء الاجتماعيين والمدنيين في المجتمع، هذه الأسئلة سيكون انطباع الأساتذة حولها مشترك سواء كان في الابتدائي أو في الاكمالي، لذا فدراستها وتحليلها سيكون واحد بنسب تشمل أساتذة الابتدائي والاكمالي، وعليه سنجمع الأرقام، ونضع معدل النسب بين الابتدائي والاكمالي.

1-9 الابتدائي/2-9 الاكمالي: هل تبرمجون زيارات للمتاحف الوطنية ولآثار الثورة وتنظمون لقاءات مع مجاهدي المنطقة؟

النسبة المئوية		لم يجب		لا		نعم		العدد		
2-9	1-9	2-9	1-9	2-9	1-9	2-9	1-9	2-9	1-9	
12.5%	28.57%	00	01	07	04	01	02	08	07	الشمال
87.5%	57.14%									
00%	16.66%	00	00	06	05	00	01	06	06	الوسط
100%	83.33%									
10%	80%	00	00	09	08	01	02	10	10	الجنوب
90%	20%									

الغرض من طرح هذا السؤال هو قياس مدى احتكاك الأسرة المدرسية بالشركاء الاجتماعيين الجواريين، وخاصة زيارة المتاحف الوطنية، فهي موسوعات ثورية تحمل كل رموز الثورة التحريرية وتاريخها، سيكون المتعلم وجه لوجه مع العربي بن مهيدي ومصطفى بن بولعيد والعقيد عميروش وسي الحواس وغيرهم كثير رحمة الله عليه، فهي معارف وطنية حية، ثم إنها تخرج المتعلم من روتين الفصل، وتزيد من حماسه في الدراسة، وتنشحن قدراته في طلب المزيد من العلم والتعلم. أما بالنسبة لتنظيم محاضرات وجلسات مع مجاهدين ومختصين في التاريخ، فهذا يجعل من المتعلم مطلعاً على وقائع تاريخية وقصص ثورية بطولية من طرف صانعيها مباشرة، وهو ما يزيد أيضاً من مصداقية المعارف الوطنية وقيم المواطنة وتكريسها في ذهن المتعلم، ويساهم في تمتين الشبكة التعليمية التي تشمل كل أطراف المجتمع الأسرة، المدرسة، المسجد وكل مؤسسات المجتمع المدني ذات الطابع الاجتماعي، الثقافي، التاريخي والوطني. أما بخصوص تحليل نتائج الجدول فجاءت على النحو التالي:

الشمال: نعم $(28.57\% + 12.5\%) \div 2 = 20.53\%$ لا $(87.5\% + 57.14\%) \div 2 = 72.32\%$.

الوسط: نعم $(16.66\% + 0\%) \div 2 = 8.33\%$ لا $(100\% + 83.33\%) \div 2 = 91.66\%$.

الجنوب: نعم $(20\% + 10\%) \div 2 = 15\%$ لا $(90\% + 80\%) \div 2 = 85\%$.

أغلبية الأساتذة وفي كل المناطق الشمال، الوسط والجنوب، أجابوا بلا، وكانت النسب على الترتيب هي: 72.32%، 91.66% و 85%، اذن كل المؤسسات التربوية لا تبرمج رحلات وخرجات إلى المتاحف والمواقع الثورية الأثرية، وهذا يمكن تفسيره بمخلفات وآثار العشرية السوداء في التسعينيات على الحالة الأمنية، لكن منذ مطلع الألفية الثالثة تغيرت الوضعية وانتشر الأمن، فعلى المسؤولين التفكير في برمجة هذه النشاطات التعليمية الهامة، خاصة اذا عرفنا أنا معظم المتاحف الوطنية موجودة داخل المدن. واذا كانت الزيارات بسبب الوضعية الأمنية فما يمنع المسؤولين التربويين من دعوة المجاهدين ورجال التاريخ للقاءات

مباشرة مع المتعلمين، خاصة في المواعيد الوطنية المعروفة كعيد الاستقلال وعيد الثورة وعيد النصر ويوم الشهيد...؟

1-10 الابتدائي/2-10 الاكمالي: هل ترى أن هذه النشاطات مهمة لزرع روح الوطنية والمواطنة لدى المتعلم؟

النسبة المئوية		لم يجب		لا		نعم		العدد		
2-10	1-10	2-10	1-10	2-10	1-10	2-10	1-10	2-10	1-10	
100% 00%	100% 00%	00	00	00	00	08	07	08	07	الشمال
83.33% 16.66%	100% 00%	00	00	01	00	05	06	06	06	الوسط
90% 10%	100% 00%	00	00	01	00	09	10	10	10	الجنوب

المراد من الإجابة على هذا السؤال هو معرفة مدى وعي الأساتذة وإدراكهم لقيمة وأهمية نشاطات زيارة المتاحف والمواقع الأثرية الثورية، بالإضافة لمعرفة حجم الفائدة التعليمية والتربوية التي تساهم فيها نشاطات دعوة المجاهدين ورجال التاريخ لتنشيط محاضرات وأيام دراسية في المؤسسات التربوية، في إطار التربية والتعليم على المواطنة.

الأستاذ هو المحرك الأساسي للعملية التعليمية التعليمية، وهو المؤشر الموجود في الميدان، وهو الوصلة بين المتعلمين وغيرهم من الشركاء المدنيين والاجتماعيين في المجتمع، لهذا فهو الذي يجب أن يبادر باقتراح مثل هذه الزيارات على مسؤولي المدارس وعلى جمعيات أولياء التلاميذ من أجل التنسيق والعمل المشترك، وعليه أن يختار المكان والزمان المناسبين لتنظيم مثل هذه الزيارات، وعليه في المواعيد الوطنية الهامة المعروفة المبادرة بدعوة مجاهدي المنطقة إلى المؤسسات التربوية، لجعل التلاميذ في احتكاك مباشر مع صناعات الحدث، وهذا يساهم في ترسيخ معلوماتهم ومعارفهم الوطنية المستوحاة من الكتاب المدرسية تثبيتها عن قناعة ورغبة فضولية في كشف المزيد من المعارف والمعلومات الثورية التاريخية أما نتائج الاستبيان فجاءت على النحو التالي:

الشمال: نعم $(\%100 + \%100) \div 2 = \%100$. لا $(\%00 + \%00) \div 2 = \%00$.

الوسط: نعم $(\%83.33 + \%100) \div 2 = \%91.66$. لا $(\%16.66 + \%00) \div 2 = \%8.33$.

الجنوب: نعم $(\%90 + \%100) \div 2 = \%95$. لا $(\%10 + \%00) \div 2 = \%5$.

كل أساتذة الأطوار الابتدائية والاكاديمية وفي كل المناطق الشمال الوسط والجنوب يرون بأغلبية كبيرة أن مثل هذه النشاطات التعليمية التربوية مهمة لغرس مبادئ الوطنية والتربية على المواطنة، وجاءت نتائج الذين أجابوا بنعم على الترتيب: $\%100$ ، $\%91.66$ و $\%95$ ، وقليل جدا في الوسط والجنوب يرون عكس ذلك أي أنها غير مهمة، وممكن أن هؤلاء من الأساتذة الجدد الذين تنقصهم الخبرة الكاملة، فكتاب القراءة حتى وإن كان مشحونا بالنصوص الوطنية وذات أبعاد المواطنة، لا يمكنه لوحده أن يفي بالغرض ما لم يستكمل بمثل هذه النشاطات الضرورية للتلميذ.

1-11 الابتدائي/2-11 الاكلامي: هل تحتفلون بالأعياد الوطنية مع التلاميذ على مستوى المدرسة؟

العدد		نعم		لا		لم يجب		النسبة المئوية		
2-11	1-11	2-11	1-11	2-11	1-11	2-11	1-11	2-11	1-11	
08	07	02	05	06	02	00	00	71.42	25	الشمال
28.57									75	
06	06	00	05	06	01	00	00	83.33	00	الوسط
16.66									100	
10	10	04	09	06	01	00	00	90	40	الجنوب
10									60	

المراد معرفته من خلال طرح هذا السؤال للإجابة هو معرفة واقع الاحتفال بالأعياد الوطنية في الابتدائيات والاكمائيات وليس الاحتفال بالأعياد الوطنية فقط وإنما حتى حضور تحية رفع الألوان الوطنية كل صباح.

ان حضور الأساتذة والاداريين رفقة التلاميذ أثناء عملية رفع الألوان الوطنية، من شأنه أن يزيد الطفل حماسة وحبا واحتراما للراية الوطنية، أما فيما يخص الاحتفال بالأعياد الوطنية

فيجب أن تسبقه تحضيرات كبيرة، يتم فيها تحسيس التلميذ بأهمية الموعد الوطني القادم، وتخصيص حفلات خاصة بهذا اليوم، تتخللها زيارات للمتاحف ولmqابر الشهداء، وتنظيم دورات رياضية بالمناسبة ومسابقات ثقافية وحفلات فنية، تتخللها توزيع جوائز في قمة الموعد أو العيد الوطني. فهذا من شأنه أن يساهم في التربية على الوطنية والمواطنة، ويزيد من حب التلميذ لوطنه ولمؤسسته التربوية ويعتز بتاريخ بلاده. وجاءت النتائج كالآتي:

الشمال: نعم $(2 \div (71.42\% + 25\%) = 48.21\%)$ لا $(2 \div (28.57\% + 75\%) = 51.78\%)$.

الوسط: نعم $(2 \div (83.33\% + 00\%) = 41.66\%)$ لا $(2 \div (16.66\% + 100\%) = 58.33\%)$.

الجنوب: نعم $(2 \div (90\% + 40\%) = 65\%)$ لا $(2 \div (10\% + 60\%) = 35\%)$.

ما يثير الانتباه هنا هو المفارقة العجيبة بين الابتدائي والاكمالي، فأغلبية أساتذة الابتدائي يرون أنهم يحتفلون بالأعياد الوطنية رفقة تلاميذهم ويشاركون فرحة هذه الأيام التاريخية في حياة الجزائر وجاءت نسب من أجاب بنعم منهم على الترتيب: 71.42%، 83.33% و90%، في حين يرى أغلبية أساتذة الاكمالي عكس ذلك، فهم لا يشاركون التلاميذ الاحتفالات في الأعياد الوطنية، حيث جاءت نسب من أجاب بنعم منهم كالآتي: 25%، 00% و40%، وتفسير هذه المفارقة الغريبة أن الاساتذة في الابتدائي قليل، وكل أستاذ بقسم محدد، وهذا ما يصنع نوع من العلاقة الحميمة بين الأستاذ والتلميذ، يكون الأستاذ فيها بمثابة المربي والمعلم في آن واحد، في حين يتداول على القسم الواحد أكثر من أستاذ في المتوسطة، هذا ما يصيب علاقة الأستاذ بالتلميذ في المتوسطة بنوع من البرودة والفتور، ولا يتجاوز دور الأستاذ في الاكمالية في مهمة التعليم فقط، وفلا يقوم بمهام ونشاطات أخرى مثلما يقوم بها أستاذ الابتدائي. وهذا ليس سبب منطقي لأن لا يشارك الاساتذة تلامذتهم الاحتفالات بالأعياد الوطنية في الاكماليات، فتطرح قضية الانضباط والتنظيمات الداخلية للمؤسسات التعليمية في الطور المتوسط.

2- دراسة وتحليل الاستبيانات الخاصة بالطلبة: تختص دراستنا بتناول مرحلتين مهمتين في مراحل نمو وحياة المتعلم، وهما الطفولة في الطور الابتدائي، والمراهقة في الطور

الاكمالي، وهذه الأخيرة سنتناولها بالتفصيل في العنصر الخاص بتحليل استبيانات طلبة الطور الاكمالي. (ويتفق علماء النفس تقريبا على التمييز في الطفولة بين: مرحلة الطفولة المبكرة خلال السنة الأولى، ومرحلة الطفولة الأولى بين السنة وثلاث سنوات، ومرحلة الطفولة الثانية بين السنة الثالثة والسنة السابعة تقريبا)، وهذه الأخيرة هي عينة دراستنا، وفي هذه المرحلة (يكتسب الطفل...الشعور بشخصيته بصورة أكمل. ولكنه يستمر في النظر للواقع نظرة عاطفية أكثر منها نظرة عقلية، وفي ارجاع ما يدرك إلى ذاته. وحينئذ تشكل نزعة التمرکز حول الذات لديه الوحدة التكوينية لشخصيته. بيد أن الاهتمامات الانفعالية تتوسع: إذ يدخل الأطفال حقا هنا في علاقة مع بعضهم البعض. وتتطور الاهتمامات الحسية- الحركية نحو اللعب "الاهتمام باللعب"¹. هذه خصائص مرحلة الطفولة، وهي كما رأينا حسية ذوقية أكثر منها عقلية ادراكية. أما عددا لاستبيانات الخاصة بالطلبة في الطورين الابتدائي والاكمالي هو بنفس عدد التلاميذ الموجودين في كل فصل من فصول السنة الرابعة ابتدائي بالنسبة للطور الأول، وبعدد تلاميذ كل فصل من فصول السنة الثانية متوسط بالنسبة للطور الثاني. وقد قع الاختيار على صف السنة الرابعة ابتدائي كعينة لدراسة مختلف مبادئ الوطنية وقيم المواطنة الواردة في الطور الابتدائي، كون السنة الرابعة هي السنة التي يعي المتعلم فيها جيدا المحيط الدائر به، ويبدأ فيها ادراك الرموز الوطنية وقيم المواطنة، ويتحرر فيها من مهارات التعلم المبنية أساسا على القراءة والكتابة، وينتقل إلى السؤال والاستفسار، (وكما هو معروف في مناهج التحليل النفسي فإن أشد الفترات حسما في توجيه سلوك الانسان في المستقبل طيلة عمره هي سنوات الطفولة.. السنوات الأولى في حياته، حيث تتكون استجاباته، ومشاعره، وتوتراته، وتتكون طريقه نظرته للأشياء، واستراتيجية مواقفه في الحياة)². أما اختيار السنة الثانية متوسط كعينة عن الطور الاكمالي دون غيرها من سنوات المتوسط الأخرى، فلكونها السنة التي يبدأ فيها المتعلم التهيؤ لمرحلة المراهقة، وهذا يعني بداية صناعة وجوده، وبناء شخصيته، وتحديد موقفه من العالم المحيط به، أي من المجتمع ومن الوطن، ومن كل الرموز والمبادئ ذات العلاقة بالمكونات الأساسية للشخصية الوطنية، وبقيم المواطنة وسلوكات المدنية العصرية.

¹ - بلماذ غي، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كيه، ص 23.

² - صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص ص 47-48.

يتعلق الاستبيان الموجه للطلبة سواء في الابتدائي أو الاكمامي، بمعرفة مختلف قيم الوطنية الواردة في المضامين التربوية واللاحظة على سلوكات التلاميذ داخل وخارج المدرسة، وبكيفية فهمنصوص القراءة الخاصة بالوطنية والمواطنة، وكيفية تلقي دلالاتها ومعانيها واكتسابها من طرف المتعلمين، وكيفية تحويلها إلى سلوكات في حياتهم اليومية والعمل بها. أما القيم الوطنية فهي كل الأفكار المعتقدات والتصورات الذهنية والنفسية والاجتماعية والسلوكات الأخلاقية الثابتة والمتغيرة ذات البعد الوطني. وقد أكدنا للأساتذة على إيلائه الأهمية الكبرى، وشرح أسئلته وتبسيطها للتلاميذ، وضرورة مرافقتهم في الإجابة بكل دقة وصدق وحرية، والسهر على توفير الجو الملائم لحياد الإجابة الشخصية لكل تلميذ، وتوفير الوسائل الضرورية للإجابة كالأقلام، وأقلام التلوين الحمراء والخضراء.

2-1/ تحليل نتائج الاستبيان الخاص بطلبة المرحلة الابتدائية: كما ذكرنا سابقا فيما يخص تحليل استبيانات الأساتذة، فكل إجابة عن سؤال تتضمن مجموعة من النتائج، هذه النتائج تترجم إلى نسب مئوية جدول خاص، ثم تتبع بالدراسة والتحليل عن طريق المقارنة والتكرار في كل جدول.

1- ما اسم مدرستك؟

	العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	19	01	00	95%/5%
الوسط	26	25	01	00	96.15%/3.84%
الجنوب	40	35	02	03	87.5%/5%

المرجو من هذا السؤال هو معرف مكان الدراسة، فإذا كان المتعلم يعرف اسم مدرسته، فهذا دافع له للسؤال حول معنى الاسم والتعلق به وبالمدرسة، فالقيمة المستهدفة هنا هي قيمة معرفية وطنية أخلاقية، تقوي العلاقة بين المتعلم ومدرسته، وتربطه بتاريخ بلاده، خاصة إذا كان اسم المدرسة يحمل اسم أحد شهداء أو مجاهدي الثورة.

معرفة التلميذ لاسم مدرسته، يعتبر أول ارتباط له بالمكان، بل هو أول عملية تعليمية تعليمية، وأول علاقة ارتباط له بالمدرسة، ومعرفته تلك تعبير على حبه للمدرسة وتمسكه بها، وإرادته في التعلم والتحصيل والبحث عن المعرفة.

أما فيما يخص تحليل نتائج الجدول، فقد أبان جميع التلاميذ في كل المناطق الشمال والوسط والجنوب على معرفتهم لاسم مدرستهم، وجاءت النتائج على الترتيب: 95%، 96.15% و87.5%. أما عدد التلاميذ الذين لا يعرفون اسم مدرستهم فكان تلميذ واحد في كل من الشمال والوسط بنسبتي 5% و3.84% على التوالي، أما الجنوب فمن مجموع 40 تلميذ، نجد 35 منهم يعرفون اسم مدرستهم بنسبة 87.5%، واثنان منهم اخطأ في الإجابة بنسبة 5%، يضاف إليها ثلاثة منهم لم يجيبوا على السؤال أي بنسبة أكثر من 5%، إما لأنهم لم ينتبهوا للسؤال وهذا بعيد، أو لأنهم لا يعرفون الإجابة، وبالتالي يضافوا إلى الاثنين الأولين فتصبح نسبة من لا يعرف اسم مدرسته أكثر من 10% بالنسبة للجنوب، لكن عندما نسأل تلميذ في السنة الرابعة ابتدائي، ونجد أنه لا يعرف اسم مدرسته فهذا يدل على ان التلميذ مهمل وضائع، فأين المسؤولين المباشرين كالاسرة والمدرسة، وماذا ننتظر من هذا المتعلم، فأكد سيكون في المستقبل خطر على المدرسة وعلى المجتمع وبالتالي خطر على الوطن والأمة ككل.

2- هل تحب مدرستك ؟

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	19	01	00	95%/5%
الوسط	26	26	00	00	100%/00%
الجنوب	40	40	00	00	100%/00%

القيمة المستهدفة من وراء هذا السؤال هي معرفة مدى حب المتعلمين لمدارسهم وتعلقهم بها، ان حب الطفل لمدرسته هو الدافع الذي يحفزه للذهاب إلى المدرسة بانتظام، ويزيد من حبه الدراسة والتعليم والتحصيل والبحث، فيتحسن مردوده وكفاءته.

تدخل المدرسة في تشكيل المحيط التعليمي للطفل، فهي جزء هام في حياته بعد الأسرة، وعلى المسؤولين المباشرين تحسين علاقة التلميذ بالمدرسة، فالمتعلم يجب أنه

يحب مدرسته ويحافظ عنها، لأنها بيته الثاني، ويجب جعلها ملجأه الذي يفجر فيه طاقاته وابداعاته، ويروح فيها عن نفسه ساعة الضيق أو الملل، ولا يجب تحويلها في أي حال من الأحوال إلى سجن ينظر إليه الطفل كمركز أسر للعقل والجسم وللتعذيب النفسي والجسدي، يقول ابن خلدون في هذا (لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم)¹، فالضرب والتعنيف يزيد في كره التلاميذ للمدرسة وللأستاذ، وهذا يمس بالعلاقة التي تربط التلميذ بالمدرسة فتنهار، وهو ما يؤثر أيضا على سلوكه تجاهها. فيكرها ويدفع به ذلك إلى تكسير نوافذها وتحطيم تجهيزاتها، والكتابة البذيئة على جدرانها ومنضداتها، بالإضافة لتزايد العنف تجاه زملائه في الفصل وتجاه أستاذه وكل الإداريين والعاملين بالمدرسة، الذي سرعان ما ينتقل ويمتد إلى الأسرة.

أما تحليل النتائج فقد أظهرت أن كل التلاميذ في الشمال والوسط والجنوب يحبون مدارسهم، وجاءت نسب بالترتيب: 95%، 100% و100%، وكما نلاحظ تلميذ واحد فقط في الشمال أجاب بأنه لا يحب مدرسته بنسبة 5%، وهذه الحالة جديرة بالدراسة، وأكد أن هذا الطفل علاقته متوترة مع أستاذه فهو السبب الوحيد الذي يدفعه لكره مدرسته، لذا على الأساتذة أن يكونوا يقظين في هذا المجال وأن يعاملوا التلاميذ على قدم المساواة، ولا يجب تفضيل أحدهم على الآخر إلا بالعمل والاجتهاد، وبطريقة لبقة لا نجرح من خلالها شعور من هم أضعف داخل القسم.

3- هل تحب أستاذك؟

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	19	01	00	95%/5%
الوسط	26	26	00	00	100%/00%
الجنوب	40	40	00	00	100%/00%

¹ - عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص591.

نواصل من خلال السؤال الثالث في علاقة التلميذ بالمحيط الدائر به وبالعناصر الفاعلة فيه، فالقيمة المبحوث عنها من وراء هذا السؤال واضحة منه، وهي علاقة المتعلم بالمعلم، قد تظهر هذه العلاقة بسيطة لكنها معقدة، فالأستاذ مطالب بربح ود وحب طلبته، وخلق الميكانيزمات والآليات اللازمة لذلك، وهو أيضا مطالب بالنزول إليهم ومعرفة مشاكلهم ومواساتهم ومساندتهم والوقوف إلى جنبهم.

ان توفر هذه القيمة ضروري في العلاقة التي تربط المعلم بالمتعلم، فهي تمنع حدوث كثير من المشاكل والأزمات كعنف المتعلمين ضد المعلمين وضد زملائهم وحتى ضد أوليائهم. كما يعتبر المعلم القدوة المعرفية والعلمية والاجتماعية الأولى للمتعلم، فعليه أن يعزف جيدا على هذا الوتر ليكون متعلما ناجحا، وتأكد إن حصلت هذه القيمة بين المعلم والمتعلم، نصل إلى تحقيق قيمة حب المدرسة أوتوماتيكيا، كما يمكن للتعلم أن يواصل على سيرة معلمه في الأخلاق والآداب وفي طلب العلم والمعرفة، وكما نحقق بهذه القيمة الوصول إلى الهدف البيداغوجي الكبير، وهو متعلم اليوم المواطن الصالح للغد.

أما تحليل النتائج فقد أظهرت أن كل التلاميذ في الشمال والوسط والجنوب يحبون أساتذتهم، وجاءت نسب بالترتيب: 95%، 100% و 100%، وكما نلاحظ تلميذ واحد فقط في الشمال أجاب بأنه لا يحب أستاذه بنسبة 5%، وقد أشرنا في التحليل السابق، أن سبب عدم حبه لمدرسته هو الأستاذ، وقد يكون هو نفسه التلميذ الذي أجاب بأنه لا يحب مدرسته في السؤال الثاني، إذن فالأستاذ هو قائد الجوق التعليمي في الفصل، وهو المسؤول على الانسجام والاحترام والتوافق والحب داخل الفصل وداخل المدرسة.

4- هل تحب زملائك في المدرسة ؟:

	العدد	نعم	لا	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	19	01	00	5%/95%
الوسط	26	26	00	00	00%/100%
الجنوب	40	39	00	01	2.5%/97.5%

أما السؤال الرابع في هذه المجموعة المتعلقة بالبحث عن القيم الاجتماعية الأخلاقية والتعليمية، فهو البحث عن علاقة التلميذ بزملائه في الفصل خاصة وفي المدرسة عامة، وهي الحلقة الأخيرة من علاقات التلميذ داخل المدرسة، فالتلاميذ يرتبطون ببعضه البعض، ويساهمون في تشكيل شخصيات بعضه البعض من خلال تقاربهم في السن وفي العقل وفي المجتمع، فهم قبل أن يكونوا زملاء في الفصل جيران وأقارب في المجتمع.

الزملاء هم الشركاء الأوائل للتعلم في المدرسة، لتقاربهم في العمر والسكن والدراسة، والمصير المشترك، فيحملون الآلام والآمال نفسها، وهو ما يجعل العلاقة بينهم وطيدة ومتينة وأخوية، فالعملية التعليمية التعلمية في الأساس هي عملية تشاركية وتضامنية بين المتعلمين أنفسهم وبينهم وبين المعلم، من أجل حصول التعليم والفائدة المعرفية. توفر قيم الأخوة والتضامن والتعاون والمشاركة والعيش والدراسة في جو اجتماعي يقبل الاختلاف في الرأي والتعبير، والمصير المشترك، من شأنها أن تصنع مدرسة متماسكة وصلبة وقوية بنتائج أبنائها ومردودهم العلمي، وتساهم في صنع جيل صالح متحد ومتضامن وناجح في حياته.

أما نتائج الجدول فقد تكررت نتائج الجدولين السابقين مع اختلاف طفيف في منطقة الجنوب التي امتنع فيها تلميذ واحد على الإجابة، وجاءت النتائج للشمال والوسط والجنوب على النحو التالي: 95%، 100% و 97.5%، اذن كل التلاميذ في كل المناطق يحبون زملائهم في الفصل وفي المدرسة، الاستثناء صنعه تلميذ واحد، وهو أكيد الذي رأيناه في السؤالين السابقين الذي لا يحب مدرسته وأستاذه، وهو أكيد الذي أجاب هنا بأنه لا يحب زملائه، إن هذه الحالة عقدة مدرسية تعليمية يجب الانتباه إليها، وأكد هذا الطفل يعيش أزمات نفسية كبيرة في المدرسة، قد تدفع به للتصرف تصرفا غير محمودا، إن لم يتكفل به قبل فوات الأوان، أما الذي لم يجب في الجنوب فممكن أنه لم ينتبه للسؤال فقط.

* / كما رأينا كل القيم الواردة في الأسئلة 1، 2، 3 و 4 هي قيم أخلاقية اجتماعية، تتناول مختلف الآداب والأخلاق والسلوكات التي تعتبر الأساس لبناء قيم الوطنية والمواطنة في المستقبل، اذا أحسن فهمها والتدرج في التربية عليها وفي تعليمها، وهي قيم

تهدف إلى توطيد العلاقة بين المتعلمين ومعلميهم ومدارسهم ومحيطهم وزملائهم في المدرسة، والزيادة من حبهم لمدارسهم وأسرهم، وتساهم أيضا في القضاء على مظاهر التسرب المدرسي، وتخريب المنشآت والتجهيزات التعليمية، والحد من ظاهرة التسرب المدرسي، والعنف في المدارس بين المتعلمين أنفسهم، وضد المعلمين والإداريين والمهنيين.

5- رتب الكلمات لتشكيل نشيد قسما:

العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	18	02	00	%10/%90
26	24	02	00	%7.69/%92.30
40	35	05	00	%12.5/%87.5
الجنوب				
الوسط				
الشمال				

بعد دراسة القيم الاجتماعية والأخلاقية في الأسئلة الأولى، ننتقل للبحث عن القيم الوطنية، والتي سنبدأها في هذا السؤال بقيمة حب النشاط الوطني، ولكي نحبه يجب أن نعرفه ونحفظه عن ظهر قلب، كيف لا ونحن نعيده كل صباح أثناء تحية العلم، رفقة زملائنا وأساتذتنا، إذن فالمراد من هذا السؤال هو معرفة مدى تمكن وحفظ التلاميذ للنشاط الوطني.

يعتبر السلام الوطني الجزائري من أقوى الأناشيد الوطنية في العالم، ألفه بطل بربروس وصاحب الإلياذة التاريخية المجاهد الكبير وشاعر الثورة التحريرية الجزائرية مفدي زكريا: (هو الشيخ زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ سليمان بن الحاج عيسى، لقبه زميل البعثة الميزابية والدراسة الفرقد سليمان بوجناح بمفدي فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به، وقد ولد يوم الجمعة 12 جمادى الأولى 1326هـ الموافق لـ 12 جوان 1908 م، ببني يزقن، ولاية غرداية، انخرط في الثورة التحريرية فور اندلاعها وسجن لمدة ثلاثة سنوات من 1956 إلى 1959، بعد خروجه من السجن إنتقل إلى المغرب ثم إلى تونس) هذه الأخيرة التي توفي بها يوم الأربعاء 02 رمضان 1397هـ الموافق لـ 17 أوت 1977م¹، فهو

¹ - مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، نشر مشترك بين مؤسسة مفدي زكريا الوكالة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، درط، 2003، ص ص1-2.

شاعر الثورة الجزائرية ومؤلف النشيد الوطني الجزائري "قسما"، بسجن بربروس في الزنزانة رقم 69، بتاريخ 25 أبريل 1955، الذي لحنه الموسيقار المصري محمد فوزي، تضمن النشيد أبداع تصوير لملمحة الشعب الجزائري الخالدة¹، وقد رافقنا هذا النشيد صغرنّا، تماماً كما رافقتنا سورة الفاتحة في دراسة القرآن الكبير، وهذا ما ساعدنا على حفظه وترديده والاعتزاز به، ويتكون النشيد الوطني من خمسة مقاطع أولها مقطع قسما الذي هذا مطلعته:

(قسما بالنازلات الماحقات والدماء الزاكيات الطاهرات
والبنود اللامعات الخافقات في الجبال الشامخات الشاهقات
نحن ثرنا فحياة أو ممات وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر
فاشهدوا .. فاشهدوا .. فاشهدوا)²

أما بخصوص تحليل نتائج السؤال الخامس، فلم نقدم للتلاميذ إلا المقطع الأول، وهو المقطع الأكثر تداولاً في المدارس، وقد وفق أغلب التلاميذ في ترتيبه ترتيباً صحيحاً، وجاءت النتائج على النحو التالي: بالنسبة للذين أجابوا إجابة صحيحة في كل المناطق الشمال والوسط والجنوب جاءت نسبهم على التوالي: 90%، 92.30% و 87.5%، أما نسب من أخطأ في ترتيب كلمات المقطع الأول لنشيد قسما فكانت على الترتيب: 10%، 7.69% و 12.5%. جاءت النتائج منطقية، فكل التلاميذ يعرفون ويتحكمون في النشيد الوطني، وحفظهم له دليل على حبهم واحترامهم للنشيد الوطني، أما هؤلاء الذي أخطؤوا في الإجابة، فهذا منطقي ومن الطبيعي أن يكون من لا يعرف النشيد الوطني، لكنها نسبة ضئيلة جداً.

6- أكتب اسم الشكل الذي تلاحظه أمامك؟ الأشكال هي النجمة، الهلال، المربع والمستطيل.

العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	20	00	00	%00/%100
26	20	06 قمر	00	%23.07/%76.92
40	40	00	00	%00/%100
الجنوب				
الوسط				
الشمال				

¹ - ينظر الموقع الإلكتروني: <https://ar.wikipedia.org>، بتاريخ: 08 ديسمبر 2017.

² - كتابي في التربية المدنية، السنة أولى ابتدائي، ص 73.

القيمة المبحوث عنها من وراء طرح هذا السؤال، هي قيمة حب الراية الوطنية، والمراد من الاجابة على هذا السؤال هو قياس مدى معرفة التلاميذ للأجزاء أو الأشكال المكونة للراية الوطنية، قياس مدى تمكن التلميذ من تجزئة وتشكيل العلم الوطني.

الراية الوطنية ليست معقدة الأشكال مثل بعض الرايات العالمية، بل هي بسيطة متكونة من أشكال معروفة وسهلة، يمكن لكل متعلم ادراكها وحفظها. فالعلم الوطني على شكل مستطيل مقسوم إلى مربعين متساويين الأضلاع، تتوسطه نجمة خماسية الرؤوس، ويحيط بها هلال قاعدته إلى سارية العلم، وتعود الراية الوطنية في نشأتها وأصلها إلى العلم الذي أقره رائد المقاومة قبل الثورة التحريرية، ومؤسس الجمهورية الجزائرية الحديثة الأمير عبد القادر الجزائري.

أما فيما يخص تحليل أجوبة التلاميذ، فإن كل التلاميذ تقريبا تعرّفوا على الأشكال المكونة للراية الوطنية الجزائرية، وجاءت النتائج على النحو التالي: 100%، 76.92% و 100%. إن هذا يدل على أن جميع التلاميذ على دراية تامة بماهية وشكل العلم الوطني، وهذا يدل على اهتمامهم واحترامهم للعلم، فقط نسجل أن ستة تلاميذ في الوسط، أجابوا بكلمة "قمر" مكان هلال، وهذا يدل على أنهم يا يفرقون بين القمر والهلال والبدر، ويستنتج أيضا أن ستة منهم لا يعرفون اسم الهلال، وأكد اسم قمر هي اجابة واحد فقط وقام الخمسة الباقون الذين لا يعرفون بنقل الاجابة منه. لكن يدعو للتساؤل تلميذ في السنة الرابعة ابتدائي لا يفرق بين القمر والهلال والبدر ! القمر يعني القرص الدائري والهلال ليس بقرص، ضف إلى ذلك أن كثير من الدول الآسيوية تحمل راياتها هذه الأقراص، فيجب على الطفل أن يكون على دراية باسم ومعنى الهلال في الراية الوطنية، الذي هو رمز الدين الإسلامي دين الدولة الجزائرية.

7- لَوْن الشكل الموجود أمامك بالألوان المناسبة:

العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	19	01	00	5%/95%
26	26	00	00	00%/100%

الجنوب	40	39	01	00	%2.5/%97.5

الشكل المطلوب للتلوين هنا هو الراية الوطنية، ونواصل في البحث عن القيم الوطنية في أفكار التلاميذ وسلوكاتهم، فالقيمة المستهدفة هي معرفة الألوان المشكلة للراية الوطنية وترتيبها في العلم الوطني، ومعرفة مدى قدرة المتعلم على تلوينها بتلقائية دونما سؤال أو مساعدة من المعلم.

العلم الوطني الجزائري مستطيل الشكل -كما أسلفنا- ينقسم إلى مربعين متساويين، المربع الذي بجانب سارية العلم أخضر، أما المربع الآخر فأبيض، وتتوسطه هلال ونجمة ملونين باللون الأحمر، اذن فالألوان المكونة للعلم الوطني، هي الأبيض والأخضر والأحمر. تمكن التلاميذ من تلوين الراية الوطنية دون الوقوع في الخطأ خاصة عند تلوين المربعين الأبيض والأخضر، يدل على أن هؤلاء التلاميذ يملكون الآليات والمعايير التي يستطيعون بها التمييز بين الألوان الوطنية، وبالتالي يعرفونها معرفة آلية، فيدركون قيمتها، ويحترمونها ويحبونها ويغارون ويدافعون عنها.

أما تحليل نتائج الجدول فكانت كالآتي: كل تلاميذ المناطق الشمال الوسط الجنوب تمكنوا من تلوين الراية الوطنية، بنسب على الترتيب: 95%، 100% و 97.5%، تم تسجيل خطأ تلمذان فقط الأول في الشمال والثاني في الجنوب بنسب: 5%، 00% و 2.5%، وهذا يكن تفسيره على أنهم ممكن يفتقدون لاقلام التلوين، لكننا أكدنا للأساتذة السهر على ضرورة توفير كل الألوان المطلوبة خاصة الخضراء والحمراء قبل البدء في الإجابة.

8- ما اسم هذا الشكل الذي لونه؟: اسمه: علم الجزائر

العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	20	00	00	%00/%100

الوسط	26	25	00	01	%00/%96.15
الجنوب	40	39	00	01	%00/%97.5

القيمة المبحوث عنها في اجابة هذا السؤال، هي قيمة وطنية هامة، فهذا الشكل بعد معرفته وتلوينه، يجب معرفة تسميته، فالمراد ماذا يعني هذا الشكل؟ ما اسمه؟ لما يرمز؟

لقد انطلقنا بالتدرج بدءا بالأشكال المكونة للراية الوطنية، فتلوين الراية الوطنية، ومعرفة مختلف الالوان التي تحملها، ووصولاً إلى تسمية هذه الراية، وهذه كلها قيم وطنية أساسية تتعلق باحترام وحب الراية الوطنية، التي ترمز لتاريخ الأمة الجزائرية، ولكفاح شعبها المرير ضد الاستعمار والعبودية.

أما بالنسبة لتحليل النتائج، فامتنع تلميذان عن الاجابة الأول في منطقة الوسط والثاني في منطقة الجنوب، أما باقي التلاميذ في كل المناطق فقد أجابوا اجابة صحيحة وجاءت النسب على النحو التالي: 100%، 96.15% و 97.5%. وهذا النقص في نسبتي الوسط والجنوب يفسر بعدم اجابة التلميذات اللذان سبقت الاشارة إليهما، وذلك ممكن لعدم انتباههما للسؤال فقط.

القيم المستهدفة من وراء الاجابة على الأسئلة 5، 6، 7 و 8 هو معرفة وحفظ النشيد الوطني لكونه مقترن بالراية الوطنية، ومعرفة الأشكال المكونة للراية الوطنية، ومعرفة العلاقة الترابطية الموجودة بينها وبين الألوان الثلاثة المشكلة لها، والتمكن من رسمها وتلوينها وحفظها بألية كبيرة، وقد بينت النتائج أن نسبة كبيرة من التلاميذ تعرف وتحفظ وتحب النشيد الوطني، وتدرك هذه الأشكال وهذه الألوان، وهذا الترابط وهذه العلاقة الموجودة بينها، وهذا ما يدل على وجود شعور وجداني مفعم بحب هذه الراية الغالية على كل جزائري.

9- ما هو وطنك؟

العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية

الشمال	20	20	00	00	%00/%100
الوسط	26	26	00	00	%00/%100
الجنوب	40	39	00	01	%2.5/%97.5

بعدما تعرضنا لمختلف القيم المرتبطة بالراية الوطنية، ننتقل للبحث عن قيمة العلاقة بين الألوان الوطنية والوطن الجزائري، اذن فالقيمة المبحوث عنها عبر الاجابة على هذا السؤال هي قيمة العلاقة التي تربط بين المتعلم بوطنه ورايته.

الوطن هو هذه البيت الكبيرة التي تجمعنا من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب، وتوحدنا باختلاف عاداتنا وتقاليدنا وثقافاتنا ولهجاتنا ولغتنا وألواننا، هو هذا الوطن الذي ضحى من أجله مليون ونصف المليون شهيد، لنعيش في حرية وأمن وسلام وديمقراطية، ونعرف وزن وقيمة هذا الوطن العظيم "الجزائر". (جزائر يا مطلع المعجزات ويا حجة الله في الكائنات. جزائر يا بدعة الفاطر ويا روعة الصانع القادر ويا بابل السحر، من وحيها تلقب هاروت بالساحر)¹. (أنت يا وطن جنة، أفترضى ///// أن يدوس الغراب جنات عدن؟. وارع عهد الشهيد إن دماه ///// جرفت في طريقها كل ضغن)².

أما بالنسبة لتحليل النتائج، تلاميذ كل المناطق تقريبا شمال، وسط وجنوب أجابوا إجابة صحيحة، وجاءت النسب على الترتيب: 100%، 100% و 97.5%. أما النقص الأخير في نسبة الجنوب، فيفسر بعدم اجابة تلميذ واحد، فاحتمالا هو التلميذ الذي سبقت الإشارة إليه في السؤال الثامن، ومن المرجح أنه لم ينتبه لهذا السؤال أيضا.

10- ماهو الوطن الذي تحبه من بين هذه الدول؟

العدد	اجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	19	01 فرنسا	00	%5/%95

¹ - مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص ص19-20.

² - مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص 177.

الوسط	26	26	00	00	%00/%100
الجنوب	40	38	01	01	%2.5/%95

القيمة المتوخاة من الاجابة على السؤال الأخير بالنسبة لطلبة الابتدائي، هي قياس حجم شعور وولاء وحب التلميذ لوطنه الجزائر، بعد أن هيأت له الوضعية البيداغوجية اللازمة للاجابة من خلال تعريفه بالنشيد الوطنية والراية الوطنية وعلاقتها به وبالوطن، نصل إلى قياس شعوره وولاءه لوطنه الجزائر.

أردنا وضع التلميذ في وضعية صعبة أمام مجموعة من الاختيارات المخرجة، فأدرجنا وطنه الجزائر بين مجموعة من الاوطان التي لها خلفية شعورية في المجتمع الجزائري، فمصر عبد الناصر تكون ساعدت الجزائر في ثورتها ودعمتها، وهي تحضنا بحب ودعم الجزائريين، أما السعودية فهي الموطن الأول للإسلام المتجذر في المجتمع الجزائري، وبها أيضا مكة والمدينة المقدستين، وفيها ميلاد وحياة الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، وأخيرا فرنسا التي استعمرتنا لمدة 130 سنة، وللجزائريين معها قصصا وأخبارا لا تنتهي.

أما بالنسبة لتحليل الجدول، فقد امتنع تلميذ واحد في منطقة الجنوب، وهو احتماليا الذي لم يجيب في السؤالين السابقين الثامن والتاسع، فهاهو يواصل الامتناع في السؤال العاشر، وهذا دليل على أنه لم ينتبه للأسئلة. أما النتائج الأخرى فأغلبية التلاميذ في جميع المناطق شمال، وسط وجنوب كانت إجاباتهم صحيحة على الترتيب: 95%، 100% و 95%، النقص المسجل في نسب الشمال والجنوب بنسب: 5% و 2.5% على الترتيب، فمرده لتلميذين الأول في الشمال أجاب فرنسا، وهذا ممكن لأنه مولود بفرنسا أو أن والداه أو أحدهما مزدوج الجنسية جزائرية/فرنسية. والثاني في الجنوب أجاب السعودية وهذا نظرا للخلفية الدينية الكبيرة المنتشرة في الجنوب وحب الكعبة والمدينة والمنورة والأمل في زيارتهما، فهذا الشعور الديني هو من أوعز إليه بهذه الاجابة.

2-2/ تحليل نتائج الاستبيان الخاص بطلبة المرحلة الإكمالية: ما قمنا به في تحليل نتائج استبيانات تلاميذ الطور الابتدائي، يتكرر فيما يخص تحليل استبيانات طلبة الإكمالي، فكل

إجابة عن سؤال تتضمن مجموعة من النتائج، هذه النتائج تترجم إلى نسب مئوية، تتبع بالدراسة والتحليل.

اذ كنا قد حصرنا أسئلة طلبة الابتدائي فقط في المحيط المدرسي، فقد حاولنا الخروج من المكان المدرسي مع طلبة الاكمامي إلى الوضع التاريخي والثقافي والاقليمي للجزائر، فكانت القيم المستهدفة كلها قيم وطنية متعلقة بالجزائر وثورتها وثقافتها، وفي هذا المجال الوطني تمحورت أسئلة استبيان طلبة الطور الاكمامي.

يتميز تلاميذ الاكمامي بمرورهم في حياتهم بمرحلة حساسة وحرجة، فيها (يلاحظ تعاقب مراحل من الإثارة النفسية ومن الهبوط النفسي. وحيث تظهر غالبا اهتمامات مجردة ومثالية ودينية، ومن ناحية أخرى، يعتبر بعض الباحثين المرهقة سن الإيمان العفوي، والسن الدفقة والفضول، ويمكن أن تسيطر الأفكار على عقل المراهق "المفاهيم الانسانية والمثالية وعشق المجردات")¹. إنها مرحلة يتحول فيها أطفال من غير مسؤولين إلى أفراد كاملي البنية العقلية والجسمية وكاملي العضوية في المجتمع، فيشهدون تغيرات عقلية وجسمية كبيرة، وهي ما يؤثر على سلوكياتهم وتصرفاتهم، إنها مرحلة المراهقة التي تبدأ عادة في الثالثة عشرة وتنتهي في الثامنة عشرة، و قد تمتد إلى الواحدة والعشرين، في هذه المرحلة يكتمل التكوين المتعلم العقلي، وتبرز قدراته الخاصة في التفكير والإدراك والذكاء، كما تظهر على المراهق في هذه المرحلة مجموعة من الانفعالات كالغضب والثوران التي قد تصحبها تحطيم الأشياء في البيت أو كل ما يجده حوله في المجتمع أو في المدرسة، أو قد تؤدي به لممارسة العنف على أحد أفراد العائلة أو زملائه في المدرسة أو حتى على أستاذه في الفصل، فيجب على المربين والأساتذة والاداريين، تفهم المزاج العنيف وغير المألوف للمتعلم في هذه المرحلة، ومساعدته على تجاوزها بسلام².

- 1- ما هي الدول المجاورة للجزائر من بين هذه الدول؟ : مصر – تونس – الأردن – ليبيا – تركيا – تشاد – النيجر – مالي – النمسا- موريثانيا – السينغال - الصحراء الغربية- اسبانيا – المغرب الأقصى – فرنسا.

¹ - بلماد غي، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كيه، ص25.

² - ينظر: إبراهيم وجيه محمود، المراهقة خصائصها ومشكلاتها، ص16.

العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية	
20	09	10	01	%50/%45	الشمال
33	17	16	00	%48.48/%51.51	الوسط
34	23	11	00	%32.35/%67.64	الجنوب

القيمة المستهدفة من وراء هذا السؤال هي قيمة وطنية، والغرض منها الوصول لمدى تمكن التلاميذ ومعرفتهم لحدود الدولة الجزائرية ومعرفة الدول المجاورة لها من الشمال والجنوب والشرق والغرب. فالجزائر يحدها من الشرق تونس وليبيا، ومن الجنوب النيجر ومالي، ومن الغرب موريتانيا والصحراء الغربية والمغرب الأقصى، ومن الشمال البحر الأبيض المتوسط.

جاءت النسب مخيبة فنصف التلاميذ تقريبا في الشمال والوسط والجنوب لا يعرفون الدول المجاورة لوطنهم، وجاءت النتائج على الترتيب: %50، %48.48 و%32.35، أما هؤلاء الذين أجابوا إجابة صحيحة فكانت نتائجهم كالآتي: %45، %51.51 و%67.64. ومرد هذا لعدم إعطاء مادة الجغرافيا الأهمية اللازمة، فتلميذ السنة الثانية متوسط، يكون قد بلغ حدا كافيا من التعلّيمات والمعارف التي تسمح له بمعرفة حدود بلاده والدول المجاورة لوطنه.

2- ما هي اللغات الثلاث المستعملة في الجزائر؟: الروسية – الأمازيغية – الصينية - العربية – الألمانية - الفرنسية.

العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية	
20	19	01	00	%5/%95	الشمال
33	31	02	00	%6.06/%93.93	الوسط
34	31	03	00	%8.82/%91.17	الجنوب

السؤال الثاني يتمحور حول قيمة وطنية ثقافية وهي معرفة مختلف اللغات المستعملة في الوطن، وهي اللغة الأمازيغية الأصلية والأولى لسكان شمال إفريقيا والتي لا زال يتكلم بها في مختلف المناطق الجزائرية بشرقها وغربها وشمالها وجنوبها، لكن بلهجات محلية جهوية، وقد اعتمدت وزارة التربية الوطنية تدريس اللغة الأمازيغية للأطوار الابتدائية والاكاديمية منذ أن أصبحت لغة وطنية في الدستور الجزائري. أما اللغة العربية فهي اللغة التي ورثها الشعب الجزائري فور اعتناقه الدين الإسلامي منذ قرون، وقد أصبحت لغة متجذرة في مخلف أطياف المجتمع الجزائري، جاء في المادة 3 والمادة 3 مكرر في دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية: (المادة 3 : اللغة العربية هي اللغة الوطنية والرسمية. المادة 3 مكرر : تمازيغت هي كذلك لغة وطنية. تعمل الدولة لترقيتها وتطويرها بكل تنوعاتها اللسانية المستعملة عبر التراث الوطني).¹ أما اللغة الفرنسية فهي من مخلفات الاستعمار الفرنسي الذي احتل بلادنا لمدة 130 سنة، فهي ارث ثقافي مجبر عليه أخوك لا بطل، هذه اللغات الثلاثة ذات الاستعمال الواسع والرسمي في الجزائر، رغم أنه في الوقت الأخير بدأت تظهر بعض اللغات الأخرى في الساحة الاجتماعية الجزائرية كاللغة الانجليزية واللغة الصينية، نظرا لانفتاح المجتمع والسوق الجزائرية.

أما تحليل إجابات التلاميذ بخصوص هذا السؤال، فقد أجاب كل التلاميذ في الشمال والوسط والجنوب إجابات صحيحة، وجاءت نسبهم على الترتيب: 95%، 93.93% و 91.17%. بالنسبة لمن أخطأ في الإجابة فكانت نسبهم كذلك على الترتيب: 5%، 6.06% و 8.82%، ويمكن تفسير الإجابات الصحيحة بكون المتعلم الجزائري، ذو ثقافة واحدة سواء في الشمال أو الوسط أو الجنوب، فكلهم يدركون اللغات الثلاثة المستعملة في الجزائر، وهي كلها ارث لشعب الجزائري وللثقافة الوطنية.

3- ما هو دين الدولة الجزائرية؟: الإسلام - المسيحية - البوذية.

العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	20	00	00	%00/%100

الشمال

¹دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، رقم 76، المؤرخة في 08 ديسمبر 1996. ص2.

الوسط	33	33	00	00	%00/%100
الجنوب	34	34	00	00	%00/%100

القيمة المستهدفة في هذا السؤال، هي قيمة دينية اعتقادية ووطنية، لكون الدين رمز البلاد والعباد، فقد اعتنق الشعب الجزائري الدين الاسلامي منذ قرون عن طوعية واقتناع، وهو الدين الذي ورثناه وتبنيناه أب عن جد، وجاء في المادة الثانية من الدستور الجزائري: (الاسلام دين الدولة)¹، وقد مسح الدين الاسلامي فور انتشاره في شمال إفريقيا كل الديانات التي سبقتها، فبقي شيء قليل من المسيحية، وقلة قليلة من اليهودية التي تمارس طقوسها دون التصريح بها، وهذا كله من مخلفات الاستعمار الفرنسي.

أما بخصوص تحليل نتائج الاستبيان الثالث، فقد أجاب كل التلاميذ وفي كل المناطق إجابات صحيحة، فكانت النتائج في كل المناطق: 100%، وهذا دليل على تربية كل الأطفال على مبادئ الدين الاسلامي، ومثال لحرص وسهر الأسرة الجزائرية على تربية أبنائها التربية الدينية الاسلامية، ودليل على مكانة الدين الاسلامي في المجتمع الجزائري.

4- ما هي الدولة التي ألوان علمها مطابقة لألوان العلم الوطني من بين هذه الدول؟: اسبانيا - فرنسا - موريتانيا - إيطاليا - مصر - ألمانيا.

	العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	17	03	00	%15/%85
الوسط	33	23	10	00	%30.30/%69.69
الجنوب	34	09	25	00	%73.52/%26.47

القيمة المبحوث عنها في هذا السؤال هي قيمة وطنية متعلقة بمعرفة الألوان وحب الراية الوطنية، وقد بنينا دراستنا في هذه القمية، على نظرية التعلم بالتشابه، فأردنا أن

¹دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، رقم76، المؤرخة في 08 ديسمبر 1996، ص2.

نعرف هل يتذكر التلميذ الجزائري الراية الوطنية إن رأى ألوان علم دولة أخرى مشابهة للألوان الوطنية؟ إن هذا الاستحضار دليل على حب التلميذ للألوان الوطنية، ومعرفتها ومعرفة الدول التي تحمل أعلامها الألوان نفسها مع الراية الوطنية.

أما بخصوص تحليل أجوبة السؤال الرابع، فقد تعمدنا وضع علم إيطاليا التي تحمل رايتها الألوان نفسها مع الراية الوطنية، وهي القريبة من الجزائر لكونها في الضفة المقابلة من البحر المتوسط، بالإضافة لمعرفة ومناصرة جل الجزائريين الشباب لمختلف فرقها لكرة القدم، والذين يحملون عادة الأعلام الوطنية الإيطالية في المواجهات الأوروبية والعالمية. لكن نصف المستجوبين تقريباً، أخفقوا في الإجابة الصحيحة فجاءت النسب على النحو التالي بالترتيب: 15%، 30.30% و 73.52%. أما الإجابات الصحيحة فكانت بالترتيب أيضاً: 85%، 69.69% و 26.47%، من النظرة الأولى يتبادر إلى أذهاننا أن بعد المسافة بين الجزائر وإيطاليا هي من يتحكم في النتيجة، فتلاميذ الشمال كانت أعلى نسبة إجابة صحيحة، بحكم إطلالتهم على المتوسط، تليها نسبة الوسط وأخيراً نسبة الجنوب البعيدة عن المتوسط، لكن هذا التحليل يبقى غير منطقي لكونه بعيد عن الدقة العلمية، ويمكن تفسير ذلك أيضاً بعدم اهتمام التلاميذ بهذه الأمور أو بأعلام الدول الأخرى.

5- لما يرمز اللون الأحمر في العلم الوطني؟:- لون الأزهار - دم الشهداء - قلب الإنسان.

	العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	20	00	00	%00/%100
الوسط	33	33	00	00	%00/%100
الجنوب	34	34	00	00	%00/%100

أردنا من وراء طلب الإجابة على السؤال الخامس، البحث عن القيمة العينية لكل لون من الألوان الوطنية، فرغم أن كل الألوان الوطنية ذات دلالات ومعاني كبيرة، إلا أن اللون الأحمر ينفرد بدلالة خاصة، في حين يكون للونين الأبيض والأخضر امتدادات

عالمية وإنسانية. فاللون الأحمر هو اللون الذي يرمز لدم الشهداء الغالي، الذي ارتوت به هذه الأرض الزكية والغالية على قلب كل جزائري وجزائرية.

بخصوص تحليل اجابات التلاميذ التي حملتها أجوبة الجدول الخامس، فقد أجاب كل التلاميذ في كل المناطق إجابات صحيحة، وجاءت النسب كلها 100%. وهذا دليل على المكانة التي يتمتع بها الشهداء في قلوب المتعلمين، وادراكهم لحجم وقيمة دماء الشهداء التي سالت في الثورة التحريرية، فالمجد والخلود لشهداءنا الأبرار يقول مفدي زكريا: (إن شعبا على العروبة والاسلام//////قد شبا لا يطيق انفصالا. ان تربا مضمخا بدماء من جدود، لا يستطيع اعتزالا)¹.

*-/ نلاحظ أن الأسئلة 1، 4 و 5 متعلقة بالجزائر وبالراية الوطنية، وأهم القيم الوطنية الواردة فيها هي معرفة موقع الجزائر وحدودها، ومختلف الدول المجاورة لها، ثم معرفة قيمة الألوان الوان الوطنية ودلالاتها ومعانيها الوطنية المقدسة، أما السؤالان 2، 3 فيتعلقان بثوابت الأمة ورموزها الدين الإسلامي واللغتين العربية والأمازيغية.

6- ما هو تاريخ اندلاع الثورة التحريرية؟: 01/جويلية/1954 - 05/نوفمبر/1962 - 01/نوفمبر/1954.

العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية	
20	19	1	00	95%/5%	الشمال
33	32	1	00	96.96%/3.03%	الوسط
34	28	6	00	82.35%/17.64%	الجنوب

تعتبر القيمة المبحوث عنها في السؤال السادس، قيمة وطنية مفصلية وأساسية، فهي تتعلق بمعرفة عيد الثورة التحريرية، هذا التاريخ الذي وضع حدا لمسلسل العبودية والاضطهاد،

¹ - مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، ص143.

وفتح باب الحرية والاستقلال، إنها قيمة عيد الثورة الجزائرية، وأردنا قياس مدى معرفة التلاميذ لهذا التاريخ الهام في مسار الحركة الوطنية.

الاثنين أول نوفمبر 1954 هو تاريخ انطلاق أول رصاصة من جبال الأوراس، معلنة طلوع فجر جديد على الشعب الجزائري، فجر يبشر بالحرية والاستقلال، وهو التاريخ الذي يتكرر على أفواه كل الجزائريين، وخاصة المجاهدين منهم الذين مازالوا على قيد الحياة. وقد اعتمد كعيد وطني للجزائر وعطلة مدفوعة الأجر من كل عام.

أما إجابات التلاميذ فلم تكن صحيحة، وسجلنا منها الخاطئة في الشمال والوسط والجنوب، بالنسب التالية على الترتيب: 5%، 3.03% و 17.64%. أما الإجابات الصحيحة فكانت على النحو التالي: 95%، 96.96% و 82.35%. إن نسب الإجابات الخاطئة فعلى الرغم من أنها ضئيلة، فهي تدعو للتساؤل والحيرة، فكيف تلميذ السنة الثانية متوسط لا يعرف تاريخ اندلاع الثورة التحريرية؟! وهو ما يدعو لمراجعة الأحجام الساعية المخصصة لمادة التاريخ التي يجب إعطاؤها حقها من التدريس، حتى يكون التلاميذ على دراية كبيرة بتاريخ ومحطات الثورة التحريرية وبانجازات وبطولات الشهداء والمجاهدين. يقول جون ديوي أن تدريس مادة التاريخ يعمق (تقدير الحياة الاجتماعية، وتقرر مكانة عنصر التراجم أو السير في تعليم التاريخ، وتلك المادة التاريخية تبدو للطفل في غاية الكمال والحيوية، بلا ريب عندما تقدم إليه بصرو فردية وتلخص حياة بعض الشخصيات التاريخية وأعمالها)¹.

7- كم دامت الثورة التحريرية الجزائرية؟ 30 سنة / 09 سنوات ونصف / 05 سنوات ونصف / 07 سنوات ونصف.

العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	18	02	00	10%/90%
33	31	02	00	6.06%/93.93%

¹ -جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، ص153.

الجنوب	34	33	01	00	%2.94/%97.05

نواصل مع السؤال السابع البحث عن القيم الوطنية الثورية، وننتقل هنا إلى مسألة التلميذ حول مدة الثورة التحريرية، فمعرفة هذه المدة يدل على إهتمام التلميذ واحترامه لثورة الفاتح من نوفمبر، وتعبير عن افتخاره واعتزازه بانجازاته وبطولات أسلافه.

دامت الثورة التحريرية سبع سنوات ونصف، عاشها الجزائريون بآلامها وعذاباتها، فاستشهد من استشهد، وشرّد من شرّد ونفي من نفي وسجن من سجن، لكنهم حملوا السلاح للدفاع عن بلدهم وحماية أعراضهم، واسترجاع حقوقهم المسلوبة، ولم يفقدوا الأمل يوماً في أن تستقل الجزائر وتسترجع حريتها وسيادتها، وهو ما كان لهم بعد سبعة سنوات ونصف من الكفاح المسلح المتواصل.

بخصوص تحليل الأجوبة، فقد سجلنا بعض الإجابات الخاطئة في الشمال وفي الوسط وفي الجنوب، لكنها نسب ضئيلة جداً، فهي على الترتيب: 10%، 6.06% و 2.94%، والخطأ هنا منطقي، فقد يكون بين التلاميذ من لا يعرف مدة الثورة التحريرية، لكن الأهم هو أن الأغلبية الكبيرة من التلاميذ في جميع المناطق على علم بمدة الثورة التحريرية، وكانت نسب الإجابات الصحيحة كالآتي: 90%، 93.93% و 97.05%.

8- حدّد عدد شهداء الثورة التحريرية الجزائرية؟: مليون ونصف المليون شهيد/خمسة ملايين شهيد/مليونان ونصف المليون شهيد/مليون شهيد.

	العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	20	00	00	%00/%100
الوسط	33	33	00	00	%00/%100
الجنوب	34	32	02	00	%5.88/%94.11

قيمة وطنية أخرى لا تقل أهمية عن القيم الوطنية السابقة تلك المبحوث عليها من خلال الإجابة على السؤال الثامن، وهي معرفة عدد شهداء الثورة التحريرية، إن معرفة هذا العدد يدل على المكانة العالية التي للشهداء في نفوس التلاميذ.

عدد شهداء الثورة التحريرية هو مليون ونصف المليون شهيد، أما العدد الحقيقي لشهداء الثورة والمفقودين فيها فهو أعظم، ناهيك عن التصفيات الجسدية التي كانت تقوم بها فرنسا في الخفاء، بالإضافة لعمليات الاختطاف والتعذيب التي كانت تتم وتمارس في السجون وفي سرية تامة، والتي كان ينتهي أغلبها بالوفاة الحتمية، لاجل ثني المجاهدين وإخماد الثورة. ويحضر الشهداء بمكانة عالية ومقدسة في نفوس الجزائريين، حتى أن جزائر الاستقلال أصبحت تسمى بوطن المليون ونصف المليون شهيد.

بالنسبة لتحليل الجدول، فقد أجاب كل تلاميذ منطقتي الشمال والوسط إجابة صحيحة بنسبة: 100%، أما منطقة الجنوب فسجلت نسبة 94.11%، فقد أخفق تلميذين في الإجابة بنسبة: 5.88%، وهي نسبة ضئيلة، وقد يعود سبب الخطأ إلى تشابه الأجوبة المقترحة للإجابة على هذا السؤال.

- 9- بين تاريخ استقلال الجزائر؟: 01/جويلية/1954 - 05/جويلية/1962 - 05/نوفمبر/1962.

	العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
الشمال	20	19	01	00	5%/95%
الوسط	33	32	01	00	3.03%/96.96%
الجنوب	34	32	02	00	5.88%/94.11%

السؤال ما قبل الأخير خصص للبحث عن قيمة وطنية، وهي القيمة المتعلقة بمعرفة عيد الاستقلال الموافق لـ 05 جويلية 1962، ويرتبط الاحتفال بعيد الاستقلال بعيد الثورة الموافق لـ 01 نوفمبر 1954.

يتشابه الاحتفال بعيد الثورة وعيد الاستقلال في الجزائر بالعيدين الدينيين الفطر والأضحى في الجزائر، ويكتسيان أهمية كبيرة لدى الجزائريين، فهما يومي عطلة مدفوعة الاجر من كل سنة، وقد نالت الجزائر استقلالها بعد كفاح مرير ضد الاستعمار الفرنسي، وبعد الضربات الموجعة ضج الجيش الفرنسي من طرف جيش التحرير الوطني في ساحات المعارك، وهو ما أجبر فرنسا على الجلوس لطاولة المفاوضات، والتي كللت بعد مفاوضات عسيرة باستقلال الجزائر في الخامس من جويلية 1962.

بخصوص التحليل والدراسة، فمثلما سجلناه من أخطاء في دراسة إجابة السؤال السادس المتعلق بعيد الثورة، تكرر فيما يخص عيد الاستقلال، فقد أجابت الأغلبية إجابة صحيحة بالنسب التالية على الترتيب: 95%، 96.96% و 94.11%. أما نسب من أخطأوا فكانت على النحو التالي: 5%، 3.03% و 5.88%، ونعيد ما تطرقنا له بخصوص تحليل إجابة السؤال السادس، فعيدا الثورة والإستقلال من المواعيد المقدسة في الجزائر، إنه لا يقبل بتاتا أن لا يعرف تلميذ السنة الثانية متوسط تاريخ اندلاع الثورة التحريرية أو تاريخ الاستقلال، فالخبرة والتمرس تلعبا دورا كبيرا في هذا الشأن، ونعني بالخبرة تلك التي (يكتسبها الفرد عن طريق القيام بعمل، أو نشاط معين في بيئة معينة بشكل مباشر، فعندما يمارس الطفل بنفسه عملا معيناً أو نشاطا معيناً ينجم عن تلك الممارسة اكتسابه خبرة مباشرة)¹، وهذه المواعيد والقيم يجب أن تترجم كخبرات مباشرة، حتى يتذكرها الطفل ويستدعيها في حياته اليومية، وهو ما يدعو كما أسلفنا لمراجعة الأحجام الساعية المخصصة لمادة التاريخ التي يجب إعطاؤها حقها من التدريس، وتقديم محتواها في شكل نشاطات مختلفة كالزيارات مثلا وأماكن الآثار واللقاءات مع المجاهدين، ومشاهدة الأفلام الثورية. وبهذا يكون التلاميذ على دراية تامة بمختلف الأحداث الهامة في مسار الحركة الوطنية، والثورة التحريرية، وبإنجازات وبطولات الشهداء رحمة الله عليهم والمجاهدين أطال الله في أعمارهم. (تجتمع الدراسات العلمية في علم الاجتماع التربوي في أن الوظيفة البيداغوجية للتاريخ، هي تأسيس المرجعية التاريخية التي تحدد النظام الذي يوجه سلوك المواطنين تجاه الدولة، ويحدد موقفهم من مبادئ الدولة وقيمتها وسياساتها، ولهذا تعمل الدول التي تفتقر للتاريخ المجيد على رسم

¹ - محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، ص70.

تاريخ اعتباطي والعمل على رفع معاملته في المستويات الدراسية)¹، فكيف ونحن نملك تاريخ وحضارة وتراث، أن لا نعتني بهذا الإرث الكبير ونحميه؟

* / وكما رأينا تتعلق الأسئلة 6، 7، 8 و9، بالقيم والرموز الوطنية الخاصة بتاريخ الثورة التحريرية ومدتها وبالشهداء الأبرار، وبعيدي الثورة والاستقلال وبمدة الثورة التحريرية، فأردنا من خلالها قياس هذه القيم الوطنية الثورية لدى المتعلم، ولفت نظر المنظومة التربوية في التركيز على تدريس تاريخ الثورة التحريرية للناشئة، والمجد لشهداءنا الأبرار، وعاشت الجزائر حرة مستقلة.

10- ما هو عدد الولايات في الجزائر؟: 54 ولاية - 68 ولاية - 31 ولاية - 48 ولاية - 16 ولاية.

العدد	إجابة صحيحة	إجابة خاطئة	لم يجب	النسبة المئوية
20	20	00	00	%00/%100
33	33	00	00	%00/%100
34	34	00	00	%00/%100

نختم بقيمة مدنية وطنية، تعلق بالجزائر وبالولايات المشكلة لها، وتتلخص في هذه القيمة في قياس مدى معرفة تلاميذ الاكمامي لعدد ولايات الوطن.

عدد ولايات الوطن هو 48 ولاية ، أهمها عاصمة البلد الجزائر، وعاصمتي الغرب والشرق وهران وقسنطينة، وهذا التقسيم الإداري تم اعتماده سنة 1984، بعد أن كان قبلها عدد ولايات الجزائر 31 ولاية، ومؤخرا تم استحداث تقسيم إداري جديد ينبني على أساس الولايات المنتدبة، والذي شرع فيه على مستوى الجنوب الكبير كمرحلة أولى، ويمتد للهبصاب والشمال في مراحل تالية.

¹ - أ. فضيل إبراهيم مزارى، الإصلاحات التربوية وإشكالية إعادة إنتاج الشخصية الوطنية، جريدة الخبر اليومي، عدد: 26 أوت 2016، ص4.

أما تحليل اجابات التلاميذ فكانت كلها صحيحة وفي كل المناطق المناطق شمال وسط وجنوب، بنسب 100%، فلم نسجل أي إجابة خاطئة، وهذا يدل على معرفة التلاميذ لوطنهم ولعدد الولايات المكونة له، وهذا يدل على أن لهم ثقافة وطنية مدنية لا يستهان بها، كما يبدو أنهم على اطلاع بأسماء الولايات وخصوصياتها.

3- نتائج تحليل استبيانات الأساتذة والطلبة: في نهاية الدراسة والتحليل

توصلنا لضبط مجموعات هامة من النتائج المستوحاة من تحليل استبيانات أساتذة الطورين الابتدائي والاكمالي، وتمكنا من رصد تصنيفات هامة من قيم المواطنة ومن القيم المختلفة الأخرى، والتي تماستخلاصها بناءا على تحليل استبيانات الطلبة والأساتذة، في الطورين الابتدائي والاكمالي.

أولا: مجموعة القيم المعرفية والعلمية وهي: المادة الدراسية الأساسية أو ما يمكننا التعبير عليه (بجملة الحقائق والمعلومات والمفاهيم والمبادئ والتصميمات والمهارات الأدائية والعقلية والاتجاهات و القيم التي تتضمنها المادة التعليمية في الكتاب المدرسي)¹، وهي كل القيم التي تتوزع في نصوص الثقافة العامة والنصوص الحاملة للحقائق العلمية والمعرفية، والتي تتناول تفسير مختلف الظواهر الطبيعية والانسانية والحيوانية، وعلاقة الانسان بالطبيعة، وبما وراء الطبيعة، والنظريات الرياضية والفيزيائية والجغرافية والفلكية، وكل الأفكار الجديدة في مجال الاعلام الآلي والبرمجيات.

ثانيا: والاجتماعية والأخلاقية مثل قيم الاحترام، والصدق في القول والعمل، والتحلي بالمسؤولية تجاه نتائج الأعمال والتصرفات، وقيم تأنيب الضمير والحكمة وضبط النفس، وحب الرياضة الحفاظ على الصحة والوقاية من الأمراض والآفات الاجتماعية كالانحراف والجريمة وتعاطي المخدرات والتعاون، والرحمة، والتضامن والكرم، والتواضع والتسامح، وعدم التطرف في الفكر وفي السلوك، وهي كل القيم الاجتماعية اليومية التي يلمسها المتعلم من خلال تفاعله وتواجهه بين الأسرة، المدرسة والمجتمع الصغير الذي يعيش فيه.

¹ - سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل، ص: 285.

ثالثا: مجموعة القيم الوطنية والسياسية والمدنية، وهي قيم السلم والتعايش والأمن والأمان، تفادي الفتن والحروب والفوضى، الانتماء، العدل والمساواة والحرية، والوحدة الوطنية، وحرية التعبير، والديمقراطية، وهي القيم التي تساعد على الحياة في جو من التمدن والحضارة، وتأدية الواجبات ومعرفة حدود الحقوق والواجبات وتطبيق القوانين والتنظيمات، واحترام النظم والتشريعات، والمشاركة في الاستحقاقات المختلفة، والعيش في أمن وسلام، والابتعاد عن التعصب والفتن والتطرف المقيم والفوضى التي تضر بالبلاد والعباد. وهي القيم التي تتناول أيضا تاريخ المقاومة الجزائرية منذ القديم، وتاريخ الجزائر وبطولاتها وانجازاتها وتراثها وثقافتها، ومسيرة الثورة التحريرية والشهداء والمجاهدين. (فالتلميذ الذي ينشأ على افتقاد لحس النقد من جهة "دور التاريخ"، ومعنى القيم من جهة ثانية "دور التربية الإسلامية" فسيكون حتما شخصية تابعة مسايرة لا تستطيع التصدي لعلّيات المشكلة، ويتحول إلى مجرد أداة تستخدمه جهة معينة لتنفيذ برامج محددة)¹.

رابعا: مجموعة القيم العالمية والإنسانية وهي القيم التي تتناول حياة البشر جميعا كسكان للكرة الأرضية التي تمثل الوطن الكبير الذي يستوعب لجميع هؤلاء البشر من كل القارات، والذين هم مجبرون على العيش والتعايش فيه بسلام والحفاظ عليه، وحماية حياة العنصر البشري عليه حيثما كان، هي قيم تتناول تعايش الثقافات وحوار الأديان، كما تساهم هذه القيم في تعريف المتعلمين بالعالم الكوني الذي ينتمون إليه، والتحسيس من خطر تآكل طبقة الأزون، وقد زادت هذه القيم اتساعا وشيوعا، بعدما أصبح العالم قرية صغيرة، وبعدها كثرت وسائل التواصل الاجتماعي، بفعل تطور شبكة الانترنت، وزوال الحدود القديمة.

خامسا: مجموعة القيم الجمالية الفنية، هذه القيم تدخل في صناعة سعادة الإنسان ورفي فكره، وهي القيم المرتبطة بمختلف الفنون والأنشطة والهوايات التي مارسها الإنسان منذ القديم، فالمتعلمين يجب تدريبهم على مهارات الموسيقى والمسرح والرسم والكتابة الإبداعية الأدبية الشعرية والنثرية، حتى تكون ملاذات أخرى يأوي إليها المتعلم عندما يضيف عليه الفضاء المدرسي، ويحس بالرغبة في تغيير المثير التعليمي، فتسمح له بالتعبير بفنية وإبداعية

¹ - أ. فضيل إبراهيم مزاري، الإصلاحات التربوية وإشكالية إعادة إنتاج الشخصية الوطنية، جريدة الخبر اليومي، عدد: 26 أوت 2016، ص 4.

وجمالية عما يدور في باله وخاطره، ويحس من خلاله بنوع من الراحة والفسحة الفكرية، فيقضي على الملل والروتين التعليمي، وتسمح له بالعودة إلى جو الدراسة بقوة وإرادة مشحونة وشوق.

سادسا: مجموعة القيم البيئية وحماية المحيط: هذه القيم مهمة لأنها تنظم سلوكيات المتعلمين في الحياة، وتعرفهم بعلاقتهم بالمحيط الدائر بهم، وبالبيئة التي يسكنون، وقيم المحافظة على الهواء، وقيم ترشيد حسن استهلاك الماء وعدم التبذير، والرفق بالحيوانات، وحماية الغطاء النباتي والغابي الوطني الكبير، بالإضافة لتعريفه بالمساحة الصحراوية الكبيرة التي تعطي ثلثي التراب الوطني، وبالمواقع السياحية الخلابة الجبلية الساحلية أو الصحراوية، دون أن ننسى مختلف الآثار القديمة المنتشرة في ربوع وطننا الكبير، لكون الجزائر كانت مهدا لكثير من الحضارات القديمة.

لقد عمدنا في دراستنا اختيار ثلاث مناطق مختلفة من جزائرها الحبيبة الشمال، الوسط والجنوب، للوقوف على جس حجم الاختلافات الاجتماعية والثقافية بين أفراد الشعب الجزائري، لكننا لمسنا من خلال إجابات الأساتذة والتلاميذ في كل المناطق التي مستها الاستبيانات، تقارب الإجابات وتمائلها في كثير من الأحيان في كل المناطق وسواء تعلق الأمر بالأساتذة أو التلاميذ، وهذا ما يدل على أن الثقافة الجزائرية واحدة، وأن أفراد الشعب بكل أطيافه وعاداته وتقاليده متقاربين في طريقة التفكير وفي طريقة الحياة، وهذا جواب كاف لدعاة الفتنة والتفرقة بين المواطنين، وأن هذا الاختلاف المحلي البسيط إنما حوله الجزائريون إلى عامل وحدة وتضامن وسلم وأمان.

أغلبية المستبنيين من المتعلمين سواء في الطور الابتدائي أو الطور الاكاديمي يعرفون كل المعطيات والمعلومات المتعلقة بوطنهم، فهم يعرفون جيران الجزائر، والتواريخ الهامة في الثورة التحريرية، وعدد الشهداء، ويعرفون الألوان والراية الوطنية، وفوق ذلك هم يحبون وطنهم ويحبون بعضهم بعضا، ويحبون أستاذهم ومدرستهم، وهذه القيم كفيلة من أن تجعل من هؤلاء مواطنين صالحين في المستقبل، لكننا لا نرى هذا على أرض الواقع، فإلى ماذا يعود المشكل؟ ربما الأمر يعود إلى ما تطرقنا إليه سابقا من أن القيم الوطنية غير واردة

بالحد الكافي، وغير موزعة بطريقة تتلاءم والمواعيد الوطنية المختلفة، أو تتلائم بالطريقة التي تكون عليها التربية على المواطنة القائمة على المناهج المواطنة المتواصلة في كل السنوات والأطوار، أو أن الأمر يختلف في المرحلة الثانوية أي في هذه المرحلة لا يستكمل المشروع التربوي الوطني، والعمل الذي انطلق فيه على مستوى الطورين الابتدائي والاكمالي، لم يمتد عملنا إلى المرحلة الثانوية لكن نتمنى أن يكون ذلك منا أو من غيرنا في المستقبل بحول الله.

نشير في الأخير إلى مجموعة من القيم الموجودة ضمن المجموعات السابق ذكرها، لكنها ليست بالقدر الكافي فهي بنسب ضئيلة، وغير مناسبة لأهمية هذا المحور، والتي يجب توفرها في المضامين الدراسية للطورين الابتدائي والاكمالي، وهي القيم الوطنية والمدنية، طبعا ليس على حساب القيم الأخلاقية والعلمية والمعرفية ولكنها من القيم يجب تكثيفها في مثل هذه الأطوار، لتربية الناشئة على حب الوطن وتوخي سلوكات وتصرفات المواطنة الحقيقية، وهو ما يساعد في تحسين وعيهم الحضاري والمدني، وزيادة مشاعرهم تجاه الوطن والأمة، ويكبر حبهم وولائهم للوطن.

تم الوقوف على احتواء مضامين الكتب المدرسية في الطورين الابتدائي والاكمالي على جل القيم المطلوبة والتي يجب توافرها، لكن ينقصها حسن البرمجة والتوزيع، وكذلك تم تسجيل ورودها بنسب متفاوتة صحيح أنه لا يمكن ان تكون جميعا بالنسب نفسها، لكن هناك من القيم التي يجب تكثيفها وتغليبها في مضامين الكتب، حتى يكون لها الوقع والتأثير الكبير على فكر وسلوك المتعلم، فالقيم الوطنية المعول عليها لصناعة وبناء مواطن المستقبل المحب لوطنه والمدافع عليه، جاءت بصفة محتشمة وضئيلة وينقصها التوزيع الجيد عبر مضامين الكتاب المدرسي، وعدم توافرها مع التواريخ الوطنية المعروفة كعيد الاستقلال وعيد الثورة وعيد الشهيد وعيد النصر. وبإختصار فإن قيم التي يجب توافرها في كل البرامج التعليمية، وهي قيم الجمال والخير والحق التي خاض فيها الفكر الفلسفي القديم.

خاتمة:

في ختام هذه الدراسة المتواضعة وقفنا على عدة نقاط مهمة منها: أن المواطنة تتميز بتعدد المفاهيم، واختلاف الاستعمالات، واختلاف حتى النظرة إليها بين الشعوب والمجتمعات، لكن تلتقي كل الرؤى والأيديولوجيات في أن المواطنة هي الممارسة الحياتية الاجتماعية الفردية والجماعية المتحضرة المتميزة والخاصة بكل مجتمع، وفق المعتقدات والقوانين والتنظيمات والعادات والتقاليد السائدة فيه، وهي معرفة كل الحقوق المشروعة وحدود القيام بالواجبات في أي مجتمع من المجتمعات وممارستها وتحريها، وتشجيع نهج الحوار والمشاركة والتسامح وقبول الآخر بإيجابياته وسلبياته، هي الوسيلة الوحيدة لتكريس مبدأ احترام سيادة القوانين والتنظيمات السارية المفعول، هي أساس التعايش والأمن والعيش في سلام بين الناس، وهي معيار تقدم الشعوب وتقدمها وتحضرها، وعليه فهي اللبنة الأولى لتأسيس ديمقراطية المواطنة الحقيقية.

تختلف المواطنة على الوطنية في كثير من الأمور، فالثانية هي الجانب النظري أو الفكري أو حتى العقائدي، أما المواطنة فهي الممارسة الفعلية لتلك الأفكار وتطبيقها في الحياة اليومية، لذا لا يمكن أن ننتظر مواطنة متحضرة ما لم يكن هناك التأسيس لفكر وطني حقيقي، الوطنية أكثر عمقا وأكثر ثباتا من المواطنة، فهي تكاد تكون واحدة لدى جميع الشعوب في حين أن المواطنة متغيرة حسب تغير الشعوب والمجتمعات تشكلها وتحددها والقوانين والتنظيمات والعادات والتقاليد والمعتقدات والتراث السائد في كل مجتمع من المجتمعات، الوطنية تعبير عن الفكر الفردي، في حين تمتد المواطنة لتشمل أكثر من واحد فهي التطبيق الجماعي للرؤى والأفكار، وهي متصلة بالجماعة والمجتمع والأمة والوطن، ولا بد لها من بيئة اجتماعية موسعة لاحتضانها وممارستها وهي الأسرة والمدرسة والمجتمع والوطن.

تبقى قضية المواطنة حاضرة في كل البرامج التنموية للدول والأوطان، سواء تلك السائرة في طريق النمو لتجسيدها والتخلي بثقافتها وتحضرها، أو تلك المتقدمة لتحسينها وتحسينها وتجديدها، وتحضى المواطنة بالاهتمام، والتحسيس على التربية والتعليم

عليها، لكونها وسيلة هامة في تنظيم علاقة الإنسان بغيره وبكل الوجود من حوله ومساهمتها الفعالة في حل كثير من المشكلات والسلوكات القائمة على الحقد والكراهية والفتن وأثرها في المساعدة على حل مشكلات التي تعيق مشاريع التنمية، وبعث ثقافة التعايش والسلام والحوار والديمقراطية وحرية واحترام الرأي، وسبل العيش السعيد في أمن وسلام سواء في البيت أو المجتمع أو في الوطن ككل، وهي - أي المواطنة- أساس بناء أي مشروع سياسي أو برنامج تربوي، لكونها اللبنة الأولى لكل أيديولوجية سياسية وتربوية، وذلك نظرا للتطورات الكبيرة التي يعرفها العالم في الوقت الحالي، فظهرت هناك مفاهيم جديدة للمواطنة، والتي تعبر عن تنوع الرؤى واختلاف السياسات، وسيكون من المؤسف تجاهل هذه الرؤى وتنوعاتها واختلافاتها، وعلى العكس من ذلك تعمل الدول على جعل هذا التنوع والتعدد والاختلاف في الرؤى والأفكار عامل اتحاد وقوة ونمو، وليس عامل تفرقة وفتن وحروب، والبحث عن حلول لأسباب النزاعات والصراعات الثقافية الكثيرة بين المجتمعات والشعوب، وتحقيق مبادئ المساواة والعدالة الاجتماعية ومبدأ تكافؤ الفرص بين الجميع.

إن هذا التفاعل الجديد والحوار المثمر بين الخطابات التربوية والتعليمية والثقافية المعاصرة والشراكة التربوية في العالم، يفرض علينا مراجعة وتعديل كثير من الأشياء التعليمية والبيداغوجية والوطنية لمواكبة هذه الحركة التطورية السريعة، والتشبع بالقيم الإنسانية العالمية، لتحقيق المواطنة المنشودة، المبنية والمنطلقة من التراث المحلي والثقافة الوطنية، وعلى ترقية تعليم التربية الدينية والأخلاقية والمدنية، لتنشئة المتعلمين على الجرأة في التفكير والفهم والمعرفة والمشاركة في جميع المشاريع، وذلك من خلال مراجعة المناهج، البرامج ومضامين التعليم والتربية على المواطنة، إن الماضي التراثي الذي يمثل الدين والتاريخ خصوصا، هو أحسن تمثيل لذاكرة الشعب وروحه.

أما التربية والتعليم على المواطنة والوطنية، فيتفق معظم المربين على أن الهدف الجوهرى للتربية يتمثل في التربية على المواطنة الصالحة، من خلال تكوين المواطن الصالح والفعل في خدمة نفسه ومجتمعه ووطنه الذي ينتمي إليه، إذن فالهدف من التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة هو تكوين الناشئة بصفة مستمرة ومتواصلة خلال

سنوات عمر الطفولة والمراهقة على حب الوطن والأخوة والوحدة، وتعزيز شعورهم وانتمائهم وحبهم للوطن الواحد الذي يجمعهم ترابا وتاريخا وتراثا، وتعزيز انتمائهم لقيم ومبادئ الوطن والمستقبل الجميل الذي ينتظرهم في ظل خدمة الوطن والدفاع عنه والاعتزاز برموزه وقيمه ومبادئه وأمجاده التي صنعها رجاله وأبطاله، وحماية بطولاته وثوراته وإنجازاته وثقافته المبنية على الاختلاف والتعدد، وحماية الموروث الثقافي الكبير المتنوع والمتعدد، في جو من الاحترام والحياد والديمقراطية، فالمواطنة هي البيت الاجتماعي الذي يسع الجميع على تنوعهم واختلافهم، ويحفظ حقوقهم وواجباتهم بأقلياتهم وغالبيتهم، بصرف النظر عن انتماءاتهم العرقية والدينية والمذهبية، فالمواطنة الحقيقية والجامعة هي التي تأخذ بعين الاعتبار عناصر التركيبة الثقافية والتراثية والاجتماعية والدينية واللغوية، فتؤسس المناخ المناسب لقيام وطن موحد ومتطور متنوع الثقافات، وتوفر شروط العيش السعيد في ظل الوحدة والسلام والحوار، وبعيدا عن النزعات والصراعات والفتن.

للتربية والتعليم على المواطنة علاقة وطيدة بالأدب العام، ويعتبر الأدب الروائي منه مصدر مهم في صياغة النصوص الأدبية التعليمية الحاملة للقيم الوطنية، ونجد الأدب الروائي الجزائري غزيرا ومتنوعا ومتعدد الألسن في هذا الشأن، كما هو الحال مع أعمال الراحل محمد ديب ومثلما تحقق مع "نجمة" كاتب ياسين في سماء الأدب العالمي، و"سأهبك غزالة" لمالك حداد و"الجازية والدراويش" لأب الرواية العربية الجزائرية عبد الحميد بن هدوقة، هؤلاء وآخرون ممن لا يزالون حتى هذه اللحظة يؤثثون بإبداعاتهم الفذة واجهة الأدب العربي والعالمي انطلاقا من الخصوصية المتميزة للثقافة الجزائرية الأصيلة المتفاعلة مع روح العصر، إن الثقافة الجزائرية على تنوعها وغناها تستحق أكثر مما هو متاح لها، مؤسسة ومتطلعة إلى إعادة تشكيل المشهد الثقافي وصياغة أدوات إبداعه وآليات تمريره بطرق حديثة، وأطر مستوعبة لكافة التغيرات السريعة الحادثة في عالم الثقافة والإبداع الأدبي والنقدي والفني. تلك التغيرات التي لم يبق - مجديا - معها التفكير في أنصاف الحلول والترقيع، لذا يجب العودة إلى الأدب الروائي الجزائري الثوري والوطني الملتزم والاهتمام به وتصنيفه، ويجب أن يكون اختيار النصوص الأدبية التعليمية الخاصة بالوطنية

والمواطنة في البرامج التربوية التعليمية نابعا من قلب هذا الأدب، فوطنية أديبنا وعمقها بعيدة عن أن تكون عصية على ناشئتنا وشبابنا.

تلعب الأسرة بصفتها الخلية الأساسية دورا في بناء شخصية المتعلم، بصفتها المؤسسة الاجتماعية الأولى التي تعود إليها عملية التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، وعلى التماسك واللحمة الاجتماعية، فهي مصدرا مهما لتكوين شخصية المتعلم القاعدية، وتتمثل مشاركتها في مساهمة أولياء الأمور في صنع القرار التربوي، ورسم رؤية المدرسة المستقبلية وتنفيذ برامجها المختلفة، وذلك من خلال مجالس الأمناء والآباء والمعلمين، حيث يستطيع أولياء الأمور من خلالها المساهمة في كل الأنشطة التي تساعد على رفع مستوى العلمية التعليمية والتعليمية. دون أن ننسى دور المؤسسات الدينية المختلفة كالزوايا والمساجد في غرس قيم ومبادئ الوطنية والمواطنة والتربية على حب الرموز والثوابت الوطنية، وكما رأينا فالترقية على الوطنية والمواطنة لا يمكن أن تتحقق على الوجه الأكمل إلا بوجود تعاون وثيق بين الأسرة والمؤسسات الدينية والثقافية الفاعلة في المجتمع من جهة وبين المدرسة من جهة أخرى، ويتطلب ذلك التنسيق والتكامل مع المؤسسات الأخرى ذات الصلة التربوية التي يتعرض لها المواطن كوسائل الإعلام السمعية والبصرية والمكتوبة، فالبيئة والمجتمع اليوم معلم أساسي يزاحم المدرسة والأسرة، وبالتالي فإن أي تعلم أو خبرة يحصل عليها الطفل من المدرسة لا يمكن أن تحقق أهدافها ما لم يكن هناك تفاعل وتعاون وتنسيق بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، إلى جانب دور المدرسة والأسرة والمسجد في تنمية قيم المواطنة لدى التلاميذ تعتبر مؤسسات وجمعيات المجتمع المدني القريبة من المواطن، قنوات أخرى لا تقل أهمية في سبيل انجاح المسار التعليمي والمدني والحضري والديمقراطي، وفي بناء دولة المؤسسات العصرية، التي يمارس فيها كل المواطنين حقوقهم وواجباتهم وأنشطتهم المختلفة في ظل العدل والمساواة واحترام القوانين والنظم المعمول بها، واعطاء مثال عن الثقافة المدنية القائمة على التحضر والمواطنة، بعيدا عن الثقافة القديمة القائمة على التعصب والتطرف والفرقة، وهنا فقط تتأكد الوطنية والمواطنة الفعلية في المجتمع والأمة والوطن، وما نؤكد عليه أنه لا يمكن أن تكون القدوة أو النخبة في المجتمع جاهلة ونفلح في إقناع المتعلم أن العلم هو أساس النجاح، كما لا يمكن أن يكون تزييف الواقع هو السائد ونفلح في

إقناعه أنه عليه أن يتحلى بالصدق والأمانة والإخلاص، ولا يمكن أن تكون الوسائل غير المشروعة في الكسب هي السائدة وتفلح التربية الإسلامية في تلقين العمل هو أساس الثروة ومفتاح النجاح، وقس على ذلك باقي القيم الثقافية والعملية والعالمية التي تتحرك ضمنها أجيال اليوم، كلها تكاد تناوى ما يسعى جزء من التربية إلى القيام به لتصحيحه.

أثبتت التجارب الاجتماعية أن للمدرسة دورا كبيرا في التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، وفي نشر مفاهيمهما وما يتعلق بهما من معارف وأفكار وسلوكات وقيم ومبادئ، وتعمل المدرسة على تجسيد وتمثيل هذه المعارف والمبادئ والأفكار والمشاعر في تصرفات التلاميذ وسلوكاتهم الحياتية المختلفة، وتربيتهم على القيم والإيمان بها وتكريسها في أذهانهم لترجمتها في واقعهم اليومي، وتدريب وتمارين أذهانهم على السلوك الوطني، وشحنه بكل المعارف والمعلومات المتعلقة بالحرية والعدل والمساواة والاحترام وحقوق الاختلاف وحرية التعبير، ورفع من روح الوطنية لينخرطوا جميعا في إصلاح وبناء هذا الوطن الذي نحبه ونغار عليه. إن منظومة القيم الوطنية عامة لا يمكن بناؤها خارج التنشئة الاجتماعية، والتي تعتبر المدرسة حاضنتها الأساسية، وتغيب دورها الاجتماعي والحضاري والوطني، سننتج مواطنا عديم الحس الوطني والانتماء الجماعي. المدرسة هي القناة الأولى لتعريف الناشئة بحقوقهم وتعويدهم على القيام بواجباتهم، وتعزيز الانتماء والولاء للوطن وحبه والدفاع عليه لديهم، وعلى منجزاته وتاريخه وبطولاته، وإكسابهم الهوية والشخصية الوطنية، وربط كل المتعلمين بهويتهم وتراثهم وبوطنهم، وأن تنثر لديهم مشاعر الاعتزاز والفخر والانتماء للوطن، فالمدرسة هي البيئة الناجحة للتربية على المواطنة، من خلال إثارتها لأهم القضايا الاجتماعية والمدنية التي تهم الناشئة، فيتعودون على المناقشة والحوار والاحترام والتحرر والاعتماد على النفس، ومسؤولية اتخاذ القرارات وتحمل نتائجها، ومعرفة جميع حقوقهم وواجباتهم، وهذا كله يتم داخل المدرسة، لذا يجب أن تكون هذه الأخيرة مفتوحة لمشاركة ومساهمة الجميع من معلمين ومتعلمين وأولياء ومقررين وإداريين ومسؤولين، لتحسين الفاعلية والأداء من جهة، وتحسين وتمتين وتقريب العلاقات والتماسك الاجتماعي بين كل هؤلاء من جهة أخرى، وغرس ثقافة قيم التسامح والحوار والتماسك والاتحاد في ظل احترام الآخر واحترام الحريات مما يزيد من وحدتهم وولائهم

وشعورهم بالمصير المشترك، وتقوية شعور حب الوطن والدفاع عنه، وبذل كل ما يملكون من أجل حمايته والعمل المشترك لتقدمه وتطوره.

ومن الأدوار الأساسية المنوطة بالمدرسة أيضا تشجيع وتعويد المتعلمين على المشاركة في الأعمال الجماعية والتطوعية كحملات تنظيف الشوارع والأحياء وعمليات التشجير وحماية البيئة والمحيط، بالإضافة لتلقين الأطفال المبادئ والأخلاق الدينية السمحة، والقيم الانسانية السامية، وتربية الأطفال على حب الخير وحب الوطن والغيرة عليه، وحب الرموز والمبادئ الوطنية وحب كل المناسبات والمواعيد والوطنية، والتفاعل معها والمشاركة والمساهمة في الاحتفال بها وتذكرها، وتعزيز انتشار الثقافة والتاريخ الوطني، وفهم معاني الألوان الوطنية، وقيمة النشيد الوطني، بالإضافة لتهديب سلوك المتعلم، وتعليمه حب الآخرين والأحسان إليهم، وتبليغ المتعلم جغرافية وتاريخ الوطن وأهميته الاقتصادية والثقافية، وكل ما سبق هو التحدي الذي تحاول المدرسة النظامية العصرية رفعه، للتأسيس لمدرسة التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، وهو ما يعرف بالاستثمار في الكائن البشري والاهتمام به، وتحقيق مشروع المجتمع الديمقراطي والحضاري العصري، الذي يكون فيه الطفل والمتعلم هو الهدف من كل الإصلاحات التربوية والتعليمية، فيكون المتعلم جزءا وعضوا هاما في العملية الكبرى التي تهدف لبناء الوطن ووحدته، ومن خلال تهيئة الجو لهذه النظرة العصرية لطريقة الحياة والتربية والتعليم، تصبح المواطنة وعيا وثقافة في نفسية وسلوك وتصرفات المتعلم، وتكون المواطنة أيضا وسيلة وغاية في آن واحد، وسيلة يستعملها الانسان لضمان حقوقه وواجباته وحرياته وعيشه، وهي غاية كل البرامج والمشاريع التربوية الاصلاحية لضمان تعليم الناشئة والشباب، ونتاج المواطن الصالح الذي يخدم أمته ويحب ويدافع عن وطنه.

الكلام عن المدرسة يقودنا للكلام عن المعلم والمكون فهو الآخر لا يقل أهمية في التربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، وله دور حاسم في تفعيل ودفع التربية الهادفة والتعليم الموجه لتكريس القيم والرموز والمبادئ الوطنية، يسود إجماع عام بين التربويين على أن دور المعلم في تنمية قيم المواطنة، هو الأساس دون غيره من العاملين

بالمدرسة وتتعدد أدوار المعلم في مجال تنمية المواطنة، حيث تبدأ من غرس روح الانتماء والولاء للمجتمع وللأمة وللوطن، وتعلمهم مختلف العلوم والمعارف والأفكار والفنون، وتربيتهم كذلك على التصرفات والسلوكات الحميدة المتعلقة بحب الوطن والدفاع عليه والحفاظ على مكتسباته، وتشجيع وتحفيز المتعلمين على حماية البيئة والحفاظ على المحيط وكل المرافق الوطنية ذات الاستعمال الجماعي كالحدائق والمدارس والمؤسسات الاقتصادية والطرق والأشجار وكل ما يدخل في تشكيل البيئة والمحيط، ونهيمهم عن السلوكات والتصرفات المثيرة للفوضى والفتن والتفرقة، والساعية لخراب ودمار الوطن، وكل أشكال التخريب والفساد وما ينتج عنها من ضرر للفرد والمجتمع والوطن.

تشكل مرحلة المراهقة في حياة الطفل مرحلة مفصلية ومعقدة، فالطفل في هذه المرحلة يكتمل نموه الجسمي والعقلي، ويجعل لشخصه مكانة في المجتمع، فيبدأ في تكوين علاقات كثيرة ومتنوعة بغيره من المراهقين والشبان. فيشتد ارتباطه بهم ويذوب في بوتقتهم، ويزداد ولاءه لهم. تحصل هذه الارتباطات والعلاقات - غالباً - على حساب الأسرة والمدرسة، فيحس بالانجذاب لهذه الجماعة وتفتر علاقته بالأسرة والمدرسة، اللتان تفقدان السيطرة عليه، وهو ما يحتم عليهما مراقبة سلوكات وتصرفات المتعلمين، وتصويبها وتوجيههم الوجهة الصحيحة، فلا يتركوا له الفرصة لولوج عالم الانحراف والضياع، ويجانب المخدرات ويحترف الجريمة.¹ إن مرحلة المراهقة مرحلة دقيقة يمر بها المتعلم، لما فيها من تغيرات جسمية وعقلية واجتماعية واضحة على المتعلم، لذا يجب العناية بهذه المرحلة الحساسة، عن طريق مراقبة سلوك المراهق واعتماد أسلوب الحوار والمناقشة في معالجة الجوانب السلبية، وتحفيزه و بث روح المنافسة بينه وبين زملائه لاستثمار طاقاته في الجانب الاجتماعي والوطني، والتأسيس لتكوينه على مبادئ الوطنية، وعلى قيم المواطنة، فنصنع منه مواطن المستقبل الواعي بمسؤولياته وحقوقه وواجباته والمحب لوطنه ولأمته.

¹ - ينظر، إبراهيم وجيه محمود، المراهقة خصائصها ومشكلاتها، دار المدى للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ص60.

في غمار هذا الانفجار المعرفي الهائل الذي دفع إلى إعادة النظر في كل شيء، ووضع كل مبدأ ومعتقد موضع المسائلة، وذلك إلى نحو أدنى من صراع التفسيرات، وتنافر التنظيرات، والتعدد اللافت في المقاربات النقدية والتعليمية، لقد كان محتوما على مؤسساتنا التربوية والتعليمية الاتجاه نحو إعداد الدراسات الآنية والمستقبلية لتحسين المردود التعليمي وإصلاح السلوك الاجتماعي والحياتي للمتعلمين، والعمل على البحث عن حلول معرفية وعلمية كافية وشفافية للمشاكل والأزمات التربوية الاجتماعية، والحفاظ على تلك الديمومة والاستمرارية التي انطلق فيها منذ الاستقلال، إن هذا بالضرورة يحتم - أكثر من أي وقت مضى - تفعيل آليات التربية والتعليم والتحول المعرفي والتفاعل بين المتعلمين في المجتمعات التربوية والتعليمية التي تتفاعل سلبا أو إيجابا مع المضامين التربوية والثقافية الوافدة والجديدة، ان تطور دراسات التلقي تمثل إسهاما في نظرية الاتصال، وفي تقدير وظائف الإنتاج والتلقي والتفاعل، وذلك برد الاعتبار إلى القارئ والمستمع والمشاهد، وهم المتلقون الأساسيون في الدراسات الأدبية والتعليمية، بغية الوصول إلى نظرية عامة في الاتصال متداخلة الاختصاصات تشتمل على رؤية إنسانية متكاملة وشاملة، تعيد توظيف وصياغة المضامين الفكرية لإنتاج خطاب وطني محلي يستمد مرجعيته من تاريخ الجزائر وثوابتها ومن رموزها وبطولاتها، ومن المرتكزات الفاعلة في الموروث الثقافي الجزائري من لغات ودين وتراث وعادات وتقاليده، وفي الراهن الحضاري والمستقبل المأمول. إن ما نراه اليوم من سلوكات وتصرفات في مؤسساتنا التربوية، يشعرونا بعدم الرضا عن ما وصلت إليه منظومتنا التعليمية، ويدفعنا للبحث عن البدائل والإصلاحات التعليمية اللازمة، انطلاقا من واقعنا الاجتماعي والتعليمي، فتصور أي مشروع تربوي ناجح بمعزل عن الوضع الثقافي والاجتماعي المحلي، وفي ظل سيطرة سلطة المجتمع والمؤسسة السياسية، يبقى حلما بعيد التحقيق، بل وهما وسرابا، لأن الإصلاح التعليمي الحقيقي هو المشروع الذي ينطلق من عمق المجتمع، ويعيد بعث وإنتاج القيم والمبادئ والرموز والثوابت الوطنية والعادات الثقافية والتراث.

وقد تم الخروج بنتيجة أخرى، وهي أن محتوى النصوص الأدبية في المرحلة الابتدائية والاكاديمية قد توافرت فيه معظم القيم والمبادئ والرموز الوطنية المعبرة عن

تاريخ الجزائر وتراثها وعاداتها وتقاليدها المبنية على التعدد والاختلاف، لكنها بدرجات متباينة، وتوافرت أيضا القيم الأخرى كالقيم العالمية والانسانية المشتركة بين جميع سكان العالم، لكن ما لاحظناه هو غياب التقسيم المدروس والعقلاني لتوزيع تلك النصوص وتقديمها للمتعلمين، فنجد محورا واحدا تحمل كل نصوصه قيما وطنيا، متبوعا بعدة محاور خالية من نص وطني واحد، فتقسيم هذه النصوص وتوزيعها عبر البرنامج الدراسي والتوزيع الاسبوعي والشهري والسنوي مهم جدا في مرحلتي الابتدائي والاكاديمي، فهو ما يجعل القيم ترافق المتعلم وتكبر معه في ذهنه وشعوره واحساسه، فتصبح تلك القيم من معتقداته ومبادئه وفي سلوكياته وأفعاله.

تم تسجيل سيطرة نوعا من الفكر الجديد على عقول المتعلمين، رغم صغر سنهم وحدائهم، وهو ربط العملية التعليمية التعليمية ككل بالعمل والشغل، فطغت الاحتجاجات والمسيرات والعنف في المدرسة وأصبح هم المتعلم هو الحصول على الشهادة على حساب التحصيل العلمي والأخلاقي والفكري للوصول والظفر بمنصب عمل بعد نهاية الدراسة، فالتربية على المواطنة هي التربية على مجموعة من القيم الثابتة التي تتجاوز تعليم الأفكار والمعارف، فهي التربية على الأخلاق على العادات والتقاليد والتراث الوطني المتنوع وعلى القيم، وعلى التفكير السوي، وهذا ما أصاب مدارسنا بتدني المستوى وتراجع المردود، لذا يجب تغيير المفاهيم والأفكار والعمل على تغيير الخطاب العام في المجتمع وفي وسائل الإعلام، وهذا لا يتأتى إلا بالوعي والتحسيس الذي تشارك فيه كل مؤسسات المجتمع المدني والرسمي، وتحسيس المتعلمين بأهمية المدرسة على الجانب السلوكي والأخلاقي والمعرفي والقيمي، فهناك كثير من دول العالم المتطور، أصبحت تعتمد على الخبرة والتطبيق في التوظيف وليس على الشهادة، ومن تلك الدول كندا التي استفدنا من تربص بها، حيث تتم عمليات التوظيف دائما بإجراء امتحان تطبيقي ميداني أولي بعيدا عن الشهادة، وان كل ذلك بالنجاح، فأنتك توجه لفترة تكوينية خاصة بطبيعة عملك قبل مباشرته.

كما لاحظنا انتشار ظاهرة العنف واستفحالها في المدارس بكل أنواعه المادي واللفظي والمعنوي، يمارسه المتعلمون والمعلمون والإداريون على السواء، وانتشار

الجريمة والمخدرات وحتى تعاطي الخمر والدخول في حالات سكر إلى الفصول الدراسية. إن ما تحمله الجرائد من جرائم يومية تحدث في المدارس لأمر يندى له الجبين ويدعو إلى مراجعة تربوية تعليمية اجتماعية سياسية كبيرة. إن أغلبية السلوكات المنافية لقواعد الحياة المدرسية تحدث داخل القسم وفي المحيط الخارجي المباشر للمدرسة وتقضي إلى تعطيل سير الدروس وإلى توتر في البعد العلائقي بين كل المتدخلين، وأفضى انتشارها إلى اعتبار المدرسة موطنا للعنف ومصدرا له، وهو ما يجعل كل العملية التعليمية في خطر.

رغم ما تحقق في مجال التعليم كما وكيفا، وإعتباره حقا من حقوق الإنسان، وأحد الآليات الهامة لتحقيق التنمية في المجتمع، ومكسبا وطنيا وإجتماعيا كبيرا، إلا أنه يبقى بعيدا عن الأهداف والمرامي المأمولة، ويبقى عملا اصلاحيًا كبيرا يجب القيام به، فلقيام بأي ثورة إصلاحية تشخيصية هادفة في المجال التربوي، التعليمي، الاجتماعي والسياسي، بغرض تحفيز وحلحلة الحس الوطني لدى الناشئة، يجب أن لا يكون هذا الإصلاح مشروعًا منعزلا ومستقلا، بل هو عمل لا ينفصل عن تنمية البنية المجتمعية والثقافية، إنه مشروع إصلاح للثقافة وللقيم وللإنسان، ومن ثم فإن إصلاح التربية والتعليم لا يستطيع دون إقامته على فلسفة تربوية توجهه وتنظم عناصره، وتحدد أهدافه بشكل صريح أو ضمني، يؤدي لغايات تكتسي مشروعيتها من فلسفة المجتمع ومن منظومة القيم التي تؤسس وجوده الحضاري، بناء على مجموعة من العناصر التي تحدد منظور هذا المجتمع وعلاقته بالكون والإنسان والحياة، انطلاقا من المنظومة الفكرية التي توجه رؤيته إلى العالم، كما يجب أن تشارك فيه كل الأطراف الفاعلة في العملية التعليمية من الأسرة والمدرسة والمختصين الإداريين والاختصاصيين النفسيين والاجتماعيين، ويجب تثمين كل الجهود وكل المحاولات الإصلاحية السابقة، وإعادة النظر في كل المقررات وطرائق التدريس، وتحسين المناخ المدرسي والإطار البيداغوجي، ومراجعة المضامين والأنشطة الدراسية، وفتح الأبواب لمشاركة ومساهمة الجميع في إثراء المضامين وتحسينها، وتحسين المستوى الاجتماعي والمدني والحضاري للمواطن، والأخذ بعين الاعتبار كل التجارب والخبرات ويجب الاستفادة من كل القدرات والمهارات الناشطة في الميدان، وضرورة الاعتناء بالإطار التكويني والتعليمي، واعطاء أهمية كبيرة في عمليات الانتقاء والتأهيل والإعداد، والعمل

على رفع مستوى أدائهم عن طريق عمليات الرسكلة والتكوين والتدريب المتواصل، وترك الأمور لأهلها إنه لنوع من غياب التواضع أن نقوم بتدريس نظرياتنا الأدبية بدل الأعمال الأدبية، إن هذا القول ينطبق على بعض الباحثين الذين يحاولون الظهور كتربويين ومكونين، يستنون القوانين ويجربون المناهج التربوية المختلفة وهم لا يمتثلون بأية صلة لميدان التربية والتعليم، فما عليهم إلا ترك المكان لأهله، لقد آن الأوان لتطهير الساحة والفضاء التربوي والتعليمي من كل الشوائب والمعوقات التربوية، لمواجهة التحديات المفروضة على المجتمع التعليمي والتربوي، وتفعيل عملية التنبؤ والتحضير لمشروع تعليمي إصلاحي واعد وشامل، وتحديد أبعاد ومنطلقات تشكيل الخطاب التربوي والتعليمي اللازم الذي يأخذ في الحسبان قضية التربية على الوطنية والمواطنة، ويجب الحصول على التقنيات والوسائل الضرورية كالتحكم في التكنولوجيات العصرية، وتنمية القدرات والمهارات لدى المعلمين والمتعلمين على السواء، والاهتمام بالموروث الثقافي والتراث من عادات وتقاليد، وإعادة الاعتبار للتاريخ الوطني، وللثورة التحريرية المجيدة، وللشهداء، ولكل انجازات الشعب الجزائري، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص، والتعليم للجميع وتكريس مبدأ العدالة الاجتماعية، وتفعيل الحوار بين المؤسسات التربوية والثقافية المعاصرة، ومراجعة المناهج والسياسات التعليمية، وتطعيمها بما استجد على الصعيد الدولي في مجال التعليم والتربية لمواكبة حركة التطور، والتشبع بالقيم الإنسانية السامية، وترقية وتنشئة المتعلمين والجيل الجديد على روح المواطنة، وعلى الجرأة في التفكير والممارسة السوية في الحياة والفهم والمعرفة.

أما للنهوض بالمشاريع التربوية والتعليمية في وطننا، فيجب تشخيص واقعنا الاجتماعي والتعليمي الخاص، وتحديد الأسباب والمشاكل والمعوقات المختلفة لهذا الوضع المتدني، ثم الانتقال إلى التنسيق والمقارنة بالأنظمة التربوية التعليمية الرائدة في مجال التربية والتعليم حول العالم، للاستفادة من تجاربها وخبراتها في الميدان، والتحسيس بالطابع الاجتماعي والإنساني للتربية، وعزل العملية التعليمية التعليمية عن كل المزايدات والمساومات التجارية والسياسوية، وترقية البحث العلمي والدراسات والبحوث العلمية في مجال التربية والتعليم، واستثمار الوسائل التكنولوجية العصرية، وذلك بإنشاء مراكز بحث ومخابر تجارب متخصصة في مجال تعليم الوطنية والتربية على المواطنة. دون أن ننسى

توفير كل الشروط اللازمة للتعليم البيداغوجي، وتشجيع عملية تبادل بعثات المعلمين والخبراء بين الدول من خلال المشاركة في الملتقيات التربوية الوطنية والأقليمية والعالمية، لما له من أهمية في تحسين مستوى كفاءات ومهارات المعلمين وتحسينها، لقد كان لاحتكاك الأدب العربي بالأدب الغربية الفضل في أن التفت أدباؤنا الى ما عند الغربيين من مذاهب وفنون ونظريات وطرق تعليمية، فبدؤوا بتقليدهم ونقل ما عندهم، ثم الاستفادة من الثورة المعرفية لضمان حصول شامل على المعلومات والمعارف، واكتساب رؤية شاملة بكل الثقافات الوطنية والعالمية، وبالنظم والقوانين السائدة في الوطن وفي العالم، واتجاهات المجتمعات المعاصرة، وضرورة إشراك المختصين في علم الاجتماع وعلم التاريخ وعلم النفس والاستئناس بنتائج بحوثهم ودراساتهم، وعلى ذلك علم النفس فأدوات التحليل والإجراءات التي تستخدم المنظور النفسي غالبا ما تنجح في إضاءة جوانب هامة من مشاكل وأزمات العملية التعليمية، فتقدم الحلول المناسبة لمختلف الحالات النفسية المعيقة لعملية التعليم والتعلم.

ولاستمرار روح المواطنة في المجتمع يجب أن تكون مدعومة بأيدولوجية ديمقراطية حتى لا تفقد معناها، ويجب مواكبة تطور العصر باستخدام التكنولوجيا الجديدة والعصرية، وكل وسائل الاتصال الحديثة التي نجحت في تحقيق حلم الإنسان في التلاقي والتواصل والتقارب، رغم الحدود المكانية والزمانية، ورغم اختلاف الأصوات واللغات، واستثمارها في ترقية المسار التربوي وتحسين الأداء التعليمي والممارسة الاجتماعية، والاهتمام بالمعلم والمتعلم عن طريق التكوين العلمي والبيداغوجي والتحسين والتحسين المستمر لخبراتهم، وإشراكهم في وضع المشاريع التربوية والسياسات التعليمية، فالمواطنة تعلم بواسطة بيداغوجيا مدروسة مبنية على فهم القواعد الديمقراطية، وعن طريق الممارسة الاجتماعية والسياسية الحقيقية، وللتعليم على المواطنة يجب الاهتمام بالترجمة التربوية عن طريق وضع استراتيجية خاصة بها وتفعيل آلياتها لتسهيل عملية تحويل المعرفة لمستخدمي قطاع التربية والتعليم في الوقت المناسب، وإنشاء ورشات عمل وبحث وتقييم وتقويم مستمرة ودائمة في ميدان التربية والتعليم، تتكون من فرق وأفواج باحثين ودارسين في تخصصات مختلفة، تسيرها وتراقبها مؤسسة رسمية مؤهلة ماديا وعلميا وبشرياً، للعمل بعيداً عن كل

الضغوطات والمساومات، لكن المنظومة التربوية لا يمكن أن تتحمل وحدها عبء هذا التغيير، فهي غير مطالبة بتشكيل نمط تربوي محدد، لكن لها القوة الكافية لتأسيس برنامج طويل المدى تحت مظلة تنظيم مركزي، متفتح على القيم والمبادئ الوطنية والعالمية المعروفة، وهذا ما يعيد طرح الخطاب الخاص باستقلالية المنظومة التربوية وشفافيتها وموضوعيتها، إنها مطالبة بأن تكون متفتحة على التغيرات التي يعرفها العالم، في الوقت نفسه مطالبة بضبط برنامج بتوابل وبهارات تحمل شيئاً من ذوقنا وبيئتنا ومحيطنا وتركيبتنا الثقافية الدينية والأدبية، ويتلاءم وعادات وقيم وتراث الوطن وتاريخ وبطولاته وإنجازاته المبنية على التعدد والاختلاف. بهذا فقط نؤسس لمدرسة الأصالة والمعاصرة المتفتحة على كل علوم وثقافات العالم، يختار منها أحسنها وأفيدها للبلاد والعباد. وبالتأسيس لهذه المدرسة وهذه البرامج نبقي المتعلمين على اتصال دائم بأسلافهم، يحملون شعور الانتماء والولاء للوطن وللأمة. فيندفعون كافة لخدمة الوطن والدفاع عليه. أمام هذا التدفق الهائل والمتلاطم لأمواج المعرفة والعلوم الوافدة من كل الجهات، يطالب المنشغلون بالحقل التربوي التعليمي أيضاً باختيار وانتقاء الكم المعرفي والنوعي المناسب والأصلح لخدمة القضايا الوطنية، وتنمية قيم ومبادئ المواطنة في نفوس المتعلمين، والمساهمة في حل مشكلات التنمية التربوية والتعليمية في مجتمعاتنا، وفي تنمية الفكر النقدي البناء، والشعور الوطني لدى المتعلمين، وزيادة حبهم لوطنهم وأمتهم ومجتمعاتهم.

ورغم كل المجهودات المبذولة والأموال المصروفة وكل الإمكانيات المادية والبشرية المسخرة لأجل إنجاح العملية التعليمية تبقى هذه الأخيرة من أعقد العمليات وأصعبها، خاصة إذا اقترنت بأهداف وطنية معينة، وبغرس قيم المواطنة في نفوس المتعلمين وإصلاح سلوكياتهم وتصرفاتهم، في ظلّ هذا العالم الرقمي المهيمن. فرغم كل هذه الإصلاحات وضخامة الأموال المرصودة والعمل الكبير فإنه لمن المؤسف أن يخرج أبنائنا من مدارسنا حاملين كل أنواع الحقد والعداء نحوى هذا الوطن المفدى، ونختم بقول محمد عبده: "من يريد الخير البلاد فلا يسعى إلا في إتقان التربية وبعد ذلك يأتي له جميع ما يطلبه إن كان طالبا حقا"، وبمناسبة الاحتفال بعيد الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية الموافق لـ 5 جويلية 2017 أختتم بهذا الكلام الجميل للدكتور نور الدين السد على صفحته الفيسبوكية:

"بمناسبة إحياء ذكرى 5 جويلية عيد الاستقلال واسترجاع السيادة الوطنية لجزائرنّا الحبيبة أقدم أصدق التهاني وأخلص الأمنّي إلى المجاهدين الأشاوس وإلى المجاهدات الماجدات وإلى كافّة أبناء الشعب الجزائري الأبّي، وأترحم على الأرواح الطاهرة التي زهقت على ربّي وطني العزيز، أرواح الشهداء الأبرار شهداء الحرية والكرامة الإنسانية، هؤلاء الذين نعدّهم أكرم من في الدنيا وانبل بني البشر، رحم الله كلّ من أسهم بقطرة دم أو قطرة عرق من النساء والرجال لتنعّم أجيال وأجيال بنسائم الحرية، في جزائرنّا الغالية، وجزى الله الشرفاء الباقيين على العهد، الذين ما بدلوا تبديلاً...ونقدم الثناء والشكر والعرفان إلى كلّ الشعوب الحرة التي وقفت إلى جانبنا في المحن وناصرت ثورتنا المجيدة ودافعت عن حقوقنا الشرعية في استقلال الدولة الجزائرية الحرة الواحدة والموحدة، نعم من قيم ثورتنا المضفرة نستلهم العبر وندافع عن حقوق الإنسان ونناصر المظلومين في كلّ بقاع الأرض، والتهاني موصولة إلى حماة الوطن وصناع الأمل الذين يوصلون الليل بالنهار ولا ينام لهم جفن ويعملون بإخلاص في كلّ المواقع لمواجهة تحديات الراهن والمستقبل وتحقيق مزيد الأمن والاستقرار والتنمية والرخاء، لكم المجد والعزة حماة الوطن ولكل المخلصين الصادقين نقول: لكم عهدنا على الوفاء أيّها الشرفاء".

VII/ التوصيات:

انطلقت هذه الدراسة من ظاهرة تراجع قيم المواطنة في سلوكات وتصرفات المتعلمين في الحياة العامة، ابتداء من البيت الأسري وعبر الطريق إلى المدرسة في المدينة وفي المدرسة. وما عملي المتواضع هذا إلا (خطوة... بل مجرد إضاءة لشباب وفتيات هذه الأمة في كلمات جد بسيطة وسهلة ميسرة لعلّي قد أبلغ به أفئدتهم ومشاعرهم نحو وطنهم الذي يدينون له بالأمن والأمان وبكل لون من ألوان رايته الغالية)¹. وتعتبر عملية قياس صعوبات التربية والتعليم على المواطنة والوقوف عليها وتشخيصها، البوابة الأولى التي تسمح لنا بتحسين الأداء في الصف والسلوك في المدرسة، فتشخيص الظاهرة يبدأ من البيت منذ المراحل المبكرة بعد الولادة، وتستمر إلى مراحل الروضة والمدرسة، من خلال مراقبة سلوكات وتصرفات الطفل، وردود أفعاله وقدرته على توظيف حواسه ومهاراته وكفاءاته، ومن خلال فهمه لكل الرموز الاجتماعية². وبعد إثارتنا لكثير من المشكلات التعليمية المتعلقة بنوعية النصوص التعليمية المقدمة وأهميتها في تنمية روح المواطنة لدى المتعلمين، والتأكيد على دور الأسرة والمدرسة في تعزيز الشعور بالانتماء والولاء للوطن وغرس مفاهيم ومعاني التضامن والوحدة بين كل أفراد المجتمع، وبعد اجراء الدراسات التطبيقية والميدانية وبعد تحليل النتائج المتوصل إليها انتهينا إلى بعض الاقتراحات والتوصيات التي سنضعها من خلال عرضنا هذا أمام كل الجهات التي لها علاقة من بعيد أو من قريب بالعملية التعليمية التعليمية ومن أبرزها:

-/ تعد الأسرة (الأسرة البيئة الأولى لتنشئة الطفل والمحطة الرئيسية لتزويده بأهم أسس التربية التي ينبثق عنها إصلاح أو اعوجاج سلوك وشخصية الطفل... وهي المصدر في تكوين شخصية الطفل وانتمائه وهويته ووطنيته)³، ولها دور كبيرة في مساندة الطفل أثناء تعليمه ومرافقته للوصول إلى أفضل المستويات التعليمية، ويعتبر الوالدان مصدرا قيميا هاما، في تأسيس الخلفية الأخلاقية والوطنية للطفل وفي بناء شخصيته⁴. الآباء والمربيون هم

¹- نصيرة زميرلين، التعليم الإسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م—1962م)، ص 6.

²- ينظر: ماجدة السيد عبيد، صعوبات التعليم وكيفية التعامل معها، ص 51.

³- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية، ص 187.

⁴- ينظر: المرجع السابق، ص 205.

القُدوة العلمية الأولى فالمتعلمين مولعين بتقليد أوليائهم ومعلميهم، فعندما يرون أوليائهم مهتمين بقضايا الوطن وأحداثه وراهنه، ويشاركون بفعالية وإيجابية في التعاطي مع مختلف المشاكل التي تعرفها الساحة الوطنية، فهذا يولد لديهم عاطفة الولاء والانتماء للوطن وحب الوطن والانشغال بقضاياها، والاندفاع للعمل بحماس وقوة لخدمته والدفاع عنه أمام كل المخاطر التي تحدق به.

-/ الاحتفال بالأعياد الوطنية والدينية والتراثية وإحيائها، من شأنه أن يزيد رابطة الانتماء للأمة والوطن وتوطد العلاقة بين المتعلم والوطن، ويساعده على معرفة تاريخه وتراثه وعاداته وتقاليده، وتذكى لديهم عاطفة الاعتزاز والافتخار والتمسك بها، وبكل انجازات وأمجاد الوطن وبطولاته وأبطاله.

-/ حضور الطاقم الإداري والتعليمي للمدرسة، رفقة التلميذ أثناء تحية العلم ورفع الألوان الوطنية، والتفاعل مع الأناشيد الوطنية بحماس كبير، هذا من شأنه أن يعزز علاقة المتعلم بالراية الوطنية وبالنشيط الوطني، ويكون المعلم والإدارة هم القُدوة الأولى. كما يجب على القائمين على قطاع التربية (إعادة النظر في ما هو موجود في الإدارة المدرسية، لأن هذه الإدارة هي المسؤولة عن سير العملية التعليمية، ومن ثم لا بد من أن تدرس طبيعتها وواقعها جيدا، وتحدد خصائصها الإدارية والتربوية.. كحافز إيجابي وأساسي للعمل التربوي والإداري للرفع من فعالية الإنجاز الإداري والتربوي، بشكل جيد)¹. ويجب أن يكون كل هذا العمل الكبير (تحت إشراف المدرسة أو بتوجيه منها سواء داخلها أو خارجها، وهو ما يسمح بتحديد رقعة التواصل بين العاملين في هذا الحقل المعرفي)²، وعليها أن تجتمع بمعية الأولياء والمعلمين لضبط (سلوكات المنافية لقواعد الحياة المدرسية، وعلاجها في إطار جملة المبادئ والغايات المضمنة بالقانون التوجيهي للتربية والتعليم المدرسي والأمر المتعلق بتنظيم الحياة المدرسية... وكذلك الأدبيات والتجارب العالمية ذات العلاقة بالموضوع)³.

1- د. عبد الرحمن عزوق، أي استراتيجية لتعليم ناجح، جريدة الخبر اليومي الجزائرية، العدد: 7922، 26 سبتمبر 2015، ص 21.

2- عبد الله قلي، المناهج التعليمية وإشكالية المفهوم، مجلة العربية، العدد 02، السنة 2005، ص 97.

3- عبد الوهاب محجوب وبمشاركة مجموعة من الباحثين، العنف المدرسي دراسة السلوكيات المنافية لقواعد الحياة المدرسية، ص 123.

-/ تحسيس المربين والمكونين والمعلمين بأهمية الأناشيد الوطنية، وأهمية تقديمها في طابع موسيقى حتى يزيد الحماس المتعلمين وتفاعلهم، وضرورة توفير الآلات الموسيقية وليس الاكتفاء بالمسجلات فقط، ونكون هنا أمام مهمة تعليم قيمتين القيمة الوطنية والقيمة الفنية للمتعلمين، والحرص على تأديتها من طرف المتعلمين بصفة ارتجالية دون القراءة من المكتوب أيضا.

-/ تنظيم مسابقات وأمسيات أدبية نثرية وشعرية موسيقية عشية الاحتفال بالأعياد الوطنية، والاستماع إلى ما تجود به خيالات المتعلمين في الإنشاد والغناء الوطنيين، وتوفير كل الفرص للمتعلمين وتنميين مجهوداتهم ومحاولاتهم بجوائز قيّمة.

-/ التأكيد على تنظيم رحلات إلى المتاحف الوطنية وأثار الثورة التحريرية وكل الآثار الوطنية التي تزر بها بلادنا الحبيبة، بالإضافة إلى تنظيم رحلات إلى المسارح وقاعات السّما ودور الثقافة للمشاركة والحضور في كل التظاهرات الثقافية الوطنية من مسرحيات وأفلام، والاعتماد على الألعاب التربوية وتفضيل النشاطات الميدانية، فالطفل أكثر ما يتعلم في جو من المرح واللعب واللهو، وقد دافع كومنيوس أثناء تناوله لدور الصورة على هذا الجانب أيضا وقال: يتعلم الطفل أكثر ما يتعلم وهو يلعب ويمرح، ويجب على المعلم الحرص على مشاركة الجميع وانخراطهم اللعب والنشاط التربوي¹.

-/ دعوة المجاهدين والمؤرخين لتنظيم أيام دراسية ولقاءات مع المتعلمين بالمؤسسات المدرسية، وتفعيل احتكاكات مباشرة بينهم وبين المتعلمين لتقريب الأحداث والرؤى والانجازات والبطولات إلى أذهانهم، يقول مفدي زكريا في قصيدة "انذكروا الثورة في أقسامكم": (فاذكروا الثورة في أقسامكم) //// إن ساحات الوغى كالمعهد. وقرأوا فيها كتاب الشهدا //// فهو وحي الله، في معتقدي. واذكروا شعبا، على أشلائه //// قام في سوق المنايا، يفتدى².

¹ - ينظر الموقع الإلكتروني: <https://www.wikipedia.org>. بتاريخ: 08 ديسمبر 2017.

² - اللهب المقدس، مفدي زكريا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانا، الجزائر، درط، 1983، ص 197.

-/ مضاعفة النشاطات التعليمية لتنظيم مسابقات رياضية وثقافية وفنية في كل المناسبات الوطنية مثل عيد الثورة وعيد الاستقلال وعيد الطالب ويوم الشهيد وغيرها من الأعياد الوطنية الكثيرة، وتخصيص جوائز قيمة وهائلة وتشجيع الفائزين فيها وتكريمهم برحلات إلى المتاحف وآثار الثورة، وجوائز أخرى كبيرة ذات الصلة بالتراث والانجازات الوطنية. والزيادة من النشاط واللعب التربوي التعليمي (إننا باستخدامنا اللعب ومراكز الاهتمام الطبيعية للطفل أو المشروعات التي يضعها شخصيا، فإننا بدلا من أن نبعثر جهوده، نكون قد نظمنا العملية التربوية بصورة متينة. ولكن ذلك يقتضي ان تكون بالضرورة الوجهات التي يحققها الطفل هي ذاتها الوجهات التي تلئم تكوين فكر علمي حقيقي لديه)¹، ويتربى أيضا على سلوك اجتماعي أخلاقي مدني حضاري ووطني. فالنشاط يعد من أهم (مقومات العملية التربوية، التي تهدف إلى تربية النشء تربية متكاملة في جميع المراحل الدراسية المختلفة والنشاط هو وسيلة وحافز لإثراء المنهج وإضافة الحيوية عليه وذلك عن طريق تعامل المتعلمين مع البيئة وإدراكهم مكوناتها المختلفة، بهدف إكسابهم الخبرات الأولية التي تؤدي إلى تنمية معارفهم واتجاهاتهم بطريقة مباشرة)² في الميدان والبيئة، أما الرحلات والنزهات و(السفريات الترويحية التي تنظمها المؤسسات التعليمية، والتي تنظم دون أن يكون لها أهداف تعليمية ترتبط بالمنهاج الدراسي بصورة مباشرة، فإنها تحقق متعة كبيرة للطلبة ومن شأنها تنشيط طاقاتهم الفكرية والذوقية والبدنية. كما تسهم في توسيع مداركهم وخبراتهم الحياتية، وتوفر لهم فرصة أكبر للتقارب الاجتماعي فيما بينهم، ومع مدرسيهم، وتساعد في توفير بيئة تنسم بالألفة والمودة والاستقرار النفسي. وكل ذلك ينعكس إيجابا على دافعيتهم نحو التعلم، ومدى تفاعلهم مع زملائهم، والتالي مع المؤسسة التعليمية نفسها)³.

-/ يتحمل المعلمون مسؤولية (تربية النشء على المواطنة والتفاهم والتسامح والسلم واحترام حقوق الآخر، والوعي بالحقوق والواجبات....ونبذ العنف واحترام الآخرين والإلتزام بالسلوك الحضاري)⁴. لذا يستلزم أن تكون عمليات إعادة رسكلة المربين باستمرار، وتكثيف عمليات التكوين المتواصل في المجال البيداغوجي والتعليمي المعاصر، (تتطلب المدارس

¹ - بلماد غي، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص110.

² - إبتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، ص49.

³ - حارث عبود، الاتصال التربوي، ص241.

⁴ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص193.

الحديثة جهازا ضخما نسبيا مكونا تكوينا فنيا عاليا. ويقتضي كل إصلاح عام في اتجاه النزعة الفعالية في التربية، بالدرجة الأولى، ازديادا في الجهاز التعليمي. كما يقتضى تأمين مكانة لائقة لهؤلاء الذين يعملون في التعليم كي تتمكن الدولة من التأكد من تكوينهم العالي. ولكننا نعتقد أنه يجب أن تطرأ على تكوين المعلمين اصلاحات جذرية كفيلة بتحقيق ذلك¹. كما يجب العمل على تحيين معارف وأفكار المعلمين والمربين والمكونين، وتحسيسهم بالأنشطة التربوية الهامة فيما يخص التربية على المواطنة، من خلال تحسين لغتهم وخطابهم الوطني، وتكييف كل المناهج البيداغوجية والطرق التعليمية فيما يخص التربية والتعليم على المواطنة. (فتكوين الدول لمعلميها في مختلف الأطوار نابع من وعيها المتزايد بدور المعلم داخل النظام التربوي، نظرا لمكانة المعلم داخل المجتمع الذي ألقى على عاتقه مسؤولية نجاح² أبنائه وتربيتهم على الأخلاق والسلوكات السوية).

-/ الاستعانة بعلماء النفس وعلماء الاجتماع، ولما لا علماء التاريخ في كل المؤسسات التربوية والتعليمية، للاستفادة من ملاحظاتهم ونتائجهم في عمليات الإصلاح والتجديد التربوية والتعليمية، والاستفادة من الطرق الحديثة في التعامل مع الطفولة والشبية. فقد أثبتت الدراسات الحديثة عن وجود علاقات كبيرة بين المعارف والتعلمات وبين نفسية المتعلم ومزاجه، كما أثبتت الدراسات تلك الروابط النفسية المتشابكة والمعقدة التي يقيمها المتعلم مع النصوص التعليمية، وأثر بواعثها وأهدافها ووظائفها على نفسية المتعلم³.

-/ التكتيف من الدورات التدريبية الميدانية، والاستعانة بعمليات التفتيش والتقويم والتقييم للوقوف بدقة أمام كل النقائص والمشكلات التي يعاني منها المعلم والمتعلم، وللقيام بعمليات التدخل للإصلاح في وقتها المناسب وعدم تركها تتفاقم وتخرج عن السيطرة.

-/ تنظيم حملات تطوعية مساء يوم من أيام الاسبوع لتنظيف المدرسة أو الساحة أو حتى الشارع أو المحيط الذي توجد به المدرسة، في جو من المشاركة والتعاون والتكافل، ولا ضير ان يشارك فيها الاولياء أيضا، وبحضور كل الطاقم التعليمي والاداري والمهني

1- بلماد غي، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، ص111.

2- د. عبد الرحمن عزوق، أي استراتيجية لتعليم ناجح، جريدة الخبر اليومي، مؤسسة الخبر الجزائرية، العدد: 7922، 26 سبتمبر 2015، ص21.

3- ينظر: صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص45.

للمدرسة، ودعوة حتى السلطات المحلية للمشاركة بالآليات لرفع الأوساخ، هكذا نخلق جواً من التعاون والتكافل والوحدة والتضامن بين جميع فئات المجتمع، بنوع من الفرحة والمتعة والفرح، كما يقرب الرؤى والعلاقات بين جميع الفاعلين في الحياة الاجتماعية، وهكذا يتربى الطفل على التضامن والتعاون والوحدة، يحب النظافة والنظام ويحافظ عليها.

-/ تشجيع العمل المسرحي التربوي والذي يكون موضوعه الأحداث والبطولات الوطنية، في جو من الحماس ويحرص المربون على تجسيد أدوار الأبطال بشيء من الحماس والواقعية والتأكيد على الاعتبار والاعتناء بهم، دون أن ننسى الاناشيد والأغاني الوطنية، وهنا سنهتم بجانبين أساسيين وهما تشجيع الجانب الفني المسرحي والموسيقي لدى المتعلمين واهياء قيم الوطنية والمواطنة لديهم وتربيتهم عليها.

-/ معالجة المشاكل التي تنشأ بين المتعلمين بشيء من الديمقراطية والاستماع لكل الاطراف، وبكل عدل ومساواة، وتغليب ذوق الحق وعدم الانتقاص من قيمة الآخرين، وتقادي كل عبارات التفرقة والتمييز بين المتعلمين بالعرق او اللون أو الثقافة، وإنما جعل من هذه الأمور عوامل وحدة وتضامن وليست للفتنة والفرقة، وهو ما كان عليه المجاهدون في الثورة الذين اتحدوا من كل مكان في الجزائر ضد المستعمر.

-/ تربية النشء على الاحتكام للقوانين والنظم المعمول بها في الوطن، وضرورة احترامها وتطبيقها وعدم تجاوزها، وهو تعليمهم على مبادئ الحضارة العصرية القائمة على الاحترام المتبادل بين جميع أفراد المجتمع، وفي ذلك معرفة الحقوق والواجبات وتمكين الجميع منها، ومعرفة حدود الحرية والديمقراطية والتشجيع على الفكر الحر والتحوري بعيدا عن كل مظاهر التطرف الفكري أو الديني أو العرقي. والحذر كل الحذر اثناء اعتماد المناهج والجديدة وتطبيقاتها، من طغيان المبدأ العلمي المعرفي على المبدأ القيمي والأخلاقي في بناء وعجن شخصية التلميذ القاعدية¹.

¹- ينظر: أفضيل إبراهيم مزارى، الإصلاحات التربوية وإشكالية إعادة إنتاج الشخصية الوطنية، جريدة الخبر الجزائرية، عدد: 26 أوت 2016، ص4.

-/ تربية النشء على التنظيم والتخطيط في الحياة، والابتعاد عن كل مظاهر الفوضى والعنصرية، فالنجاح في المشاريع التربوية مفتاحه التنظيم والتخطيط المستقبلي القائم على المعطيات الواقعية، لرسم أفق وطموح يرتقي بفكر المتعلم ويساعده على تجسيد مخططاته في الحياة، والاستجابة لفضوله العلمي، وبلوغ حاجاته المعرفية والوطنية، (فمدرسة اليوم لم تعد تستطيع تمرير بعض الأفكار الوطنية المفقودة، لكنه يمكنها أن تكون ملجأ المواطن ومدرسته، اذا وعى مجموع الأفراد والمواطنين ما يمكن وما يجب أن تكون عليه المواطنة المعاصرة)¹، فيجب تحقيق الانسجام والتنسيق بين الأسرة ومؤسسات المجتمع المدني والمدرسة.

-/ الأسرة هي (خط الدفاع الأول قبل المدرسة...وهي التي تسودها وتميزها القيم والفضائل والحقوق والواجبات والمسؤولية)² وهي شريك حتمي للمؤسسة التعليمية. لذا يجب تعميق التشاور بين الأسرة والمدرسة، وفي هذا (دفع جون ديوي المربين إلى الاهتمام بثلاثة أمور هامة في تربية النشء وتوجيههم وهي: 1-تعاون البيت والمدرسة على التربية والتوجيه. 2-التوفيق بين أعمال الطفل الاجتماعية وبين أعمال المدرسة. 3- وجوب احكام الرابطة بين المدرسة والأعمال الإنتاجية في البيئة)³. وهذا التنسيق والعمل المشترك بين الأسرة والمدرسة لا يتم تحقيقه إلا من خلال تفعيل جمعيات أولياء التلاميذ واشراكهم في العملية التعليمية التعليمية، فدور المدرسة يبقى مبتورا ما لم يتوجه بعمل أسري كبير للمتعلم، يقوم على احترام المدرسة والزملاء في الدراسة وإعطاء المكانة اللازمة للمعلم، مرافقة المتعلمين إلى المدارس لتصحيح سلوكياتهم في المجتمع واعطاء القدوة والعبرة لهم، (فالمدرسة لا تستطيع لوحدها، خلق أو صيانة القيم المدنية، اذا كان المجتمع بعيدا عن التحضر، ويحط من مستوى المبادئ والقيم والمؤثرات الوطنية، فالمدرسة ليست لها القوة الكاملة للقيام بهذا لوحدها؛ لأن خلق وتقاسم مجموعة من القيم المشتركة، عمل الجميع... والمجتمع لا يمكن أن يوجد لو لم

¹-Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel,pXVIII.

²- طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص189.

³- جون ديوي، المدرسة والمجتمع، تر: أحمد حسن الرحيم، ص10.

يتقاسم أفراده عدد معين من القيم، ولو لم يتوق أفراده لأفق يشتركون فيه في الطموحات والأفكار والرموز)¹.

-/ ضرورة إدراج قضية تعليم المواطنة والتربية عليها في كامل المراحل الدراسية وإعطائها الحجم الكافي وفق محاور مدروسة تتوافق وكل المواعيد والأعياد الوطنية، وتحسيس المربين والمعلمين بهذا الشأن من خلال عمليات الرسكلة والتكوين التي تسبق كل موعد وطني هام، وتسطير برامج خاصة تقوم على المحاضرات والزيارات والمسابقات، وهو ما وقفنا عليه في محافظة كيبك بكندا (حيث جعلوا من التربية على المواطنة ميدانا عاما في التكوين يمس كل المواد المقررة والنشاطات التربوية المبرمجة، وبصفة أكثر مادتي التاريخ والجغرافيا لدى الابتدائي والثانوي)²، وتوظيف المناهج المواطنة التي تساعد على تعريف المتعلمين بوطنهم وبالحياة المدنية، والسياسية، وبأسس عمل النظام السياسي، وتطبيق الدستور، وباحترام وحب الرموز الوطنية كالعلم والنشيد واللغة والدين، وبكل المبادئ الديمقراطية، وعلاقة بلدهم بالدول والأمم الأخرى، وبالقضايا العالمية والإنسانية، وأدوار المواطنين وحقوقهم وواجباتهم، وكل المناهج التي تساعد في تطوير مهاراتهم في اتخاذ القرارات وتحمل المسؤولية الكاملة تجاه نتائج أعمالهم.

-/ التربية والتعليم على المواطنة وممارستها تنطلق من خلال ضبط وتوفير مجموعة من الأنشطة التربوية المبنية أساسا على الحقوق والواجبات، في طابع نشاطات وأدوار قصصية، تحاورية، حركية بألعاب تربوية، وفنية بأعمال موسيقية ومسرحية، بطرق تربوية قائمة على المناقشة والحوار واللعب، فالتعليم الناجح هو الذي يعتمد على ابداع وأداء المتعلم وانجازاته داخل الفصل من خلال الورشات أو الوضعيات المختلفة.

-/ على المعلمين والمربين أن يكونوا على وعي بسير العملية التعليمية التعليمية التي يتولون الإشراف عليها، وعلى فعالية البرنامج الخاصة بالتربية على الوطنية والمواطنة، كأن يجسّون النبض خلال كل أطوار العملية التعليمية والتأكد من أن المتعلمين قادرين على سرد قصص من الثورات الوطنية كالثورة التحريرية وثورة الأمير عبد القادر، وسيرة بعض

¹- Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, pXVIII.

²- Ibid ,p88.

المجاهدين أو الأبطال كمصطفى بن بولعيد أو العربي بن مهيدي، والفائدة من هذا العمل التقويمي للعملية التعليمية التعليمية هو الوقوف على النقائص واستدراكها قبل تفاقمها وخروجها عن السيطرة.

-/ ضبط برامج خاصة بمجموعة القيم الوطنية الهامة في التربية على المواطنة، وتخصيص العدد المناسب في تكرار كل قيمة بالتوازي مع قيمتها وأهميتها طوال البرنامج الدراسي، فالمواطنة لا يجب أن تقتصر على محور واحد أو محورين وإنما يجب أن تكون واردة في كل المحاور¹ بصفة مباشرة أو غير مباشرة، ويجب أن تتكرر كثيرا من القيم خلال كل المقرر الدراسي ويلعب المعلم دورا كبيرا في إثارتها وتنشيطها وتفعيلها، أو جعل من (التربية على المواطنة- ما يستوجب النظر- مادة قائمة بذاتها)²، أو إعطاء مادة التربية المدنية حقها لكونها (تبحث وعي المواطن لحقوقه وواجباته العامة كإنسان يعيش فوق هذه الأرض باعتبارها وطنا عاما للمخلوقات كافة، وهي تبحث في مكونات ومحتويات وعناصر القانون المدني العام وحقوق الإنسان، فللتربية المدنية قيمة انسانية قانونية عامة، بالإضافة إلى قيمتها الوطنية الخاصة...وهي تعالج حاضر المجتمع الانساني ونظمه الاجتماعية والسياسية ومكوناته الثقافية، وسلوكاته الانسانية)³.

-/ اختيار النصوص الأدبية والتوثيقية والتاريخية الوطنية المناسبة للتربية على المواطنة في كل المقررات الدراسية ولكل الأطوار التعليمية، وتشكيل لجنة اختيار خاصة لذلك، حتى نتفادى الوقوع في الأخطاء بخصوص المواعيد والتواريخ والأعداد التاريخية الهامة، فيجب أن لا نعمل معارف وحوادث مغلوطة أو محرفة أو خاطئة، فهذا من شأنه أن يخل بالثقة المتبادلة بين المعلم والمتعلم وبين المتعلم والمدرسة ككل.

-/ مراجعة نص فرحات عباس الموجود في الصفحة 70 من كتاب التاريخ للسنة الرابعة، فالنص رغم أنه جاء لمقارنته مع نص لعبد الحميد بن باديس، إلا أن الغريب فيه هو مطالبة المتعلم بالمقارنة بين النصين ودعوته للعليق عليهما، فهو في مثل هذا السن لا يمكنه أن يعي

¹- ينظر: طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص192.

²- Yves Lenoir, Maurice Sachant et autres, Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, p2.

³- أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، ص390.

مثل تلك الأفكار الايديولوجية ، وانما هذا يمكن ادراجه لطلبة الثانوي، بهدف تحليله والتعليق عليه، ففمتملمي الابتدائي بمجرد قرائتهم لمثل هذا النص يذهب بخيالهم بعيدا، عكس الأهداف المرجوة من وراء اختياره، خاصة وأن فرحات عباس شخصية هامة لها وزنها العميق في الساحة الوطنية، فهذا النص لا يتلاءم بتاتا مع التوجهات التربوية في تعليم المواطنة والتربية عليها، لذا يجب تغييره.

-/ التفكير في وضع برنامج خاص بالتربية والتعليم على الوطنية والمواطنة، من خلال دراسة النصوص الأدبية المناسبة في المرحلتين الابتدائية والاكاديمية، وتوفير كل الأجواء والمناخات والوضعيات البيداغوجية اللازمة لها، ويجب أن تتضمن هذه النصوص جميع القيم والرموز الوطنية الخاصة بالدولة الجزائرية وبتاريخها وعاداتها وتقاليدها وتراثها، كما يجب ضبط جدول زمني محدد للتوزع هذه النصوص على كامل الكتاب المدرسي ولا تقتصر على محور من المحاور فقط، أو في فصل من الفصول فقط.

تلعب (وسائل الاعلام دورا كبيرا في زيادة الوعي السياسي والوطني للمواطنين بما فيهم الصغار، وتزيد من تفاعلهم مع الحياة السياسية والوطنية والمدنية، والأهم من ذلك أنها لا تساهم في تكوين الاتجاهات فقط، بل تساهم حتى في تغييرها وتعديلها)¹. لذا يجب التكثيف من البرامج التلفزية ذات البعد التعليمي والتربوي من خلال برامج التلفزيون الخاصة بالأطفال، والتركيز على تلك البرامج التي تساهم في التعريف بالوطن ورموزه وأهم مقوماته وبتاريخه وانجازاته وعاداته وتقاليده ورموزه وقيمه، بطريقة ترفيهية مسلية تستهدف تعليم الوطنية والمواطنة والمعرفة والعلم في جو من الفرجة والمرح واللعب، وتنظيم مسابقات تعتمد أسئلة خاصة بالثورة التحريرية والمبادئ والقيم الوطنية بين المتعلمين على شاكلة برنامج مابين الثانويات سابقا، ومثل البرامج التي كان يقدمها المهرج الجزائري حديدوان رحمة الله عليه، والتي نلاحظ أنها أختفت كلية في الوقت الحالي، رغم الانفتاح الكبير الذي يعرفه السمي البصري في الجزائر، وضرورة الربط بين ما يقدم في التلفاز وما يقدم في

¹ - طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، ص207.

المدرسة فيجب تحسيس المعلمين بضرورة شرح وتبسيط البرامج التعليمية التلفزية الهادفة للمتعلمين في المدرسة وحثهم على متابعتها.

-/ تسمية كل المؤسسات التربوية في الابتدائي والاكمالي بأسماء الشهداء، أو بتواريخ الثورة التحريرية المعروفة مثل أول نوفمبر وخمسة جويلية، وهي خطوة تبعث المتعلم للسؤال والبحث في أصل وتاريخ وماهية هذه الأسماء أو هذه التواريخ، وهي بذلك تعليم للوطنية والمواطنة بصفة غير مباشرة، وربط للخلف بالسلف، وعملية انتقال ناجحة بين الأجيال لتاريخ الوطن وانجازاته وبطولاته وتراثه.

-/ ضبط رزنامة خاصة من طرف الوزارة للاحتفال بكل الأعياد والأيام الوطنية التي تروي وتخلد مسيرة الوطن وتاريخه وبوطنولته، فمن بين كل الأيام التي ساذكرها، لا تكاد مدرستنا تحتفل بصفة خاصة بيوم منها، ومن تلك الأعياد نجد: يوم العلم 16 أفريل - اندلاع الثورة التحريرية 01 نوفمبر 1954 - مجازر 08 ماي 1945 - 19 ماي 1956 يوم الطالب - الذكرى المزدوجة 20 أوت 1955 و1956 هجومات الشمال القسنطيني وانعقاد مؤتمر الصومام - مظاهرات 11 ديمسمبر 1960 جزائرية الجزائر - مظاهرات 17 أكتوبر 1961 بفرنسا شد قانون الميز العنصري ضد الجزائريين دون سواهم - 19 مارس 1962 عيد النصر وقف اطلاق النار - 05 جويلية عيد الاستقلال- يوم الشهيد 18 فيفري ، وما يظهر أنه يحتفل به يكون يوم عطلة، كذلك الأمر بالنسبة لأول نوفمبر فبمجرد وصوله يأخذون عطلة وأصبح ينظر إليه على أنه يوم راحة فقط، ولا ننسى هنا الخامس من جويلية فقبله بيوم يباشرون العطلة الصيفية فلماذا لا تقام فيه حفلة اختتام السنة الدراسية، وفي هذا اليوم بالذات نكرم النجباء، ونعلن كل النتائج في حفل بهيج يحضره كل أطراف العملية التعليمية، أما الايام التي تكون أثناء العطل فاقرأ عليها السلام كالعشرين من شهر أوت، وفي هذا التاريخ لماذا لا يتم دعوة التلاميذ رفقة أوليائهم ومشاركة الادارة الاحتفال داخل المدرسة والالتقاء مع المجاهدين أو بعض المحاضرين المختصين بتنظيم زيارات للمتاحف والأماكن التاريخية.

-/ نقترح حضور كل الطاقم المدرسي من اساتذة واداريين وتلاميذ في هذه الأيام الخاصة، وتواصل الدراسة بشكل عادي على ان يعوض الجميع في يوم آخر من أيام الاسبوع، ويجب

أن يسطر برنامجا خاصًا للاحتفال بها يكلل بحفلات ومسابقات وتوزيع جوائز، وكذا دعوة الاولياء وذوي الاختصاص من المجاهدين والمؤرخون للحضور والمشاركة كل في مجال اختصاصه.

(جزائر.. مهما باعد الخطب بيننا///// تباكرني النجوى وتهفو بي الذكرى...
 بلادي، التي أعنو -احتسابا- لوجهها///// وأحمل في الأزراء، من أجلها إصرًا
 بلادي التي من ذوب قلبي نظمتهما ///// نشيدا، فغنى الكون، ثورتها شعرا....
 فلا عزّ، حتى تستقل جزائر.. ///// لامجد، حتى نصنع الوحدة الكبرى...)¹

¹- مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص ص 314-317-318-319.

1- الاستبيان الخاص بأساتذة الاكماملى

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة/الجزائر

استبيان مّتمّ لإنجاز رسالة الدكتوراه الموسومة بـ:

"المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكماملى"

إشراف الأستاذة: د/تيحال نادية

إعداد الطالب: الهيصاك مختار

2017 - 2016

استبيان خاص بأساتذة الاكمالى

في إطار إتمام إنجاز رسالة الدكتوراه في تخصص التّعليمية الموسومة بـ:"المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكمالى"، نتقدم إلى سيادتكم بهذا الاستبيان آمليين أن تولوا أهمية كبرى في الإجابة بدقة وصدق على الأسئلة الواردة فيه، وذلك بوضع علامة (*) في الخانة المناسبة.

يتعلق هذا الاستبيان بكيفية فهم نصوص القراءة الخاصة بالوطنية والمواطنة، وكيفية إيصال دلالاتها ومعانيها للمتعلّم، وكيفية تحويلها إلى سلوكات في حياتهم اليومية.

شكرا مسبقا على تفهمكم وتعاونكم.

اكمالية:
بلدية: دائرة: ولاية:

- الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى
- الخبرة: (01 - فأقل) ☐ (01-02) ☐ (02-05) ☐ (05- فأكثر) ☐
- التّخصص: لغة عربية ☐ علوم إسلامية ☐ لغات أجنبية ☐ أخرى ☐
- نوع الشّهادة: معهد تكنولوجيا ☐ ليسانس ☐ ماستر ☐ ماجستير ☐
- صفة الأستاذ: مثبت ☐ متربص ☐ مستخلف ☐

- 1- هل تتضمن النصوص المقررة قيماً وطنية في رأيك؟: نعم ☐ لا ☐
- 2- اذا كان نعم ما هي نسبتها بالنسبة للقيم الأخرى في النصوص؟:
☐ 05% ☐ 10% ☐ 20% ☐ 30% ☐ أكثر
- 3- ما هي أهم القيم الوطنية التي تراها واردة من خلال النصوص المقررة؟:
☐ حب الوطن ☐ حب واحترام الراية الوطنية ☐ حماية المنشآت والانجازات الوطنية ☐
☐ حب الدين ☐ حب اللغة
- 4- هل تساعدك المقاربة المعتمدة (المنهاج) في ضبط وتمرير هذه القيم للمتعلمين؟
 نعم ☐ لا ☐
- 5- في رأيك إن معرفة القيم الوطنية وفهمها مهمة:
 /* لأنها تدخل في باب الاكتساب والمعرفة ☐
 **/ لأن لها انعكاسات ايجابية على السلوك في الحياة(المواطنة) ☐
- 6- اذا كان الجواب ب(**) هل ترى هذا الانعكاس واضحاً على تلاميذك خارج المدرسة؟:
 نعم ☐ لا ☐
- 7- هل ترى أن هناك تناقض بين القيم الوطنية المدرّسة والسلوكيات الأخرى المنتشرة في المحيط المدرسي وفي المجتمع؟: نعم ☐ لا ☐
- 8- هل ترى أن حجم النصوص الوطنية في المقرر كاف للتأثير على ممارسة المواطنة لدى التلاميذ وسلوكهم في الخارج؟: نعم ☐ لا ☐
- 9- هل تبرمجون زيارات للمتاحف الوطنية ولآثار الثورة وتنظمون لقاءات مع مجاهدي المنطقة؟: نعم ☐ لا ☐
- 10- هل ترى أن هذه النشاطات مهمة لزرع روح الوطنية والمواطنة لدى المتعلم؟
 نعم ☐ لا ☐
- 11 – هل تحتفلون بالأعياد الوطنية مع التلاميذ على مستوى المدرسة؟
 نعم ☐ لا ☐

2- الاستبيان الخاص بأساتذة الابتدائي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة/الجزائر

استبيان ممتّم لإنجاز رسالة الدكتوراه الموسومة بـ:

"المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكمامي"

إشراف الأستاذة: د/تيحال نادية

إعداد الطالب: الهيصاك مختار

2017 - 2016

استبيان خاص بأساتذة الابتدائي

في إطار إتمام إنجاز رسالة الدكتوراه في تخصص التّعليمية الموسومة بـ:"المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكمالي"، نتقدم إلى سيادتكم بهذا الاستبيان آمليين أن تولوا أهمية كبرى في الإجابة بدقة وصدق على الأسئلة الواردة فيه، وذلك بوضع علامة (*) في الخانة المناسبة.

يتعلق هذا الاستبيان بكيفية فهم نصوص القراءة الخاصة بالوطنية والمواطنة، وكيفية إيصال دلالاتها ومعانيها للمتعلّم، وكيفية تحويلها إلى سلوكات في حياتهم اليومية.

شكرا مسبقا على تفهمكم وتعاونكم.

ابتدائية:.....
بلدية:..... دائرة:..... ولاية:.....

- الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى
- الخبرة: (01 - فأقل) ☐ (01-02) ☐ (02-05) ☐ (05- فأكثر) ☐
- التّخصص: لغة عربية ☐ لوم إسلامية ☐ لغات أجنبية ☐ ☐ أخرى
- نوع الشّهادة: معهد تكنولوجي ☐ س ☐ م ☐ د ☐
- صفة الأستاذ: مثبت ☐ متربص ☐ مستخلف ☐

- 1- هل ترى أن الكتاب المدرسي يستجيب لحاجات التلميذ في مجال التربية الوطنية؟
☐ نعم ☐ لا
- 2- هل يمكنك القول أن طرائق التدريس المعتمدة تخدم الأهداف الوطنية والمواطنة؟
☐ نعم ☐ لا
- 3- هل ترى أن النصوص المقررة في الكتاب المدرسي تحمل قيما وطنية كافية لزرع روح الوطنية والمواطنة في نفسية التلميذ، وتجعل منه مواطنا صالحا؟: نعم ☐ لا ☐
- 4- ما نسبة انسجام الصور مع المضامين الواردة في النصوص الوطنية للكتاب المدرسي؟
☐ 20% ☐ 40% ☐ 60% ☐ 90%
- 5- حدّد نسبة التعلّيمات والقيم التي تمسّها النصوص في الكتاب المدرسي:
علمية/معرفية ☐ % ثقافية/اجتماعية ☐ % وطنية/مواطنة ☐ %
- 6- هل النصوص الوطنية المختارة في الكتاب المدرسي تثير المتعلم وتستهوئيه؟
☐ نعم ☐ لا
- 7- هل ترى أن حجم الكلمات ذات البعد الوطني الواردة في الكتاب المدرسي مناسب لتحريك الشعور الوطني لدى المتعلم؟: نعم ☐ لا ☐
- 8- ما هي في رأيك أحسن الوسائل لتمرير المعرفة الوطنية؟:
الصورة/المحادثة والتعبير ☐ القصة/المطالعة والتاريخ ☐ المكتوب/القراءة والتفاعل ☐
- 9- هل تبرمجون زيارات للمتاحف الوطنية ولآثار الثورة وتنظمون لقاءات مع مجاهدي المنطقة؟: نعم ☐ لا ☐
- 10- هل ترى أن هذه النشاطات مهمة لزرع روح الوطنية والمواطنة لدى المتعلم؟
☐ نعم ☐ لا
- 11 - هل تحتفلون بالأعياد الوطنية مع التلاميذ على مستوى المدرسة؟
☐ نعم ☐ لا

3- الاستبيان الخاص بطلبة الاكمامى

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمى

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة/الجزائر

استبيان مكمّل لإنجاز رسالة الدكتوراه الموسومة بـ:

"المواطنة فى مضامين الكتاب المدرسى فى الطورين الابتدائى والاكمامى"

إشراف الأستاذة: د/تبحال نادية

إعداد الطالب: الهىصاك مختار

2017 - 2016

استبيان خاص بطلبة الاكمالى

فى إطار إتمام إنجاز رسالة الدكتوراه فى تخصص التعللمية الموسومة بـ:"المواطنة فى مضامىن الكتاب المدرسى فى الطورىن الابتدائى والاكمالى"، نتقدم إلى سىادتكم بهذا الاستبىان آملىن أن تولوه أهمية كبرى، وأن تشرحوا أسئلته وتبسطوها لتلامىذكم، وأن ترافقوهم فى الإجابة بكل دقة وصدق وحرىة، وتسهروا على توفير الجو الملائم للإجابة الشخصىة لكل تلمىذ، الإجابة تكون بشطب الإجابات الخاطئة.

ىتعلق هذا الاستبىان بكفىفة فهم نصوص القراءة الخاصة بالوطنىة والمواطنة، وكفىفة تلقى دلالاتها ومعانىها واكتسابها من طرف المتعلمىن، وكفىفة تحويلها إلى سلوكات فى حىاتهم الیومیة والعمل بها.

شكرا مسبقا على تفهمكم وتعاونكم.

اكمالىة:.....

بلدىة :..... دائرة :..... ولاىة:.....

- الجنس: ذكر أنثى

- السن:.....

معید السنة : نعم لا

- 1- ما هي الدول المجاورة للجزائر من بين هذه الدول؟ :
مصر – تونس – الأردن – ليبيا – تركيا – تشاد – النيجر – مالي – النمسا – موريتانيا –
السينغال – الصحراء الغربية – اسبانيا – المغرب الأقصى – فرنسا.
- 2- ما هي اللغات الثلاث المستعملة في الجزائر؟:
الروسية – الأمازيغية – الصينية – العربية – الألمانية – الفرنسية.
- 3- ما هو دين الدولة الجزائرية؟: الإسلام – المسيحية – البوذية.
- 4- ما هي الدولة التي ألوان علمها مطابقة لألوان العلم الوطني من بين هذه الدول؟:
اسبانيا – فرنسا – موريتانيا – إيطاليا – مصر – ألمانيا.
- 5- لما يرمز اللون الأحمر في العلم الوطني؟:
لون الأزهار – دم الشهداء – قلب الإنسان.
- 6- ما هو تاريخ اندلاع الثورة التحريرية؟:
01/جويلية/1954 – 05/نوفمبر/1962 – 01/نوفمبر/1954.
- 7- كم دامت الثورة التحريرية الجزائرية؟:
30 سنة / 09 سنوات ونصف / 05 سنوات ونصف / 07 سنوات ونصف.
- 8- حدّد عدد شهداء الثورة التحريرية الجزائرية؟:
مليون ونصف المليون شهيد/خمسة ملايين شهيد/مليونان ونصف المليون شهيد/مليون شهيد.
- 9- بيّن تاريخ استقلال الجزائر؟ :
01/جويلية/1954 – 05/جويلية/1962 – 05/نوفمبر/1962.
- 10- ما هو عدد الولايات في الجزائر؟:
54 ولاية – 68 ولاية – 31 ولاية – 48 ولاية – 16 ولاية.

ملاحظة: شطب الإجابات الخاطئة.

4- الاستبيان الخاص بطلبة الابتدائي

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المدرسة العليا للأساتذة ببوزريعة/الجزائر

استبيان ممتّم لإنجاز رسالة الدكتوراه الموسومة بـ:

"المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكمالي"

إشراف الأستاذة: د/تيحال نادية

إعداد الطالب: الهيصاك مختار

2017 - 2016

استبيان خاص بطلبة الابتدائي

في إطار إتمام إنجاز رسالة الدكتوراه في تخصص التّعليمية الموسومة بـ:"المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في الطورين الابتدائي والاكمالي"، نتقدم إلى سيادتكم بهذا الاستبيان آمليين أن تولوه أهمية كبرى، وأن تشرحوا أسئلته وتبسطوها لتلاميذكم، وأن ترافقوهم في الإجابة بكل دقة وصدق وحرية، وتسهروا على توفير الجو الملائم للإجابة الشخصية لكل تلميذ، وتوفير الوسائل الضرورية في ذلك كأقلام التلوين الحمراء والخضراء، الإجابة تكون بكتابتها أو بتلوينها أو بشطب الإجابات الخاطئة.

يتعلق هذا الاستبيان بكيفية فهم نصوص القراءة الخاصة بالوطنية والمواطنة، وكيفية تلقي دلالاتها ومعانيها واكتسابها من طرف المتعلمين، وكيفية تحويلها إلى سلوكات في حياتهم اليومية والعمل بها.

شكرا مسبقا على تفهمكم وتعاونكم.

ابتدائية:.....
بلدية:..... دائرة:..... ولاية:.....

- الجنس: ذكر أنثى

- السن:.....

معيد السنة : نعم لا

1- ما اسم مدرستك؟:

2- هل تحب مدرستك؟: نعم لا

3- هل تحب أستاذك؟: نعم لا

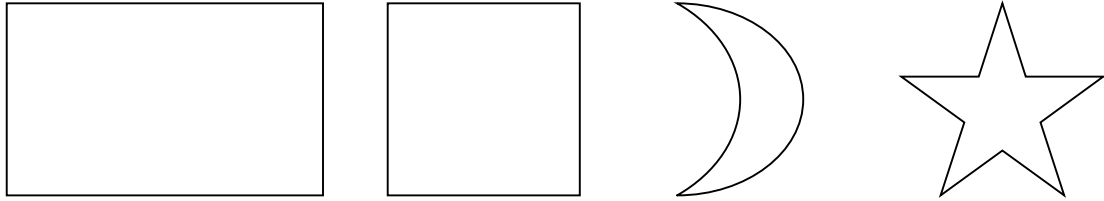
4- هل تحب زملائك في المدرسة؟: نعم لا

5- رتب الكلمات لتشكيل نشيد قسما: فاشهدوا- الزاكيات- الشامخات - بالنازلات - فحياة- نحن- أن تحيا- قسما- والدماء- وعقدنا- فاشهدوا- الجزائر- أوممات- ثرنا- العزم- الماحقات - الطاهرات- والبنود- اللامعات- الخافقات- الشاهقات- في الجبال- فاشهدوا.

.....
.....
.....

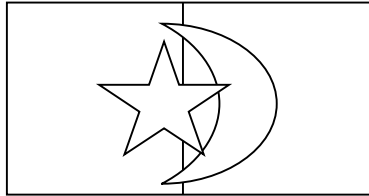
.....

6- أكتب اسم الشكل الذي تلاحظه أمامك؟



.....

7- لون الشكل الموجود أمامك بالألوان المناسبة:



8- ما اسم هذا الشكل الذي لونه؟:

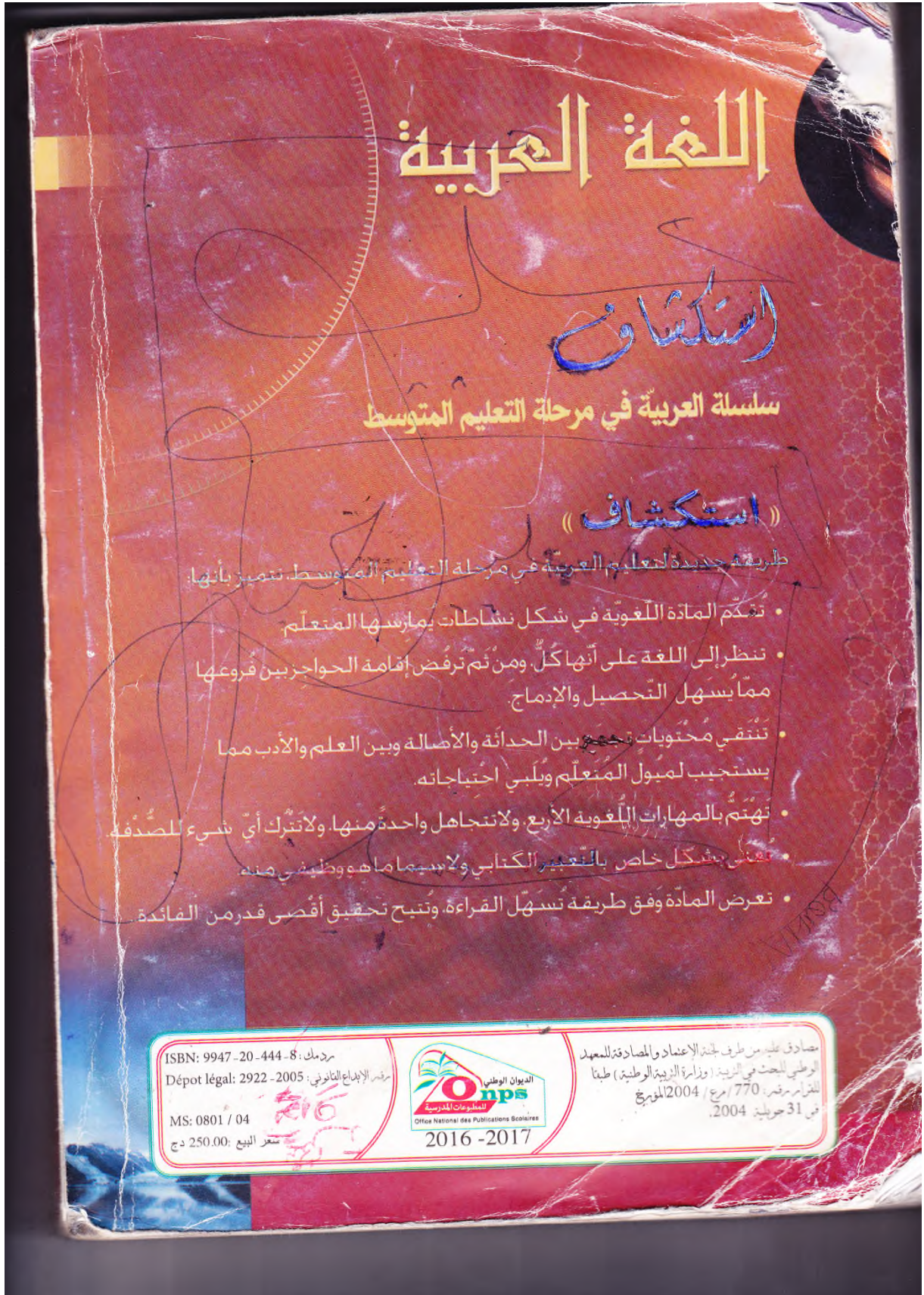
9- ما هو وطنك؟:

10- ما هو الوطن الذي تحبه من بين هذه الدول؟: مصر - السعودية - الجزائر - فرنسا.

5- صورتا كتاب القراءة للسنة الثانية من التعليم المتوسط

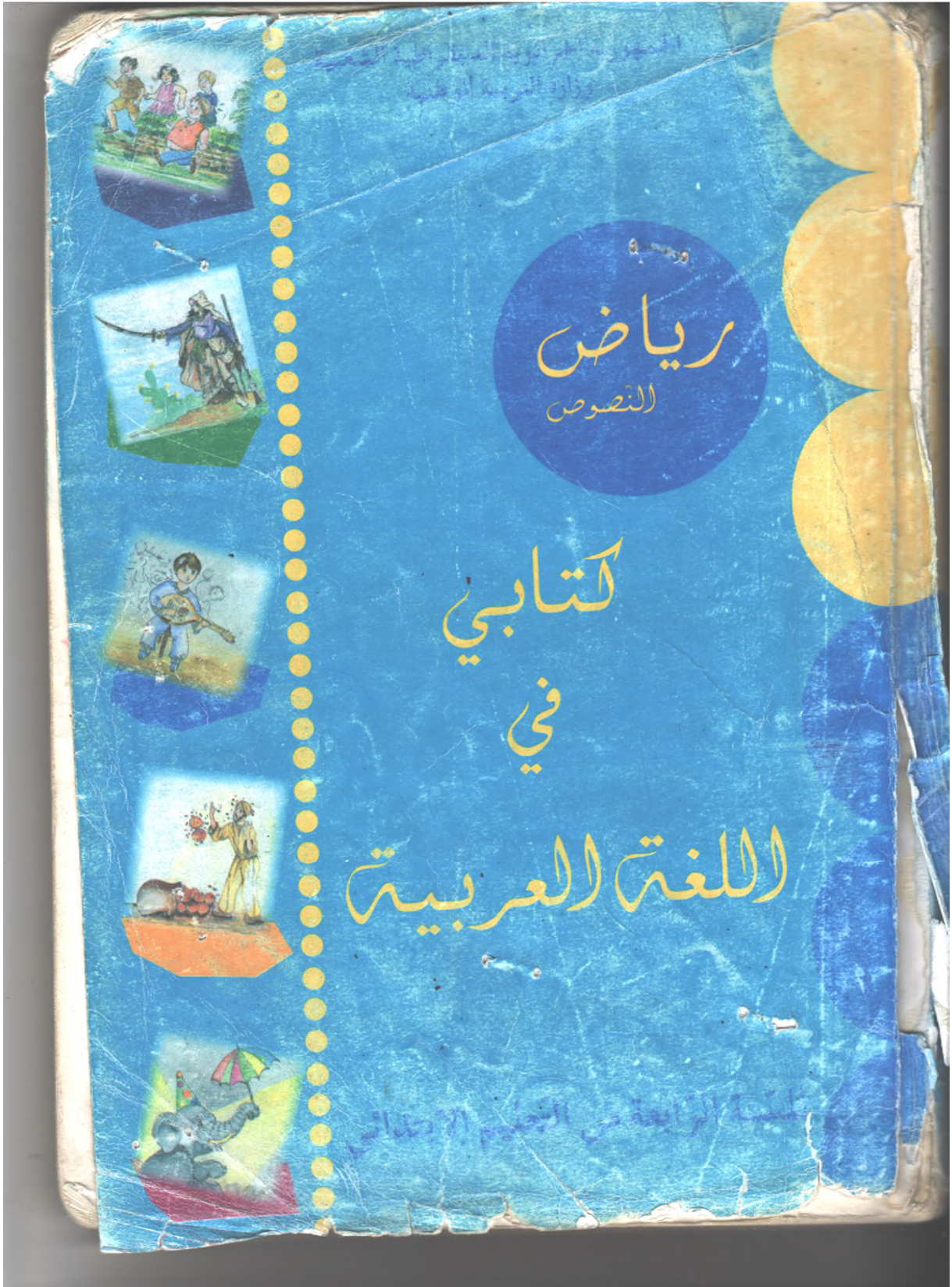
1-5 صورة الدفة الأولى:





6- صورتا كتاب القراءة للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي

1-6 صورة الدفة الأولى:



2-6 صورة الدفة الأخيرة:



فهرس المصادر والمراجع

- / القرآن الكريم.
- / الإمام الحافظ أبي عيسى محمد بن عيسى الترميذي، الجامع الكبير، المجلد السادس، دار الغرب الاسلامي، بيروت/لبنان، ط1، 1996.
- / الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي المعروف بأبي الفدا عماد الدين ابن كثير رحمه الله، تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة/مصر، ط1، 1998.
- / الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء1، المكتبة العصرية، درط، صيدا، بيروت، 2011.
- / الإمام أبي حامد محمد بن حمد الغزالي، إحياء علوم الدين، الجزء3، المكتبة العصرية، درط، صيدا، بيروت، 2011.
- / الامام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، قدم له العلاقة الشيخ عبد الله العلايلي، دار صادر، بيروت/لبنان، الجزء13، ط1، دسط.
- / ابن خلدون عبد الرحمن، مقدمة العلامة ابن خلدون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط1، 2006.
- / الشيخ الإمام محمد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق وتقديم محمد عمارة، ج1، ط2، دار الشروق، القاهرة/مصر، 2006.
- / ابتسام صاحب الزويني وضياء العرنوسي وحيدر حاتم، المناهج وتحليل الكتب، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2013.
- / إبراهيم وجيه محمود، المراهقة خصائصها و مشكلاتها، دار المعارف، القاهرة/مصر، درط، 1981.
- / أرسطو طاليس، فن الشعر، ترجمه عن اليونانية وشرحه وحقق نصوصه: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت، درط، دس ط.

- / أحمد حسين الليقاني، المنهج: الأسس، المكونات، التنظيمات، عالم الكتب، القاهرة/مصر، درط، دس ط.
- / أحمد حسين الليقاني وفارعة حسن محمد، مناهج التعليم بين الواقع والمستقبل، عالم الكتب، ط1، القاهرة/مصر، 2001.
- / أماني غازي جرار، المواطنة العالمية، دار وائل للنشر، عمان/الأردن، ط1، 2011.
- / بدر الدين بن تريدي، وسائل ترقية اللغة العربية في التعليم الأساسي، درط، الجامعة المركزية، 1997.
- / بدر الدين بن تريدي، ر. عبد السلام وساعد العلوي، اللغة العربية، السنة الثانية من التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2016-2017.
- / برنار فاليت، الرواية "مدخل إلى المناهج والتقنيات المعاصرة للتحليل الأدبي، ترجمة د/عبد الحميد بورايو، دار الحكمة، الجزائر، درط، 2002.
- / بوفلجة غيات، التربية والتعليم بالجزائر، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران/الجزائر، ط2، 2006.
- / بوفلجة غيات، التربية ومتطلباتها، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران/الجزائر، ط2، 2004.
- / تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية دراسة تربوية للشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981.
- / توفيق أحمد مرعي ومحمد محمود الحيلة، المناهج التربوية الحديثة (مفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها)، ط1، دار الميسرة، 2000.
- / تزيفتان تودوروف ، الأدب في خطر، ترجمة: عبد الكبير شرقاوي، دار توبقال، ط1، 2007.
- / جابر عصفور، نظريات معاصرة، دار المدى للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
- / جان عبد الله توما، التعلم والتعليم (مدارس وطرائق)، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط1، بيروت/لبنان، 2001.

- / جودت أحمد سعادة ، صياغة الأهداف التربوية والتعليمية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2001.
- / جودت أحمد سعادة وعبد الله محمد إبراهيم، تنظيمات المناهج وتخطيطها وتطويرها، دار الشروق للطباعة والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2001.
- / جودت الركابي، طرق تدريس اللغة العربية، دار الفكر المعاصر، سوريا، درط، 2002.
- / جون ديوي، الديمقراطية والتربية، تر: متى عقراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط2، القاهرة/مصر، 1954.
- / جون ديوي، المدرسة والمجتمع ، تر: أحمد حسن الرحيم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت/لبنان، ط2، 1978.
- / جماعة من كبار اللغويين العرب: الأستاذ أحمد العايد، الأستاذ الدكتور أحمد مختار عمر، الأستاذ الجيلاني بن الحاج يحي، الاستاذ الدكتور داود عبده، الأستاذ الدكتور صالح جواد طعمة والاستاذ نديم مرعشلي بتكليف من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، أليكو توزيع لاروس، تونس، درط، 1989.
- / جون جاك روسو، العقد الاجتماعي أو مبادئ الحقوق السياسية، تر: عادل زعيتر، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية، مؤسسة الأبحاث العربية، ط2، بيروت/لبنان، 1995.
- / جيرولد كمب ، تصميم البرامج التعليمية، ترجمة: د/أحمد خيرى كاظم، دار النهضة العربية، القاهرة/مصر، درط، 2001.
- / جوليا كريستيفا، علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال للنشر، الرباط/المغرب، ط2، 1997.
- / حارث عبود، الاتصال التربوي، دار وائل للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2009.
- / زكي نجيب محفوظ ، في فلسفة النقد ، دار الشروق ، بيروت/لبنان، ط2، 1983.
- / زعتوت عبد الرحمان وأبركان صالح، كمال جيجيقة، آيت مبارك دليلة، عمارة بلقاسم، عزوز نواره، عترو سامية وعشيش جميلة، كتابي في التربية المدنية، السنة أولى ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2012-2013.

- / سعيد بن كراد ، مدخل إلى السميائيات السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2003.
- / سهيلة محسن كاظم الفتلاوي، المنهاج التعليمي و التدريس الفاعل ، دار الشروق، القاهرة/مصر، ط1، 2006م.
- / شبل بدران، التعليم والديمقراطية علاقة غائبة، مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، القاهرة/مصر، ط1، 2009.
- / شريفة غطاس، مفتاح بن عروس وآخرون، كتابي في اللغة العربية، السنة الرابعة ابتدائي، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2011-2012.
- / صلاح فضل، في النقد الأدبي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق/سوريا، درط، 2007.
- / صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، أطلس للنشر والانتاج الاعلامي، القاهرة/مصر، ط4، 2005.
- / صلاح فضل، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، دار المعارف، القاهرة/مصر، ط5، 1995.
- / طارق عبد الرؤوف عامر، المواطنة والتربية الوطنية "اتجاهات عالمية وعربية"، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2012.
- / طه علي حسين الدليمي، سعاد عبد الكريم الوائلي، اللغة العربية مناهجها و طرائق تدريسها ، دار الشروق للنشر و التوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2005م.
- / عبد الحميد عبد الفتاح شعلان، السياسة التعليمية بين الواقع والمأمول، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة/مصر، 2011.
- / عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات التلقي "دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة"، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- / عبد المومن يعقوبي ، أسس بناء الفعل الديداكتيكي- من بيداغوجيا الأهداف إلى بيداغوجيا التقويم والدعم- ط2، مؤسسة الجزائر للكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، أولاد أنهار، تلمسان، 2002.

- / عبد الوهاب محجوب وبمشاركة: صلاح الدين بن فرج، أحمد المانسي، المختار المطوي، أميرة العروي، هدى هلالي وسمية بن خليفة، العنف المدرسي دراسة السلوكيات المنافية لقواعد الحياة المدرسية، تونس:المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، ط1، 2011.
- / علي أحمد مدكور، نظريات المناهج التربوية، دار الفكرة العربي للطباعة والنشر، مصر، ط1، 1997.
- / علي أحمد مدكور، الشجرة التعليمية، دار الفكر العربي، القاهرة/مصر، 2000.
- / غي بلماد، مناهج التربية، تر: جوزف عبود كبه، دار منشورات عويدات، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر، بيروت/لبنان، دس ط.
- / فولفغونغ عيزر، فعل القراءة نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، ترجمة د/حميد لحداني ود/الجلالي الكدية، مكتبة المناهل، الرباط/المغرب، درط، دس ط.
- / كاظم خيرى أحمد وجابر عبد الحميد جابر، الوسائل التعليمية والمنهج، ط1، دار الفكر، عمان، 2007.
- / ماجدة السيد عبيد، صعوبات التعليم وكيفية التعامل معها، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط2، عمان/الأردن، 2013.
- / محسن علي عطية، المناهج الحديثة وطرائق التدريس، دار الناهج للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2013.
- / محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 2006 م.
- / محمد جواد رضا، السياسات التعليمية في دول الخليج العربية، منتدى الفكر العربي، عمان/الأردن، ط2، 1990.
- / محمد سالم محمد الأمين الطالبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، درط، بيروت/لبنان، 2008.

- / د.محمد سلمان فياض الخزاعلة، د.عبد الله بن جمعة الشقصي، د.حسين عبد الرحمن السخني ود.عساف عبد ربه الشوبكي، نظريات في التربية، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2011.
- / محمد الصالح حثروبي، نموذج التدريس الهادف -أسسه وتطبيقه - ، دار الهدى، الجزائر، 1999.
- / محمد طمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2010.
- / محمد هاشم فالوقي ، بناء المناهج التربوية: سياسة التخطيط وإستراتيجية التنفيذ، المكتب الجامعي الحديث، اسكندرية/مصر، درط، 1997.
- / مرتاض عبد الجليل، في عالم النص والقراءة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، درط، 2007 .
- / مفدي زكريا، إلیاذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1987.
- / مفدي زكريا، اللهب المقدس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانا، الجزائر، درط، 1983.
- / مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم وقصائد أخرى، نشر مشترك بين مؤسسة مفدي زكريا والوكالة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر، درط، 2003.
- / منى يونس بحري ونازك عبد الحليم فطيشات، العنف الأسري، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، 2011.
- / نصيرة زميرلين، التعليم الاسلامي في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830م— 1962م)، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، القبة القديمة/الجزائر، درط، 2013.
- / يمنى العيد، في معرفة النص"دراسات في النقد الأدبي"، دار الأفاق الجديدة، ط3، بيروت/لبنان، 1985.
- / يوسف خليل، مناهج البحث الأدبي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة/مصر، درط، 2004.

-/ يوسف مناصرية وفاطمة بومعراف ورزور سرغيني، كتاب التاريخ ، السنة الرابعة متوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2006.

المجلات والجرائد:

-/ مجلة الثقافة والثورة، وزارة التعليم والبحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية، درع، 1984.

-/ مجلة الثقافة، ع: بعد118، وزارة الاتصال والثقافة، فبراير2004.

-/ مجلة العربية، مخبر علم تعليم العربية، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، ع:01، 2003.

-/ مجلة العربية، مخبر علم تعليم العربية بالمدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، ع:02، 2005.

-/ جريدة الخبر اليومي الجزائرية، السنة 25، مؤسسة الخبر، الجزائر، العدد:5928، ليوم السبت 2015/09/26 الموافق لـ 12 ذي الحجة 1436.

-/ جريدة الخبر اليومي الجزائرية، السنة:26، مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد:26 أوت2016 الموافق لـ 23 ذي القعدة 1437.

-/ جريدة الخبر اليومي الجزائرية، السنة:26، مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد:28 أوت2016 الموافق لـ 25 ذي القعدة 1437.

-/ جريدة الخبر اليومي الجزائرية ، مؤسسة الخبر، الجزائر، السنة:26، عدد:31 أوت 2016 الموافق لـ 28 ذي القعدة 1437.

-/ جريدة الخبر اليومي الجزائرية، السنة 26، مؤسسة الخبر، الجزائر، عدد:9 سبتمبر2016 الموافق لـ 07 ذي الحجة 1437.

-/ جريدة الشروق اليومي الجزائرية، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، العدد:5096، بتاريخ: 11 ماي2016.

-/ جريدة الشروق اليومي الجزائرية، مؤسسة الشروق للأعلام والنشر، الجزائر، العدد:5104 ، بتاريخ: 19 ماي 2016 الموافق لـ 12 شعبان 1437.

مراجع اللغة الأجنبية:

- / A S Hornby, Oxford Learner's Dictionary of Current English, Eighth edition, Oxford university press, british, oxford university, 2010.
- / Bernard Crozel, Urbanité et Citoyenneté, attention, démocratie urbaine, L'Harmattan, Paris, France, 1998.
- / Claudine Boulanger, Eric Janin, Stéphane Curveiller et Françoise Martinetti , L'Education à la citoyenneté, ellipses, paris, France, 2000.
- / Ghislaine Stora, Dictionnaire Hachette, Imprimé en Italie par STIGE et relié en France par BRUN, Edition N°1, 2006.
- / Monique Castillo, La citoyenneté en question, ellipses, paris, France, 2002.
- / Pascal gonod et Jean-pierre Dubois, Citoyenneté, souveraineté, société civile, Dalloz, paris, France, 2003.
- / Yves Lenoir, Constantin Xypas et Christian Jamet , Ecole et citoyenneté un défi multiculturel, armand colin, paris, France, 2006 .
- / will kimlycka, la citoyenneté multiculturelle une théorie libérale du droit des minorités, traduit de l'anglais par patrick savidon, la dicouverte, paris, France, 2001.
- /Revue de l'interdisciplinarité Didactique, Laboratoire d'études et recherches transdisciplinaires et interdisciplinaires en éducation LERTIE, Département des Sciences de l'Education DSE, Université de quebec à trois rivières UQTR, volume2, N°1, Trois Rivières, Québec ,Canada, Automne 2012.

الوثائق الرسمية:

-/ دستور الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الجريدة الرسمية، رقم76، المؤرخة في 08 ديسمبر 1996، المعدل بالقانون رقم 02-03 المؤرخ في 10 أفريل 2002 الجريدة الرسمية رقم 25 المؤرخة في 14 افريل 2002 . والمعدل بالقانون رقم 08-19 المؤرخ في 15 نوفمبر 2008 الجريدة الرسمية رقم 63 المؤرخة في 16 نوفمبر2008.

-/ الاعلان العالمي لحقوق الانسان، سنة 1947.

-/منهاج اللغة العربية، السنة الأولى متوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2013م.

-/ الوثيقة المرفقة لمناهج التعليم المتوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2013 / 2014م.

-/ منهاج اللغة العربية، السنة الثانية متوسط، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر، 2003م.

المواقع الالكترونية:

/-<https://www.aljabriabed.net>

/-<https://www.alriyadh.com>

/-<https://www.oujdacity.net>

/-<https://www.algazalishchool.com>

/-<https://www.wikipedia.org>

/-<https://www.ouargla-aps.dz>

/-<https://www.ar.wikipedia.org>

/-<https://www.abegs.org>

الصفحة	العنوان
04	الإهداء
04	كلمة شكر
05	المقدمة
16	المدخل
26	الفصل الأول / الوطنية والمواطنة
26	تمهيد
27	تعريف الوطنية
33	عناصر الوطنية
33	الأرض
34	الشعب
35	النظام السياسي
36	عناصر الثقافة العامة
39	تعريف المواطنة
40	التعريف اللغوي
42	التعريف الاصطلاحي
49	عناصر المواطنة
50	العناصر المادية
51	الأرض
51	الشعب
52	الدولة
54	القانون
54	الدين
55	اللغة
56	التاريخ
57	التراث والعادات
58	العناصر المعنوية
58	حب الوطن
59	الغيرة على الوطن
60	الانتماء والولاء للوطن
62	تطور مفهوم المواطنة
69	المواطنة حقوق وواجبات
71	الحقوق
74	الواجبات
76	الفرق بين الوطنية والمواطنة
80	علاقة المواطنة بالمدنية

86	أهمية المواطنة في حياة الفرد، المجتمع والوطن
91	المواطنة والديمقراطية
99	الفصل الثاني / المواطنة والعملية التعليمية
99	تمهيد
101	تعريف التربية
101	التعريف اللغوي
102	التعريف الاصطلاحي
108	شروط التربية السليمة
114	علاقة التربية بالتكوين
118	مفهوم عملية التعليم والتعلم
120	عملية التعلم
120	عملية التعليم
123	عناصر عملية التعليم والتعلم
124	العناصر الأساسية
124	المعلم
126	المتعلم
129	المضمون الدراسي
130	العناصر المساعدة
130	الوسائل التعليمية
132	الطرق التعليمية
133	الأهداف التعليمية
135	البيئة التعليمية
135	أهمية العملية التعليمية التعليمية
139	علاقة الديداكتيك بالتربية والتكوين
142	علاقة الديداكتيك بالعلوم المجاورة (علم النفس، علم الاجتماع وعلم التاريخ)
143	علاقة الديداكتيك بعلم النفس
144	علاقة الديداكتيك بعلم الاجتماع
145	علاقة الديداكتيك بعلم التاريخ
146	علاقة الديداكتيك بالتكنولوجيا العصرية
151	دور التعليمات في غرس قيم المواطنة
157	الفصل الثالث / السياسة التعليمية في الجزائر
157	تمهيد
163	التوجه التعليمي الجزائري إبان الثورة التحريرية
169	التوجه التعليمي الجزائري بعد الاستقلال
175	السياسة التعليمية في ضوء المقاربة بالأهداف
184	السياسية التعليمية في ضوء المقاربة بالكفاءات

193	مناهج التعليم الوطنية
197	إصلاح وتطوير المناهج التعليمية في الجزائر
201	أهم معوقات تطوير المناهج التعليمية في الجزائر
206	واقع ومرجعيات المواطنة في مناهج التعليم الجزائرية
208	المرجعية الدينية
209	المرجعية التاريخية
210	المرجعية السياسية
211	المرجعية التراثية
213	دور المناهج التعليمية في ترسيخ قيم المواطنة
217	قياس المواطنة في سلوكيات المتعلمين
222	الفصل الرابع / الخلفيات الوطنية للكتاب المدرسي
222	تمهيد
226	تعريف الكتاب المدرسي
228	التعريف اللغوي
229	التعريف الاصطلاحي
232	تطور الكتاب المدرسي في الجزائر
236	المرحلة الأولى من 1962 إلى 1976
237	المرحلة الثانية من 1976 إلى 2000
238	المرحلة الثالثة من 2000 إلى اليوم
239	أهمية الكتاب المدرسي في العملية التعليمية
242	أهمية النصوص الأدبية في ترسيخ قيم المواطنة
247	المواطنة كسلوكيات في ظل مقاربة التدريس بالأهداف
252	المواطنة كتصورات في ظل مقاربة التدريس بالكفاءات
257	واقع تأليف الكتاب المدرسي في الجزائر
257	المضمون
258	المصادر الدينية
260	المصادر التراثية والثقافية
261	المصادر المعرفية، العلمية والتكنولوجية
263	الشكل
264	حجم الكتاب
265	الخطوط
265	الألوان
266	الصور
269	الفصل الخامس / العمل التطبيقي
269	تمهيد
271	تحليل نصوص المواطنة في المرحلة الابتدائية

272	تقديم كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي
273	نصوص المواطنة في كتاب القراءة للسنة الرابعة ابتدائي
273	الألوان
275	الصور
279	الكلمات
280	النصوص الأدبية
288	نصوص المواطنة في الكتب الأخرى للمرحلة الابتدائية
290	تحليل نصوص المواطنة المرحلة الإكمالية
290	تقديم كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط
292	نصوص المواطنة في كتاب القراءة للسنة الثانية متوسط
292	الصور والألوان
295	النصوص والكلمات
304	نصوص المواطنة في الكتب الأخرى للمرحلة الإكمالية
308	الاستنتاج
310	الفصل السادس / العمل الميداني
310	تمهيد
313	دراسة وتحليل الاستبيانات الخاصة بالأساتذة
313	تحليل نتائج الاستبيان الخاص بأساتذة المرحلة الابتدائية
323	تحليل نتائج الاستبيان الخاص بأساتذة المرحلة الإكمالية
339	دراسة وتحليل الاستبيانات الخاصة بالطلبة
340	تحليل نتائج الاستبيان الخاص بطلبة المرحلة الابتدائية
352	تحليل نتائج الاستبيان الخاص بطلبة المرحلة الإكمالية
363	نتائج تحليل استبيانات الأساتذة والطلبة
367	الخاتمة
381	التوصيات
393	الملحق
393	الاستبيان الخاص بأساتذة الإكمالي
396	الاستبيان الخاص بأساتذة الابتدائي
399	الاستبيان الخاص بطلبة الإكمالي
402	الاستبيان الخاص بطلبة الابتدائي
405	صورتا كتاب القراءة للسنة الثانية من التعليم المتوسط
405	صورة الدفة الأولى
406	صورة الدفة الأخيرة
407	صورتا كتاب القراءة للسنة الرابعة من التعليم الابتدائي
407	صورة الدفة الأولى
408	صورة الدفة الأخيرة

409	ملخص البحث بالعربية
410	ملخص البحث بالإنجليزية
412	المصادر والمراجع
421	فهرس الموضوعات

1- ملخص بحث "المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في مرحلتي

الابتدائي والاكاديمي باللغة العربية: تتناول الفكرة العامة للبحث العلاقة بين البرامج التعليمية التربوية وتعليمية المواطنة، وتعرض لطريقة تقديم وتلقين مفهوم المواطنة لجمهور المتعلمين، وكيفية تعاملهم معها وممارستهم لها، حتى يحقق المتعلم المصالحة مع ذاته أولاً، ومع الآخرين ثانياً، ويحقق انتمائه للوطن ككل، تنطلق فكرة البحث من تنامي ظاهرة العنف في المؤسسات التربوية، وانتشار آفة المخدرات بين صفوف المتدربين، وتراجع الأخلاق والقيم وكثر الكلام الفاحش والبذيء، وشعور الكره للمؤسسات الوطنية ذات الطابع العمومي، والافتخار بتقليد ثقافة المستعمر، وازدياد ظاهرة الهجرة غير الشرعية أو ما أُصطلح عليه بالحرقة، هذه هي أسباب تناول فكرة المواطنة، وأسباب فتح النقاش حول موضوع الشعور بها والتحلي بسلوكها بين صفوف المتعلمين، وتقييم مدى نجاح المؤسسة التربوية المدرسية الجزائرية في خلق وتكوين مواطن صالح لوطنه ولمجتمعه، في ظل تركيبة المجتمع الجزائري المتعدد اللغات واللهجات، الحامل لمضامين ثقافية وأدبية كثيرة ومختلفة، ورؤى وايدولوجيات متصارعة، والمتأثر بالتيارات الأدبية والفكرية العالمية بفعل العولمة وحوار الثقافات.

كانت فرضية البحث في أسباب تراجع شعور الانتماء الوطني والمواطنة، أن الأمر يعود لنقص النصوص ذات البعد الوطني في المقررات والكتب المدرسية، لأن جمهور المتعلمين في حاجة إلى نصوص أدبية تستوعب التغيرات الاجتماعية، وتعبر عن آمالهم وأحلامهم في العيش على أرض الوطن الواحد والمساهمة في رقيه وتطويره. تكون الدراسة من ستة فصول رئيسية، أربعة نظرية وفصل تطبيقي وآخر ميداني، حيث تتعرض إلى مفهوم المواطنة ومقوماته وعلاقتها بالتعليمات وبالتربية ككل، ثم تتناول بحث في المناهج التعليمية الملائمة للتربية على المواطنة وتعليمها، أما الفصل التطبيقي فيتناول واقع المواطنة في المقررات الدراسية الجزائرية، ويختص الفصل الميداني بقياس شعور المواطنة لدى المعلمين والمتعلمين على السواء في الطورين الابتدائي والاكاديمي، وتنتهي بمجموعة من التوصيات، وخاتمة لتقييم مدى انتشار الحس الوطني، ومدى ممارسة المواطنة بين صفوف المتعلمين في المدرسة الجزائرية.

2- ملخص بحث "المواطنة في مضامين الكتاب المدرسي في مرحلتي الابتدائي والاكمامي باللغة الانجليزية:

Abstract: The general idea of research deals with the relationship between educational programs and the education of citizenship, and deliver the introduction of the concept of citizenship among the audience of learners, and how to deal with it and practice it, so that the learner achieves reconciliation with himself first, and with others after, and achieve belonging to the nation as a whole. The idea of research stems from the growing phenomenon of violence in educational institutions, the spread of the scourge of drugs in the ranks of learners, the decline in morals and values, the spread of obscene talk, the hatred of national institutions of a public nature, And pride in the tradition of colonial culture, and the phenomenon of illegal immigration , These are the reasons for addressing the idea of citizenship, the reasons for opening the discussion about the subject of citizenship among the learners, and evaluating the success of the Algerian school and educational institution in creating and forming a good citizen of his country and society, In the context of the Algerian society's multi-lingual and dialects, which carries many different cultural and literary contents, conflicting visions and ideologies, and influenced by the global literary and intellectual currents by globalization and intercultural dialogue.

The hypothesis of research into the reasons for the decline in the sense of national belonging and citizenship, that it is due to the lack of texts

with a national dimension in the curricula and textbooks, because the audience of learners are in need of literary texts that accommodate social changes, and reflect their hopes and dreams to live on the homeland and contribute to the development of their country. The study consists of six main chapters, four theoretical and a practical chapters and the last one is a field chapter, where they deals with the concept of citizenship and its components and its relationship with education, and then discuss the appropriate educational curricula for education on citizenship, while the applied chapter addresses the reality of citizenship in the Algerian curriculum . The field chapter is concerned with measuring the sense of citizenship among both teachers and learners in the primary and secondary stages, and ends with a set of recommendations, concluding with an assessment of the prevalence of the sense of citizenship and the extent of citizenship among the students in the Algerian school.